شؤون فلسطينية

٢٠

نيسان (ابريل) ١٩٧٣

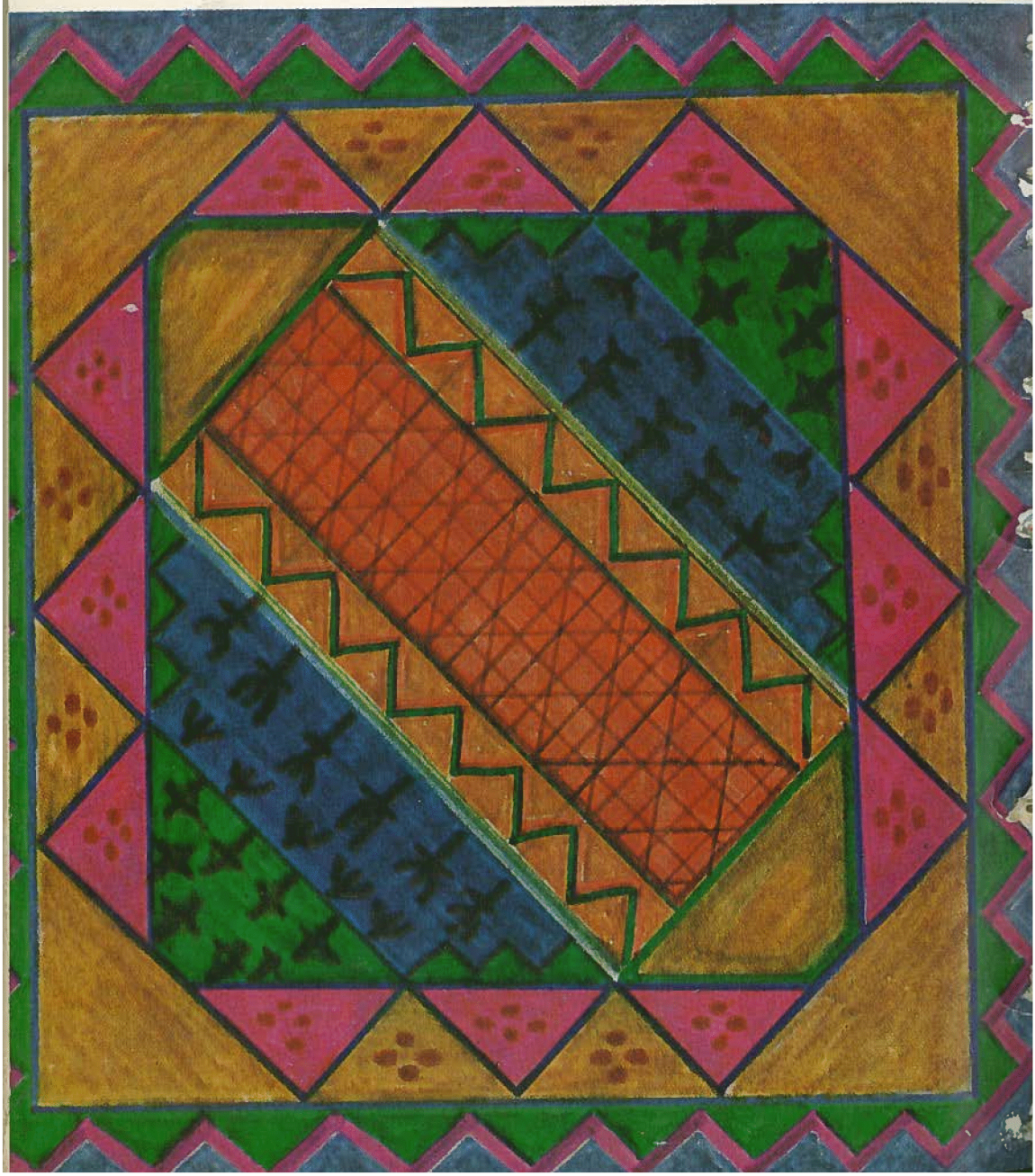

شؤون فلسطينية

رئيس التحرير : الدكتور انيس صايغ

رقم ٢٠ — نيسان (ابريل) ١٩٧٣

دورية فكرية لمعالجة احداث القضية الفلسطينية وشؤونها المختلفة .
تصدر شهريا عن مركز الابحاث في منظمة التحرير الفلسطينية .

سكرتير التحرير : ابراهيم العابد **مدير التوزيع** : غازي خورشيد .

هيئة التحرير : المقدم الهيثم الايوبي ، بلال الحسن ،
د. سعيد حمود ، احمد خليفة ، الحكم دروزة ، محمود درويش ،
د. يوسف شبل ، د. نبيل شعث ، منير شفيق ، د. صادق العظم ،
ناجي علوش ، حبيب قهوجي ، د. محمد المجذوب ،
عبد الحفيظ محارب ، د. حنا ميخائيل .

جميع الآراء الواردة تعبر عن وجهات نظر كاتبيها ولا تعكس بالضرورة آراء منظمة التحرير الفلسطينية ولا المحررين ولا المستشارين ولا الناشرين .

العنوان : بناية الدكتور راجي نصر ، شارع كولومباني
(متفرع من السادات) ، راس بيروت ، بيروت — لبنان ،
ص.ب ١٦٩١ ، تلفون : التحرير ٣٥١٢٦٠ ، التوزيع ٢٢٦٥٨٥ ،
برقيا مرأبحاث ، بيروت .

ثمن العدد : ٢١/٢ ل.ل. في لبنان وسوريا ، ٣١/٢ ل.ل. في سائر الاقطار العربية ، ٥ ل.ل. في اوروبا وافريقيا وآسيا ، ٨ ل.ل. في سائر دول العالم .

الاشتراك السنوي (بريد جوي) : ٣٠ ل.ل. في لبنان وسوريا ، ٤٠ ل.ل. في سائر الاقطار العربية ، ٦٠ ل.ل. في اوروبا وافريقيا وآسيا ، ٩٠ ل.ل. في سائر دول العالم .

الاشتراك السنوي (بريد عادي) : ٤٥ ل.ل. في جميع الدول غير العربية .

صورة الغلاف مستوحاة من تطريز فستان فولكلوري فلسطيني في غزة

المحتويـــات

صفحة ٤ شؤون فلسطينية ، الدكتور انيس صايغ .

٦ **عبدالقادر الحسيني في ذكراه الخامسة والعشرين**، الدكتورة خيرية قاسمية.

١٣ **النفط العربي سلاح في خدمة قضايانا القومية** ، الدكتور عاطف سليمان .

٣٣ **التسليح السوفياتي والصراع العربي ــ الاسرائيلي** ، المقدم الهيثم الايوبي.

٤٥ **القبعة والنبي** ، غسان كنفاني .

٧٧ **الامبريالية والاقتصاد الاسرائيلي** ، لاري لوكوود .

١١٢ **المنظمة الصهيونية العالمية ١٩٤٦ ــ ١٩٥١** ، الدكتور اسعد رزوق .

١٣٦ **الوقوف على الحد الفاصل** ، خالد ابو خالد .

١٤٣ **ملاحظات اولية على حزب الشعب الثوري الاردني** ، عصام الصالح .

١٥١ **مراجعات** : الطريق الى الحرية والخلاص والسلام ، صبحي طه . غسان كنفاني : الاثار الكاملة ، الياس خوري . أسوار اسرائيل ، الدكتور خليل احمد خليل . النيوستيتسمان والشرق الاوسط ، أ.ن. سعد .

١٦٧ **تقارير اعلامية** : الاسبرانتو والاعلام العربي ، حسين محمد العاملي .. نشاط الطلاب العرب الاعلامي في اميركا ، الدكتور الياس زين . الاعلام العربي المشترك في اطار جامعة الدول العربية ، محمد علي العويني . جماعة السينما الفلسطينية وجماعة السينما الفلسطينية في مركز الابحاث، مصطفى ابو علي .

١٨٥ **شهريات** : (١) المقاومة الفلسطينية ، بلال الحسن . غزة ثورة دائمة على الاحتلال، زياد عبد الفتاح . (٢) القضية الفلسطينية عربيا ، ناجي علوش. (٣) القضية الفلسطينية دوليا ، الدكتور صادق جلال العظم . رسالة من مراسلنا في السويد ، هـ.د. (٤) المناطق المحتلة ، عبد الحفيظ محارب . (٥)القضية الفلسطينية عسكريا ، المقدم الهيثم الايوبي . تقرير عن صواريخ سام السوفياتية ، هشام عبدالله . جدول بالعمليات العسكرية لقوات الثورة الفلسطينية وآخر بالعمليات التي اعترف بها العدو الصهيوني من ٢/١١ — ١٩٧٣/٣/١٢ ، غازي خورشيد .

٢٣٣ **اسرائيليات** : عماد شقور .

٢٤١ **وثيقة خاصة : افادات اعضاء الجبهة الحمراء .**

شؤون فلسطينية

الدكتور انيس صايغ

عاد الاخ مدير توزيع شؤون فلسطينية من جولة في بعض ربوع الوطن العربي لدرس مسائل التوزيع مع وكلائنا بعدد من الملاحظات والانطباعات والاستفسارات التي جمعها خلال لقاءاته مع العشرات من رجال الفكر ومن الموزعين والناشرين وأصحاب المكتبات في العديد من المدن العربية . وأبرز الملاحظات التي تضمنها تقريره عن رحلته استفسار تكرر في أكثر من لقاء وأكثر من مناسبة عما اذا كانت صفحات شؤون فلسطينية تتسع لنتاج المثقفين العرب ، من غير الفلسطينيين ومن غير المقيمين في لبنان ومن الذين ليست لديهم علاقات مباشرة مع مركز الابحاث في منظمة التحرير الفلسطينية . والواقع ان هذا الاستفسار جاءنا ، بأشكال أخرى ، من العشرات من الكتاب العرب . وكان أحيانا يتخذ شكل العتاب بأن المجلة لا تستكتب الكثيرين من هؤلاء ، أو ان المجلة تحصر نفسها بعدد محدود من الكتاب الفلسطينيين المتصلين بمركز الابحاث بشكل او بآخر .

والواقع ان العكس ، هو الصحيح . لقد كانت خطة المجلة منذ صدورها ، بل خلال فترة التحضير لها ، أن تستكتب أكبر عدد ممكن من الكتاب غير العرب ، والعرب غير الفلسطينيين ، من كافة انحاء العالم ، ذلك ان المجلة هي مجلة الفكر الفلسطيني وليست مجلة المفكر الفلسطيني . هي أداة الاتصال مع الجماهير العربية لحمل فكر الثورة الفلسطينية وأدبياتها ونتاجها الثقافي ولكنها ليست مطبوعة اعلامية تصدرها الثورة كناطق بلسانها . ولما كان البحث في الشؤون الفلسطينية ، بمعناها الثقافي الواسع ، موضوع عالمي يخوضه الالاف من الكتاب (من مفكرين ومن صحافيين ومن أدباء ومن منظرين ومن باحثين) كانت تطلعات أسرة التحرير ، ولا تزال ، أن تجتذب الى مجلتنا أكبر عدد ممكن من هؤلاء الكتاب ، ممن يتوافر لديهم الشرطان الاساسيان : الايمان بعدالة القضية الفلسطينية وحق الشعب الفلسطيني ببلده وبالثورة من اجل استعادته ، من الجهة الاولى ، والكفاءة العلمية والقدرة على الكتابة والتحليل بعمق وبدقة وبنزاهة وبصدق مع تحري الحقائق ودعم الاراء بالاثباتات ، من الجهة الاخرى . توافر هذان الشرطان في الكاتب وفي البحث هما اللذان على ضوئهما يجاز نشر هذا المقال أو ذاك . ويستكتب بفضلهما هذا الكاتب او ذاك . وذلك دون النظر في جنسية الكاتب او مكان اقامته او مدى علاقته بمركز الابحاث الذي يقوم بنشر « شؤون فلسطينية » . وعلى العكس ، وكما قلت سابقا ، ان المجلة خططت وتخطط لان تزداد نسبة الكتاب غير العرب على الكتاب العرب ، والكتاب العرب غير الفلسطينيين على الكتاب الفلسطينيين ، والكتاب المنتشرين في العالم على الكتاب المقيمين في البلاد العربية خارج لبنان ، والكتاب المقيمين في هذه الدول العربية على الذين يقيمون في لبنان ، والكتاب الذين لم يسبق ان نشر لهم مركز الابحاث دراسات على الذين تعاملوا مع المركز ، وحتى من ضمن هؤلاء المتعاملين مع المركز نحاول ان نزيد نسبة المتعاونين من بعيد على الذين يعملون في المركز عملا مباشرا ، وبكلام آخر ، كانت خطة المجلة ولا تزال أن توسع رقعة كتّابها قدر الامكان .

ولعل نظرة فاحصة على فهارس ومحتويات اعداد السنتين السابقتين تدلل على ما اقول وتثبت صحته بشكل قاطع . لقد كتب في شؤون فلسطينية ٢٤٥ كاتبا ، كان بينهم ٣٧ كاتبا غير عربي . وبين هؤلاء ، من هو جدير بلفت النظر اليه ، عدد لا بأس به من الكتاب اليهود غير الصهيونيين . وربما كانت هذه النسبة (١٦ ٪) أعلى نسبة من نوعها في أية مجلة عربية سياسية . اما الكتاب العرب غير الفلسطينيين فقد بلغ عددهم ٧٠ كاتبا ، ونسبتهم الى مجموع الكتاب ٢٨ ٪ . وهم موزعون على جنسيات عربية مختلفة ومعظمهم من السوريين والعراقيين والمصريين . وهذا يعني ان ٤٤ ٪ من كتاب شؤون فلسطينية ليسوا فلسطينيين اطلاقا . ولا بد للقارىء من أن يقدر للمجلة انها نجحت باستكتاب ما يزيد على المئة كاتب غير فلسطيني ووفقت في حمله على الكتابة في الشؤون الفلسطينية المختلفة في مدة سنتين فقط .

لكن نجاح المجلة في هذا المجال هو في الواقع أقل من نجاحها في مجال دعوة الكتاب الى المساهمة بتحريرها من خارج لبنان وخارج الوطن العربي . وبينما يسكن ٤٥ ٪ من كتابها (١١٠) في لبنان يقطن الباقون (٥٥ ٪ = ١٣٥) خارج لبنان : يقطن ٦٠ كاتبا منهم ، اي الربع في الدول العربية المختلفة ، وينتشر الباقون (وهم ٧٥ كاتبا، اي الثلث) في أرجاء المعمورة ، ومعظمهم في الولايات المتحدة وأوروبه الغربية واسكندنافيه . وهذه الارقام هي أيضا تدل على جهد المجلة بألا تكون مجلة الكاتب (سواء الفلسطيني أو غير الفلسطيني) المقيم في لبنان بل أن تتخذ لنفسها طابعا عالميا واسعا لتؤمن لنفسها انتشارا عالميا واسعا .

بقي موضوع مركز الابحاث ، ان ٢٧ فقط من الكتاب الـ ٢٤٥ يعملون في المركز ، اي بنسبة ١١ ٪ فقط . اما الاغلبية الساحقة (٨٩ ٪) فليسوا من باحثي المركز . منهم ٤٠ سبق أن نشر المركز لهم دراسات دون أن يعملوا به ومنهم ١٧٨ ليس لهم اية علاقة بالمركز . وتتضح أهمية هذه الارقام والنسب حينما نتذكر ان مركز الابحاث ، الذي ينشر « شؤون فلسطينية » والذي يعتبرها واحدة من أضخم وأهم مشاريعه الانتاجية ، يضم في أسرته سبعين زميلا نصفهم على الاقل من الكتاب الذين سبق لهم أن نشروا دراسات أو بحوثا في القضية الفلسطينية في الماضي ، وبينهم عدد لا بأس به من كبار المتخصصين بالقضية الفلسطينية . وقد لا يتوافر هذا العدد في أي مكان واحد آخر في الوطن العربي، لا في مركز ولا في معهد ولا في صحيفة ولا في دار نشر ولا حتى في اية جامعة في الوطن العربي . ومع هذا تحاول رئاسة تحرير المجلة أن لا تجعل المجلة وقفا على كتابات هؤلاء الاختصاصيين الموجودين في المركز . بل انها تبذل جهداً خاصا لان تجعل نسبة مساهمتهم في المجلة ضئيلة — ومن هنا كانت النسبة مجرد ١١ ٪ بينما بامكان باحثي المركز الذين يزيدون على الثلاثين باحثا ان يملأوا صفحات شؤون فلسطينية بأقلامهم هم وان يجعلوها مجلة خاصة بالمركز اذ بينهم الباحث السياسي والاقتصادي والعسكري والثقافي والادبي والاجتماعي والتقني والتاريخي وغير ذلك من حقول التخصص العلمي . أعود الى الاستفسارات التي حملها مدير التوزيع معه بعد جولة في عدد من البلدان العربية . اننا ندعو جميع الكتاب والباحثين القادرين على معالجة الشؤون الفلسطينية المختلفة معالجات علمية صحيحة ، الملتزمين بخط الثورة الفلسطينية والمؤمنين بأهدافها، ندعوهم جميعا الى اعتبار هذه المجلة مجلتهم هم ايضا بمقدار ما هي مجلة الـ ٢٤٥ كاتبا الذين سبق لهم أن كتبوا بها منذ صدورها ، اذ بقدر ما يسعد المجلة أن يتسع مجال توزيعها يسعدها أيضا أن تتسع رقعة المساهمين بتحريرها . ففلسطين ، في النهاية ، هي أمانة في عنق كل أحرار العالم . والمساهمة في تحريرها مطلوبة من جميع الشعوب. وكذلك فان الكتابة في جوانبها المتعددة ، فكرا وأدبا وعلما ، مطلوبة أيضا من جميع الذين لديهم المادة الجيدة والجديدة .

عبد القادر الحسيني في ذكراه الخامسة والعشرين

الدكتورة خيرية قاسمية

مرت بخيال رفيقة نضال عبدالقادر الحسيني ذكريات عابرة مما عاشته ولمسته وسمعته عن حياة عبدالقادر ، روتها لي في مقابلات عديدة في القاهرة . كانت قد رافقته منذ عام ١٩٣٥ ، وحملت عنه كل مسؤولياته العائلية كي يتفرغ هو لمهمته النبيلة وتعرضت للاحقة السلطات البريطانية ، ولكنها عملت بصمت . لم تتذمر ولم تشك ، بل كانت وراءه تحثه على المتابعة . افتقدته كزوجة وأم وهو لم يزل شابا في وقت كانت فلسطين في اشد الحاجة اليه . وقد أرجعتني السيدة الفاضلة الى الاستاذ محمد علي الطاهر — وهو من الصحفيين الفلسطينيين الاوائل — لاستجلاء حقائق بعض الاحداث نظرا لانه كان على معرفة وثيقة بعبدالقادر منذ نزل القاهرة عام ١٩٢٥ لاكمال دراسته فيها وكان لم يزل بعد فتى يافعا . ومن هذه الذكريات خرجت ببعض من جوانب حياة عبدالقادر التي هي جزء من حياة شعب فلسطين الحافلة بروائع البطولات .

خ. ق.

ولد عبدالقادر في القدس عام ١٩٠٨ وتلقى دراسته الاولى في مدرسة صهيون الانجليزية ومدرسة روضة المعارف الاهلية. وعاصر وهو لم يزل طفلا بعد بداية المأساة في فلسطين وقت أن دخلتها القوات البريطانية وهي تحمل في ركابها تصريح بلفور وشهد وهو فتى تدرج الحكم البريطاني في ترسيخ قدم الصهيونية واعطائها الصبغة الشرعية . وجوده قرب والده موسى كاظم الحسيني — رئيس البلدية — الذي قاد العمل الوطني منذ توليه رئاسة المؤتمر الفلسطيني الثالث ١٩٢٠ ، قد أمده بتجربة حية الى جانب ما يتمتع به من ميزات شخصية .

وانتقل عام ١٩٢٥ الى القاهرة ليتابع دراسته الثانوية فيها ، ثم التحق بالجامعة الامريكية — قسم العلوم — لدراسة الرياضيات . وقد مارس الى جانب ذلك الشعر والادب ، كما عمل بالتدريس ، وتردد على دار جريدة الشورى — لصاحبها محمد علي الطاهر — وأسهم في تحرير بعض موادها .

وكانت فلسطين أواخر العشرينات قد شحنت بالاحداث اثر اضطرابات ١٩٢٩ وما تلاها من تحقيقات . وتجددت أمام عبدالقادر في القاهرة صورة الحكم البريطاني المقيت فجعل من نفسه داعية لقضية وطنه . واعدادا للمستقبل بدأ بتنظيم الطلبة الفلسطينيين في القاهرة ، وانشأ منهم اول رابطة للطلبة الفلسطينيين على أمل أن تتحول الى منظمة سياسية تتولى قيادة الحركة الوطنية بعد أن ينهي الطلبة دراستهم .

وكانت جريدة الجامعة الامريكية بمصر (نصف الشهرية) قد شهدت في مقال لها تحت عنوان — عبدالقادر الحسيني بكالوريوس علوم B.A. القدس فلسطين — على ان عبد القادر كان في السنوات الخمس التي قضاها في الجامعة موضع اعجاب رفاقه لما امتاز

به من روح التعاون « وكان أهم ما يستهويه من الدروس الرياضيات والدين كما كان حبه للمناقشات الحبية سببا لكسبه الشهرة بين الطلبة »(١).

وقد لمس عبدالقادر في الجامعة الامريكية الاتجاهات التي تعمل لصالح الاستعمار ، وفي الحفلة السنوية التي أقيمت بعد انتهاء العام الدراسي ١٩٣٢ لتوزيع الشهادات بحضور عدد كبير من مسؤولي الجامعة الامريكية في مصر والعلماء ، كان عبدالقادر يدبر مفاجأة لهم جميعا . وقد اشار الاستاذ محمد علي الطاهر في كتابه (نظرات الشورى) المطبوع بمصر عام ١٩٣٢ الى هذا الحادث تحت عنوان (شاب فلسطيني في مصر ينسف الجامعة بمصر في وجهها) مشيرا الى ان عبدالقادر بعد ان وقف على المنصة وفي يده الشهادة التي أخذها ، اتجه الى الحاضرين ووجه لهم كلمة وطنية « ندد فيها بالافكار التي تبث في اوساط الجامعة . وختم كلمته بأنه يقول هذا لينبه اليه المصريين والحكومة المصرية وانه لم يكن يقوله قبل ذلك لانه كان طالبا اما الان وقد تخرج واخذ شهادة الدبلوم فهو يقوله للمسلمين والاقباط على السواء » . وقد نزل الطالب وجلس على كرسي في القاعة بينما كان الحاضرون يسألون عنه ويتحدثون في الكلمات التي سمعوها منه . ويضيف كتاب (نظرات الشورى) ان جريدة البلاغ قد علمت من سكرتير الجامعة ان مجلس الادارة قد اجتمع على أثر ما حدث وقرر سحب الشهادة التي أعطيت لهذا الطالب . ولما قام أحد المعلمين بتنفيذ القرار تجمهر بعض الطلبة وكاد يقع شيء من القتال لولا ان عبدالقادر منع الناس عن المعلم وأعطاه الشهادة . وقد اضطربت الجامعة الامريكية من هذا الحادث ، فجلبت بعض الصحفيين عند منتصف الليل ورجتهم عدم الاشارة الى ما جرى « وحاولت ارشاء بعض الصحفيين ليحملوا على ذلك الشاب الغيور على قوميته ، ولكن الصحف في الصباح التالي امتلأت بأخبار ما جرى ». ولجأت الجامعة الامريكية كذلك الى الايعاز لبعض الطلبة للذهاب الى ادارات الصحف للطعن عليه وتبرئة الجامعة . وقد قام عبدالقادر بتوزيع كتاب مفتوح على الصحف ضمنه توضيحا لما ذكره في الحفل حول الاتجاهات التي لمسها في اوساط الجامعة طالبا « من كل وطني مسلما كان أم مسيحيا ان يحارب هذه الفكرة ليعيش المسلمون والمسيحيون أهل هذه البلاد وغيرها من الاقطار الشرقية هانئين آمنين » .

وعلى اثر هذا الحادث أصدرت الحكومة المصرية — في عهد اسماعيل صدقي — أوامرها باخراج عبدالقادر من مصر . وقد تجمهر الفلسطينيون المقيمون في مصر عند محطة سكة الحديد لوداع عبدالقادر ، وانقلب الوداع الى شبه تظاهرة وطنية تهتف لفلسطين العربية وتنادي بسقوط الحكم البريطاني .

عاد عبدالقادر الحسيني الى القدس في مطلع عام ١٩٣٣ ليمارس نشاطات متعددة يخدم بها قضيته . وقد استلم وظيفة في دائرة التسوية ، وهي دائرة خاصة للاراضي شكلتها الحكومة المنتدبة ، ولا شك ان الدافع وراء حصوله على وظيفة في هذه الدائرة هو الاطلاع على الاساليب التي يقوم بها الصهيونيون في الاستيلاء على الاراضي ومحاولة عرقلتها ، كما ان وجوده فيها أتاح له فرصة توثيق صلاته بأهل القرى . وكان الى جانب عمله الرسمي يمارس هوايته الصحافية ، فكان يبعث بمقالاته الى جريدة الجامعة الاسلامية في يافا (التي كان يرئس تحريرها سليمان الفاروقي) بين عامي ١٩٣٣ — ١٩٣٦ . ولما اصدر الحزب العربي جريدة اللواء عام ١٩٣٥ (التي رئس تحريرها خالد الفرخ) اشترك عبدالقادر في تحريرها (قسم الترجمة) ، كما تولى سكرتارية جمعية الشاب المسلم المتعلم (برئاسة يعقوب الغصين) . وكانت الاوضاع في فلسطين بعد عام

---

(١) محمد علي الطاهر ، كتاب **نظرات الشورى** ، مصر ١٩٣٢ . وقد تفضل المؤلف مشكورا بتزويدي بأربع صفحات من الكتاب التي تشير الى نشاط عبدالقادر الحسيني في مصر .

١٩٣٣ قد زادت توترا مع ازدياد تواطؤ حكم الانتداب وتسهيله الهجرة وبيع الاراضي . وقامت سلسلة من التظاهرات في المدن الفلسطينية . وفي ١٣ تشرين الاول ١٩٣٣ تقدم والده موسى كاظم باشا صفوف التظاهرة الوطنية في يافا واستخدمت السلطات البريطانية وسائل العنف وكان نصيب عبدالقادر عدة جروح ، ووالده (الذي تجاوز الثمانين) ، ضربة عصا سببت وفاته السنة التالية . وتكررت الاضطرابات حيث تصاعدت نحو الاضراب العام الذي امتد ستة شهور ، وتشكيل اللجنة العربية العليا من كافة الاحزاب الفلسطينية نيسان ١٩٣٦ .

وكان عبد القادر في ذلك الوقت يتولى ادارة مكتب الحزب العربي الفلسطيني في القدس، وبدأ مع غيره من الشباب الوطني في التهيئة لاسلوب جديد في المقاومة هو الثورة . وبالفعل كان قد بدأ تشكيل منظمات سرية شبه عسكرية من شبان في المدن والقرى تعمل على جمع السلاح والتدريب العسكري . وفي اواخر ايار ١٩٣٦ اعلنت قيادة هذه القوات التي اطلقت على نفسها اسم الجهاد المقدس ، الثورة . ولجأت الى الجبال لتشترك بثورة مسلحة على شكل حرب فدائية ، وكان لعبد القادر شرف الاشتراك في اطلاق الضربات الاولى الموجهة مباشرة الى الاحتلال البريطاني في قطاع القدس .

وشارك في معركة (الخضر) في قضاء بيت لحم ، التي استشهد فيها المجاهد السوري سعيد العاص (ايلول ١٩٣٦) واعتقل عبد القادر اثر اصابته بجرح في المعركة ووضع في مستشفى الحكومة في القدس تحت حراسة مشددة انتظارا لمحاكمته بعد شفائه . ولكنه دبر امر الفرار من المستشفى بالتعاون مع بعض الشباب ونقل سرا الى دمشق عن طريق الاردن حيث عولج حتى شفي(١) . والتحقت به عائلته في دمشق واستقرت هناك ، بينما اتجه هو الى بغداد . وتسلل الى فلسطين من جديد ليغادرها سرا الى المانيا ، بعد ان هدأت احداث الثورة منذ تشرين الاول سنة ١٩٣٦ تلبية لنداء الملوك وترقبا لقدوم لجنة تحقيق ملكية بريطانية برئاسة لورد بيل . وقد مكث في المانيا مدة ثمانية شهور حيث تلقى تدريبا خاصا على تعبئة المتفجرات واستخدامها ، وقام فيما بعد بتدريب مجموعات خاصة في دمشق ، استعدادا لجولة اخرى .

وكانت احداث الثورة منذ تشرين الاول ١٩٣٧ قد تجددت بشكل اكثر عنفا وتنظيما ، وجهت الى السياسة البريطانية والصهيونية معا ، بعد ان اصدرت لجنة بيل توصيتها بتقسيم فلسطين ، واعلنت الحكومة البريطانية رغبتها في تنفيذ هذه التوصية . وعاد عبد القادر الى فلسطين خفية ليشترك باحياء الثورة باعمال فذة جديدة في قطاع القدس. وقام مع مجموعة من المجاهدين بالتوجه الى منطقة الخليل (قرية بني نعيم) ١٤ تشرين الاول سنة ١٩٣٨ للاتصال بالقبائل المقيمة هناك فوقعوا في كمين نصبه الانجليز واستشهد كثيرون كان من بينهم ابن عمه المهندس علي الحسيني بينما اصيب هو اصابة خطيرة . وقد ظنت مجموعته انه قد اصبح في عداد الشهداء الذين وضعوا جميعا في كهف سد بابه بالحجارة حتى لا يعثر عليهم . وحاول الاستغاثة كي يخبرهم انه لا يزال على قيد الحياة دون جدوى فقد منعته جراحه المثخنة ، ولحسن حظه كان طرف ردائه الشتوي باديا بين الحجارة فعثر عليه اهل القرى في اليوم التالي ، وقد عمل قميصه الصوفي وساعة يده كضابط لحبس النزف . وحمل وهو في اشد حالات الاعياء على ظهر جمل حتى المستشفى الانجليزي في الخليل . وارغم رفاقه طبيب المستشفى على معالجته بعد ان قطعوا كل اتصال مع الخارج . وقد عادته زوجته في المستشفى ، بعد ان علمت

---

(١) روى الاستاذ محمد علي الطاهر في مقابلة شخصية انه هو الذي أوعز الى عبدالقادر بفكرة الفرار في رسالة شفوية بعثها من القاهرة ، حسب اصطلاح شاع في فلسطين في ذلك الوقت (افركها) وهي كلمة مشتقة من (بيت فوريك) في قضاء نابلس .

بالنبأ وكان لا يزال مثخنا بالجراح ، فقد كانت بضع رصاصات قد مزقت صدره لتستقر احداهـــا قرب قلبه . وعاود عبد القادر القتبـــال بعد شفائه وتتالت عمليات مـــلاحقة السلطات البريطانية له ولكنه نجا منها كلها .

وكانت اعمال الثورة لا تزال مستمرة رغم تراجع الحكومة البريطانية عن قرار التقسيم ودعوتها الى مؤتمر المائدة المستديرة في لندن وصدور الكتاب الابيض . الا ان ظـــروف الحرب (بعد ايلول ١٩٣٩) قد حالت دون متابعة القيام باعمال الثورة ، واضطر كثير من القيادة الفلسطينية ان يغادروا مواقعهم ، وكان بعضهم قد اضطـــر الى اللجوء الى سوريا ولبنان قبل اعلان الحرب بسبب الملاحقة والضغط العسكري المتواصل . ولكن مع بوادر الحكم الوطني في العراق وخشية اعتقال السلطات الفرنسية اتجهوا نحو بغداد وكان عبد القادر بين من استقر هناك . ورغم خبرته العسكرية فقد التحق بدورة خاصة للضباط في بغداد ليتخرج بعد ستة شهور برتبة ضابط وعمل على تدريس الرياضيات في الكلية الحربية (معسكر الرشيد) وكذلك في مدرسة (التفيض) في بغداد ، وهناك مارس هوايته الصحفية فاشترك بتحرير مجلتها المدرسية الشهرية .

ولما نشب القتال في العراق (نيسان ١٩٤١) في عهـــد وزارة رشيد عالي الكيلاني ضد القوات البريطانية التي كانت تعزم على اعادة احتلال العراق والقضاء على الحكم الوطني فيها ، كان عبد القادر اول المتطوعين ، فنظـــم مع القوات الفلسطينية قوة اشتركت في اعمال قتال الانجليز التي استمرت مدة شهر وقد تمكنت مجموعته وحدها من ايقـــاف تقدم القوات البريطانية مدة عشرة ايام في زحفها نحو بغداد(١). وبعد توقف القتال غادر الوطنيون البلاد الى ايران عن طريق الموصل . وكانت زوجـــة عبد القادر قد افتقدت اخباره الا انها فوجئت به يعود بعد خمسة وعشرين يوما . اذ كانت السلطات البريطانية قد رفضت السماح لمجموعته المكونة من خمسة وثلاثين شخصا بالعبور قرب كرمنشاه بينما سمحت له شخصيا نظرا لقرابته للمفتي ، الا انه رفض النجاة وحده . وعـــادت المجموعة مشيا على الاقدام لتقطع مسافة الف كيلو متر في مدة خمسة وعشرين يوما . وقد طلب عبد القادر من مجموعته التسلل افراديا الى منزله حتى لا يثيروا الشبهة . وظلت هذه المجموعة في معقلهـــا الاجباري تحت رعاية زوجته خـــلال شهري حزيران وتموز ، ولكن نتيجة المعاناة الشديدة بسبب نقص الغذاء والاختفاء اضطروا الى تسليم انفسهم الى مصطفى العمري وزير الداخلية (تموز ١٩٤١) . واستمرت محاكمة عبد القادر وحده سنة وثمانية شهور وانتهت دون اصدار حكم . وفي خلال هذه الشهور كان بيت عبد القادر في بغداد قد اصبح مركزا لتجمع العائلات الفلسطينية الذين غادر معظم رجالها البلاد الى الخارج ، واثار ذلك شبهة السلطات وتعرضت زوجته لتحقيقـــات المخابرات العسكرية مرارا وانتهى الامر بوضعها تحت الحراسة .

في ذلك الوقت كانت قد صدرت الاوامر للمعتقلين الوطنيين بالاقامة الجبرية في شمـــال العراق على شكل مجموعات متفرقة وكان نصيب عبد القادر بلدة زاخو على حـــدود تركيا ثم استدعي بعد شهرين للتحقيق معه بعد اغتيال احد رجالات العراق وسجن في معتقل (العمارة) الرهيب مع كل الفلسطينيين والعراقيين ذوي الصلة بهم مـــدة ثلاث سنوات ونصف . وكانت عائلته قد امرت في مطلع عام ١٩٤٣ بمغادرة بغداد لتعود الى القدس من جديد بعد غياب دام عدة سنوات . وفي اواخر عام ١٩٤٤ بلـــغ زوجته خبر تدهور صحته في معتقله نتيجة جروحه السابقة . وتوسطت لدى بعض رؤساء الـــدول

---

(١) روى الاستاذ محمد علي الطاهر انه قد بلغه وهو في القاهرة خبر بأن مدير الامن العراقي (احمد الراوي) قد اتصل بعبدالقادر ومجموعته وكانت لا تزال في استحكاماتها داخل احدى البنايات طالبا منها الفرار بعد ان استسلمت الحكومة نفسها ولم يعد هناك جدوى للمقاومة .

العربية لحمل حكومة العراق على الافراج عنه وذهبت الى بغداد استمرارا لهذه المساعي . وقد اشار محمد علي الطاهر في كتابه (هاكستب)(١) ان عبدالقادر كان قد بعث له عام ١٩٤٤ برقية من العراق يخبره فيها انه لا يزال في سجن العمارة وانه لما بلغت حالته الصحية حد الخطورة سمحت الحكومة العراقية باخراجه من السجن على شرط ان يغادر العراق ، ويطلب في البرقية ان يسمح له بدخول مصر . وقد بعث (الطاهر) بالبرقية الى مصطفى النحاس رئيس الوزارة شارحا فيها حالة عبد القادر وجهاده وظروفه وانه لا يوجد طريقة لانقاذه الا بدعوته لمصر ليعالج فيها . وقد ابرقت وزارة الخارجية المصرية الى المفوضية المصرية ببغداد بالشيفرة لمنح عبد القادر تأشيرة دخول لمصر له ولاسرته بامر خاص من رئيس الوزارة ، على ان يجعل سبيله الى مصر من طريق المملكة السعودية حتى لا يقبض عليه الانجليز ان مر بالشرق الاوسط « سوريا ولبنان وفلسطين والاردن » . وابرق الطاهر لعبد القادر بواسطة مدير سجن العمارة بان يراجع القنصلية المصرية ببغداد . وقد علم بعد ذلك ان الملك عبد العزيز ال سعود حين عرف بمرور عبد القادر الحسيني امر باستضافته في السعودية نظرا للصداقة التي تربط موسى كاظم الحسيني وعبد العزيز منذ كان الاول متصرفا لنجد زمن الدولة العثمانية . وظل عبد القادر في السعودية مدة عامين ولحقت به اسرته هناك من فلسطين .

وبعد انتهاء الحرب العالمية الثانية بدأت الغيوم تتلبد في سماء فلسطين السياسية والقضية تتأرجح بين يدي الحكومة البريطانية ولجان التحقيق المختلفة والامم المتحدة . وبدا للجميع ان الصدام امر لا بد منه . وغادر عبد القادر السعودية الى مصر ليكون قريبا من فلسطين اوائل عام ١٩٤٦ . ويروي محمد علي في كتابه (هاكستب)(٢) ان الحكومة المصرية — وكان يراسها ابراهيم عبد الهادي في عهد السعديين — قد سعت الى اخراجه من مصر وبقوة الشرطة . وقد طلبت منه ادارة الجوازات مغادرة مصر فورا وهددته بحبسه بسجن الاجانب الى ان يستأذن حكومة فلسطين البريطانية بتسفيره لفلسطين . وقد طلب عبد القادر من رئيس الادارة ان يمهله بضعة ايام ريثما يحصل على اذن بدخول سوريا او لبنان . ويضيف كتاب (هاكستب) ان عبد القادر حاول ان يسر باذن ذلك المسؤول انه لا يستطيع دخول فلسطين لان الانجليز فيها قد سبق لهم ان حكموا عليه بالاعدام لمحاربته اياهم ١٩٣٦ — ١٩٤١ . وبدلا من ان يقدر الموظف جهاده نهره بجواب غظ(٣). واخيرا افرج عنه موظف الجوازات بعد ان اخذ منه تعهدا مكتوبا بان يغادر مصر بعد اسبوع ، وان يتعهد بان لا يبذل اي جهد او وساطة لتمديد الاقامة. ويتابع (الطاهر) في كتابه انه قد ذكر عبد القادر بحادثة اخراجه في عهد اسماعيل صدقي من مصر وهو تلميذ ١٩٣٢ وحرضه ان لا يخرج الان وهو مجاهد الا بالقوة . وقام بعد ذلك بتقديمه الى ادارات الصحف واخبارهم بما فعلته الحكومة وشنت الصحف حملة اجماعية كانت السبب في صرف النظر عن ترحيله من مصر .

في ذلك الوقت كانت الهيئة العربية العليا قد تشكلت في بلودان (حزيران ١٩٤٦) برئاسة مفتي فلسطين (وكان لا يزال في باريس) ولما وصل سرا الى القاهرة (صيف ١٩٤٦) تولى رئاسة الهيئة فعليا . وكان عبد القادر قد بدأ يعمل وبالتعاون مع قيادة الحركة الوطنية على اقامة معسكر تدريب خاص في مرسي مطروح لصنع الالغام وتعبئتها وجمع الاسلحة سرا من كل مكان (وخاصة من ليبيا من مخلفات الحرب العالمية الثانية) كما

---

(١) طبع الكتاب في القاهرة ١٩٤٩ وسمي باسم المعتقل الذي سجن فيه المؤلف .

(٢) ص ٢٣٤ — ٢٣٧ والمعلومات سمعها المؤلف من عبدالقادر الحسيني نفسه .

(٣) الجواب كان كما يلي : « احنا مش عاوزين قتالين قتلى في بلادنا يالله على بلدك » .

عمد الى اعداد خريطة فلسطين وعليهـا تحديد المواقع الحيوية والاهـداف العسكرية وذلك من اجل وضع خطة لتنظيم الثورة المقبلة على اسس مدروسة .

وكان عبد القادر لا يزال نزيل القاهرة حين صدر قرار التقسيم (٢٩ تشرين الثاني ١٩٤٧) وعمل على رسم مخطط غايته توجيه الضربة الاولى للمصالح البريطانية في اليوم التالي لاعلان قرار التقسيم وذلك بنسف كل المباني الحكوميـة في القدس بتوقيت واحد قبـل وصول الموظفين الى دوائر عملهم . وكان استياؤه كبيرا حين سمع من راديو لندن اخبار خروج التظاهرات من المسجد الاقصى لانها افسدت خطته ، فالتظاهرات لم تكن التعبير المناسب عن الاستنكار .

ومع توالي الاصطدامات بين العرب وبين اليهود والانكليز أعلن الجهاد المقدس لانقاذ فلسطين باتفاق بين الهيئة العربية العليا واللجنة العسكرية التابعة للجامعة العربية . وتولى عبد القادر حركة النضال في الجبهة الوسطى (القدس وما حولها) كما تولى كل قائد من قادة الجهاد المقدس قيادة القطاع المخصص له . وتسلل عبد القادر من مصر الى داخل فلسطين في ٢٢ كانون الاول سنة ١٩٤٧ متخذا بلدة بير زيت قرب رام الله مركزا لقيادته وللقيادة العامة للجهاد المقدس .

وتابع بعقله الرياضي المنظم وضع الخطط لتوزيع القوات وقام بعرضها في دمشق التي اتخذت مقرا للجنة العسكرية الفنية التابعة للجامعة العربية برئاسة اسماعيـل صفوة وطه الهاشمي . وكانت دهشتهما فائقة حين عرفا ان رسم الخطة قد استغرق تسعة شهور لوضعها بينما كان الجهد الذي بذل لتحضيرها يقتضي عشر سنوات على الاقل .

كل ما كان يطلبه عبد القادر وبالحاح من الجميع هو السلاح والمال ، فلم ينقصه الرجال، ولكن هذا ما بخلوا به . وذهبت رحلاته بين دمشق والقاهرة لاقناع مسؤولي الجامعة بمد يد العون عبثا . ومع ذلك فقد قاتل بما كان لديه من سلاح وتمكن من القيام باعمال ذكرها مواطنوه بالاعجاب والتقدير . اذ قام بالدفاع عن منطقة القدس المحاطة بعدد كبير من المستعمرات ، وكانت خطته مهاجمة هـذه المستعمرات لتعطيـل حركتها (معركة شعفاط ومعركة كفار عصيون) كما الف فرق التدمير العربية التي كـان لها الفضل في اعمال النسف التي قامت في القدس (شارع هاسوليل ومطبعة البالستين بوست وشارع بن يهودا وغيرها)(١).

وكان عبد القادر في دمشق يبحث عن مزيد من السلاح حين بلغه خبر سقوط القسطل ٣ نيسان ١٩٤٨ ، وهي قرية عربية مرتفعة واقعة على بعد خمسة أميال غربي القدس تتحكم في طرق المواصلات وتهدد مدينة القدس نفسها وتشرف على عدد كبير من القرى والمستعمرات المنتشرة على طريق القدس تل ابيب(٢). وكان استيلاء اليهود عليها يعني السيطرة على هذا الطريق وتمكينهم من تموين القدس المطوقة بالعرب . وحـاول ان يقنع اللجنة العسكرية بضرورة تزويده بالاسلحة اللازمة لاستعادتها مبينا لاعضاء اللجنة اهمية الموقع الاستراتيجية وخطر تهديدها القدس . ولكن الاعضاء رفضوا تسليمـه الاسلحة المطلوبة ، بل اظهروا عدم تفهم للاوضاع او تقدير لخطورة المواقع التي ينوي الصهيونيون احتلالها . وفشلت مساعي الهيئة العربية العليا للتدخل . ولم يكن احـد افراد اللجنة العسكرية يرى مانعا من سقوط القدس طالمـا انها ستعاد ثانية ! وكـان الرفض انسجاما مع السياسة الرامية لتجميد الوضـع العسكري ريثما يتهيأ دخـول

---

(١) لمزيد من التفصيلات راجع : عارف العارف ، **نكبة بيت المقدس ١٩٤٧ ــ ١٩٥٢** ، الجزء الاول ، صيدا بيروت ١٩٥٦ .

(٢) مجلة **فلسطين** ، الهيئة العربية العليا ، نيسان ١٩٦٢ .

القوات العربية . وصب عبد القادر غضبه على اعضاء اللجنة متهما اياهم بالخيانة وان التاريخ سيسجل انهم اضاعوا فلسطين متوعدا بانه سيستعيد القسطل حتى لو دفع حياته ثمنا لها .

وغادر دمشق في ٦ نيسان ليظهر على مشارف القدس في اليوم التالي ومنها توجه نحو موقع القسطل رغم نصيحة اصدقائه طالبين منه التريث حتى يدرس حقيقة الموقف . وبدأت عملية الزحف الانتحارية نحو القسطل واستعيد الموقع بالعدد الضئيل من الجند والسلاح ورفع العلم العربي بعد ظهر الخميس ٨ نيسان ١٩٤٨ . الا ان عبد القادر نفسه كان قد سقط شهيدا أمام احد بيوت القرية دون ان يعرف بذلك احد سوى مرافقه عوض . وكانت الفاجعة مزدوجة حين سقطت القدس مجددا في اليوم التالي لاستشهاده . واختلطت في ذهن ارملته تفاصيل حادث استشهاده . وتكاثرت الاقوال حول اللحظات الاخيرة التي قضاها على تربة الارض التي حررها ؛ ضاربا اروع امثلة الكفاح للاجيال المقبلة من أبناء فلسطين(١) .

---

(١) كان محمد علي الطاهر من اوائل الذين اشاروا في كتاب عربي الى خبر استشهاده وذلك في كتابه (اوراق مجموعة) القاهرة ١٩٤٨ ، بعد يومين من استشهاده وكان طبع الكتاب قد انتهى ، ووضع الخبر ملحقا للكتاب . وقد اوقع الطاهر اللوم في استشهاده على بخل المسؤولين بامداده بالسلاح والمال .

تهويد فلسطين

اعداد وتحرير الدكتور ابراهيم ابو لغد

ترجمة الدكتور اسعد رزوق

تندرج موضوعات الكتاب في أربعة أقسام : يتناول القسم الاول منها فلسطين والحركة الصهيونية، ويتناول القسم الثاني الارض والشعب ، أما القسم الثالث فيعرض للمقاومة الفلسطينية تحت الانتداب في أفضل ما كتب عن هذا الموضوع ، أما القسم الرابع فيتناول سياسات الدول العربية واسرائيل ووضع القدس السياسي .

أطلب الكتاب من قسم التوزيع في مركز الابحاث

ص.ب ١٦٩١ — بيروت

٤١٢ صفحة من القطع الكبير

سعر النسخة ٨ ليرات لبنانية
تضاف اليها أجور البريد : ١٠٠ ق.ل. في العالم العربي
٢٥٠ ق.ل. في اوروبا ، ٥٠٠ ق.ل. في سائر الدول

النفط العربي سلاح في خدمة قضايانا القومية (١)

الدكتور عاطف سليمان

تنشر شؤون فلسطينية الجزء الاول من بحث الدكتور عاطف سليمان وستنشر الجزء الثاني المتعلق ببحث موضوع التاميم في العدد القادم بالنظر لكون الدراسة طويلة .

مقدمة :

تتعرض الامة العربية اليوم لاقسى انواع العدوان وابشع محاولات الاذلال وكافة انواع الضغوط لحملها على التخلي عن حقوقها المشروعة والاستسلام لمخططات المعتدين واهدافهم . وتتحالف ضدنا في ذلك اسرائيل والصهيونية العالمية ومن ورائهما الدول الاستعمارية الكبرى التي انشأت اسرائيل وما فتئت تدعمها بشتى الوسائل وتلقي الى جانبها بكل ثقلها السياسي والاقتصادي والدبلوماسي والعسكري وعلى رأس هذه الدول الولايات المتحدة الامريكية ، التي اسفرت عن تحيزها الكامل لاسرائيل وعدائها الصريح للمصالح العربية المشروعة ، وغيرها من حليفاتها من الدول الرأسمالية الاستعمارية مثل بريطانيا والمانيا الاتحادية وهولندا .

ان المنطق السليم واعتبارات الكرامة تقضي بالبداهة على الامة العربية ان تواجه هذا العدوان الصريح وهذا العداء السافر برد يتناسب مع ضرورة هذا العدوان ويرتفع الى مستوى حدة هذا العداء ويتسم باقصى قدر ممكن من الشمول والكثافة والفعالية ، وهو ما يتطلب ان تكون المعركة التي تقف الامة العربية اليوم على اعتابها معركة شاملة جذرية وحاسمة ، بمعنى ان تلقي فيها الامة العربية جمعاء بكافة قواها ووسائلها وطاقاتها وان تكون موجهة في نفس الوقت ضد الكيان الصهيوني من أساسه وضد كافة ما لدى الدول المعادية من مصالح في العالم العربي .

والنفط العربي ثروة وطنية هامة ، ولذا فان من الواجب منطقيا ان يوضع في خدمة معاركنا السياسية والعسكرية . كما ان هذه الثروة الوطنية الضخمة تمثل من ناحية اخرى أهمية كبيرة ، استراتيجية واقتصادية ، للدول الاستعمارية التي هي أشد الدول معاداة لنا اذ هي تعتمد على هذه الثروة اعتمادا كبيرا في تموينها البترولية سواء في الحاضر أو في المستقبل كما تجني الشركات النفطية التابعة لها أرباحا طائلة من وراء استغلال هذه الثروات ، ولذا فان من الواضح بداهة ان على الامة العربية ان تستغل هذا الوضع للنفط العربي وهذه الاهمية التي يمثلها لاتخاذه كوسيلة لتعزيز مواقفنا وكعامل ضغط في مواجهة الدول المعادية او كأداة لالحاق الضرر بمصالحها الى اقصى الحدود الممكنة .

ثم ان الصلة بين النفط وبين قيام اسرائيل صلة واضحة لا يمكن انكارها ، اذ من المؤكد أن أحد الاسباب الرئيسية التي دفعت الغرب للعمل على انشاء اسرائيل ولمواصلة دعمها بكل الوسائل هو اتخاذها قاعدة اساسية لحماية المصالح الغربية الاستراتيجية

والاقتصادية في المنطقة ، وعلى رأسها المصالح النفطية ، عن طريق الدور المتعدد الجوانب المسند لاسرائيل في هذا المجال بمختلف صوره واشكاله (بما في ذلك الضغط العسكري ، والسيطرة الاقتصادية ، واجتذاب طاقة الكفاح لدى الامة العربية بعيدا عن المصالح النفطية ، والحيلولة دون تحقيق وحدة العالم العربي وتقدمه وارتقائه ...) . فالارتباط بين وجود اسرائيل وبين ضمان المحافظة على المصالح النفطية الغربية في المنطقة مسألة لا تحتاج الى بيان ، والنفط العربي هو المحور الاساسي لازمة الشرق الاوسط من وجهة نظر امريكا نظرا لاهميته الاقتصادية والاستراتيجية بالنسبة لها ، كما سيتضح بالتفصيل من خلال هذا البحث . ولذا فان طرح موضوع النفط العربي والدور الذي يجب ان يلعبه بصدد المواجهة بين العالم العربي وبين القوى الصهيونية والامبريالية هي امور منطقية وطبيعية .

هذه البديهيات كلها جعلت الرأي العام العربي — منذ ان تأكدت اهمية النفط العربي ومنذ ان تكالبت علينا الصهيونية والامبريالية — يردد بالحاح هذا التساؤل : لماذا لم تستخدم حتى الان هذه الثروة النفطية الهامة كسلاح في معاركنا المصيرية بشكل فعال ، وكيف يمكن أن نستخدمها على أفضل وجه ؟

والامة العربية كذلك في معارك متواصلة ضد الفقر والتخلف ومن أجل تحقيق التنمية الاقتصادية والتطور الصناعي والتكنولوجي والتقدم الاجتماعي . ورغم هذه الثروات النفطية الضخمة وهذا الانتاج الكبير المتزايد من النفط العربي عبر سنوات طويلة فان البلاد العربية المنتجة للنفط ما تزال بصورة عامة بلادا متخلفة اقتصاديا واجتماعيا وما تزال بعيدة عن التطور الصناعي والتقدم التكنولوجي ، كما ان جميع بلادنا العربية ما تزال تعتبر من الدول المتخلفة والسائرة في طريق النمو . والسؤال الذي يفرض نفسه هنا كذلك هو : لماذا لم يقم النفط العربي بدوره حتى الان ، بشكل فعال ، في معركة التنمية الاقتصادية والرقي الاجتماعي وفي القضاء على الفقر والتخلف ؟ وكيف يمكنه ان يقوم بهذا الدور على أفضل وجه ؟

والتساؤلات المتقدمة ، سواء حول دور النفط كسلاح في معاركنا السياسية والعسكرية ضد قوى الامبريالية والعدوان او حول دوره كسلاح في معاركنا الاقتصادية ضد الفقر والتخلف ، هي في نظرنا تساؤلات مترابطة ومتداخلة : فمما لا شك فيه ان أحد الاسباب الرئيسية لهزائمنا العسكرية والسياسية يكمن في تأخرنا وتخلفنا وفي خضوع بعض بلداننا لنوع من الاستعمار الاقتصادي او التبعية الاقتصادية من جراء خضوع ثرواتنا الطبيعية للاستغلال الاجنبي . ولو أن الامة العربية استطاعت أن تستخدم ثرواتها النفطية لاحراز التنمية الاقتصادية والصناعية والتطور الاجتماعي والتقدم التكنولوجي لتحققت لها وسائل القوة واسباب العزة والمنعة مما يضمن لها النصر في معاركها السياسية والعسكرية أو يكون أحد العوامل الحاسمة في تحقيق هذا النصر . وسيتبين لنا من خلال هذا البحث ان الطريقة المثلى ، والاكثر جذرية وفاعلية ، لاستخدام النفط كسلاح في معاركنا السياسية والعسكرية هي نفسها الطريقة التي تخدم المعركة الاقتصادية على أفضل وجه .

هذا البحث يحاول أن يقدم اجابة على التساؤلات المشروعة المتقدمة : كيف يمكن للنفط أن يكون سلاحا لنا في معاركنا السياسية والعسكرية ضد الامبريالية والصهيونية وفي معاركنا الاقتصادية ضد الفقر والتخلف ومن أجل تحقيق التنمية الاقتصادية والتطور الصناعي والتكنولوجي والتقدم الاجتماعي .

ولنحاول أولا أن نلقي نظرة على هذه الثروة النفطية العربية وأن نتعرف على مدى أهميتها الاقتصادية والاستراتيجية وعلى المكانة التي تحتلها في صناعة النفط العالمية وعلى المسرح البترولي الدولي .

أهمية النفط العربي ومكانته

اهمية النفط العربي بصورة عامة معروفة وسنكتفي هنا بايراد لمحة مقتضبة للتذكير بمدى أهمية احتياطي النفط العربي وانتاجه بالنسبة للاحتياطي والانتاج العالميين من النفط وكذلك اهميته بالنسبة للبلدان الرئيسية المستهلكة للنفط ومدى حاجتها اليه :

من المعروف ان العالم العربي ، سواء في منطقة الخليج العربي أو في شمال افريقيا ، يختزن الجزء الاكبر من الثروة البترولية في العالم ويحتل مكانا بارزا بين البلدان التي تنتجها وتصدرها :

ففي نهاية عام ١٩٧١ حسب مجلةOil and Gaz Journal ، كان احتياطي العالم العربي (سواء في منطقة الخليج العربي أو شمال افريقيا يبلغ (٤٨،٤) بليون طن أو حوالي ٣٦٣ بليون برميل)(١) بينما كان المجموع الكلي للاحتياطي العالمي، حسب المصدر نفسه، يبلغ (٨٦،٥) بليون طن (أو حوالي ٦٤٨،٨ بليون برميل) ، أي أن نسبة احتياطي النفط في العالم العربي ، تبعا لهذه الاحصائيات ، تبلغ حوالي ٥٦ ٪ من مجموع احتياطي النفط في العالم . ولكن من المعروف ان مصادر الشركات تميل الى تقليل مقدار الاحتياطي في البلاد العربية ولذا فان التقديرات الاكثر معقولية تبين بأن احتياطينا من النفط لا يقل عن ثلثي احتياطي النفط في العالم. وقد كان احتياطي الولايات المتحدة الامريكية في العام نفسه (١٩٧١) يعادل ٥،٩ ٪ من الاحتياطي العالمي ، واحتياطي الاتحاد السوفياتي يبلغ ١١،٩ ٪ من الاحتياطي العالمي . واذا علمنا أن احتياطي المملكة العربية السعودية لوحدها يعادل ٢٣ ٪ من الاحتياطي العالمي تبين لنا ان السعودية تضم من الاحتياطي أكثر بكثير من الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي مجتمعين . واذا ما استثنينا الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي اللذين ينتجان ما يحتاجان اليه ولا يصدران الا القليل فان احتياطي العالم العربي يصل الى ٧٥ ٪ من الاحتياطي العالمي خارج هذين البلدين . وبالاضافة الى احتياطي النفط الخام فان العالم العربي يضم ما لا يقل عن نصف الاحتياطي العالمي من الغاز الطبيعي ، وهو مصدر الطاقة الذي بدأ يحتل مركزا مرموقا بين مصادر الطاقة في العالم وتتزايد أهميته باستمرار (اذ بلغ احتياطي العالم العربي من الغاز ٣١٧٢ بليون متر مكعب في نهاية عام ١٩٧١ بينما يبلغ مجموع الاحتياطي العالمي من الغاز حوالي ١٦٠٠٠ بليون متر مكعب) .

ويبلغ انتاج العالم العربي من النفط في الوقت الحاضر حوالي (٧٦٥) مليون طن سنويا، حسب احصائيات عام ١٩٧١ طبقا لمجلة Petroleum Press Service، عدد يناير ١٩٧٢ ، او ما معدله ١٥،٣ مليون برميل يوميا (وقد ارتفع معدله في ستة الاشهر الاولى من عام ١٩٧٢ الى حوالي ١٦ مليون برميل يوميا) ، وهذا يمثل حوالي ثلث مجموع الانتاج العالمي من النفط حسب احصائيات عام ١٩٧١ (الذي كان يبلغ حوالي ٢٠٤ بليون طن حسب مجلة « بتروليوم برس سرفيس » ، عدد يناير ١٩٧٢) . ولكن اذا ما لاحظنا بأن اكبر بلدين منتجين للنفط في العالم، وهما الولايات المتحدة الامريكية والاتحاد السوفياتي، يستهلكان الجزء الاكبر من انتاجهما ولا يصدران للخارج الا نسبة ضئيلة بل ان الولايات المتحدة هي الان من بين البلدان المستوردة للنفط ، كما هو معروف ، تبين لنا بأن النفط العربي يشكل في الوقت الحاضر حوالي ٥٦ ٪ من مجموع صادرات النفط العالمية أي ان البلدان العربية تصدر الى البلدان المستهلكة للنفط والمستوردة له أكثر من نصف استهلاكها ، وبمعنى آخر فان النفط العربي يشكل أكثر من نصف النفط الداخل الى السوق العالمية(٢) .

والنفط العربي يتميز بعدة مميزات بارزة أهمها سهولة العثور عليه وقلة تكاليف تطويره وانتاجه ووفرة انتاج آباره وموقعه الاستراتيجي بالنسبة للبلدان المستهلكة لا سيما قربه

النسبي من مركز الاستيراد والاستهلاك الرئيسي له وهو منطقة أوروبا الغربية .

فمن حيث تكاليف العثور على النفط فان تكلفة العثور في منطقة الخليج العربي تتراوح بين سنت أمريكي واحد الى ٢ سنت للبرميل الواحد ، حسب المصادر (فقد قدر أحد المصادر تكلفة العثور على النفط في الشرق الاوسط في الفترة ما بين ١٩٤٧ الى عام ١٩٦٠ بما معدله ١ سنت أمريكي للبرميل الواحد(٢) ،بينما تقدر مجلة Petroleum Outlook في عددها لشهر فبراير ١٩٧١ تكلفة العثور على النفط في الشرق الاوسط بما يعادل ٢ سنت امريكي للبرميل) بينما تكلفة العثور على برميل واحد من النفط في الولايات المتحدة تبلغ حوالي ١٠٤ سنت أمريكي ، وفي كندا ٥٤ سنت ، وفي فنزويلا ٢٧ سنت وفي الشرق الاقصى ٣٣ سنت للبرميل الواحد(٤) .

واذا ما أخذنا مجموع تكاليف انتاج البرميل الواحد فانها لا تزيد عن ٦ سنت أمريكي للبرميل في الخليج العربي بينما تصل تكلفة انتاج البرميل في الولايات المتحدة ١٩٠ سنت، وفي كندا ٧٤ سنت ، وفي فنزويلا ٤٠ سنت ، وفي الشرق الاقصى ٧٩ سنت للبرميل الواحد(٥) . وهذا كله يبين مدى انخفاض تكاليف انتاج النفط العربي .

كما ان آبار النفط العربي تتميز بغزارة انتاجها ، فبينما لا يزيد معدل انتاج البئر الواحدة في الولايات المتحدة الامريكية مثلا عن ٢ برميل في اليوم فان متوسط انتاج البئر العربية يبلغ حوالي ٣١٨٦ برميلا ، وهو أضخم انتاج لأية بئر أخرى في أي مكان في العالم ولا يعادلها في هذا المضمار الا انتاج الآبار الايرانية(٦) .

ويذهب الجزء الاكبر من صادرات النفط العربي الى بلدان أوربا الغربية واليابان . وتبلغ نسبة ما تستورده أوربا الغربية من العالم العربي حوالي ٧٠ ٪ من مجموع ما تستورده من البترول (وقد كان معدل استيرادها من البترول من مختلف المصادر عام ١٩٧١ حوالي ٩٠٥ مليون برميل يوميا) ، وهو ما يبين مدى اعتماد هذه البلدان على النفط العربي . اما اليابان فلا تقل نسبة ما تستورده من النفط العربي عن ٩٠ ٪ من وارداتها النفطية (وقد كان معدل استيرادها من النفط من مختلف المصادر عام ١٩٧١ حوالي ٤٠٣ مليون برميل يوميا) . ومعنى ذلك ان حوالي ثلاثة ارباع صادرات النفط العربي تذهب الى بلدان اوربا الغربية واليابان ، وهي الحليفات الطبيعية للولايات المتحدة .

ومن الملاحظ ان الولايات المتحدة الامريكية لا تستورد حاليا الا كمية قليلة من النفط العربي (حوالي ٣٢٤ الف برميل يوميا ، عام ١٩٧١ ، أي ما يعادل ١٠ ٪ من مجموع وارداتها النفطية وحوالي ٢ ٪ من مجموع استهلاكها النفطي) اذ أن لدى الولايات المتحدة انتاجها المحلي الذي يغطي في الوقت الحاضر الجزء الاكبر من احتياجات استهلاكها ثم تستورد بقية احتياجاتها من فنزويلا وكندا . وتبلغ نسبة النفط المستورد في الوقت الحاضر حوالي ٢٣ ٪ (حوالي ٣٠٥ مليون برميل يوميا) من مجموع استهلاكها البالغ حوالي ١٥ مليون برميل يوميا حسب احصائيات عام ١٩٧١ . ولكن القوات العسكرية الامريكية فيما وراء البحار تعتمد اعتمادا كبيرا على النفط العربي لا سيما في منطقة الخليج العربي ، فهذه القوات تأخذ كميات متزايدة من المنتجات النفطية المكررة لاحتياجاتها في فيتنام من معامل الشركات الامريكية في منطقة الخليج مثل معمل تكرير رأس تنوره بالمملكة العربية السعودية ومعمل شركة نفط البحرين . الا ان الاهمية الرئيسية للنفط العربي بالنسبة للولايات المتحدة تتمثل في ناحيتين : أولاهما الارباح الضخمة التي تجنيها الشركات النفطية الامريكية التي تسيطر على استثمار النفط العربي ، والناحية الثانية تتمثل في القيمة الاستراتيجية للنفط العربي والاعتماد عليه لتأمين جزء كبير متزايد من الاحتياجات النفطية للولايات المتحدة في المستقبل وكذلك تأمين

احتياجات حلفائها . وهذا يقودنا الى القاء نظرة على القيمة الاقتصادية والاستراتيجية للنفط العربي بالنسبة لامريكا والغرب .

الاهمية الاقتصادية والاستراتيجية للنفط العربي بالنسبة للولايات المتحدة والغرب

العنصر الاول من عناصر أهمية النفط العربي بالنسبة للولايات المتحدة الامريكية يتمثل في الارباح الضخمة التي تجنيها الشركات النفطية الامريكية من استغلال المصادر النفطية العربية . فمن المعروف ان المصالح الامريكية تسيطر على حوالي ٦٠ ٪ من انتاج النفط العربي وهي تجني من جراء عملياتها هذه أرباحا ضخمة تميل الشركات عادة الى التقليل منها ولكن المصادر الامريكية المحافظة نفسها تقدر هذه الارباح من عمليات انتاج النفط لوحدها بما لا يقل عن ١٥٠٠ مليون دولار سنويا(٧) . وينبغي ان يضاف الى هذه الارباح المتأتية من عمليات انتاج النفط العربي تلك الارباح التي تجنيها الشركات الامريكية من العمليات والنشاطات المكملة للانتاج والمرتبطة به مثل عمليات النقل البحري للنفط وتكريره وتوزيعه والعمليات البتروكيميائية . والارباح التي تحققها الشركات النفطية الامريكية في الشرق الاوسط تمثل ٥٠ ٪ من مجموع الارباح التي تحققها الشركات النفطية الامريكية في الخارج وحوالي (خمس) الارباح التي تحققها المصالح الامريكية في الخارج من جميع نشاطاتها .

هذه الارباح الناتجة عن العمليات النفطية وكذلك الصادرات الامريكية للمعدات المتعلقة بصناعة النفط تساهم مساهمة هامة في ميزان المدفوعات الامريكي لا سيما في هذه الظروف التي يعاني فيها الدولار من أزمته المعروفة ومن مختلف الضغوط الواقعة عليه. وقد ذكرت جريدة نيويورك تايمز بأن مساهمة الشركات النفطية الامريكية في الشرق الاوسط في ميزان مدفوعات أمريكا تبلغ حوالي (٢٠٠٠) مليون دولار سنويا . وفي دراسة حديثة لبنك تشيز مانهاتن حول المستقبل البعيد الامد للطاقة في الولايات المتحدة (مشار اليها في مجلة عالم النفط ، بتاريخ ٨ تموز — يوليو ١٩٧٢ ، التي اوردت الخطوط العريضة لنتائجها) ورد بأن « المستوردات الامريكية الحالية من النفط تكلف حوالي ٤ مليارات دولار في السنة ، ولكن هذا المبلغ المدفوع في الخارج يغطي أو يزيد بالمداخيل المستوردة لشركات النفط الامريكية العاملة في الخارج وبالصادرات الامريكية من المعدات التكنولوجية المتعلقة بصناعة النفط » . وحيث ان الارباح التي تحققها الشركات الامريكية العاملة في الشرق الاوسط تعادل كما بينا حوالي نصف مجموع الارباح التي تحققها الشركات النفطية الامريكية في الخارج . فمعنى ذلك ، حسب دراسة تشيز مانهاتن بنك، ان الشركات النفطية الامريكية في الشرق الاوسط تساهم في ميزان المدفوعات الامريكي بحوالي ملياري دولار سنويا .

الا أن النفط العربي يمثل بالاضافة الى هذه الارباح ، وبقدر اكبر ، أهمية استراتيجية سواء بالنسبة للولايات المتحدة الامريكية أو بالنسبة لمجموع العالم الغربي الذي تحرص أمريكا على مصالحه الاستراتيجية باعتبارها تتولى مركز القيادة للعالم الرأسمالي . فأمريكا تحرص على ابقاء النفط العربي تحت سيطرة شركاتها في الدرجة الاولى (وسيطرة الشركات الاحتكارية الغربية الأخرى في الدرجة الثانية) لاغراض استراتيجية ومتعلقة بالامن القومي وحتى لا تقع تحت سيطرة شركات او مصالح اخرى غير أمريكية وغير غربية وذلك نظرا للاعتماد الكبير لبلدان اوروبا الغربية واليابان ، حليفات أمريكا ، على النفط العربي كما سبق ان بينا ونظرا لان الولايات المتحدة نفسها تتوقع أن تبدأ في استيراد كميات كبيرة من النفط من الخارج في مستقبل قريب ، وفي السنوات التي تلي منتصف السبعينات ، حيث يقل انتاجها بالنسبة لارتفاع معدل استهلاكها ولا يتم العثور على احتياطيات كبيرة تعوض الزيادة في الانتاج مما سيدعو الى زيادة الواردات من الخارج وهو ما سيحتم زيادة الواردات من النفط العربي . فالنفط العربي يعتبر اذن

ضمانة هامة لتأمين متطلبات الولايات المتحدة في المستقبل وكذلك تأمين احتياجات حلفائها .

والولايات المتحدة هي أكبر مستهلك للبترول في العالم اذ استهلكت في عام ١٩٧١ حوالي ١٥ مليون برميل يوميا أمنت منها حوالي ١٢ مليون برميل يوميا من المصادر المحلية واستوردت من الخارج حوالي ٣ ملايين برميل يوميا . الا انه نظرا للتزايد المطرد في استهلاكها في الوقت الذي لا يحرز فيه احتياطها أية زيادة — بل ان هذا الاحتياطي حسب تقديرات معهد البترول الامريكي قد انخفض بنسبة ٤٠٣ ٪ عما كان عليه عام ١٩٦٤(٨) ولانه ليس من المتوقع أن تكتشف فيها أية احتياطات نفطية كبيرة في المستقبل فان الخبراء النفطيين الامريكيين يجزمون بأن الولايات المتحدة ستعتمد اعتمادا متزايدا في المستقبل على استيراد النفط من الخارج لتأمين الجزء الاكبر من احتياجاتها . ومما لا شك فيه ان جزءا كبيرا من هذه الواردات سيأتي من العالم العربي ، ومن هنا تبرز الاهمية الكبيرة بالنسبة لامريكا في أن تكون حقول النفط العربي الغزيرة تحت سيطرة شركاتها تستمد منها احتياجاتها في الوقت المناسب ، بشكل مضمون وبأرخص التكاليف .

وتجمع مختلف المصادر الامريكية سواء الرسمية منها أو مصادر الشركات النفطية على أن الولايات المتحدة الامريكية ستستورد من الخارج في عام ١٩٨٥ ، بل وفي رأي البعض ابتداء من عام ١٩٨٠ ، نصف احتياجاتها من النفط الخام ، كما يجمعون على أن معظم هذه الكميات لا يمكن أن يأتي الا من الشرق الاوسط وشمال افريقيا مما يدعم الاهمية الكبرى لنفط هاتين المنطقتين بالنسبة لمستقبل أمريكا :

فقد صرح جون ايروين مساعد وزير الخارجية الامريكية في نهاية شهر مايو ١٩٧٢ أمام المجلس الوزاري لمنظمة التعاون والتنمية الاقتصادية O.E.C.D. بأن الولايات المتحدة ستستورد منذ عام ١٩٨٠ حوالي ١٢ مليون برميل يوميا ، أي ما يعادل نصف احتياجات استهلاكها في ذلك العام . وبالنسبة للمنطقة الاوروبية من منظمة التعاون والتنمية الاقتصادية،فان ايروين قد صرح بأنه مع مراعاة الحوالي ٣ ملايين برميل يوميا التي ينتظر أن تنتجها بحر الشمال ، فان واردات عام ١٩٨٠ ستبلغ حوالي ٢٠ مليون برميل يوميا أي حوالي ضعف وارداتها الحالية . والقسم الاكبر من هذه الواردات لا يمكن أن يأتي ، حسبما أضافه ايروين ، الا من مصدر واحد هو الشرق الاوسط .

وقد أدلى جيمس ايكنز ، مدير مكتب الوقود والطاقة بوزارة الخارجية الامريكية، بشهادة أمام جلسة عقدتها اللجنة الفرعية للشؤون الخارجية التي تعنى بالشرق الاوسط والتابعة لمجلس النواب قال فيها : ان من المحتمل أن تضطر الولايات المتحدة الى استيراد نصف النفط الذي تحتاج اليه من الشرق الاوسط وشمال افريقيا بحلول عام ١٩٨٠ . وأخبر ايكنز اللجنة الفرعية بأن « الاهمية الرئيسية لمنطقة الشرق الاوسط بالنسبة الى الولايات المتحدة هي ان حلفاء أمريكا في حلف شمال الاطلسي واليابان يعتمدون كليا تقريبا وسوف يظلون كذلك على منطقة الشرق الاوسط من أجل طاقاتهم في المستقبل المنظور ». واضاف « اذا سيطرت على الشرق الاوسط وشمال افريقيا قوى معادية لامريكا فان أمن حلفائها ومن ثم أمنها هي سوف يتعرض للخطر »(٩).

وصرح شارلز جونز ، نائب رئيس شركة هميل أويل في ٤ يناير ١٩٧١ (عالم النفط ٧١/١/٣٠) بأن واردات النفط الاجنبي الى الولايات المتحدة ، عام ١٩٨٥ قد تشكل ٥٠ ٪ من الاستهلاك مقابل حوالي ٢٠ ٪ في الوقت الحاضر . وستصل الواردات الاجنبية عام ١٩٨٥ الى حوالي ١٣ مليون برميل يوميا منها عشرة ملايين برميل يوميا من نصف الكرة الشرقي (أي بصفة رئيسية من الشرق الاوسط وشمال افريقيا) .

وتذكر دراسة جديدة أعدها بنك تشيس مانهاتن حول المستقبل البعيد الامد للطاقة في

الولايات المتحدة ، ونشرت في شهر يونيو ١٩٧٢ ، بأن الطلب علـى النفط عام ١٩٨٥ سيرتفع الى أكثر من ضعف حجمه الحالي الى أن يبلغ ٣٠،٢ مليون برميل يوميا نصفها يجب أن يأتي من الخارج ومن الشرق الاوسط وافريقيا على الغالب . ذلك ان امدادات نصف الكرة الغربي محدودة ويقدر البنك ان ٣،٦ مليون برميل يوميا منها فقط ستأتي من مصادر قريبة « وأكثر أمنا » (أي بصفة رئيسية من فنزويلا وكندا) . وقد لوحظ بأن تقديرات البنك للطلب على النفط عام ١٩٨٥ قد زادت بحوالي ٤ ملايين برميل يوميا عن الكمية المتوقعة عادة حسب التقديرات الشائعة للطلب عام ١٩٨٥ وقدرها ٢٦،٣ مليون برميل يوميا ، وذلك نظرا للنقص المتوقع في الغاز والحاجة الى استعمال النفط كبديل عن جزء من العجز (عالم النفط ، ٨ يوليو ١٩٧٢) .

ومما لا شك فيه ان « أزمة الطاقة المقبلة في الولايات المتحدة » ، والقلق الذي يساور المسؤولين الامريكيين فيما يتعلق بايجاد مصادر مأمونة ومستمرة للنفط الخام وارتباط كل ذلك بالسياسة الامريكية في الشرق الاوسط — تعتبر في هذه الايام من أبرز القضايا التي تشغل المسؤولين الامريكيين والمهتمين بالشؤون النفطية ، وقد بلغ الاهتمام بأزمة الطاقة المقبلة حدا دعا الرئيس نيكسون الى تكوين لجنة من الخبراء تضم ٢٠٠ خبير من خبراء الاقتصاد والبترول والطاقـة أسماها « لجنة مستقبـل الطاقـة في أمريكا » وعين جون مكلين ، مدير شركة كونتيننتال أويل ، رئيسا لهذه اللجنة . وقد ورد في مطلع أول تقرير تقدمه اللجنة « ان قضايا الطاقة في طريقها بسرعـة لان تصبح — وسوف تبقى — العامل الذي سوف يقرر سياستنا الداخلية والخارجية في العقد القادم كله على الاقل ، وخلال السنوات الخمس عشرة القادمة بلا جدال » .

وفيما يتعلق باعتماد أمريكا المحتم منذ بداية الثمانينات على الدول الاجنبية، وخصوصا في الشرق الاوسط ، لتأمين احتياجاتها النفطية يقول التقرير «ولن يكون هذا الاعتماد موزعا توزيعا جغرافيا ، ذلك ان معظمه سيجيء من دول الاوبك العربية التي تملك اليوم ٨٥ ٪ من احتياطي العالم من النفط و ٩٠ ٪ من كل صادرات النفط في العالم » . ويضيف التقرير « ان هذا وضع لم نواجهه من قبل ، وهذا معناه اننا سنحتاج الى نظرة جديدة الى كل سياستنا في الشرق الاوسط ، واعطائها أولوية لم يسبق ان أعطيناها لها من قبل »(١٠). ومن مظاهر الاهتمام بأزمة الطاقة هذه ، الشهادة التي أدلى بها جيمس ايكنز ، رئيس مكتب الوقود والطاقة في وزارة الخارجية الامريكية ، أمام اللجنـة الفرعية للشؤون الخارجية في مجلس النواب الامريكي حول موضوع « مضاعفات السياسة الخارجية على أزمة الطاقة » . وحذر ايكنز في شهادته من اتجاه الامريكيين الى التقليل من أهميـة تهديدات الدول العربية المنتجة بتحديد الانتاج والمصادرات لاسباب سياسية واقتصادية. وقال ان عدم أخذ هذه التهديدات جديا هو من الخطأ بمكان . كما رفض القول بأنه يغالي في أهمية تأثير الصراع العربي الاسرائيلي على الدول العربية المنتجة وقال « ان العكس هو الصحيح وان الامريكيين يقللون من الهاجس الذي يتملـك العرب تجـاه المشكلة الاسرائيلية »(١١).

ومما يعكس الاهتمام المتواصل بأزمة الطاقة في الولايات المتحـدة ويكشف عن الطابع السياسي لعمليات الشركات النفطية الامريكية — التحذير الذي نشرته مؤخرا (في شهر نوفمبر ١٩٧٢) ٤٢ مجلة وصحيفة أمريكية على شكل اعلان يقع في صفحة كاملة لجون ماكلين ، رئيس ادارة شركة كونتننتال أويل ، حذر فيه الامريكيين من أنهم سوف يعتمدون بشكل حيوي على استتباب السلام في الشرق الاوسط من أجل استمرار حصولهم على امدادات البترول . ويركز هذا الاعلان على العجز المرتقب في الطاقة الذي ستشهده الولايات المتحدة الامريكية . ويؤكد التحذير بأن الولايات المتحدة سوف تستورد في عام ١٩٨٥ ما يتراوح بين ٤٠ ٪ و٥٥ ٪ من احتياجاتها من النفط من الخارج ومعظمه من

الشرق الاوسط . وقال روديك لورنس نائب رئيس شركة كونتننتال أويل ومدير غرفة التجارة العربية ـــ الامريكية في نيويورك ان هذا الوضع يشكل تحديا ونعتقد نحن المسؤولين في الشركة أن الشعب الامريكي ينبغي أن يحاط علما به الان ... وأشار ماكلين الى أن الاعتماد على عدد ضئيل من الدول الخارجية البعيدة في الحصول على جزء حيوي من امداداتنا من الطاقة سوف يشكل حقيقة مرة من حقائق الحياة وسوف نحتاج الى أبداء نظرة جديدة لسياستنا الخارجية بالنسبة للشرق الاوسط وأن يعلق عليها قدرا أكبر من الاولوية عما سبق . واضاف اننا سوف نعتمد اعتمادا حيويا على السلام في هذه المنطقة المضطربة من أجل استمرار امدادات النفط ، وسيكون أصدقاؤنا في غرب اوروبا واليابان في وضع مماثل .

وينطلق من مثل هذه النظرة التصريح الذي أدلى به لي. ف. دينسمور ، القنصل السابق لامريكا في الظهران ، أمام لجنة الشؤون الخارجية المختصة بشؤون الشرق الادنى في الكونغرس حيث قال : « اذا كانت أمريكا ستواجه في السنوات القليلة القادمة أزمة نفطية فان ذلك سيكون بسبب فشلها في التعامل المنصف مع المشكلة العربية ـــ الاسرائيلية » . ويعلق فرانك جاردنر ، محرر الشؤون الخارجية في مجلة أويل اند غاز جورنال ـــ عدد ٢٨ اغسطس ١٩٧٢ ، ص ٣٥ ـــ على هذا التصريح بقوله : « انه يجب على الولايات المتحدة ان تعالج مواقفها وسياستها مستقبلا بوضع عين على المشكلة العربية الاسرائيلية ووضع العين الاخرى على أزمة الطاقة المحتملة » .

ومن مظاهر الاهتمام الامريكي بأزمة الطاقة المستقبلة وعلاقة الشرق الاوسط بها انه بعد الرسميين الامريكيين ، وعلى رأسهم نيكسون ، فان البرلمانيين بدأوا يهتمون بالمشكلة وكشاهد على ذلك الجولة التي قام بها في الخليج العربي السناتور جاكسون الذي يبشر بالتقارب بين ايران والسعودية **لتأمين السلام في هذه المنطقة وتأمين التدفق العادي للنفط الموجه نحو أمريكا .**

وأزمة الطاقة المقبلة في أمريكا لا تتعلق فقط بامدادات النفط الخام ولكنها تشمل كذلك امدادات الغاز الطبيعي . والغاز الطبيعي يحتل مركزا مرموقا بين مصادر الطاقة في امريكا اذ أنه يغطي حوالي ثلث امدادات الطاقة أو ما مقداره ٢٢ تريليون قدم مكعب في السنة (بينما يساهم النفط الخام بنسبة ٤٤ ٪ من مجموع استهلاكات الطاقة) . وقد أظهر الغاز الطبيعي انه يتمتع الى حد بعيد بأعظم معدل نمو بين جميع انواع الطاقة في الولايات المتحدة وقد زاد الطلب في مدى السنوات العشرين الاخيرة بمعدل يزيد على ٦ ٪ في السنة ، أي بنسبة الضعف تقريبا من مجمل النمو في استهلاك الطاقة . وأمام هذا النمو المطرد في الطلب على الغاز فان الخبراء الامريكيين يؤكدون ان الولايات المتحدة ستحتاج في مستقبل قريب الى استيراد جزء كبير من احتياجاتها للغاز من الخارج . ويبين تقرير وضعته لجنة الطاقة الاتحادية انه بحلول عام ١٩٧٥ فانه لن يكون من الممكن محليا توفير سوى ٨٦ ٪ فقط من مجموع الاحتياجات للغاز التي ستصل حينذاك الى ٢٨،٥ تريليون قدم مكعب ، ولا بد ان يستورد الباقي من مصادر خارجية(١٢). ويقدر مكتب الغاز الطبيعي التابع للجنة الطاقة الاتحادية في تقرير نشر في بداية شهر مارس ١٩٧٢ (نشرة بتروليوم انتليجنس ويكلي ، ٦ مارس ١٩٧٢) بأن النقص المقدر في احتياجات أمريكا للغاز الطبيعي عام ١٩٨٠ سيبلغ حوالي (٩) تريليون قدم مكعبة عندما يصل مجموع الطلب الى ٣٤،٥ تريليون قدم مكعبة . اما في عام ١٩٩٠ فيقدر المكتب المذكور بأن ٤٠ ٪ من احتياجات الغاز الطبيعي سيتم تأمينها من الواردات الخارجية لان النقص حينذاك في امدادات الغاز الطبيعي سيبلغ حوالي ١٧ تريليون حيث يصل الطلب الى ٤٦،٤ تريليون قدم مكعبة .

فالولايات المتحدة ستضطر اذن ابتداء من عام ١٩٧٥ الى استيراد كميات كبيرة من

الغاز الطبيعي ، وهذا ما جعل بعض الشركات النفطية الامريكية تذهب الى حد ابرام صفقة مع الاتحاد السوفياتي للمساهمة في استثمار حقول الغاز في الاتحاد السوفياتي لاستيراد كميات منه لسد احتياجات الولايات المتحـــدة . ولكن من الواضح ان الغـــاز السوفياتي لن يكون الا جزءا محدودا من واردات الغاز من الخارج ، سواء مـــن حيث كمياته المحدودة أو تكلفة انتاجه العالية أو من حيث الاعتبارات الاستراتيجية التي تمنع الولايات المتحدة من الاعتماد الكلي على وارداتها من الغاز من الاتحاد السوفياتي ، ولذا فان العالم العربي الذي يحتوي على احتياطيات ضخمة من الغاز الطبيعي ، تعـــادل حوالي نصف الاحتياطي العالمي منه كما سبق أن بينا ، سيكون المصدر الرئيسي لواردات الغاز المقبلة الى الولايات المتحدة . وكل ذلك يدعم أهمية العالم العربي كمصدر لامدادات الطاقة المقبلة للولايات المتحدة .

كل ما تقدم يبين القيمة الكبيرة التي يمثلها النفط والغاز العربي بالنسبة للولايات المتحدة من أجل تأمين احتياجاتها من الطاقة التي لا يحتاج المرء الى بيان أهميتها الاقتصاديـــة والاستراتيجية وارتباطها الوثيق باعتبارات الامـــن القومي الامريكي . وهذه الاهمية تبرز بشكل أكبر اذا ما أخذنا بعين الاعتبار الابعاد العالمية للامن القومي الامريكي ، من الناحيتين الاقتصادية والسياسية ، فان الولايات المتحدة تعتبر نفسها في مركـــز قيادي بالنسبة لمجموع العالم الغربي ، وبما أن النفط العربي يشكل المصدر الاساسي لتأمين امدادات الطاقة لمختلف بلدان العالم الغربي ، ولا سيما بلدان أوروبا الغربية واليابان ، فان مقتضيات الامن الامريكي حسب هذه النظرة تفرض على الولايات المتحدة العمل على توفير تدفق النفط العربي لتلك البلدان الحليفة بالاضافة الى ضمان تدفقه على الولايات المتحدة نفسها . **فالنفط العربي لا يمثل اذن بالنسبة للولايات المتحدة وحليفاتها مجرد مادة تجارية عادية وانما ترتبط به اعتبارات استراتيجية وسياسية هامة لمجموع العالم الغربي .**

هذه النظرة تتجلى في كثير من تصريحات المسؤولين الامريكيين . وقد رأينا نموذجا لها في تصريحات جيمس ايكنز وجون ايروين المشار اليهما أعلاه . وقد عبر عن مثل هذه النظرة وبمزيد من الصراحة بعض المسؤولين الامريكيين الآخرين الذين كشفوا عـــن الاهمية السياسية والاستراتيجية الكبرى التي تمثلها الشركات النفطية ونشاطاتها في الخارج ، والانطباق التام بين مصالح الشركات والمصلحة العليا أو الوطنية لامريكا .

ومن أمثلة ذلك تصريح أدلى به المستر ربوتوم ، الذي كان نائبا لوزير الخارجية الامريكي للعلاقات بين الدول الامريكية ، حيث ذكر « **بأن أية سياسة (ينتهجها بلد منتج) مخالفة لمصالح شركة بترولية أمريكية هي اوتوماتيكيا مخالفة لمصلحة الولايات المتحدة ، اي مخالفة للمصلحة الوطنية** »(١٢) .

وقد علق جون بكلي ، أحد محرري نشرة بتروليوم انتليجنس ويكلي النفطية الامريكية ، في جريدة نيويورك تايمز بتاريخ ١٣/١٢/١٩٦٧ ـــ على خطوة شركة ايران الفرنسية بابرام اتفاقية بترولية مع العراق بشأن التنقيب عن النفط واستغلاله في بعض المناطق التي انتزعتها الحكومة العراقية من الشركات العاملة هناك بموجب القرار المشهور رقم ٨٠ لسنة ١٩٦١ وما يعنيه ذلك من دعم للاجراء العراقي وتشجيعه كسابقة لانتزاع المصالح البترولية الغربية في المنطقة ـــ علق على هذه الخطوة بقوله : « **ان الولايات المتحدة هي الآن في خطر فقدان سيطرتها على النفط العربي وهي السيطرة التي وضعت الامـــة الامريكية في مركز دولي قوي جدا** » .

وقد عبر عن مثل ذلك وبدقة أحد الباحثين اذ قال «ان المصالح النفطية الامريكية في العالم

العربي تشكل اضافة هائلة الى وزن الولايات المتحدة الاستراتيجـــي في ميزان القوى العالمية وتأكيدا لمركزها القيادي في العالم الرأسمالي »(١٤).

هذه بعض الحقائق حول أهمية النفط العربي في صناعة النفط العالمية وحول الاهمية الاقتصادية والسياسية والاستراتيجية التي يمثلها بالنسبة لامريكا وحليفاتها في العالم الغربي .

الا أن هنالك مسألة أخرى لا بد من ايضاحها حتى نستكمل الصورة التي نرسمها لوضع النفط العربي ، ونعني بذلك أسلوب وكيفية استثمار النفط العربي في الوقت الحاضر ومن يتولى هذا الاستغلال ، وذلك نظرا لتأثير هذه المسألة على طريقة استخدام سلاح النفط ومدى الحرية في هذا الاستخدام ومقدار فعاليته .

أسلوب استثمار النفط العربي وسيطرة الشركات الاجنبية عليه

هذه الثروة النفطية العربية ، التي أوردنا لمحة عن حجمها وقيمتها ومدى أهميتها ، كيف يجري استثمارها وهل يتم بواسطة أصحابها العرب وتحت سيطرتهم ورقابتهم الحقيقية؟ هل للبلدان العربية المنتجة ، طبقا لترتيبات الاستثمار الحالية ، امكانية توجيه استثمار هذه الثروات حسب مقتضيات المصلحة الوطنية ؟

ان من المعروف أن شركات البترول العالمية الكبرى ، ومعظمها أمريكي ، هي التي تسيطر على استثمار النفط في البلاد العربية المنتجة بموجب امتيازات حصلت عليها حيثما كانت هذه البلدان المنتجة ضعيفة وواقعة تحت السيطرة أو النفـــوذ الاستعماري . وهذه الامتيازات تعطي للشركات البترولية الاجنبية سلطات شبه مطلقة على استثمار النفط العربي ، فهي التي تتولى تحديد مقادير المبالغ المستثمرة وتوزيعها على مختلف فروع الصناعة ، وهي التي تتولى تحديد مقدار الانتاج النفطي وتحديد أسعاره (ولم يتقرر مبدأ تحديد الاسعار المعلنة للنفط بالاتفاق المشترك بين البلد المنتج والشركات العاملة الا بموجب اتفاقية طهران في شهر مارس ١٩٧١) ، وهي التي تقوم بتصديره بواسطـــة شركات متفرعة عنها الى مختلف مصادر الاستهلاك حسب خطط عالمية تضعها ، وهي التي تتولى عمليات نقله بواسطة ناقلات تملكها اما بنفسها أو بواسطة شركات متفرعة عنها أو بناقلات تستأجرها لآماد طويلة .

والشركات صاحبة الامتيازات هي شركات مؤسسة في دول أجنبية وبموجب قوانين تلك الدول وتحمل جنسيتها ولا تتخذ مقرها الرسمي في الدول العربية، وهي ليست الا أدوات لانتاج النفط الخام لصالح الشركات الام المالكة لها وتصديره للخارج فهي لا تعتبر نفسها ملزمة بأن تكرر أو تصنع في البلاد المنتجة أي جزء من انتاجها من النفط الخام والغاز او تقيم الصناعات البتروكيماوية وغيرها من الصناعات المرتبطة بالنفط والغاز . وهي لا تعيد ترحيل معظم حاصلات بيع النفط من العملات الاجنبية الى البلدان المنتجة بل تحتفظ بها وتستثمرها في الخارج ، ولا تعيد استثمار أي جزء من أرباحها في البلدان المنتجة . كما انها تعتمد على أسواق خارجية للتزود باحتياجاتها من المعدات والآلات والتجهيزات. وتبعا لكل ذلك فقد حصلت في البلدان المنتجة ظاهرة الانعزال التام بين صناعة النفط التي تسيطر عليها الشركات الاجنبية وبين باقي قطاعات الاقتصاد الوطني وحرم هذا الاقتصاد من الفوائد الضخمة التي كان لا بد أن يجنيها لو نشأت في أرضه صناعة نفطية متكاملة تكون مرتبطة بالاقتصاد الوطني ومندمجة فيه ويجري استثمارها ضمن اطار خطة شاملة للتنمية الاقتصادية الوطنية .

وشركات الامتياز لا تخضع لقوانين البلاد المنتجة ولا سيما الضرائبية منها ، وكانت تدفع في البداية مجرد مبلغ مقطوع عن كل طن من النفط لا يتجاوز ما يعادل ٢٢ سنت امريكي عن كل برميل ثم وافقت على تطبيق قاعدة مناصفة الارباح في بداية الخمسينات وبقيت

هذه القاعدة سارية حتى تم رفع حصة البلد المنتج الى ٥٥ ٪ من الارباح الصافية ، حسب اتفاقية طهران ١٩٧١ . والشركات لا تخضع للمحاكم الوطنية بل تتمسك بالتحكيم الدولي اسلوبا لفض منازعاتها مع البلد المنتج . وحكومات البلدان المنتجة ليست لهـا مشاركة في رأسمال الشركات ولا مشاركة فعلية في مجالس ادارتها وليست لها سلطة حقيقية في الرقابة الفنية على المشروع وتوجيهه كما ان المواطنين لا يشغلون الا في النادر المناصب الادارية والفنية الهامة فيها . وتكتفي حكومـات البلدان المنتجة بدور جابي الضرائب في نهاية العام ، وقد أصبح النفط يشكل الجزء الاعظم من صادرات هذه البلدان وأصبحت تعتمد اعتمادا شبه كلي على دخل النفط الذي تقدمه لها الشركات الاجنبية . فنشأ بذلك في هذه البلدان نوع من التبعية الاقتصادية للاحتكارات النفطية وللدول التي تنتمي اليها .

وبالطبع فليس مما يذكر ان هذه الامتيازات النفطية قـد أصابها بعض التطور خلال السنوات الطويلة التي سيطرت فيها على استغلال النفط العربي . الا انه بالاضافة الى التعديلات في البنود المالية التي أدت الى رفع دخل البلد المنتج من مبلغ ضئيل مقطوع عن كل طن من النفط حسب الامتيازات الاصلية الى ٥٥ ٪ من الارباح حسب اتفاقية طهران لعام ١٩٧١ ، مع تطبيق قاعدة تنفيق الريع(١٥)، فان التعديلات الاخرى لا تتعدى تضييق المساحات المشمولة بالامتياز والتخلي عن أجزاء من هذه المساحات الشاسعة والاتفاق بموجب اتفاقية طهران ، على أن لا تعدل الاسعار المعلنة الا باتفاق الطرفين ، حكومة البلد المنتج والشركة ، بعد أن كانت هذه الاسعار تحدد وتعدل بمعرفة الشركات وحدها. ويتضح من ذلك أن التطور الذي أصاب هذه الامتيازات لم يكن تطورا جذريا ولم يمس جوهر الامتيازات نفسه وان صورة الامتيازات الكلاسيكية بمساوئهـا المعروفة والتي اشرنا اليها أعلاه ما زالت باقية على حالها . وفي اعتقادنا أن اتفاقية المشاركة التي أبرمت في المدة الاخيرة (من حيث المبدأ في شهر اكتوبر ١٩٧٢) بين الشركات النفطية وبعض بلدان الخليج والتي تتيح لهذه البلدان اكتساب حصة في رأسمال هـذه الشركات تبدأ بنسبة ٢٥ ٪ عام ١٩٧٣ (ثم ترتفع بالتدريج حتى تصل الى ٥١ ٪ عام ١٩٨٣) — هذه الاتفاقية لا تمثل في الوقت الحاضر تغييرا جذريا كافيا لصورة الامتيازات الكلاسيكية بمساوئها المعروفة نظرا لان نسبة المشاركة الضئيلة التي ستحصل عليها الحكومات لا سيما في البداية لن تحقق لنا السيطرة الحقيقية والرقابة الفعالة على استثمار ثرواتنا النفطية وتبقى الشركات هي المسيطرة الحقيقية على هذا الاستثمار كما في ظل الامتيازات الاصلية . وسنعود لهذه المسألة فيما بعد .

ومما لا شك فيه ان الوضع الحالي لاستثمار النفط العربي يتميز بوجود بعض العقود والاتفاقيات النفطية التي أبرمت في السنوات الاخيرة ، مثل بعض اتفاقيات المشاركة وعقود المقاولة ، والتي تتجلى فيها كثير من الجوانب الايجابية وتمثل تقدما كبيرا بالنسبة لاتفاقيات الامتياز الكلاسيكية لا سيما من حيث تحقيق قدر من سيادة الدولة وسيطرتها على استثمار ثرواتها النفطية ، كما ان هنالك بعض حالات الاستثمار المباشر في عدد من بلداننا . ولكن علينا أن لا ننسى ان هذه العقود الاخيرة الجيدة نسبيا ومجالات الاستثمار المباشر لا تغطي في الوقت الحاضر سوى جزء هامشي صغير من مجموع النفط العربي . فامتيازات الشركات الاحتكارية الكبرى ما تزال تسيطر على حوالي ٩٠ ٪ من انتاج النفط العربي بينما لا تشمل العقود والاتفاقيات الاخيرة ومجالات الاستثمار المباشر الا حوالي ١٠ ٪ من مجموع انتاج النفط العربي ، حسب احصائيات عام ١٩٧١ .

والشركات الامريكية تملك ٦٢ ٪ من الامتيازات النفطية في الوطن العربي سواء في منطقة الخليج العربي او في شمال افريقيا بمعنى انها تسيطر على ٦٢ ٪ من الاحتياطي النفطي العربي حسب تقديره في نهاية عام ١٩٧١ (ولسنا نعني بذلك انهـا تملك قانونا هذه

الاحتياطيات الكائنة في باطن الارض اذ هي قانونا ملك للدولة ولكننـــا نعني سيطرتها الفعلية عليها حاليا بموجب امتيازاتها بحيث تستطيع ان تستخرج منها الانتاج اللازم لها حسب تقديرها واحتياجاتها وخططها) . وكانت حصة الشركات الامريكية في الانتـــاج الفعلي للنفط العربي عام ١٩٧١ حوالي ٥٨ ٪ . بينما تسيطر المصالح البريطانية على حوالي ٥،٢ ٪ من احتياطي النفط العربي (وكانت حصتها في انتاج عام ١٩٧١ حوالي ١٦،٤ ٪) . وتسيطر المصالح الفرنسية على حوالي ٥،٣ ٪ من احتياطي النفط العربي، حسب تقديرات نهاية عام ١٩٧١ ، وكانت حصتها في انتاج عام ١٩٧١ حوالي ٥،٨ ٪ (ومن الملاحظ ان حصة الشركات الفرنسية قد انخفضت على اثر تأميمات الجزائر في شهر فبراير ١٩٧١) . كما تسيطر المصالح اليابانية على حوالي ٤،٥ ٪ من احتياطي النفط العربي وعلى حوالي ٢،٣ ٪ من انتاج النفط العربي حسب احصائيات عام ١٩٧١. وتسيطر المصالح الهولندية (عن طريق ملكيتها لستين في المائة من رأسمال شركة شل) على ٢،٩ ٪ من احتياطي النفط العربي وكانت حصتها من انتاج النفط العربي لعام ١٩٧١ حوالي ٣،٣ ٪ .

وطبقا لهذه التقديرات فان المصالح الاجنبية تسيطر على ٨٩،٨ ٪ من احتياطي النفط العربي حسب تقديرات عام ١٩٧١ ، وكانت تنتج، عام ١٩٧١ ٨٥،٨ ٪ من مجموع انتاج النفط العربي .

هذه اللمحة عن وضع استثمار النفط العربـــي والمصالح الاجنبية التي تسيطـــر على استغلاله وتتخذ القرارات الرئيسية بشأنه وتجني من ورائه الارباح الطائلة ـــ تكمل الصورة التي لا بد أن تكون حاضرة في الذهن عن وضع النفط العربي قبل أن نتكلم عـــن استخدامه كسلاح في معاركنا ضد الصهيونية والامبريالية .

كيف يمكن استخدام سلاح النفط

لا بد من الاشارة أولا الى أن بعض الاجراءات أو التدابير قد سبق اللجوء اليها في الماضي، ولا سيما في بعض الازمات والاحداث الكبرى التي تعرضت لها منطقتنا ، وذلك كمحاولة لاستخدام النفط كسلاح في مواجهاتنا مع الصهيونية والامبريالية . ولكن من المعروف ان هذه الاجراءات السابقة لم تؤد أيا من الاهداف المطلوبة منها فهي لم تحمل الاعداء على تغيير مواقفهم وهي لم تلحق بهم الاضرار الفادحة التي كان من المأمول أن تحدثها كما أنها لم تكن لنا عامل قوة ومنعة في معاركنا المتواصلة . ويبدو لنا من المناسب أن نستعرض هذه الاجراءات ، مبينين سبب عدم فاعليتها وسبب اخفاقها في احداث أي مـــن الآثار المطلوبة أو اقتصارها على احداث آثار محدودة جدا ، والثغرات التي لازمتها ، وذلك حتى نستخلص العبرة والدروس بالنسبة لما يجب ان نقدم عليه في المستقبل ، تمهيدا للحديث عن الاسلوب الذي يبدو لنا أنه الاسلوب الفعال الحاسم لاستخدام النفط سلاحا في معاركنا .

والخاصية المشتركة للاجراءات التي سبق ان اتخذت في هذا المجال هي أنها كانت اما اجراءات موقتة أي طبقت خلال فترة زمنية محدودة ثم سحبت أو تم التراجع عنها ، واما انها كانت ذات آثار جزئية محدودة الفاعلية لا تتناسب مع أهمية سلاح النفط ولا مع جسامة وخطورة المعارك المصيرية التي نواجهها ، مما حدث عنه رد فعل عكسي خطير لدى الرأي العام العربي تجلى في هذا الشك الكبير حول امكانية استخدام النفط كسلاح بأي شكل من الاشكال وحول جـــدوى هذا السلاح ، وهو الذي غذتـــه المصالـــح الاستعمارية الامبريالية كجزء من الحملة النفسية المركزة الموجهة للعالم العربي لتشكيكه في طاقاته وامكانياته وقتل روح الكفاح فيه .

اجراءات جزئية أو مؤقتة

ويندرج ضمن هذه الاجراءات الجزئية أو الموقتة : قطع النفط العربي عن اسرائيل ومنعه عنها منذ نشأتها واجبار الشركات البترولية العاملة في العالم العربي على مقاطعة اسرائيل وعدم انشاء أية رابطة معها ، تعطيل الضخ في شبكة أنابيب خطوط شركة نفط العراق المارة عبر سوريا وذلك على اثر العدوان الثلاثي على مصر عام ١٩٥٦ ، ايقاف عمليات تصدير النفط العربي من الموانىء العربية على اثر عدوان ١٩٦٧ ثم استبداله بفرض حظر على تصدير النفط العربي خلال بضعة أسابيع الى الولايات المتحدة الامريكية وبريطانيا . ومن بين الاجراءات الجزئية غير المباشرة التي يمكن الاشارة اليها بهذا الصدد الدعم المالي الذي تقرر بموجب مؤتمر الخرطوم عام ١٩٦٧ أن تقدمه كل من الكويت والسعودية وليبيا الى كل من مصر والاردن . وسنستعرض فيما يلي أهم هذه الاجراءات ، وهو اجراء منع النفط عن الدول الغربية المعادية ، ثم نشير الى عدد من الاجراءات الجزئية الاخرى، وذلك بعد أن نقول كلمة حول منع النفط العربي عن اسرائيل وحلول النفط الايراني مكانه .

منع النفط العربي عن اسرائيل

من المعروف انه على اثر قيام اسرائيل عام ١٩٤٨ بادرت العراق بوقف ضخ النفط في خط أنابيب شركة نفط العراق الذي كان ينقل النفط من العراق الى حيفا في فلسطين المحتلة ، كما ان كافة الدول العربية المنتجة للنفط قد منعت النفط العربي من الوصول الى اسرائيل وفرضت على الشركات البترولية العاملة فيها عدم ايصال أية قطرة من النفط العربي الى اسرائيل وعدم التعامل معها بأي شكل من الاشكال . وقد طبق هذا المنع منذ ذلك الحين تطبيقا صارما . ولكن من الواضح ان هذا الاجراء هو أقل اجراء ممكن اللجوء اليه في هذا المجال . وهو يندرج على كل حال ضمن اطار مبدأ مقاطعة اسرائيل .

وكنتيجة لانقطاع النفط العراقي عن الوصول الى اسرائيل من خط أنابيب شركة نفط العراق وحظر تصدير النفط العربي اليها حظرا كاملا فان اسرائيل قد واجهت في بداية نشأتها صعوبة كبيرة في تأمين احتياجاتها من النفط الخام وتحملت عبئا كبيرا باضطرارها الى استيراد هذه الكميات من نصف الكرة الغربي بما في ذلك من تكاليف باهظة عليها نظرا لان النفط العربي منع من الوصول اليها ولم تكن حينذاك تستطيع استيراد النفط الايراني اذ أن السلطات المصرية كانت تمنع الناقلات المتوجهة الى اسرائيل من المرور في قناة السويس كما لم تكن اسرائيل تستطيع ايصال هذه الشحنات الى ايلات ولم يكن خط أنابيب النفط الواصل بين ايلات وحيفا قد تم انشاؤه بعد . ولذا فقد وجدت اسرائيل نفسها مضطرة لاستيراد نفطها من فنزويلا ومنطقة البحر الكاريبي . وقد كانت أسعار النفط هناك أعلى منها في الشرق الاوسط بشكل ملموس كما ان أجور النقل باهظة . وقد استوردت اسرائيل جزءا من احتياجاتها النفطية خلال فترة قصيرة سبقت عام ١٩٥٧ من الاتحاد السوفياتي ورومانيا الا أن هذين البلدين قطعا نفطهما عن اسرائيل استنكارا منهما لاشتراكها في العدوان الثلاثي على مصر . ولذا فان اسرائيل وجدت نفسها مضطرة للعودة الى استيراد كافة احتياجاتها من ذلك المصدر البعيد الباهظ التكاليف — فنزويلا .

وهنا دخلت ايران في الصورة وجاءت لتخفف عن اسرائيل من عبء استيراد نفطها من فنزويلا وتهيىء لها مصدرا قريبا رخيصا وبتكاليف شحن بسيطة — هذا المصدر هو البترول الايراني . فقد وافقت ايران منذ عام ١٩٥٧ على أن تصدر النفط لاسرائيل وقامت اسرائيل على أثر ذلك (في عام ١٩٥٧) بانشاء خط الانابيب الواصل بين ايلات وبئر السبع ثم بعد ذلك الى اسدود وحيفا وقامت باستيراد النفط الخام الى ايلات من أندونيسيا أولا ثم بكميات كبيرة من ايران التي أصبحت ، منذ منتصف عام ١٩٦٠ عندما انتهى انشاء

خط الانابيب الواصل بين ايلات وحيفا ، المصدر الرئيسي للنفط القادم الى اسرائيل سواء لاستهلاكها المحلي أو لاعادة التصدير كنفط خام أو كمنتجات مكررة مع تحقيق ارباح اضافية من وراء ذلك . والحقيقة ان اسرائيل قررت بناء خط الانابيب الواصل بين ايلات وحيفا اعتمادا منها على النفط الايراني الذي ينقل في خط الانابيب الى حيفا فتعيد اسرائيل تصدير جزء منه على شكل نفط خام محققة بذلك الارباح نتيجة فروق الاسعار بين النفط واصلا ايلات وبين سعره المرتفع على شاطىء البحر الابيض المتوسط . واما الجزء الاخر من هذا النفط فانه يذهب لمصفاة حيفا لتكريره ويخصص الجزء الاكبر من المنتجات المكررة للاستهلاك المحلي الا أن جزءا من المنتجات يتم تصديره كذلك مع تحقيق أرباح من وراء ذلك . ولا تزال ايران منذ عام ١٩٦٠ الى الان هي المصدر شبه الوحيد للنفط الوارد الى اسرائيل(١٦) .

ضرورة العمل على منع النفط الايراني عن اسرائيل

لقد حققت اسرائيل فوائد كبيرة من استيراد النفط الايراني بدلا من استيراده من المصادر البديلة البعيدة مثل فنزويلا التي كانت اسرائيل تستورد منها احتياجاتها قبل سماح ايران بوصول نفطها الى اسرائيل . ومن أهم الفوائد التي حققتها اسرائيل من استيراد النفط الايراني تحقيق وفر مالي كبير نتيجة الفرق في الاسعار بين النفط الايراني والنفط الفنزويلي والفرق الكبير في أجور الشحن نظرا لان ايران أقرب بكثير الى اسرائيل من فنزويلا وقد قدر هذا الوفر عام ١٩٦٧ وحده بحوالي ٢٢ مليون دولار(١٧) . وضمان استيراد النفط الايراني هو الذي مكن اسرائيل من بناء خط انابيب ايلات ــ حيفا وتشغيله مع ما يعود على الاقتصاد الاسرائيلي من آثار كبيرة ومع ما استتبعه هذا الخط من تعمير ميناء ايلات وتوسيعه والمساهمة في تعمير المناطق التي يمر بها الخط . كما ان النفط الايراني الذي تثق اسرائيل في ضمان استمرار وروده اليها هو الذي شجعها وحفزها على انشاء خط الانابيب الذي يصل بين ايلات وعسقلان والموجه للتصدير ، وقد حققت اسرائيل من ورائه مكاسب سياسية واقتصادية كبيرة ولولا السماح للنفط الايراني بالورود الى اسرائيل لما أمكن لها اطلاقا ان تفكر في انشاء مثل هذا الخط اذ بدون البترول الايراني ــ طالما ان قطرة واحدة من النفط العربي لن يصل الى ايلات ــ فان التفكير في انجاز مثل هذا المشروع كان أمرا مستحيلا . والنفط الايراني هو الذي مكن اسرائيل من بناء طاقة تكريرية كبيرة تتزايد باستمرار وتتجه في جزء منها نحو التصدير ، وهو الذي مكنها من انشاء اسطول كبير من ناقلات النفط يعمل جزء منها في نقل النفط الايراني الى ايلات وفي نقل كميات النفط والمنتجات المكررة المصدرة للخارج .

هذه الفوائد الضخمة التي حققتها اسرائيل وما تزال تحققها من وراء استيراد النفط الايراني تبين خطورة الموضوع وتدعو العالم العربي لان يوليه ما يستحقه من اهتمام وان يبذل كافة الجهود ويمارس مختلف أنواع الضغوط ووسائل الترغيب والترهيب لكي يحمل ايران على ايقاف صادرات بترولها الى اسرائيل .

وينبغي كذلك أن نتوجه للشعب الايراني لنطلعه على الحقائق . فنحن نعتقد ان الشعب الايراني لو علم بحقيقة الوضع وابعاده وكون شركته الوطنية نفسها تقدم النفط للعدو الاسرائيلي وتقدم له معه كافة هذه المنافع الضخمة فانه لن يسكت على استمرار تدفق بتروله الى اسرائيل ولو اننا تمكنا من ايقاف صادرات النفط الايراني الى اسرائيل فان اسرائيل تتلقى بذلك ضربة قوية تسبب لها أضرارا فادحة وتلحق الاذى بمختلف جوانب اقتصادها وتشل خطوط أنابيبها وتثير الارتباك في كثير من مخططاتها ومشاريعها .

قطع النفط أو حجبه عن الدول المعادية لنا المساندة لاسرائيل

من اهم الاجراءات التي دعا مرارا الى اتخاذها بعض المسؤولين والخبراء العرب من

أجل استخدام النفط كسلاح في المعركة ضد أعدائنا ــ قطع النفط العربي أو حجبه عن الدول المعادية لنا والحليفة لاسرائيل . ولا يزال بعض الخبراء يرى ان هذا الاجراء هو أكثر الاجراءات فاعلية وأبلغها أثرا(١٨). فما هو الهدف أو الغرض الحقيقي من هذا الاجراء والنتائج المتوخى تحقيقها من تطبيقه في نظر أنصاره والمنادين به ؟

ان الهدف هو الحاق الضرر البالغ بالدول المعادية وذلك بحرمانها من نفطنا الذي تستورده والذي هو ضروري جدا لصناعاتها ولمختلف جوانب نشاطها الاقتصادي ، وخلق مجاعة بترولية فيها تكون ذات نتائج خطيرة على اقتصادها أو على الاقل الحاق ضرر مادي كبير بها ، مما قد يحملها على تغيير مواقفها المعادية لنا واتخاذ مواقف أكثر اعتدالا وانصافا(١٩).

ومن المعروف ان هذا الاجراء قد لجأت اليه البلدان العربية المنتجة في أعقاب حرب حزيران (يونيو) ١٩٦٧ . وقد قامت بعض البلدان المنتجة (العراق وليبيا) بتعطيل ضخ النفط ومنع تصديره كلية من موانئها خلال فترة قصيرة تلت العدوان ثم عدلت عن ذلك وانضمت الى باقي البلدان العربية المنتجة في فرض الحظر على تصدير النفط الى كل من الولايات المتحدة الامريكية وبريطانيا . وقد دام هذا الحظر بضعة أسابيع ثم عاد بترولنا يتدفق الى جميع الاسواق دون استثناء .

فماذا كانت نتيجة هذا الاجراء ؟ وهل أدى الاثر المطلوب منه كعامل ضغط على الدول المعادية لالحاق الضرر بها أو اضعاف مقدرتها على العدوان أو حملها على تغيير مواقفها منا ؟ واذا لم يكن قد أدى هذا الاثر المطلوب وكانت نتائجه محدودة فما سبب ذلك ، وهل يمكن تلافي الثغرات ونقاط الضعف فيه وجعله أكثر فعالية ؟ وهل من المستحسن أو من المفيد العودة الى اللجوء اليه في الحال او فيما لو استؤنف القتال بيننا وبين اسرائيل ؟

مما لا شك فيه ان اجراء قطع النفط العربي عن الدول المعادية عام ١٩٦٧ قد ألحق ضررا ماديا لا يستهان به بكل من الولايات المتحدة وبريطانيا . فالولايات المتحدة ، كما سبق أن بينا ، لا تعتمد على النفط العربي ، حتى الآن ، لسد احتياجات استهلاكها المحلي ، الا ضمن حدود ضعيفة جدا . ولكن القوات الامريكية فيما وراء البحار ، لا سيما في فيتنام وبالنسبة لاحتياجات الاسطولين السادس والسابع ، تعتمد اعتمادا كبيرا على مصادر النفط العربي في منطقة الخليج العربي حيث تأخذ النفط اما على شكل نفط خام تكرره خارج المنطقة أو على شكل مواد بترولية مكررة ، وهي تحصل على هذه المواد البترولية بأسعار مخفضة ، ولذا فان قطع امدادات النفط العربي عن هذه القوات قد ألحق بها ضررا ماديا كبيرا من جراء اضطرارها لتأمين هذه الامدادات من مصادر أخرى بعيدة أسعارها أعلى وتكاليف الشحن منها أكثر ارتفاعا لا سيما نظرا لضرورة استخدام عدد أكبر من الناقلات لنقل هذه الاحتياجات من مصادر أبعد . وحسب تقرير امريكي رسمي نشر في أعقاب العدوان الاسرائيلي عام ١٩٦٧ فان وزارة الدفاع الامريكية قد قدرت النفقات الاضافية التي تعتقد انها ستتكبدها زيادة على ما تصرفه حاليا لتأمين المنتجات البترولية اللازمة للقوات الامريكية اذا ما انقطع ما تأخذه من الشرق الاوسط بما مجموعه (٢١) مليون دولار شهريا . اما بريطانيا فانها تعتمد على النفط العربي اعتمادا كبيرا لسد احتياجات استهلاكها المحلي اذ تبلغ نسبة واردات النفط العربي اليها حوالي ٧٠ ٪ من مجموع وارداتها البترولية . ولا شك ان لجوءها الى مصادر أخرى سيضع على عاتقها عبئا ماليا اضافيا كبيرا ويؤثر على ميزان مدفوعاتها لا سيما وانها ستضطر الى دفع اثمان جزء كبير من البترول البديل بالدولار بينما هي تدفع ثمن النفط العربي بالجنيه الاسترليني لان شركاتها البترولية هي التي تنتج هذا البترول وتصدره للبلد الام .

ولقد قيل في انتقاد هذا الاجراء ــ اجراء منع النفط العربي عن الدول المعادية ــ حينما

كان ما يزال مطبقا ومن أجل تبرير ايقافه ـــ قيل بأن الدول العربية المنتجة قد تضررت من جراء ذلك أكثر مما تضررت البلدان المعادية التي تمت مقاطعتها أو ان خسارتها كانت أكبر ، وهذا غير صحيح . ان مما لا شك فيه ان قطع البترول العربي عن الدول المعادية قد قلل من صادرات كل بلد عربي منتج بنسبة تتفاوت من بلد لآخر حسب الكميات التي كان يصدرها لتلك البلدان المعادية وأنقص بالتالي مؤقتا من دخل البلدان العربية المنتجة. ولكننا لا نستطيع ان نتكلم هنا عن « خسارة » حقيقية تصيبنا ، فكل الذي حصـــل ان صادرات نفطنا قلت خلال فترة المقاطعة وبقيت الكميات التي كانت ستصدر مخزونة في باطن الارض العربية الى أن يحين وقت تصديرها . واذا كان دخل الدول المنتجة قد انخفض بنسبة انخفاض الانتاج والتصدير فقد كان من الممكن مجابهة ذلك بشيء مـــن التقشف والاستغناء عن المصاريف الكمالية بل انه كان لا بأس في سبيل الهدف النبيل الذي من أجله قطع النفط ، لو ثبتت جدوى وفعالية الاجراء ، أن يتم تأجيل بعض مشاريع التنمية العربية فمثل ذلك يكون قدرا معقولا من التضحية في سبيل قضية أكبر .

ولذا فاننا لا نوافق على هذا النقد الذي وجه لاجراء منع النفط ، ولكن لنا عليه مأخذا آخر أهم ، وهو انه كان محدود الفعالية : فاذا كان قد أحدث أثره الضار على الدولتين المعاديتين ، أمريكا وبريطانيا ، بتحميلهما خسارة مادية بينا أبعادها فانه لم يفلح في خلق مجاعة نفطية حقيقية لديهما ولم يحملهما على تغيير مواقفهما المعادية . فهل تعتبر هذا الضرر المادي كافيا وفعالا وعلى مستوى المعركة المصيرية التي نواجهها وأهمية سلاح النفط العربي ؟ ان أمريكا قد اعترفت حسب بعض مصادرها الرسميـــة بأن خسارتها المادية نتيجة قطع النفط العربي كانت مقدرة بحوالي (٢١) مليون دولار شهريا أي ما يبلغ حوالي (٢٥٠) مليون دولار سنويا لو ان اجراء قطع النفط العربي دام سنة كاملة ـــ مع انه لم يدم فعلا الا بضعة اسابيع كما هو معروف . ولكننا نعلم ان الولايات المتحدة تقدم لاسرائيل كل سنة مئات الملايين من الدولارات فهل مما يؤثر عليها تأثيرا فعالا ان تتحمل عبئا اضافيا مؤقتا في سبيل حليفتها وقاعدتها المتقدمة : اسرائيل ـــ مقداره (٢١) مليون دولار شهريا او (٢٥٠) مليون دولار سنويا ؟ كما ان انتاج وتصدير النفط كان متواصلا للبلدان الاخرى المستوردة ، وهو الانتاج والتصدير الذي تقوم به الشركات الاجنبية نفسها ، وعلى رأسها الشركات الامريكية والبريطانية ، وتواصل جني الارباح التي تعوضها اضعافا عن أية خسارة مؤقتة وتبقى هـــذه الارباح تساهم في ميـــزان مدفوعات البلدين كما سبق أن بينا .

وهذا الاجراء بتطبيقه ضد أمريكا وبريطانيا وحدهما لم يخلق المجاعة النفطية المطلوبة والتي تجعل منه سلاحا فعالا وأسباب فشله في تحقيق ذلـــك كثيرة منها : انه علـــى محدودية آثاره وفعاليته ، لم ينفذ بدقة وقد حصل في تنفيذه كثير من التلاعب نظرا لان الشركات الامريكية والبريطانية التي تنتمي الى البلدان المعادية التي فرضت عليهـــا المقاطعة ـــ هذه الشركات بقيت مستمرة في الانتاج والتصدير فلجأت للتلاعب لصالح بلدانها لا سيما وان لديها فروعا في مختلف البلدان الاوروبية وهي تستطيع أن تنقل النفط من بلد لآخر بسهولة ودون عوائق . وهذا يدلنا على مدى ضعف سلاح النفط في أيدينا حسب الوضع الحالي نتيجة سيطرة الشركات الاجنبية الاحتكارية التابعـــة للبلدان المعادية على عمليات انتاج نفطنا واستغلاله وتصديره ، وطالما لم تتوفر لنا السيطرة والرقابة الحقيقية والاشراف الفعال على عمليات انتاج نفطنا واستغلاله وتصديره مع امكانيات توجيه هذه النشاطات لتحقيق المصالح العليا لبلادنا . فهل نستطيع استخدام هذا السلاح استخداما حقيقيا فعالا ضد أعدائنا اذا كان هذا السلاح خارجا عن سيطرتنا وواقعا تحت سيطرة شركات أجنبية ينتمي القسم الاكبر منها لاولئك الاعداء أنفسهم ؟

ومما لا شك فيه أن قصر اجراء المنع على بلدين ، هما أمريكا وبريطانيا ، قد سهـــل

امكانيات التلاعب . والاهم من ذلك ان هذا القصر قد جعل كميات النفط العربي التي تمنع عن هذين البلدين ، حتى لو منعت تماما ، ضئيلة نسبيا . فقد رأينا كيف ان امريكا لم تكن تستورد الا نسبة ضئيلة من احتياجاتها من النفط العربي ، وما كانت تستورده بريطانيا من نفطنا عام ١٩٦٧ عند تطبيق قرار المنع ، لم يكن يزيد عن حوالي ٥٠ مليون طن (حوالي مليون برميل يوميا) بحيث أمكن لهما تأمين هذه الكميات من مصادر أخرى، برغم التكاليف الاضافية التي أشرنا اليها . ومن المعروف ان كل دولة من بلدان اوروبا الغربية تحتفظ الان لنفسها بمخزون لا يقل عن مقدار استهلاك ثلاثة اشهر وفي خلال ذلك تكون قد أمنت وصوله من مصادر أخرى متحملة بالطبع التكاليف الاضافية .

وعلى ذلك فان احدى الثغرات الاساسية في اجراء المنع ، كما طبق عام ١٩٦٧ ، والتي أدت الى أن نتائجه وفعاليته كانت محدودة للغاية هو قصره على بلدين اثنين . ومما لا شك فيه ان فعاليته كانت ستزداد لو اتسع المنع ليشمل بلدانا أخرى : فلو اتسع مثلا ليشمل في اوروبا الغربية ، بالاضافة الى بريطانيا ، كلا من المانيا الغربية ، نظرا للتعويضات الضخمة التي قدمتها لاسرائيل ولمواقفها وتصرفاتها المعادية للقضية العربية، وهولندا ، نظرا لمواقفها المعادية كذلك ، فان كمية النفط العربي المحجوبة عن الدول المعادية كانت ستزيد وكان تأمينها سيتم بصعوبة أكبر . ولكن الكمية الممنوعة كان مع ذلك سيبقى من الممكن للبلدان المقاطعة تأمينها بالتدريج من مصادر أخرى ، بعد أن تستنفد مخزونها ، وذلك بتحمل تكاليف اضافية وببعض الصعوبات ولكن دون مواجهة مجاعة أو أزمة نفطية حادة .

ولو ان المنع الذي طبقته الدول العربية عام ١٩٦٧ اتسع ليشمل أوروبا الغربية بأسرها، بالاضافة الى امريكا ، لكان بكل تأكيد قد أحدث أزمة نفطية حادة لدى الدول الغربية ذلك ان مجموع ما كانت تستورده بلدان أوروبا الغربية حينذاك من النفط العربي كان يقارب ٦ ملايين برميل يوميا ولم يكن من السهل تأمين هذه الكميات بسرعة من المصادر الاخرى ولذا فان فترة أزمة حادة كانت بكل تأكيد ستمر بها هذه البلدان قبل ان تستطيع المصادر الاخرى زيادة انتاجها بشكل تدريجي لتلبية جزء فقط من هذه الاحتياجات . وكانت أزمة نفطية جزئية بقيت سائدة في هذه البلدان لفترات طويلة . كما ان مثل هذا الاجراء كان سيكشف عن عجز امريكا في تلبية الاحتياجات النفطية للعالم الغربي ويبرز مسؤوليتها في وقوع هذه الازمة . ولكن أحد محاذير مثل هذا الاجراء هو انه كان سيمنع النفط عن بعض البلدان التي لم تكن مواقفها معادية لنا او كانت محايدة أو صديقة مثل فرنسا واسبانيا واليونان ... الخ . ولعله كان من الممكن ، على ضوء ذلك ، منع النفط عن كافة أوروبا الغربية ، باستثناء هذه البلدان المحايدة مع ان ذلك كان سيضعف بعض الشيء من فاعلية تطبيقه نظرا لامكانية تسربه من بلد غير مقاطع لبلد آخر مقاطع لا سيما اذا كانت اجراءات الرقابة غير كافية . كما ان ذلك كان سيضعف من آثار المنع ونتائجه .

ولو ان تصدير النفط العربي أوقف كلية ومنع منعا كاملا ، كما نادى بذلك بعض المسؤولين العرب مثل الرئيس الجزائري هواري بومدين الذي دعا حينذاك الى وقف كافة صادرات النفط العربي سنة كاملة ، لو تم ذلك لكان اجراء المنع قد أحدث كافة آثاره وخلق أزمة نفطية خانقة في العالم لان صادرات النفط العربي كانت حينذاك تقارب عشرة ملايين برميل يوميا ، وهذه الكمية لم يكن من الممكن اطلاقا تأمينها من أية مصادر أخرى غير عربية . ومثل هذه الازمة كانت ستثير ردود فعل عنيفة في العالم ضد الدول المعادية المسؤولة الرئيسية عن وقوعها وتخلق أداة ضغط كبيرة على هذه الدول المعادية قد تحملها على تغيير مواقفها منا . ولكن من الواضح ان الدول العربية المنتجة لم تكن لتقدم بسهولة على هذا الاجراء الذي كان سيحرمها من الدخل البترولي بصفة شبه كاملة

خلال فترة طويلة ، وكان الاقدام على تطبيقه يقتضي انشاء صندوق عربي مشترك تغذيه البلدان المنتجة ذات الارصدة الكبيرة ويتم عن طريقه تقديم العون اللازم والقروض الضرورية للبلدان المنتجة التي لا تتوفر لديها أرصدة كافية . كما ان احد محاذير هذا الاجراء كانت بالطبع هي الحاق الضرر ببعض البلدان الصديقة والمحايدة نتيجة منع النفط عنها ووضع الدول الصديقة والمحايدة على نفس الصعيد مع الدول المعادية ، وهو أمر قد يبدو من غير المرغوب فيه من الناحية السياسية . ولذا فان احدى الصيغ الممكنة، ضمن هذا الاطار من التفكير ، ان يقطع النفط عن كافة الدول باستثناء الدول الصديقة التي يحددها المسؤولون على ضوء المصلحة العربية المشتركة ، مع مراعاة انه كلما زادت قائمة الاستثناءات من المنع كلما ضعفت فاعلية المنع وتهيأت الظروف للتلاعب . **يبدو من كل ما تقدم أن اجراء المنع ، بالطريقة التي طبق بها عام ١٩٦٧ ، كان محدود الفعالية ضعيف الآثار لم يؤد الهدف المطلوب منه . وينبغي أن لا نعود لنفس الاجراء في المستقبل دون استكمال شروط نجاحه . فاذا أريدت العودة اليه فانه ينبغي توسيع دائرته ليشمل أكبر قدر ممكن من البلدان واستمراره لاطول مدة ممكنة حتى يؤدي آثاره المتوخاة . كما انه ينبغي وضع الشركات الاجنبية تحت الحراسة ، كما فعلت الحكومة الجزائرية في أعقاب عدوان ١٩٦٧ ، بالنسبة للشركات الامريكية والبريطانية ، وذلك لضمان فعالية اجراء الحجب ولمنع الشركات من مواصلة قبض الارباح عن النفط الناتج والمصدر للبلدان التي لا تشملها المقاطعة ونقل هذه الارباح للبلدان التي تنتمي اليها .** (كما ينبغي في نظرنا أن يكمل هذا الاجراء بمقاطعة اقتصادية للبلدان المعادية وبسحب الارصدة العربية منها وهي الارصدة التي مصدرها النفط العربي . حتى يحقق أقصى درجة من الفعالية وأكبر قدر من الضغوط . ولكن هذه مسألة خارجة عن نطاق هذا البحث) .

واجراء منع النفط اذا أريد له ان يكون شاملا على النحو الذي بيناه أعلاه فانه يتطلب أن تقدم عليه جميع البلدان العربية المنتجة وان تقف كلها من ورائه صفا واحدا صلبا ، وهي أمور ليس من السهل تحقيقها في الوقت الحاضر ، كما ان هذا الاجراء سينتج عنه توقف الدخل الرئيسي وشبه الوحيد للبلدان المنتجة ويفرض على شعوب تلك البلدان تضحيات لا يمكن انكارها بل قد يؤدي الى تعطيل بعض برامج التنمية . ولكن تلك الصعوبات يجب أن لا تثنينا عن الدعوة لهذا الاجراء اذا اقتنعنا بجدواه ، وتلك التضحيات واجبة ومطلوبة اذا كانت هنالك نتائج ايجابية مضمونة من المتوقع تحقيقها لصالح القضية العربية . ولكن أحدا لا يستطيع أن يجزم بالنتائج الايجابية الخيرة التي يمكن ان يحققها هذا الاجراء . فمما لا شك فيه ان الحجب الشامل للنفط العربي سيخلق أزمة نفطية خطيرة لدى العالم الغربي، فماذا سيكون رد فعله في مواجهتها ؟ هل سيحمله ذلك على الخضوع لارادتنا والاستجابة المعقولة لحقوقنا المشروعة وتغيير مواقفه منا والضغط على زعيمة العالم الغربي ، الولايات المتحدة ، لتبديل مواقفها العدائية ؟ أم ان ذلك سيثير لديه على العكس موجة عنيفة من العداء ضدنا ويحمله على ممارسة كافة أنواع الضغوط علينا بما في ذلك امكانية القيام بأعمال عدوانية يائسة ضد العالم العربي، واستغلال نقاط الضعف في بلداننا المنتجة والثغرات في جبهتنا العربية لافشال قرار المنع وتفتيت الجبهة العربية كلما طالت فترة تنفيذ القرار وزادت اعباء التقشف المفروضة على حكومات وشعوب البلدان المنتجة ؟

ان تجارب الامة العربية الطويلة الفاشلة في محاولة اجراء الضغط على العالم الغربي ليقوم بتغيير مواقفه والضغط بدوره على امريكا واسرائيل لا تشجعنا على توقع نتائج ايجابية من هذا الضغط الذي ستحدثه الازمة النفطية ولا تدعونا للتفاؤل في أمل تغيير مواقف تلك الدول لصالحنا . وعلى سبيل المثال فان رد الفعل السلبي الذي تجلى لدى

العالم الغربي في مواجهة اغلاق قناة السويس لا يدعو لكثير من التفاؤل . فهذا الاغلاق سبب لاوروبا الغربية أضرارا كبيرة ومع ذلك فانها لم تمارس ضغطا حقيقيا على الولايات المتحدة واسرائيل من أجل فتح القناة . ومما لا شك فيه أن أزمة الطاقة ستكون لو حدثت نتيجة الحجب أخطر من اغلاق قناة السويس . ولكن رد الفعل السلبي أمام اغلاق قناة السويس والنتائج السلبية لمحاولات الضغوط الاخرى ليس من شأنها ، بكل واقعية وموضوعية ، أن تشجع كثيرا على التفاؤل بتحقيق نتائج فعالة من فرض أزمة الطاقة . هذا الشك في النتائج التي قد يحققها اجراء المنع هو الذي يجعلنا شخصيا غير متحمسين للدعوة اليه ، لا سيما وأنه اجراء محدود بطبيعته وليس من شأنه المساس بالمصالح الاساسية للغرب في نفطنا ، ويجعلنا نفضل عليه اجراء أكثر حسما وفعالية كما سنبين . فاجراء منع النفط ، مهما ضبط وسدت الثغرات التي أشرنا اليها في تطبيقه ونفذت كافة الشروط التي افترضناها لنجاحه ولتحقيق اكبر قدر ممكن من الفعالية ، يبقى اجراء محدودا لانه بطبيعته لا بد أن يكون محدودا من حيث مدة تطبيقه اذ لا يمكن ان يمنع تصدير النفط العربي الى ما لا نهاية ، ولا بد أن يعود نفطنا للتصدير وتعود الشركات النفطية الاجنبية ، المسيطرة على استثمار نفطنا ، الى جني الارباح الطائلة ونقلها الى البلدان التي تنتمي اليها وهي البلدان التي تضمر لنا العداء الكبير .

ولذا فان من رأينا ان اجراء منع النفط لا يرتفع الى المستوى المطلوب ولا يلحق الضرر الجذري الاكيد بالمصالح الاستعمارية في نفطنا مع ما تمثله من أهمية استراتيجية واقتصادية كبيرة لامريكا والغرب .

*

ومثل هذا الحكم الذي نبديه بشأن اجراء منع النفط ينطبق من باب أولي على مجموعة من الاجراءات الاخرى الاقل شأنا التي اقترحت في بعض المناسبات أو اتجه تفكير البعض اليها لكي تكون اذا اتخذت « ذات أثر على السياسة الغربية عامة والامريكية خاصة وان يكون الاثر غير مباشر أو جزئيا » . وقد استعرض الدكتور يوسف صايغ ، في بحثه القيم « النفط العربي في استراتيجية المجابهة العربية الاسرائيلية » ، (مجلة « شؤون فلسطينية » عدد ديسمبر ١٩٧٢ ، ص ٣٤ — ٧٣) — استعرض عددا من هذه الاجراءات . ومن نماذجها : (١) قيام البلدان العربية النفطية بشراء أكبر نسبة ممكنة من أسهم شركات النفط من أجل ممارسة ضغط على سياسة البلدان التي تنتسب الشركات اليها من خلال تقوية نفوذ الاعضاء العرب في مجالس الادارة . (٢) ايعاز سلطات بلدان النفط للعمال في الشركات بالتباطؤ في الانتاج وفي تحميل الناقلات لاشعار البلدان الغربية بقوة بلدان النفط العربية وبتصميمها على ممارسة الضغط السياسي على الغرب لصالح القضايا العربية عامة والقضية الفلسطينية خاصة . (٣) فرض رسم تصدير انتقائي على كل برميل نفط يصدر من البلدان العربية لدعم المجهود الحربي العربي . ويلاحظ الدكتور صايغ عن حق بأن الضغط الاساسي في هذه السياسة انها مالية في طبيعتها وليست في ذاتها كافية للتأثير في السياسات الغربية المناصرة لاسرائيل والمساندة لها خاصة سياسة الولايات المتحدة . وفرض رسم التصدير اما ان يكون سياسة ضعيفة وغير ذات أثر اذا كان الرسم منخفضا أو أن يكون كسياسة حجب النفط اذا كان الرسم مرتفعا جدا بحيث يشكل عبئا غير مقبول على المستورد ينتج عنه توقف التصدير فعلا . (الدكتور صايغ ، نفس المرجع ، ص ٥٦) .

ونحن دون الخوض في مناقشة مثل هذه الاجراءات الجزئية نكتفي بالقول بأنها أقل فاعلية وأضعف أثرا من اجراء منع النفط الذي رأينا مع ذلك انه محدود الاثر حتى حينما يكون منعا شاملا . ومن رأينا انه ينبغي عدم انشغال الاذهان في مثل هذه الاجراءات الفرعية الجزئية وما يستتبع ذلك من تحويل الاهتمام وصرف التركيز عن الاجراء الاكثر جذرية

وفاعلية ، وفي اعتقادنا كما سبق ان بينا ان اجراء منع النفط — ومن باب أولي تلك الاجراءات الجزئية الاخرى التي أوردنا نماذج منها — ليست على المستوى المطلوب ولا تتناسب مع أهمية سلاح النفط وذات آثار محدودة لانها لا تلحق الضرر الجذري الاكيد بالمصالح الاستعمارية في نفطنا وما تمثله من قيمة استراتيجية واقتصادية هامة لامريكا والغرب . ان أي اجراء جذري يجب ان يوجه بشكل مباشر لهذه المصالح الرئيسية ويقتلعها من أساسها . وهذا يدلنا على الطريق الصحيح ويشير الى الحل الجذري الحاسم .

---

١ — وهذا الاحتياطي موزع ، حسب **المصدر نفسه** ، بين مختلف البلدان العربية المنتجة كالآتي (بملايين الاطنان) : السعودية ١٩٩٠٠ ، الكويت : ٩٠٤٥ ، العراق : ٤٩٣٠ ، ابو ظبي : ٢٦٠٠ ، المنطقة المحايدة : ٣٣٠٠ ، قطر : ٨٢٠ ، ليبيا : ٣٤٢٥ ، الجزائر : ١٦٨٠ ، مصر : ٥٥٠ .

٢ — Christopher Tugendhat, *Oil: The Biggest Business*, London, 1968, p. 165.

٣ — *Outlook for the World Oil Industry, 1963-1975* By Donald Fernow, 1963, p. 14.

٤ — *Petroleum Outlook*, Feb 1971.

٥ — **المرجع السابق** .

٦ — مجلة **نفط العرب** ، عدد فبراير ١٩٧١ .

٧ — *U.S. News and World Report*, 10/4/1972.

٨ — **عالم النفط** ، ١٩٧١/١/٣٠ .

٩ — **المرجع السابق** ، ١٩٧١/٧/٢١ .

١٠ — **الاهرام** ، عدد ١٩٧٢/١٠/٣ .

١١ — **عالم النفط** ، عدد ١٩٧٢/١٠/١٤ .

١٢ — **المرجع السابق** ، ١٩٧٢/٢/١٢ .

١٣ — مشار اليه في :
Michael Tanzer, *The Political Economy of International Oil And the Underdeveloped Countries*, Boston, 1969, p. 353.

١٤ — ف. أنيس ، النفط العربي هل هو عامل ضغط ؟ ، في **آفاق عربية** ، عدد سبتمبر — اكتوبر ١٩٧٢ .

١٥ — بموجب اتفاقيات الامتياز تدفع الشركة للحكومة ريعا أو أتاوة Royalty (مقداره بصورة عامة يعادل ١٢٫٥ ٪ من قيمة الانتاج)، وعندما ادخلت قاعدة مناصفة الارباح بين الشركات والبلدان المنتجة في بداية الخمسينات حرصت الشركات على ان تدخل مبلغ الريع المدفوع للحكومة ضمن نصف الارباح العائدة لها بمعنى ان مجموع مدفوعات الشركة للدولة على شكل ضريبة وريع يجب ان لا يزيد عن ٥٠ ٪ من الارباح الصافية للشركة . وقد تنبهت الحكومات فيما بعد الى ان الريع هو دفعة مستقلة لا علاقة لها بالضريبة وهي تدفع للدولة باعتبارها مالكة باطن الارض المشمولة بالامتياز كما تدفع في الولايات المتحدة للمالك الخاص للارض المشمولة بامتياز ، أي أن الريع يجب ان لا يدخل ضمن نصف الارباح العائدة للدولة (عندما كانت نسبة الضريبة ٥٠ ٪ وقد رفعت الى ٥٥ ٪ عام ١٩٧١) وانما دفعة اضافية مستقلة زائدة عنها على ان تعتبرها الشركة بمثابة نفقة من نفقات المشروع عند احتساب ارباحها الصافية ، ومن هنا جاءت تسمية تنفيق الريع Expensing of Royalty وقد تمكنت منظمة اوبيك من فرض هذه القاعدة في أواخر عام ١٩٦٤ .

١٦ — انظر بهذا الصدد كتاب **اسرائيل والنفط** ، سلسلة « دراسات فلسطينية » رقم ٣٨ ، مركز الابحاث ، منظمة التحرير الفلسطينية ، ١٩٦٨.

١٧ — **المرجع السابق** ، صفحة ١٢٤ .

١٨ — انظر بهذا الصدد البحث القيم للدكتور يوسف صايغ حول « النفط العربي في استراتيجية المجابهة العربية الاسرائيلية » في **شؤون فلسطينية** ، عدد رقم ١٦ ، كانون الاول (ديسمبر) ١٩٧٢ ، ص ٣٤ — ٧٣ . وكذلك الاستاذ عبدالله الطريقي ، **البترول العربي سلاح في المعركة** ، دراسات فلسطينية ، رقم ٢٠ ، مركز الابحاث بمنظمة التحرير الفلسطينية، ١٩٦٧ . والدكتور محمود أمين ، **البترول العربي في المعركة** ، سلسلة اقرأ ، دار المعارف بمصر ، أغسطس ١٩٦٧ .

١٩ — الدكتور محمود أمين ، **المرجع السابق** ، صفحة ٧٤ .

التسليح السوفييتي والصراع العربي ـ الاسرائيلي

المقدم الهيثم الايوبي

في أواخر شباط الماضي سافر وزير الحربيـــة المصري الفريق اول أحمد اسماعيل الى موسكو . وذكرت المصادر السياسية في القاهرة ان من الارجح أن تكون الزيارة محاولة من جمهورية مصر العربية للحصول على أسلحة سوفييتيـــة جديدة بعد سلسلة مـــن المباحثات والخطوات الدبلوماسية العربية والسوفييتية لاذابة الجليد وتحسين العلاقات التي توترت بعد أزمة خروج الخبراء السوفييت من ج. م. ع. والحقيقة ان الاتحـــاد السوفييتي كان قد خفف من حجم تدفق الاسلحة على جيش ج. م. ع. بعد خطوة الرئيس أنور السادات المعروفة ، اذ لم يتلق هذا الجيش خلال الفترة التي تلت الخطوة سوى ٦٠ صاروخا من طراز سام ـــ ٦ ، وحوالي ١٠٠ دبابة تي ـــ ٦٢، وبعض المعدات والاسلحة الثانوية الاخرى .

ولقد اختلفت التكهنات حول الهدف الحقيقي من زيارة الفريق أول اسماعيل ، وهل هي محاولة للحصول على اسلحة متطورة جديدة لم يتم التعاقد عليها من قبل ، أم محاولة لمتابعة الحصول على أسلحة جرى التعاقد عليها ولم تسلم حتى الآن ، أم مجرد الحصول على ذخائر وقطع غيار للاسلحة والمعدات التي تملكها القوات المصرية المسلحة . ومهما كان سبب هذه الزيارة فانها تتمتع ولا شك بأهمية كبيرة ظهرت منذ البداية بالاهتمام الذي أبداه الطرفان بالمباحثات ، وطبيعة الوفدين المشتركين بها ، والجو الودي الذي دارت خلاله . وتأتي الاهمية المحورية لهذه الزيارة من أنهـــا جاءت بعد حوالي سبعة أشهر من خروج الخبراء السوفييت من ج. م. ع. ، وبعـــد محاولات عـــربية كثيرة للاستعاضة عن السلاح السوفييتي بسلاح غربي الصنع . وهذا ما يجعلنا نعود من جديد الى بحث مسألة أساسية في الصراع العربي ـــ الاسرائيلي وهي مسألة التسليح .

الافق السياسي لمسألة التسليح :

قبل بحث هذه المسألة والخوض في تفصيلاتها لا بد من التأكيد على أربع نقاط جوهرية لتبديد أي فهم مغلوط لحقيقة تقييمنا لمسألة السلاح نفسها ، ولاساليب الصراع الاجدى ضد العدو الاسرائيلي .

النقطة الاولى : ان حديثنا عن السلاح لا يعني اعطاءه أهمية أكبر مما ينبغي . فالسلاح عامل مهم في كل صراع ، ولكنه لا يمثل العامل الاهم، ولا يمكن أن يكون بديلا عن الانسان ووعيه وولائه للقضية التي يقاتل من أجلها . كما لا يمكن أن يكون بديلا عـــن التنظيم السياسي الذي يطرح القضية التي يجري النضال تحت لوائها ، ويقوم بعملية تعبئة سياسية تربط المقاتلين بهدف الصراع ، وتجعلهم على استعداد للتضحية من أجله طالما انه يمثل في نهاية المطاف هدفهم ومصالحهم وتطلعاتهم وآمالهم .

النقطة الثانية : ان التسابق العسكري التكنولوجي بين البلدان المتقدمة صناعيا وبلدان العالم الثالث، عبارة عن لهاث غير مناسب في مجال غير مناسب . لان بلدان العالم الثالث

أضعف ماديا وتقنيا من البلدان الصناعية المتقدمة . وقد تكون قادرة على صنع الاسلحة والمعدات العادية ، ولكنها مضطرة دائمـــا لان تستورد الاسلحة المتطورة المعقدة . وتتحمل من جراء ذلك أعباء مالية تنهك اقتصادها ، وتزيد من تخلفها ، وتوسع الفجوة الاولية القائمة بينها وبين البلدان المتقدمة ، دون أن توصلهـــا الى مستوى التسليح التكنولوجي الذي يملكه عدوها .

واذا كانت قوة البلدان الامبريالية المتقدمة كامنة في معداتها وايديولوجياتها الديناميكية العدوانية (النازية ، الفاشية ، المكارثية ، الصهيونية ... الخ) فان قـــوة البلدان النامية أو السائرة على طريق النمو تكمن في جماهيرها . ولا يمكن قلب موازين القوى — التي تكون لصالح البلد الامبريالي في بداية أي صراع بين بلد أمبريالي متقدم وبلد نام — ولا يمكن أن تحقق البلدان النامية التفوق الا عن طريق تعبئة الجماهير نفسيـــا وايديولوجيا ، وتأطيرها ، واعدادها للمعركة ، وجعل كل فرد من أفرادها ملتزما بخوض معركة شاملة ، مع تسليح هذه الجماهير بأفضل ما يمكن الحصول عليه محليا ومن الدول الصديقة عن طريق الشراء أو المساعدات ، رغم الحدود الموضوعية للحصول على هذا السلاح ، واستيعابه تكنولوجيا بعد الحصول عليه ، لان هذه التدابـــير ، وهذه التدابير وحدها قادرة على قلب الجماهير من كمية مهملة ، بل ومعرقلة ، خلال الصراع الى كمية فاعلة ووزن لا يستهان به عند حساب موازين القوى — كل القوى — المادية منها والمعنوية .

النقطة الثالثة : هي أن الحديث عن موازين القوى ، وموازين التسليح ، وحساب عدد الدبابات والطائرات والمدافع على جانبي الخندق ، وربط قضية انطلاق معركة التحرير بهذه العوامل العسكرية البحتة أمر يتناقض مع معطيات الموقف الذي يعيشه بلد محتل مهدد بالعبودية والفناء . ان حسابات المعركة أمر نسبي ، وهي تختلف باختلاف القائمين بها ، وحقيقة أهدافهم ومراميهم . فهناك حسابات الغزاة وحسابات المدافعين . وتهتم حسابات الغزاة الى حد مبالغ به بموازين القوى ، واحتمالات الربح والخسارة ، لان الغزاة يطمحون الى تحقيق الربح المادي عن طريق العدوان ، ولا يدخلون المعركة الا بعد أن يتأكدوا من انها ستكون قصيرة ومجزية ، وان المكاسب التي سيحققونها ستكون كبيرة بشكل يعوض الخسائر المحتملة . أمـــا حسابات المدافعين فتستند الـــى ان المعركة مفروضة لصد عدوان قائم ، وتطهير أرض محتلة ، وان الخسائر مهما تزايدت عبارة عن قدر محتوم تفرضه موازين القوى الاولية ، وان اجراء الحساب لتخفيف الخسائر الى أبعد حد ممكن مع متابعة الصراع رغم اختلال ميزان القوى المادية هو السبيل الوحيد للحفاظ على البقاء ، لان التوقف عن الصراع ، أو التردد أمامه بحجة تفوق العدو يعني الاستسلام والخسارة الكاملة التي تفوق من الناحية الحضارية والقومية أضعاف أية خسارة ناجمة عن الدمار والقتل ومآسي الحرب الرهيبة . ان على الامة المدافعة أن تحسب ، وتوازن ، فكل معركة بلا حساب مغامرة فاشلة ولكن عليها ، وهي تحسب ، ان تبقى ضمن أطار حسابات المدافعين ، وأن لا تربط مصيرها القومي كله بجداول الارقام الصماء ، لان هذا الربط يعني أنها تستعير عقيدة الغزاة التي لا تصلح لها ولا تضمن في نهاية المطاف وجودها كله .

النقطة الرابعة : هي أن التفكير بقلب موازين القوى لا يقتصر على تبديل السلاح ، أو تحسين نوعه ورفع مستوى فاعليته ، بل يشمل — وهذا هو الاهم — تبديل الاداة التي تستخدم هذا السلاح (أي القوات المسلحة) وتغيير طبيعتها . والقوات المسلحة صورة النظام السائد في بلد ما ، وجزء لا يتجزأ من كيانه . وكما ينجم عن الانظمة الامبريالية جيوش امبريالية تخدم أهدافا أمبريالية غايتها استعباد الشعوب واستغلالها ، وكما ينجم عن الانظمة الشعبية الثورية جيوش شعبية ثورية تحمي مصالح الجماهير العريضة ،

فان البورجوازية الرثة في العالم الثالث تفرز على الصعيد العسكري جيوشا رثة لا تتقن سوى فن الانقلابات ، وقمع الشعب ، وممارسة الهزيمة أمام العدو . لذا لا يمكن لبلدان العالم المقهورة التي تسيطر فيها البورجوازية الرثة أن تفكر بصد عدوان المعتدين عن طريق تكديس الاسلحة الحديثة المتطورة فحسب ، بل لا بد لها من السير على سبيل خلق النظام الشعبي الثوري ، وجيشه الشعبي الثوري المؤهل لحمل هذه الاسلحة بايمان واستخدامها بكل كفاءة .

حتمية التسليح العربي من دول المعسكر الاشتراكي :

كانت دول الغرب الامبريالية منذ بداية الصراع العربي ــ الاسرائيلي المورد الاساسي للاسلحة في الشرق الاوسط . وكانت جميع أسلحة الدول العربية غربية الصنع ، على حين كان الاسرائيليون يحصلون على الاسلحة من كل مكان ويستخدمون اتصالاتهم الدولية وشبكات الصهيونية العالمية لتأمين الاسلحة الغربية والشرقية بطرق مشروعة أو غير مشروعة . وبقيت الدول الغربية بعد قيام اسرائيل مصدر السلاح الوحيد للجيوش العربية . وكانت تستخدم السلاح كوسيلة ضغط سياسية على الدول العربية لجرها الى الاحلاف ، كما كانت تعتبر الجيوش العربية ــ ككل جيوش بلدان العالم الثالث ــ عبارة عن سوق لتصريف الاسلحة المستعملة (مثل دبابات بانزر التي اشتراها الجيش السوري قديما ، ودبابات سنتوريون القديمة التي اشتراها المصريون ، وصفقة الاسلحة المصرية الفاسدة .. الخ) . أو سوق للاسلحة التي تجاوزتهسا التطورات التكنولوجية (مثل البنادق الفرنسية ٣٦ التي اشترتها سوريا سابقا رغم قدم نموذجها وظهور بنادق آلية ونصف آلية في معظم بلدان العالم ، وطائرات سبيتفاير وهانتر التي اشتراها الاردن ، وكل أنواع المصفحات التي استغنت عنها جميع الجيوش الحديثة وأخرجتها من ملاكاتها واستعاضت عنها بالدبابات الخفيفة ، واعتبرتها سلاحا لا يصلح الا لقمع الاضطرابات في المدن) .

ولقد طرحت الحكومات العربية على الجماهير طوال فترة ٤٨ ــ ١٩٥٥ مسألة الحصول على السلاح الغربي كمسألة حيوية جادة لاعداد القوة المسلحة اللازمة لمجابهة اسرائيل . وكان طرحها متناقضا بشكل جذري مع الفهم السليم لطبيعة الصراع مع اسرائيل ، وحقيقة الاسس الاستراتيجية الامبريالية في المنطقة . ويمكننا ايجاز التناقضات بما يلي :

التناقض الاول : في الوقت الذي كنا نحاول فيه شراء الاسلحة من دول الغرب الامبريالية لقهر اسرائيل وتحرير الارض المغتصبة ، أو منع اغتصاب ارض جديدة على الاقل ، كانت اسرائيل ــ ولا تزال ــ عبارة عن مخفر أمامي للمعسكر الامبريالي الذي خلقها ودعمها وضمن وجودها بالبيان الثلاثي [١٩٥٠] (الامريكي ــ البريطاني ــ الفرنسي) كما كانت جزءا عضويا من أجزاء هذا المعسكر ، وشريكا في عملية النهب والقمع .

التناقض الثاني: في الوقت الذي كنا نطمح الى تقوية تسليحنا عن طريق الغرب كيما نحرر اقطارنا ونلعب دورا أكثر فاعلية كحركة تحرر وطني ، كان الغرب نفسه داخلا في تناقض رئيسي معنا كقوة استعمارية تود اضعافنا والسيطرة على مقدراتنا . وكان هذا الغرب نفسه يشن ضدنا حربا قمعية مباشرة في المشرق العربي والمغرب العربي ، كما كان يستنزف قوانا بصورة غير مباشرة عن طريق استخدام اسرائيل كقوة ضاربة قادرة على التهديد والردع ، ومستعدة للانتقال من الردع الى العمل ، لخنق القوى التقدمية الوليدة ، وحماية مصالح الغرب عند اللزوم ، لقاء مكاسب اقليمية واقتصادية تعتبر خطوة مرحلية على طريق تنفيذ المخطط الصهيوني الواسع .

التناقض الثالث : لقد كنا ندعي اننا نود شراء الاسلحة من الغرب لقلب « الوضع القائم »

والتخلص من القهر القومي المتمثل باسرائيل وبعض جيوب الاستعمار القديم ، على حين كان الغرب واسرائيل يفضلان بقاء « الوضع القائم » الذي هو في حـــد ذاته وضـــع استغلالي غير عادل والحفاظ على الاستقرار لتتابع الامبريالية نهب الثروات بلا متاعب ، ولتتابع اسرائيل هضم الاراضي المحتلة ، والاعداد لاحتلال أراض جديدة وتحقيق مكاسب اقليمية جديدة .

ان القوى الاجتماعية المستبدة داخل أمة ما ، والمستفيدة من الواقع الاستغلالي الطبقي، تحاول دائما تهدئة الاوضاع والحفاظ على « الوضع القائم » لمتابعة الافادة من الاستغلال وواقع القهر الطبقي ، على حين تحاول القوى المستغلة تأزيم الوضع لقلب « الوضع القائم » مع كل ما فيه من استغلال وقهر . ووفق المعادلة نفسها فان الامم المستفيدة من الواقع الاستغلالي الاستعماري تعمل كل ما في وسعها لتهدئـــة الاوضاع في منطقـــة الاستغلال للحفاظ على « الوضع القائم » ومتابعة الافادة من الاستغلال وواقع القهر القومي ، على حين تحاول الامم المستعمرة كسر حلقة الهدوء لتبديل الواقع الاستعماري الذي ينحط بقواها الاقتصادية والاجتماعية ، ويسحق كل امكاناتها الحضارية .

لهذا كله كان قيام الدول العربية بمحاولة تسليح جيوشها مـــن ترسانة الغرب عدو الشعوب المتطلعة الى التحرر والتقدم والنمو عبارة عن عمى سياسي ـــ استراتيجي ، وخطأ في الاستنتاج ناجم عن انعدام القدرة على الرؤية أو انعدام الرغبة في الرؤية . وفي الوقت نفسه كان طرح مسألة شراء الاسلحة من الغرب فيسبيل التحرير لعبة ديماغوجية لا تستهدف سوى خداع الشعوب ، وبناء أمجاد زائفة . ولهذا كله بقيت قوة اسرائيل العسكرية اكبر من قوى الدول العربية المجاورة ، وبقي الردع الاسرائيلي بالقوة الكامنة المنسقة مع ضربات تأديبية على الحدود العامل الاساسي لتهدئة العرب ، وكبح جماحهم، واجبارهم على كبح جماح الجماهير الفلسطينية المتطلعة للتحرير ، والمتشوقة للتضحية والفداء في سبيل استعادة الارض المغتصبة .

معادلات التسليح السوفييتي :

تلقت الجيوش العربية خلال النصف الاول من الخمسينات عشرات الضربات ، وخسرت من جراء ذلك مئات الضحايا ، وكانت تحاول بعد كل ضربة تحسين تسليحها وزيادة قوتها لرد الضربة او لحماية نفسها على الاقل . ولكن الدول الغربية كانت تمنع عنهـــا السلاح بحجة الحفاظ على التوازن والهدوء ، وترد على طلبات السلاح بتقديم بعض الاسلحة الخفيفة مع دعوات مشبوهة للارتباط نهائيا بعجلة الغرب . ومع تزايد العجز العسكري العربي تزايد النهم الاسرائيلي ، وازداد عمق الضربات ، وتصاعدت حدتها حتى بلغت الاوج في عملية البطيحة وعمليات غزة وخان يونس (١٩٥٥) . وأدى تصاعد حدة الضربات وتزايد حجم الخسائر الى انفجار الجماهير العربية . وغدا البحث عن مصدر جديد للسلاح مسألة حيوية وضرورة قومية لا غنى عنها . ووسط هذا المناخ كسر الرئيس جمال عبدالناصر حصار السلاح بضربة اعتبرت من أخطر الضربات التي سددت للسيطرة الغربية في المنطقة . وفتح أمام السلاح السوفييتي أبواب الشرق الاوسط على نطاق واسع . وكانت سوريا قد سبقته في هذا المجال على نطاق أضيق عندمـــا عقدت صفقة الاسلحة مع تشيكوسلوفاكيا . وهكذا تخلصت مصر وسوريا من الجري وراء سراب وبدأ الاعداد للمعركة يأخذ شكلا أقرب الى منطق الامور . وأصبحت معادلات التسليح في المنطقة متناسبة مع طبيعة القوى وحقيقة أهدافها .

معادلة المرحلة الاولى (من بدء كسر السلاح حتى حرب ١٩٥٦) : كان جيشا دولتين من دول المجابهة (مصر وسوريا) يشكلان قوة من قوى التحرر الوطني ، ويحصلان على سلاحهما الاساسي من دول الكتلة الشرقية الداعمة لحركة التحرر الوطني في العالم بغية

مجابهة الاستعمار واسرائيل ، ودرء أخطارهما ، دون أن يتسع هدف التسليح الى مستوى ازالة الدولة الاسرائيلية المدعومة من الغرب . على حين كانت اسرائيل ، وهي قوة من قوى الامبريالية ، تتمون من ترسانات الدول الامبريالية المعادية لحركات التحرر، بغية الاعداد لعدوان توسعي مقبل . وقبل أن تستكمل القوات العربية استعدادها وهضمها للاسلحة الشرقية الحديثة شنت الدول الامبريالية حرب ١٩٥٦ ، وتدمر القسم الاكبر من القوة العسكرية الجديدة أو جرد من سلاحه .

معادلة المرحلة الثانية (١٩٥٦ ــ ١٩٦٧) : كانت هذه المرحلة مرحلة اعادة بناء القوات العسكرية العربية . ولقد قدم السوفييت خلالها جميع المساعدات المادية والتكنولوجية والتدريبية لخلق القوة العربية على اساس منع اسرائيل من شن أي عدوان أو الحصول على أية مكاسب اقليمية جديدة . هنا كانت معادلة التسليح كما يلي : الغرب يقدم السلاح لاسرائيل لتحقيق الردع والعدوان والحفاظ على اسرائيل كقوة موجودة قادرة على التوسع والضرب . أما دول الكتلة الشرقية التي تعتبر اسرائيل دولة موجودة لا يمكن تدمير تكوينها الحالي ضمن موازين القوى العالمية القائمة، وتعتبر هذا العمل خارج استراتيجيتها التي تتحاشى الصدام المباشر مع الولايات المتحدة في هذه المنطقة ، فانها تسلح بعض الدول العربية المتحررة في سبيل خلق القوة القادرة على حماية المكتسبات والمنجزات التي تحققت في المنطقة ، والحد من دور اسرائيل التهديدي ، ومنعها من التوسع أو ضرب الحركة التقدمية العربية وشلها .

معادلة المرحلة الثالثة (١٩٦٧ ــ ١٩٧٢) : مع حرب ١٩٦٧ واحتلال أراض عربية جديدة خرجت اسرائيل بشكل فاضح عن اطار حدود الدولة المعترف بها [كانت قد خرجت من قبل عن هذا الاطار اكثر من مرة عندما احتلت مناطق خارج الحدود التي اعترفت بها الامم المتحدة ورفضها العرب] . وتبدلت معادلة التسليح وغدت كما يلي : أ) الدول الامبريالية ، والولايات المتحدة بشكل خاص ، تسلح القوة الاسرائيلية للحفاظ على تفوقها والابقاء على وضع الاحتلال حتى يتم الوصول الى الهدف السياسي لحرب حزيران ١٩٦٧ . وهو بالنسبة للامبريالية قمع الحركة التقدمية العربية ، وتحقيق التهدئة اللازمة للاستغلال بشكل مستمر نهائي . كما انه بالنسبة لاسرائيل الحصول على سلام اسرائيلي يضمن انهاء حالة النزاع مع تحقيق مكاسب اقليمية متباينة السعة ، وايجاد علاقة اقتصادية مع العالم العربي ؛ هي في جوهرها علاقة بين مجتمع صناعي متقدم ، ومجتمع زراعي يحاول النمو والتطور بامكاناته الذاتية ووفق مخططات تنمية البورجوازيات الصغيرة . ب) المعسكر الشرقي الذي يرفض اعطاء اسرائيل مكافأة على عدوانها ، ويقف مع كل دول العالم المحبة للسلام ضد أي توسع اقليمي عن طريق الحرب ، يسلح الدول العربية ليساعدها على الصمود أمام ضغوط الاركاع ، وليعطيها الفرصة لالتقاط انفاسها وشن المعركة السياسية ــ العسكرية الرامية الى ازالة آثار العدوان بكافة الاساليب والطرق ، بما في ذلك الاساليب العسكرية .

ووفق هذه المعادلة دعم الامريكيون القوة العسكرية الاسرائيلية وخاصة القوة الجوية القادرة على الضرب في عمق البلاد ، على حين خلق السوفييت جسرا جويا هائلا لدعم القوة العربية ولمساعدتها على الصمود والاستمرار في حرب الاستنزاف [أي يحبط سياسة التهدئة والاركاع وتحقيق السلام الاسرائيلي بالقوة] ، ويخلق القوة القادرة على تسديد الضربة العسكرية ضمن استراتيجية مجابهة عربية شاملة ضد الامبريالية [أي يحبط سياسة التوسع وضم الاراضي] .

وبدأت حرب الاستنزاف شرسة باهظة التكاليف . واشتبكت مصر وحركة المقاومة لوحدهما مع العدو الاسرائيلي لاستنزافه ماديا ومعنويا . وكان من الممكن أن تؤدي حرب الاستنزاف الى تحقيق النتائج المرجوة منها لو انها كانت جزءا من استراتيجية

عربية متكاملة . بيـــد ان الوضع العربي (داخل كـــل قطر وبين الاقطار) ، وتفتت الجبهة الشرقية ، ووقوف مصر لوحدها على الجبهة الساخنة ، والوضع المصري الداخلي نفسه ، جعل القاهرة ، بعد اسبوع من تساقط طائرات الفانتوم ، تقبل وقف اطلاق النار في لحظة حرجة كان التفوق الجوي الاسرائيلي قد بدأ يفقد فيها تأثيره وفاعليته أمام شبكة الصواريخ سام ٣ ، كما ان ضرب حركة المقاومة الفلسطينية على يد النظام الاردني أعاد الصراع العربي ـــ الاسرائيلي الى مرحلة هدوء نسبي ظهرت وكأنها تعبير عن العجز العسكري أمام مقولة التحرير .

ووسط هذا المناخ الذي تصارعت فيه الرغبة مع العجـــز تحركت القوى الامبريالية والرجعية العربية المعادية للوجود السوفييتي على أرض العرب ـــ حتى لو كان هدف هذا الوجود مساعدة العرب على الصمود والذود عن أراضيهم ـــ وشنت حملة تشهير واسعة ضد موسكو وضد الاسلحة السوفييتية « الدفاعية ! » لتصل بعـــد ذلك الى ضرورة الاستعاضة عن السلاح السوفييتي ، وذلك بتصنيع بعض الاسلحة محليـــا واستيراد البعض الآخر من مختلف بلدان العالم . فهل كانت الاسلحة السوفييتية بالفعل دفاعية ؟ وهل هنالك في الاصل سلاح هجومي وآخر دفاعي ؟ والى أين وصلت محاولة الاستعاضة عن السلاح السوفييتي ؟

السلاح « الدفاعي » و« الهجومي » :

السلاح اداة قادرة على تدمير الخصم ، أو اخراجه من المعركة ، أو ابطاله ، أو شل حركته ومنعه من تحقيق أغراضه . وهو يستخدم ضمن تركيبات تكتيكية واستراتيجية تستهدف تدمير القوات المسلحة المعادية أو تجريدها من سلاحها ، واجبار العدو بعد نزع درعه على قبول التنازلات السياسية التي تحقق هدف المنتصر . ويحقق السلاح مهماته من الناحية التقنية عن طريق النار (المقذوفات) والصدمة . وهو يتوصل الى استخدام النار عن بعد ، على حين لا بد له عند استخدام الصدمة من الحركة والالتحام مع العدو . وتستطيع النار تحقيق غرضها في الهجوم بأن تدمر المدافعين أو تبطلهم او تنهك قواهم قبل أن تتمكن قوة الصدمة من القيام بالخرق . كما تستطيع تحقيق هذا الغرض في الدفاع بأن توقف المهاجمين وتعرضهم لخسائر مادية تتجاوز حدود امكاناتهم او حدود التضحية المقبولة بالنسبة لهدف معين ، وتمنعهم بالتالي من تحقيق هدفهم . أما الصدمة فانها تستهدف في الهجوم تحقيق الخرق لفتح ثغرة تسمح بالتغلغل والتطويق، او تحقيق الخرق بعد تطويق مسبق . وهي تستهدف في الدفاع اجراء الصدمة المعاكسة لتدمير قوى العدو المتغلغلة في العمق ، او فك التطويق في الحالة التي ينقلب فيها الدفاع الى جزر مطوقة وسط البحر الهجومي .

وتزداد القدرة النارية في كل سلاح بزيادة غزارته النارية ، وحجم الذخائر التي يمكن ان يحملها أو يصبها في وحدة زمنية معينة أو خلال مهمة تكتيكية محددة ، كما تزداد القدرة على الصدمة كلما زادت السرعة والقدرة الحركية ومدى العمل . ولذا فان ميزات كـــل سلاح تتعلق بصفاته التقنيـــة ومواصفاته الخاصة التي تزيد قدرته الناريـــة او ترفع مستوى قدرته على الصدمة ، وهذا ما يحدد في النهاية استخدامه للنار او الصدمة او لهما معا ، خاصة وان قوة الصدمة مرتبطة الى حد ما بقوة النار القادرة على الحركة . بيد ان القوات المسلحة لا تستخدم سلاحا واحدا لتحقيق الهدف فهي بحاجة في الهجوم والدفاع كما رأينا لنار وصدمة ، الامر الذي ينبثق عنه تعاون الصنوف وتنسيق عمل عدد من الاسلحة لتنفيذ مهمة ما .

من هنا نتبين ان السلاح نفسه وما يتمتع به من ميزات لا يضعه بشكل نهائي في زمـــرة الاسلحة « الهجومية » او « الدفاعية » . ولكنه يضعه في زمرة اسلحة النار او اسلحة

الصدمة او اسلحة النار والصدمة التي تستخدم في مهام محددة بالزمان والمكان والغرض يضمها كلها تنسيق وتعاون تام وسط تكتيك هجومي او دفاعي لخدمة استراتيجية هجومية او دفاعية . وهنا لا بد من طرح عدد من الامثلة الملموسة لايضاح الفكرة .

لنأخذ **الدبابة** مثلا ، انها سلاح نار وصدمة ، وهي تجمع قوة النار وسرعة الحركة والقدرة على المناورة . ولكن هل هي سلاح دفاعي ام هجومي ؟ انها تستخدم في الهجوم اذا ما جمعت داخل تشكيلات كبيرة مدرعة (الوية — فرق — فيالق — جيوش) وتكون مهمتها في هذه الحالة الخرق واستثمار النصر . كما تستخدم في الدفاع اذا ما كانت تشكيلاتها صغيرة موزعة على وحدات المشاة ، وكانت مهمتها المشاركة في السدود النارية والقيام بالهجمات المعاكسة . **والمدفع** صالح للاستخدام في الهجوم لدعم القوات المتقدمة برمايات التمهيد ورمايات المرافقة كما انه صالح للاستخدام دفاعيا عن طريق خلق السدود النارية الثابتة والزاحفة وتنفيذ رمايات معاكسة للتمهيد قبل انطلاق هجوم العدو . وهنا تبرز فروق تقنية بين المدافع المقطورة والمدافع المحمولة ذاتية الحركة ، فالنوع الثاني اقدر على الحركة ومرافقة الهجوم وخاصة اذا كان هجوما مدرعا ، ولكن هذا لا يعني ان الاول عاجز عن المشاركة في الهجوم بفاعلية . **والمدفع المضاد** للطائرات سلاح هجومي ودفاعي لانه يحمي سماء المعركة هجومية كانت ام دفاعية . وتستطيع الدبابات المضادة للطائرات مرافقة الدبابات المنقضة وحمايتها من الخطر الجوي بشكل افضل من المدافع المضادة المقطورة ، ولكن استخدام كلا النوعين ممكن هجوميا ودفاعيا . **والصاروخ المضاد للطائرات** سلاح يستهدف الحماية ولكن من المتعذر اعتباره سلاحا دفاعيا بحتا ، لانه يستطيع حماية المنشآت الهامة ، والمدن ، ومراكز التجمع .. الخ . ولكن مدى عمله (٢٠ — ٢٨ كيلومترا) يسمح له بالمشاركة في بداية اية عملية هجومية لتغطية سماء قاعدة الانطلاق وسماء حدود المهمة الهجومية اليومية (اذا كان الهجوم في أرض عادية) ولتغطية عملية العبور وحماية سماء رأس الجسر بعد العبور (اذا كان الهجوم يتم مع عبور مجرى مائي) . **والطائرة القاذفة** اداة صالحة لضرب تجمعات العدو ، وخطوط مواصلاته ومراكز قياداته ونقاطه الحساسة العسكرية والاقتصادية سواء كان العدو مهاجما ام مدافعا . وينطبق هذا القول على الطائرة القاذفة التكتيكية او الاستراتيجية اذ لا تختلف المهمات هنا الا في عمق الاهداف وطبيعتها والاثر المطلوب من ضربها وهل هو اثر تكتيكي ام استراتيجي . أما **الطائرة المطاردة** فهي قادرة على حماية القاذفات الصديقة المهاجمة ، او التعرض لقاذفات العدو . ومهمتها حماية القوة الجوية الضاربة . فاذا كانت مهمة هذه القوة اساسا دفاعية غدت المطاردات سلاحا دفاعيا يحمي القدرة الدفاعية ، واذا كانت القوة الضاربة تمارس الهجوم غدت المطاردات سلاحا يحمي القدرة الهجومية ، وغدت بالتالي سلاحا هجوميا . وما **الطائرة القاذفة — المطاردة** سوى طائرة تحمل من الميزات ما يجعلها قادرة على القيام بدور المطاردة او القاذفة او المطاردة والقاذفة معا . وينطبق عليها اذن ما ينطبق على الطائرتين المذكورتين .

ويمكن الاسهاب في الحديث بهذا المجال عن كل نوع من انواع الاسلحة البرية والجوية والبحرية بدءا من البندقية وانتهاء بحاملة الطائرات وكل أنواع المعدات الحربية بدءا باللغم والبلدوزر وانتهاء بالرادارات واجهزة الاشعة تحت الحمراء لنتوصل في نهاية المطاف الى التأكيد بانه ليس هناك سلاح « هجومي » او سلاح « دفاعي » بل هناك اسلحة نار واسلحة صدمة واسلحة نار وصدمة تستخدم كلها بتكامل مطلق مع المعدات لتخدم الهجوم او الدفاع وفق الخطة الاستراتيجية العامة وتفصيلاتها التكتيكية التنفيذية ، لان الاستراتيجية وما ينجم عنها من تكتيكات هي التي تحدد طابع الحرب وصفتها الهجومية والدفاعية .

ان حجم السلاح ، وحجم القدرة النارية ، ومدى التفوق المحقق ، ومستوى الاستيعاب التكنولوجي للسلاح هي العوامل التي تحدد طبيعة الاستراتيجية اي تحدد ما اذا كانت الاسلحة المتوفرة كلها ستوضع موضع الهجوم او الدفاع . والحصول على سلاح هجومي لا يعني الحصول على نوع محدد من الاسلحة ، بل يعني الحصول على تفوق معين بالاسلحة يسمح بالانتقال من الدفاع الى الهجوم . ولا يمكن توجيه النقد الى نوع السلاح السوفييتي المقدم للدول العربية . وكان الاحرى بالنقد ان يوجه الى حجم هذا السلاح ... وهنا نستطيع ان نتساءل هل كان من الممكن الحصول على الحجم الهجومي من السلاح (الحجم المتفوق على ما يملكه العدو) في ظل الوضع الدولي الحالي ، وفي ظل التعهد الامريكي المطلق بدعم اسرائيل بالاسلحة والمعدات لتبقى متفوقة على القوات العربية بشكل مستمر ؟ وهل ينبغي ان نحاول البحث عن هذا الحجم الهجومي عن طريق زيادة السلاح الذي تستطيع الدول الكبرى التحكم به سلبيا او ايجابيا وفق استراتيجياتها الخاصة ام ان علينا ان نحقق الحجم الهجومي بزيادة القوى المعنوية والايديولوجية والزخم الثوري وكل ما لا تستطيع الدول الكبرى التحكم به ؟ ان الرد على هذين السؤالين يضع المسألة كلها على الطريق الصحيح الواضح لحل مسألة التفوق العسكري الاسرائيلي واساليب مجابهته على المدى البعيد .

الاستعاضة عن السلاح السوفييتي :

ولنعد الان الى المحاولات العربية للاستعاضة عن السلاح السوفييتي بسلاح اخر عن طريق الصنع او الاستيراد . ولقد بحثت امكانية صنع الاسلحة في اجتماعات رؤساء اركان الجيوش العربية ، وقدمت التوصيات لوزراء الدفاع العرب أكثر من مرة ، وكان اخرها واكثرها تحديدا توصية رؤساء اركان الجيوش العربية الذين اجتمعوا في القاهرة في كانون الاول من عام ١٩٧٢ واقترحوا تخصيص ٢٪ من دخل كل دولة من اجل انشاء هيئة لانتاج الاسلحة والمعدات اللازمة للجيوش العربية . وتتلخص فكرة التسليح الذاتي اساسا في محاولة الافادة من رؤوس الاموال العربية الكبيرة المجمدة في سبيل بناء صناعة حربية (على غرار الصناعة الحربية الاسرائيلية) تؤمن مطالب القوات العربية، وتحرر الارادة العربية بالتالي من ضغوط الدول العظمى وتحديداتها السياسية — الاستراتيجية المتعددة .

وبالرغم من اهمية هذه الخطوة واثرها الكبير على مستقبل الصراع ، فان من المؤكد ان الدول العربية ستجد ، كما ستجد جميع الدول النامية ، صعوبات هائلة في مجال التصنيع العسكري . فاذا استثنينا الصعوبات المالية التي يمكن حلها برؤوس اموال الدول العربية البترولية وجدنا ان من اهم الصعوبات المنتظرة : تدني المستوى التقني القاعدي في الدول النامية ، وانعدام الخبرات المتراكمة ، والحاجة الى مصانع متطورة ومخططات وتصاميم لا تملكها سوى الدول المتقدمة ولو كان المطلوب اعداد سلاح عادي لتسليح الجماهير ولشن حرب شعبية لخفت الصعوبات الى حد كبير ولامكن للعرب صنع السلاح الذي يساعدهم على خوض معركة طويلة الامد . تنتهي الى نصر محتوم رغم جسامة التضحيات . اما اذا كان المطلوب تصنيع سلاح متطور ينافس السلاح الامريكي الذي تغرف اسرائيل من مستودعاته بلا حساب فان الامر أعقد من أن يحل — في السنوات العشر المقبلة على الاقل — عن طريق استخدام رؤوس الاموال العربية والمصانع والخبرات العالمية شرقية كانت ام غربية .

أما محاولة الاستيراد التي طرحت بعد خروج الخبراء السوفييت من ج. م. ع. بشدة ثم تناقص طرحها بعد ذلك باستمرار ، فهي محاولة صحيحة على الصعيد النظري البحت . ولكن ما مدى امكانية تطبيقها العملي ؟ ان الدولتين الوحيدتين القادرتين اليوم على تقديم السلاح المتطور بشكله الارقى هما الدولتان العملاقتان الاتحاد السوفييتي والولايات

المتحدة الامريكية . ولا يمكن منافسة السلاح والمعدات الامريكية الا بسلاح ومعدات سوفييتية . وقد يكون في هذا البلد او ذاك سلاح او جهاز اليكتروني او آلة محددة رفيعة المستوى ، ولكن الانتاج الحربي بمجمله في اي بلد من البلدان الاشتراكية والرأسمالية عاجز عن الدخول في منافسة شاملة مع مجمل الانتاج الحربي في الاتحاد السوفييتي او الولايات المتحدة .

وبالرغم من سير السلاحين السوفييتي والامريكي كفرسي رهان ، وبالرغم من اندفاع كلا البلدين بشكل شبه متساو في تطوير الاسلحة والمعدات الحربية ، فان بعض الاسلحة الاميركية متفوقة على مثيلتها في الاتحاد السوفييتي . وبصورة خاصة القاذفات — المطاردة ، وحاملات الطائرات ، وطائرات الهليكوبتر العملاقة ، والعربات المدرعة نصف المجنزرة ، وعدد اخر من الاسلحة والمعدات اللازمة لحرب تقليدية محلية محدودة . ويرجع السبب في ذلك الى سببين : اولهما ان السياسة الامبريالية للولايات المتحدة ، ورغبة واشنطن في احتلال المواقع التي انحسر منها نفوذ الاستعمار القديم ، وشن الحروب العدوانية المحلية ضد الشعوب المتحررة حديثا او المتطلعة الى التحرر ، دون تصعيد الحرب بشكل يهدد سلامة المعسكر الاشتراكي ويستنفر قواه ويؤدي بالتالي الى صدام نووي ، دفعت الامريكيين بعد الحرب العالمية الثانية الى الاهتمام باعداد الاسلحة اللازمة لمثل هذه الحروب وتطويرها وتحسينها بعد تجربتها على ارض المعارك (كوريا ، فيتنام ، الشرق الاوسط ... الخ) ، وخلق مجموعات قتال (تاسك فورس) برية — بحرية — جوية منتشرة في كل انحاء الارض ، وقادرة على التدخل بسرعة في كل مكان لحماية المصالح الامريكية من اي تهديد ، على حين لم تطور دول الكتلة الشرقية مثل هذه الاسلحة بسرعة كافية ، ولم تخلق مثل هذه المجموعات نظرا لاعتقادها — خطأ — بأن سياستها السلمية لا تتطلب منها ذلك . أما السبب الثاني : فهو ان اهتمام دول الكتلة الشرقية ، وخاصة الاتحاد السوفييتي بتطوير الصواريخ والغواصات الذرية ومختلف انواع الاسلحة النووية ، وتوصلها الى مستوى رفيع في هذا المجال ، جعلها متأكدة من ان أمنها لا يرتبط بحجم القوات التقليدية ومستواها بقدر تعلقه بقوة الردع الكامنة في اسلحتها الصاروخية — النووية القادرة على تهديد الولايات المتحدة نفسها بدمار شامل . بيد ان تمادي الولايات المتحدة في تهديداتها ، وعدوانها المستمر على الشعوب الصغيرة ، ومغالاتها في شن الحروب المحدودة وفق استراتيجيات « العصا الغليظة » و « الرد المرن والردع المتدرج » و « الفتنمة » وتصعيد عملياتها الحربية المحدودة الى درجة تهدد بخنق حركات التحرر الوطني وتؤثر على أمن المعسكر الاشتراكي نفسه دفعا الدول الاشتراكية — بعد ان ضمنت امنها الاستراتيجي بجهاز متكامل من الاسلحة النووية الصاروخية — الى اتخاذ التدابير اللازمة للقيام بدورها الاممي في حماية حركات التحرر الوطني ودعمها ، اي الى الاسراع بتطوير الاسلحة التقليدية اللازمة لمجابهة الحرب المحدودة ، وسارت في هذا المجال شوطا بعيدا ، دون ان تردم حتى الان بشكل كامل الفجوة التي فتحتها السياسة الخروتشوفية خلال عدة سنوات .

ولنعد الان الى انصار استبدال السلاح السوفييتي بسلاح اخر . انهم يعرفون ان السلاح الاول المؤهل ليحل محل السلاح السوفييتي هو السلاح الامريكي . ولكن موقف الولايات المتحدة صريح واضح منسجم مع سياستها العامة واستراتيجيتها في المنطقة ، فهي تدعم اسرائيل الى ابعد مدى ، وتصر على تحقيق تفوقها المستمر على العرب ، وترفض بالتالي مجرد التفكير بتسليح الدول العربية ، باستثناء بعض الدول (الاردن ، السعودية) ، التي حصلت بعد حرب حزيران ١٩٦٧ على عدد من الاسلحة الامريكية لا لتعزيز القوة العربية في مجابهة اسرائيل بل لتنفيذ اهداف محلية اخرى . والبدائل الممكنة بعد الولايات المتحدة هي الصين الشعبية والدول الغربية .

ان **الصين الشعبية** دولة تقدمية كبيرة ، تؤيد حركات التحرر الوطني ، وتقف في المعسكر المعادي للامبريالية ، لذا فان حصول العرب على السلاح الصيني لا يتناقض مع واقع الصراع وملابساته وحقيقة القوى المشتبكة فيه بصورة مباشرة أو غير مباشرة . بيد ان صناعة الصين الحربية لم تصل رغم تقدمها المستمر السريع الى مستوى مجابهة الاسلحة الامريكية في حرب تقليدية . وتستطيع الاسلحة الصينية تعزيز القوة الحربية العربية الى مدى يمكنها من المجابهة لو ان التخطيط العربي يتجه نحو تسليح الجماهير لخوض حرب شعبية طويلة الامد تعتمد على السلاح الحربي والسلاح الايديولوجي . ولكن هذه مسألة لا يمكن ان تخطر على بال اصحاب فكرة استبدال السلاح السوفييتي لانها مرتبطة في الاصل بضرورة تبديل بنية النظام السياسي وبنية قوته المسلحة وتثويرهما قبل البدء بتحسين نوعية السلاح . ولو افترضنا جدلا ان الصين صنعت — اليوم او غدا — سلاحا متطورا قادرا على مجابهة السلاح الامريكي في حرب تقليدية، فان المسألة كلها ستعود بشكل او باخر الى السؤالين التاليين : هل سيستطيع اصحاب فكرة الاستبدال الانسجام مع الخط الصيني وهم الذين اصطدموا مع الخط السوفييتي لاسباب ايديولوجية . ام ان الصدام مع الخط الصيني سيكون مماثلا للصدام مع الخط السوفييتي ان لم يكن اشد حدة ؟ وهل تتضمن استراتيجية الصين الشعبية اصلا احتمال مجابهة مباشرة مع الولايات المتحدة في الشرق الاوسط ، وهل تملك بكين الاداة اللازمة والمرتكزات الضرورية للمجابهة في هذه البقعة من العالم ؟

ويتمثل البديل الثاني بعد الصين الشعبية في الدول الغربية المتقدمة . ولكن العودة الى التفكير بهذه الدول كمصدر للسلاح اللازم لمجابهة اسرائيل يعني العودة بشكل أو بآخر الى الخطأ السياسي — الاستراتيجي الذي وقع به العرب منذ بداية الصراع . لان تعديل مواقف الدول الغربية من اسرائيل وخاصة بعد حرب حزيران ١٩٦٧ لم يبدل طبيعة هذه الدول الامبريالية تبديلا جذريا ، ولم يقلب سياستها رأسا على عقب ، ولم يحولها من دول معادية لحركات التحرر الى دول تدعم حركات التحرر وتؤيدها . بيد ان الحقيقة العلمية تفرض علينا ان لا نتحدث عن اوروبا كلها كجسم واحد ، وأن ننظر الى كل دولة اوروبية على حدة ، مع تبيان التمايز الاكيد في مواقفها وسياساتها ذلك التمايز الناجم عن التناقض داخل المعسكر الامبريالي نفسه . وسيقتصر حديثنا هنا على ثلاث دول اوروبية متقدمة فقط هي انكلترا وفرنسا وايطاليا ، وسنسقط الدول الاوروبية الاخرى من البحث لعدم وجود صناعة حربية قوية فيها ، كما سنسقط المانيا الغربية رغم تطورها التكنولوجي نظرا لتبعيتها الكلية للولايات المتحدة في مجال التسليح . ولن نتطرق الى الحديث عن سويسرا نظرا لانها امتازت بصنع الاسلحة الخفيفة التي لا تستطيع — رغم اهميتها — قلب موازين القوى بشكل فعال .

بريطانيا : في آب ١٩٧٢ ، وبعد خروج الخبراء السوفييت من ج.م.ع. ذكرت وكالات الانباء العالمية ان القاهرة تسعى لشراء اسلحة ومعدات بريطانية ، وكان الرئيس السادات قد اشار الى ذلك قبل عدة اشهر . واكد جوزيف غودبر وزير الدولة البريطاني النبأ في ١٨ نيسان من العام نفسه في كلمة القاها امام الجمعية العربية — البريطانية قال فيها بأن بلاده مستعدة للنظر « بعطف » الى كل طلب جديد للسلاح من الدول العربية (النهار ١٩٧٢/٨/٢) وعندما زار الفريق اول محمد صادق وزير الحربية المصرية السابق الكويت والسعودية تطرق الى بحث مسألة شراء طائرات لايتنغ البريطانية (الانوار ٧٢/٨/٢٢) ، وبعد زيارة وزير الخارجية المصري محمد حسن الزيات للندن في نطاق الحملة الدبلوماسية لكسب الاصدقاء ظهرت انباء تؤكد بان مصر تنوي شراء صواريخ ارض — جو من طراز رايبر قيمتها ٥٩ مليون دولار من شركة « بريتش ايرو كرافت كوربوريشن » بالاضافة الى الدبابات تشفتين والطائرة الفرنسية — الانكليزية

جاغوار (نشرتا رصد اذاعة اسرائيل بالعبرية رقم ٤٤ و ٥٩) . ثم أيد الناطق بلسان وزارة الخارجية البريطانية في تشرين الثاني امكانية احتمال بيع أسلحة بريطانية لمصر ، وذكرت الاكسبرس والديلي ميل رغبة مصر في شراء اسلحة بريطانيـة باكثر من ١٠٠ مليون جنيه استرليني دون أن تحدد انواع هذه الاسلحة ، وهل تشمل الدبابة تشفتين والطائرة جاغوار والصاروخ رايبر ام انها تقتصر على الدبابـة سكوربيون والطـائرة لايتننغ والصاروخ ارض — جو ماتيور .

ويمكن ، بعد تحليل كل هذه المعلومات ، ان نقول بأن العملية كلها غير جادة ولا تخرج بمضمونها عن عمليات التسليح في مرحلة ٤٨ — ٥٦ . لان الطائـرة لايتننغ والدبابة سكوربيون والصاروخ ارض — جو ماتيور اقل تطورا من السلاح الامريكي الحديث . أما الاسلحة المتطورة الحديثة فلا يمكن الحصول عليهـا في الوقت الحـاضر نظرا لان المصانع البريطانية ستقدم الى ايران فائض انتاجهـا من الدبابة تشفتين خـلال عدة سنوات . والطائرة جاغوار لم تنتج على نطاق واسع ولا تزال في مرحلتها التجريبية . اما الصاروخ رايبر فهو عاجز عن مجابهة اجهزة التشويش الاليكتروني الحديثـة . وبالاضافة الى كل هذه التحديدات التكنولوجية والصناعية فان هناك مسألة مبدئية بالغة الاهمية هي أن الموقف البريطاني من مسألة الصراع يتمثل في قول جوزيف غودبر امـام الجمعية العربية — البريطانية بان بلاده مستعدة لبحث مسألة تقديم السلاح الى العرب « شريطة الا تؤدي الاسلحـة الى تبديل ميزان القوى في الشرق الاوسط » (النهـار ١٩٧٢/٨/٢) وفي تصريح الناطق بلسان وزارة الخارجية البريطانية الذي قال في ١١ تشرين الاول ١٩٧٢ «ان سياسة بريطانيا لم تتغير ، وهي لا تفرض حظرا على الاسلحة، ولكنها لا ترسل الى المنطقة اسلحة تخـل بميزان القوى » (ملحق نشرة رصد اذاعة اسرائيل بالعبرية رقم ٩٢) . اذن ماذا تستفيد الدول العربية من شراء هذه الاسلحة حتى ولو كانت متطورة ذات قدرات قتالية ونارية عالية اذا كان الشرط الاول للحصول عليها هو عـدم قلب موازين القوى اي عـدم الوصول بالسلاح العربي الى « الحجم الهجومي » اللازم لاي هجوم عربي يستهدف التحرير او ازالة آثار العدوان على الاقل!!

فرنسا : لقد اخذت فرنسا منذ حرب حزيران ١٩٦٧ موقفا متميزا عن الموقف الامريكي بالنسبة للصراع العربي — الاسرائيلي . ومن المؤكد ان مصالح فرنسا وارتباطاتهـا الثقافية والاقتصادية مع العالم العربي تجعل سياستها متناقضة مع السياسة الامريكية بشكل يفيد العرب ويدعم مواقفهم ، وهذا امر ايجـابي لا يمكن تجاهله عـلى صعيد السياسة . أما على الصعيد العسكري (التسليحي) فان الموقف الفرنسي يتمثـل في « حظر بيع الاسلحة لدول الشرق الاوسط المشتبكـة في النزاع » . وهذا يعني عـدم القدرة على الافادة مـن السلاح الفرنسي لقلب ميزان القوى . وقـد تفكر الحكومة الفرنسية في المستقبل برفع هذا الحظر ، ولكنها ستجد عندئذ معارضة قوية من العناصر الصهيونية المتغلغلة في اجهزة الاعـلام واجهزة الدولة نفسها (قضية غبريـال اراندا والتهديد بكشف ١٣٦ وثيقة تثير فضيحة هائلة اذا لم تبدل الحكومة الفرنسية سياستها بالنسبة لتزويد ليبيا بطائرات الميراج) . واذا استثنينا لبنان الذي يتلقى من فرنسـا أسلحة محدودة لا تؤثر على موازين القوى العامة ، واستثنينا تونس ومراكش البعيدة حتى الان عن جبهات المجابهة ، وجدنا ان ليبيا هي البلـد العربي الوحيد الذي يتلقى اسلحة فرنسية يمكن ان تؤثر على موازين القوى وخاصة بعـد ظهور دولة الاتحـاد الثلاثي ، والسير بخطى حثيثة على سبيل توحيد ج . م . ع . وليبيا .

ففي عام ١٩٦٩ اشترت ليبيا من فرنسا ١١٠ طائرات ميراج—٥ ،ثم حاولت الحصول على دبابات آ . ام اكس — ٣٠ ومعدات حربية اخرى خلال زيارة رئيس الوزراء الليبي عبد السلام جلود الى فرنسا في تشرين الثاني ١٩٧٢ . ولكن ما هو الاثر العملي لكل هذا ؟

ان الطلبات الجديدة لم تلب بعد ، ولم تتأكد امكانية تلبيتها في المستقبل القريب ، كما ان ليبيا لم تستلم من طائرات الميراج المشتراة سوى حوالي ٥٠ طائرة ، وستستلم الباقي بمعدل ١٦ طائرة كل عام (اي خلال ٤ اعوام) . ومن المتوقع ان تتعرض الصفقة كلها، والصفقات الجديدة المحتملة لتعقيدات قد تؤدي الى ايقافها عندما يتحقق الاتحاد المصري ــ الليبي في هذا العام لان ذلك يجعل ليبيا جزءا من دول المواجهة التي ينطبق عليها نظام الحظر ، بالاضافة الى التعقيدات التي ستتعرض لها الصفقة اذا ما نقلت الطائرات الى ج.م.ع. قبل تحقيق الاتحاد نظرا لان في ذلك مخالفة للشرط الفرنسي القائل بـ « أن فرنسا ستعلق الصفقة اذا وجدت ان الطائرات تذهب الى بلد ثالث في خط المجابهة الامامي مع اسرائيل » .

ايطاليا : تأتي ايطاليا بعد انكلترا وفرنسا في مضمار القدرة على تسليح القوات العربية ، نظرا لانها اضعف منهما في مجال تكنولوجيا التسليح ، واشد منهما ارتباطا بالسياسة الامريكية في الشرق الاوسط . لذا فان قدرتها على تقديم اسلحة متطورة تقلب موازين القوى قدرة معدومة تقريبا ، وهي مستعدة ــ كما نقلت وكالة الصحافة الفرنسية في آب ١٩٧٢ ــ لان تقدم لليبيا عربات مصفحة من طراز م ــ ١١٣ ، ودبابات امريكية قديمة ، وطائرات هليكوبتر ، ولكنها غير مستعدة لتقديم دبابات ليوبارد .

والخلاصة : ان العودة الى التفكير بالحصول على السلاح من الدول الغربية بغية الصراع ضد اسرائيل عمل اعرج يتناقض مع الفهم الحقيقي لاستراتيجية الغرب ودور اسرائيل في هذه الاستراتيجية وهو يعود بنا الى متاهات ما قبل مرحلة كسر حصار السلاح . والمصدر الوحيد المؤهل لتقديم الاسلحة للدول العربية بغية متابعة نضالها التحرري الوطني هو الصناعة المحلية والدول المعادية للامبريالية والمؤيدة لنضال الشعوب من اجل التحرر الوطني ، اي الاتحاد السوفييتي والصين ودول اوروبا الشرقية . واذا كان السلاح الحربي (المادي) المستورد من الدول الاشتراكية معرضا للخضوع لتحديدات استراتيجية هذه الدول ولفهمها لطبيعة الصراع العربي ــ الاسرائيلي وحجمه واهدافه ، فان السلاح الايديولوجي (المعنوي) لا ينبع الا من ارض العرب ، ولا يخضع الا لارادتهم ، ولا يمكن للقوى الخارجية التأثير عليه والحد من اندفاعه وتصاعد زخمه الا بشكل جد محدود .

ان معركة التحرير بحاجة لقلب موازين القوى ، وخلق القوة الهجومية بشقيها المادي والمعنوي . واذا كان التأثير الخارجي على الشق المادي ممكنا فان هذا التأثير على الشق المعنوي شبه مستحيل . وعندما يتم الحصول على **الحد الاقصى الممكن** من الشق المادي ، **والحد الاقصى الواجب** من الشق المعنوي تصبح القوة الهجومية في وضع يؤهلها لشن حرب تحرير شعبية ــ ثورية . وهنا لا بد لنا من ان نكرر حقيقة اكدناها اكثر من مرة ، وهي انه ينبغي عدم التحدث عن حرب شعبية ــ ثورية الا بوجود أداة هذه الحرب المتمثلة بجيش شعبي ــ ثوري . وان الشرط الاول لوجود هذا الجيش هو وجود نظام شعبي ــ ثوري . وكل حديث عن الحرب الشعبية ــ الثورية وجيشها دون ربط ذلك بوجود النظام الشعبي ــ الثوري عبارة عن فسيفساء لفظية لا تصمد لحظة واحدة امام حقائق المعركة وتحدياتها .

القبعـــة والنبي

غسان كنفاني

تنشر شؤون فلسطينية هذه المسرحية التي لم تنشر حتى الآن والتي كان الشهيد غسان كنفاني قد كتبها في مطلع العام ١٩٦٧ .

ملاحظات المؤلف :

تترك هذه المسرحية للمخرج حرية مطلقة في التصرف ، والملاحظـات التالية ينبغي ان تحمل على محمل الاقتراحات ، بما في ذلك دمج الفصول الثلاثة في فصل واحد .

١ ــ المسرح : طاولتان متشابهتان يفصل بينهما حاجز حديدي يوحي بقفص الاتهام ، على انه ينبغي ان لا يكون هذا الحاجز بارزا بطريقة تجتـذب النظر للتركيز عليـه . القفص هذا مكون من ضلعين ، الضلع الذي يفصل بين الطاولتين ، والضلع الـذي يفصل بين طاولة المتهم والجمهور ، وهذا الضلع بالذات قابل للحركة ، بحيث يـدور على مفصله المربوط الى الضلع الاخـر بسهولة ، وبوسـع حركة من هذا النوع ، ببساطة ، ان تجعل طاولة المحكمة وكأنها داخل القفص والطاولة الاخرى (طـاولة المتهم) طليقة .

نصف المسرح الذي تشغله طاولة المحكمة يوحي بالجدية والعراء ، لا ديكور ولا اي شيء يوحي بميزات خاصة . الطاولة عارية وفي احد دروجها يوجد حبل .

نصف المسرح الاخر ، الذي تشغله طاولة المتهم ، له شخصية المنزل المتواضع ، في صدره باب ينفتح على شرفة هي في الوقت ذاته المدخـل الى « المنزل » ــ حـاجز الشرفة يبدو بوضوح للمشاهد حين ينفتح الباب .

٢ ــ الاشخاص : المتهم شاب في ملابس عادية . يكون في معظم المسرحية دون قميص، ويبدو بقميصه الداخلي طبيعيا للغاية .

رقم ١ ورقم ٢ شخصـان متشابهان ، انيقان دون افراط ، ودون ما يوحي بالرسمية . صوتاهما ــ بصفة عامة ــ حياديان وميالان للتقريرية .

السيدة : شابة جميلة وانيقة ووالدتها مبهرجة قليلا ومتصابية وذات مظهر عدواني الى حد مـا .

ساعي البريد يلبس ملابس عادية ويتميز بقبعة رسمية فقط ، ولا يحمل حقيبة ، وشديد الفضول .

٣ ــ الشيء : محور أساسي ، ولذلك فتصميمه ينبغي ان يخضع لشروط لا مفر منها اولها ان لا يكون ، باي حال من الاحوال ، معدنيا ، والا يمت بأية صلة لشكل يشبه الانسـان او الحيـوان او النبات الشائع . لونـه اسود وبالوسـع ادخال اللون البنفسجي . ذو مظهر اقرب للقماش او المطاط وتكوينه يتميـز بفروع مثـل اوراق الشجر العريضة فوق قبة ــ سوف يستعمل فيما بعد كقبعة مبتكرة ــ اما تحريكـه

ثمة وسائل عديدة لذلك ، ابسطها كما يبدو ان يحرك عبر ثقب في الطاولة التي لن يبرحها تدخل منها يد لرجل يجلس تحتها ولا يظهر على الاطلاق ، اما الفروع فيمكن ان يعتمد في تحريكها على اهتزاز لنوابض تكون داخلها .

وفي كل الحالات : لا ينبغي ان يوحي « الشيء » بأي علاقة مع اي تكوين شائع ، كما لا ينبغي ان يوحي باي شيء فكاهي او مضحك .

وبالنسبة لصوته فان اقرب التصورات هو ان « ينطق » بواسطة مسجل . الصوت ينبغي ان يكون واضحا للغاية ولكنه غير طبيعي تماما ، بوسع الرجل الذي سيتولى تحريك الشيء الاشراف على المسجل ايضا .

الشرطي : استعملت هذه الكلمة في وصف الرجل الذي سيكون عليه ، دون النطق بكلمة واحدة ، تحريك الحاجز بين الفينة والاخرى . لا ملابس رسمية ولكن صرامة الرجل الرسمي المكلف . ولا تعاطف ، وغالبا لا يلفت نظر اي من اشخاص المسرحية ولا يقاطع احداثها وحوار ابطالها . من الافضل ان يجلس هذا « الشرطي » في مقاعد المتفرجين الاولى ويتحرك منها الى المسرح ويعود اليها ، وكذلك فان وجوده على طرف المسرح الاقصى ، الاقرب للجمهور ، ممكن بشرط الا يلفت وجوده نظر احد الا حين يتحرك . ينبغي ان ينسى تماما حين لا يكون ثمة ما يفعله ، ولكنه ابدا لا يدخل او يخرج من الكواليس .

الضوء : سيتزايد دور الضوء باطراد كلما اقتربت المسرحية من نهايتها ، ولا ضرورة هنا لملاحظات اكثر من تلك التي سترد في السياق فيما عدا الاشارة الى ان تركيز الضوء على احد نصفي المسرح ينبغي الا يخفي تماما النصف الاخر ، ومن الضروري ان تظل اشكال الاشخاص في النصف المعتم (سيلويت) واضحة الى حد ما .

*

على ان تصرف مخرج يلتقط المعنى الاساسي للمسرحية يظل من شأنه اغناء المسرحية .

(غ. ك.)

أشخاص المسرحية

المتهم . الشيء . السيدة . والدة السيدة . رقم ١ . رقم ٢ .
« شرطي » . ساعي بريد .

المشهد الاول

رقم ١ : (وكأنه يكمل حديثا) اما وقد انتهينا من المحاكمة فسأصدر الحكم الان . قف كي تسمعه كما ينبغي .

المتهم : (دون اهتمام ولكن بقليل من الدهشة) تصدر حكمك ؟ انتهينا من المحاكمة ؟ (يقف) ولكننا يا سيدي لم نبدأ بعد !

رقم ١ : (مخاطبا رقم ٢) اسمعت ما قال ؟ يقول اننا لم نبدأ بعد .

رقم ٢ : لننته من الموضوع بسرعة .. دعنا نشنقه هنا والان .. اليس هذا هو الحكم الذي اتفقنا عليه ؟ (يخرج من درج الطاولة حبلا ويضعه على الطاولة) .

المتهم : (يدور حول الطاولة ويمسك الحاجز بكلتا كفيه) أيها السادة دعوني اذكركم بأننا

لم نبدأ ! لقد قبض علي امس فقط ولم يقابلني احد طوال الليـــل ثم جيء بي الى هنا ، وكنت اعتقد اننا انما نجتمع للتعارف .
رقم ١ : ايها القاتل .
رقم ٢ : قاتل ووقح ايضا .
رقم ١ : قاتل رهيب (مشيرا الى الشيء الاسود امامه) والجثة ما تزال امامه وقد بدأ ينكر حتى قبل ان ندفنها .
رقم ٢ : .. حتى قبل ان يجف دمها ..
المتهم : دمها ؟
رقم ١ : لننسى موضوع الدم (ملتفتا الى رقم ٢) الحقيقة انه لا يوجد دم .
رقم ٢ : قتلها خنقا .
المتهم : خنقا ؟ انه شيء لا يستعمل الهواء .
رقم ١ : قتلته .. وهذا يكفي .
المتهم : قتلته ام قتلتها ؟ يا سيدي! انا اقبل حكمكم لو تقررون اذا كان هذا الشيء هو او هي .
رقم ١ : هذه مسألة لا تخص القانون . لا تخرجنا عن الموضوع . لقـــد ارتكبت جريمة قتل وهذا يكفي .
المتهم : قتل من ؟
رقم ١ : قتل هذا (مشيرا الى الشيء الاسود) .
المتهم : انظر كيف تتهرب من الموضوع !. انني اسألك (يعلو صوته ويأخذ حالة الهجوم) هل تسمع ؟ انني اسألك : ما هو هذا الذي قتلته .

[يتقدم « الشرطي » بهدوء ويحرك ضلع الحاجز المواجـــه للجمهور وينقله على محوره الى الجهة المقابلة فيبدو القاضيان الان في القفص والمتهم دونه]

رقم ١ : (مخاطبا رقم ٢) قل له ما هو هذا .
رقم ٢ : قل له انت .
المتهم : انه شيء لا يوجد فيه دم . لا يتنفس . لا يأكل . ليس من المعروف اذا كان ذكرا ام انثى .. لقد تفحصته بنفسي ، ليس فيه شيء يمكن ان نسميـــه عضوا تناسليا .. فكيف يمكن قتله ؟
رقم ١ : ولكنه كان يحكي يا سيدي .
رقم ٢ : وكان يشرب ايضا .
المتهم : ان الاسطوانة تحكي ، وشجرة الصبار تشرب ـــ هذا لا يكفي .. هل لديكـــم اثباتات اخرى ؟
رقم ١ : في الواقع لا .. ولكن هذا لا ينهي الموضوع . قد يكون مخلوقا عجيبا .. وعلى اي حال انت قتلته وقد قلت ذلك بنفسك للسيدة .
المتهم : هل ادعى احد علي ؟
رقم ٢ : ليس حتى الان .. ولكن معلوماتنا تقول ان له أخا جاء معه ثم اختفى ، وقـــد يظهر يا سيدي في أية لحظة ويطالب بدم اخيه ..
المتهم : لا يوجد دم .
رقم ٢ : يطالب بحياته اذن .
المتهم : ان الذي لا يأكل ولا يتنفس ولا يضاجع امرأة لا يمكن ان يكون شيئا حيا .
رقم ٢ : يطالب به .
المتهم : يطالب به او بها ؟

رقم ١ : الواقع يا سيدي ان الموضوع موضوع اخلاقي في الدرجة الاولى ، لنفترض ان أخاه جاء ذات يوم وطالب به .. فماذا نقول له ؟
رقم ٢ : نعم ، ماذا نقول له ؟ انها مسألة لا تهم هذا الوطن فقط ولكنها تهم العالم بأسره .
رقم ١ : تهم الكون كله في الواقع .
رقم ٢ : (ينظر بحسرة الى الشيء الاسود) لقد جاء المسكين من كوكب اخر فقتلته انت!
المتهم : (يبكي) انا اكثر حزنا عليه منكم !

[يتقدم الشرطي فينقل الحاجز فيصبح المتهم في القفص من جديد]

رقم ١ : [بصوت عال] اذن لماذا قتلته ايها المجرم ؟
رقم ٢ : أيها المجرم .
المتهم : لقد مات وحده .
رقم ١ : ولكن انت السبب في ذلك .. اعترف .
رقم ٢ : اعترف فورا [يرفع الحبل ويلوح به]
المتهم : انني ارفض هذه المحاكمة ... صحيح انني حزين [يبكي] ولكن هذا لا يعني انني القاتل .. [ينتعش] ثم من هذا الذي قتل ؟ ما هو اسمه او اسمها ؟ كيف قتل ؟ تصوروا لو انكما قررتما قتل كل حزين في هذا العالم .. لن يبقى غيركما . ثم ستحزنان انتما لانكما ستكونان عندئذ وحدكما ، وسيقتل احدكما الاخر .
رقم ١ : هذا صحيح .. ولكن امامنا جريمة ويجب ان ننتهي منها .. ان القوانين قادرة على تغطية كل شيء ..
المتهم : ولكنكما لم تنظرا في القضية .. لم تسمعا الشهود .. لم تتركاني أدافع عن نفسي ..
رقم ١ : ان الجريمة واضحة ليست بحاجة الى اضاعة الوقت .. لم يعرف هذا الشيء أحد غيرك .. فمن اذن يقتله ؟ كيف يمكن ان يقتل انسان ما شخصا لا يعرفه ؟
رقم ٢ : [المتهم] لقد احرجك هذه المرة ووضعك في الزاوية .. لماذا لا تجيب ؟
المتهم : اننا في الواقع نقتل الذين لا نعرفهم .
رقم ١ : [يقهقه] لقد اوقعناك في الفخ ايها القاتل .. لقد ضحكنا عليك وسحبنا منك الاعتراف الكامل ربما لانك غير خبير في هذا الموضوع ، فهذه اول جريمة ترتكبها في حياتك وانت لم تكن قاضيا في حياتك ولا مرة واحدة .. وهكذا استطعنا استدراجك بسهولة ... كنت تقول قبل قليل انك لا تعرف هذا الشيء . لا تعرف اسمه ولا اذا كان شخصا او شيئا ولا من هو ، ولا اذا كان ذكرا ام انثى ، اي انك لم تكن تعرفه .. ولذلك بالذات قتلته .
رقم ٢ : [مبتسما] ذلك لاننا — كما قلت انت بنفسك — انما نقتل الذين لا نعرفهم .
رقم ١ : أن القانون ضدك . يجب ان تعترف بذلك .
المتهم : اعترف .. ولكن يجب ان تستمعا الي ..
رقم ١ : باسم اي شيء يجب ان نستمع اليك ؟ باسم القانون ؟
المتهم : لا .. باسم الفضول ايها السادة . [يقوم من مكانه ويتجه الى الحاجز] .
رقم ١ : الفضول ؟
رقم ٢ : (ينظر بتواطؤ الى رقم ١) ان وجهة نظره صحيحة ... باسم الفضول .
رقم ١ : انني اذن اسمح لك بالكلام باسم الفضول ... ولكنني سأنبهك مسبقا الى أن هذا لن يغير شيئا من الحكم .. ان الفضول شيء رائع ولكنه غير قانوني .

[يعود المتهم الى مقعده ببطء ، وفي اللحظة ذاتها تصعد « السيدة » درج الشرفة وتبدو عبر الباب المفتوح متجهة نحو المتهم الذي يصل الى كرسيه ويجلس عليه باسترخاء — يخفت الضوء الموجه على

القاضيين حتى يبدوا شبحين غامضين ـــ تدخل السيدة ، بشيء من الغضب] .

السيدة : [ترمي حقيبة يدها عـــلى الطاولة وكذلك قفازيهـــا وتبدأ بالمشي عبر الغرفة بغضب ، ثم تقف وتنظر نحوه] : يبدو ان علينا ان نستسلم اخيرا . وذلك بسبب جبنك وجبني معا . فدعنا نسوي المسألة بهدوء .

المتهم : اية مسألة ؟ مسألة الجنين ؟ مسألة الدين ؟ مسألة المال ؟ مسألة امك ؟

السيدة : كل هذه المسائل .

المتهم : لنبدأ بمسألة الجنين . يجب ان يموت بالطبع .

السيدة : نقتله بالمناصفة : مئة ليرة منك ومئة مني .

المتهم : ليس لدي مئة قرش اشتري بها رغيفا . .

السيدة : والحل ؟

المتهم : اقذف بك عن الدرج ، او نتزوج .

السيدة : الزواج مستحيل . . لان . .

المتهم : لانني لا استطيع ان اعيل قطة ، ولانني لا اريد ان استبدل ديانتي كما تستبدلين معطفك ، ولان الحب وحده لا يستطيع مهما بلغت حرارته ان يخبز رغيفا . . . ان امك رائعة في اكتشاف النواقص .

السيدة : انت في كل مرة تقول هذه الاشياء ذاتها .

المتهم : انت في كل مرة تقولين هذه الاشياء ذاتها .

السيدة : [بلطف مفتعل] قل شيئا جديدا هذه المرة فقط يا حبيبي . . .

المتهم : [يرق] لنتزوج ! سأخطفك ونطير ويرضخ الجميع . . ان العالـــم واسع ومليء بالفرص .

السيدة : مليء بالفرص ! هل تستطيع ان تقول لي ما الذي قضى عليك الا هذا الهراء ؟ انت تنتظر ان يسقط عليك من السقف عمل مثلما تقدم الكعكة للاطفال . . ان العالـــم صغير . انه امي وغرفتك ومئتا ليرة . . هذا هو العالم .

المتهم : انهم يحاولون الهبوط على القمر ايتها الجميلة الغبية .

السيدة : ستكون اكثر سعادة لو استطعت ان تهبط السلم ، وتجرؤ على المرور من امام دكان اللحام . . لقد سألني عنك الان .

المتهم : واذن ؟

[يضيء النور فجأة نصف الغرفة الاخر حيث يجلس القاضيان . ولكن السيدة تواصل التصرف وكأنها غير شاعرة بهذا الذي طرأ] .

رقم ١ : قل لي . . هل قتلت الجنين ؟

المتهم : [يلتفت اليه ببرود] كل الذي يهمك هو ان تصطاد لي تهمة جديدة . . لمـــاذا لا تبحث معي عن حل لهذه القصة التعيسة ؟

رقم ٢ : انه في مأزق حقا ، دعنا نرى كيف سيتملص .

رقم ١ : كيف انتهى بك الامر اذن ؟

المتهم : [فيما يتكلم تكون السيدة ، التي تبدو في اللحظة ذاتها تتكلم بغضب ولكن دون صوت تلم حقيبتها وقفازها وتخرج من الغرفة بحيث تختفي وراء حاجز الشرفة في اللحظة التي ينتهي فيها هو من الكلام] لقـــد تعلقت المشكلة هنا . مثلهـــا كل يوم . غضبت وصرخت وشتمت وازدادت كراهية لي . حسنا لنقل ان حبها لي تناقص عن ذي قبل ، مثل كل يوم . ايها السادة ، لقد احببتها حقا . . ولكن لم يكن باليد حيلة . اعتقد انهـــا قصة تحدث كل يوم مع كل شخص . . ولكن هل يعني ذلك انها غير مهمة ؟ انظروا كيف

صارت حالتي ! كنت اشعر انني افقد اخـــر شيء لي في العالم .. يا الهي كـــم صرت تعيسا ! [ينظر صوب الباب ، حيث اختفت السيدة] .
رقم ٢ : [مخاطبا رقم ١] لنكن حذرين .. انه يحاول ان يخرجنا عن الموضوع ، انـــه يستدر دموعنا ليخفي كفيه الملوثتين .
رقم ١ : ليستا ملوثتين في الحقيقة . تذكر . لا يوجد دم . [متجها الى المتهم] والان .. انس ذلك كله .. نريدك ان تحكي عن الجريمة .
المتهم : [بانكسار] هذه هي الجريمة ايها السادة .. لقد هجرتني السيدة .. هل هناك ما هو اكثر رعبا في حياة انسان كـــان يخبىء الحب في جيبه كسلاح اخـــير للدفاع عن نفسه ؟
رقم ١ : للدفاع عن نفسك ضد من ؟ هل كان ثمة من يتهددك ؟
المتهم : كل الناس . كـــل شيء . صاحب البيت والخباز واللحـــام والطبيب . الغربة والوحشة والوحدة . المرض والشقاء . الشقاء الذي لا ينتهي وفرص السعادة التي لا نستطيع ان نملأها . العمل والبطالة . الانتظـــار والوصول . الانكسار . الفشـــل . طعم الانتصار التافه . القلق . نداء الرحيل الذي لا يستجاب . الخيبة . غياب الشمس وغياب الصديق وغياب الدهشة . الموت .. يا الهي ! ان نراه قريبا الى هذا الحد وان ننتظره ليل نهار ..
رقم ١ : [صائحا] كفى ! [يلتفت الى رقم ٢] هل سجلت ما قال ؟
رقم ٢ : سجلته اختصارا .. انه يقصد كل شيء .
رقم ١ : حسنا ، والان اكمل .
المتهم : ان تصحو فتجد انك لم تفعـــل شيئا وان ليس ثمة ما تستطيـــع ان تفعله . ان تتذكر فجأة ان لحظة ما في الماضي كانت في وقتها كل شيء بالنسبة لـــك وانها الان مثل معلبات اللحم المفرغة والمقلوبة على قفاها .. آن ...
رقم ١ : كفى !.. انك توشك ان تبكينا .
المتهم : حسنا .. هذا كان حالي عشية مقدمه [مشيرا الى الشيء الاسود امامه] .
رقم ١ : لقد بدأت القصة الان ، انتبه .
المتهم : [يتمدد في مقعده ، فيما يغيم الضوء عن طاولـــة القاضيين] كنت نائما ايهـــا السادة . مثلما تنامون جميعا . لا . مثلما ينام رجـــل مثلي فقط ، لقد سمعت صوتـــا ضئيلا على الشرفة فحسبت انني احلم .. ولكن الصوت تكـــرر . كان مثـــل استغاثة صغيرة مجهولة .. ترددت كثيرا ، ثم قمت ..

[يقوم ببطء ، يشعل ضوءا اضافيا ويتجه نحو باب الشرفة ـــ المدخل ينظر الى الخارج بحذر . ثم يهـــم بالعودة ولكنه يقف منصتا بانتباه شديد ـــ نصف متشنج . حركة مجهولة صغيرة تسمع في الخارج . يعود ببطء ويختفي وراء الباب ، وبعد لحظة يعود . ذراعاه في حركة من يحمل شيئا . يتجه الى الطاولة ويضع « الشيء » الذي يحمله فوق الشيء الاسود الموجود اصلا هناك بحيث يبـــدو وكأنه وضعه الان . يتفحصه بدقة ويهز رأسه محتارا ، ثم يلتفت الى الناحية التي يجلس فيها القاضيان] .

.. كان منشورا على الحاجز ، كما تقع عليه كل يوم قطعة قماش معلقة على شرفـــة الجيران ..

[ينتهي من التفحص ويعود بغير اكتراث الى مقعده ليسترخي ، وفجأة ينبثق الصوت : رفيعا ومعدنيا وباردا . باختصار يوحي بما هو غير انساني ولكن دون عدوانية] .

الشيء : أبعد هذا الشيء عني لاعرف كيف اراك .
المتهم : [ينتفض ويبربر يتراجع ، ثم يتقدم بحذر] .
الشيء : قلت لك ابعد هذا الشيء [يتحرك ببطء وكسل] .
المتهم : انت ؟
الشيء : ستقتلني ايها الخائف .. ابعد هذا الشيء .
المتهم : [دون ارادة] ما هو .؟
الشيء : لست ادري ... انني لا استطيع ان اراك .
المتهم : الضوء ؟
الشيء : ليكن له هذا الاسم اذا كان ينهي المشكلة .
المتهم : [يتجه الى الضوء الاضافي ليطفئه ولكنه يتوقف فجأة في نصف الطريق — ينظر حواليه ثم يخلع قميصه بسرعة ويرتد نحو «الشيء» ويغطيه بالقميص وينهال عليه لكما فيما ينظر حواليه مفتشا عن اداة اكثر فتكا .. مصدرا اصواتا غاضبة وغامضة] .

[تضيء طاولة المحكمة فجأة .. ويقف رقم ١ منحنيا فوق الطاولة ويصرخ] .

رقم ١ : تكاد تقتله ايها المجرم ! كف عن ضربه ! الا تسمع ؟ اني آمرك باسم القانون ان تتوقف .
رقم ٢ : [بهدوء] والا انزلنا بك اقصى العقوبات .
رقم ١ : انني آمرك ان تكف عن لكمه .

[يتوقف المتهم عن ضرب « الشيء » ولكنه يواصل الامساك به باحكام . ويلتفت صوب المحكمة] .

المتهم : اتعتقد انني انا الذي اضربه ايها القاضي ؟
رقم ١ : [يعود فيجلس] لقد رأيتك بعيني تفعل ذلك .. وها انتذا تنكر بكل صفاقة [ملتفتا الى رقم ٢] الم نره باعيننا يضرب ذلك الشيء المسكين دون سبب ؟
المتهم : من هنا يبدأ الخطأ .. اجل ! انظروا كيف تتبدل الامور ويتهم البريء !. ايها السادة ! لم اكن انا الذي ضربته !
رقم ١ : [متهكما] من الذي كان يضربه اذن ؟
المتهم : انتم ! [صارخا] انتم جميعا ايها القتلة !

[يتقدم الشرطي فيدير الحاجز الحديدي المواجه للجمهور ، يقوم بهذه الحركة دون ان ينظر اليه احد ودون ان يتوقف سياق الحوار . يصير القاضيان الان داخل القفص وتتبدل بالتالي لهجات الحوار] .

المتهم : انتم ! اجل ! انتم الذين ضربتموه ذلك الضرب المبرح .. ثم تقولون انني انا الذي فعلت !
رقم ١ : اننا لم نفعل يا سيدي ! نقسم لك اغلظ الايمان اننا لم نفعل .. وثمة شهود رأوك تضربه بلا شفقة ..
المتهم : ان الانكار لن ينفعكم .. وثمة براهين قاطعة لا يحصيها العد ، والافضل ان تعترفوا ..
رقم ٢ : نعترف بماذا ؟
المتهم : بأنكم ضربتم المسكين دون رحمة ودون سبب ، وبادأتموه بالعدوان قبل ان تظهر حقيقة نواياه .
رقم ٢ : ولكن انت الذي ضربته .. انظر الى كفيك .. انهما حمراوان ما زالتا !
المتهم : [يرفع كفا واحدة عن الشيء وينظر اليها ثم يلوح بها في وجهي القاضيين]

ايها المحتالون ! هذه اليد لم تكن الا اداة الجريمة ولكنها ليست هي المجرمة . انها علامة فقط . ولكن من الذي ضرب المسكين ؟ انتم بالطبع ! الا تتذكرون كم وضعتم في رأسي ، يوما اثر يوم ، ان الذي يأتي من الخارج انما يأتي بحافز الشر ؟ تذكروا . .

رقم ١ : نتذكر ماذا يا سيدي ؟

المتهم : تذكروا انكم حشوتم رأسي كل لحظة بان اي شيء قادم من المجهول انما يحمل نوايا الشر معه ، وان القادمين لا بد ان يكونوا وحوشا . لم تتحدثوا ابدا عن علاقة . . تحدثتم دائما عن الغزو والقبر والمجهول المرعب الفتاك . . لم تقولوا ابدا ان المجهـــول قد يكون شيئا طيبا مسكينا يمد يـــده دون سلاح . . لقـــد حشوتموني بالرعب وبرغبة شريرة اسمها الدفاع عن النفس ، لذلك لانكم انتم انفسكم اشرار .

رقم ١ : لقد قلنا ذلك من باب الاحتياط فقط يا سيدي .

المتهم : . . وانظر اين وصل الامر بنا ! لقد كاد احتياطكم هذا يقضي على هذا الشيء المسكين . . . وكاد يؤدي الى اتهامي أنا بالجريمة . .

رقم ١ : ولكنك كنت تضربه . . رأينا ذلك بأعيننا . ان الامـــور شديدة الوضوح ايها السيد .

رقم ٢ : والقانون أيضا .

رقم ١ : بل أنت كنت تضربه بدافع من الخيبة . كنت انسانا مهجورا . لم تكن تستطيع ان تضرب اللحام ولا صاحب البيت ولا السيدة المسكينة التي لا تعرف حتى الان ماذا فعلت بالجنين الحرام الذي وضعته أنت في رحمها [يعلو صوته . الشرطي يدوّر الحاجز مرة أخرى فيعود المتهم الى قفصه] بل انت لم تكن لتستطيع ان تفعل شيئا بما يختص بالامور المعنوية أيضا . الغربة والخيبة وما شابه ذلك ، وقد أدى بك الامر الى مرارة مجنونة جعلتك تنهال على ذلك « الشيء » المسكين الطيب ضربا ولكما وركلا دونما سبب .

رقم ٢ : بل كدت تميته قبل الاوان المخصص لذلك .

« الشيء » : [يصيح بصوت مكتوم من تحت القميص فيما يغيم الضوء بالتدريج عن قاعة المحكمة] ان ذلك أفضل . . أستطيع الان أن أرى كما ينبغي . . ولكن ما الذي تفعله أنت ؟

المتهم : انني اضربك .

الشيء : كف عن هذه الحماقة ودعنا نتصرف مثلما يجب . .

المتهم : [يضربه مرة أخرى] الا تتألم ؟

الشيء : كلا بالطبع .

المتهم : وترى جيدا في الظلمة ؟

الشيء : أرى جيدا كما أنا الآن . . . لو رفعت هذا الشيء عني وأبعدت ما اتفقنا على أن أسميه ضوء .

المتهم : [يرفع قميصه عن الشيء ببطء وقليل من الخوف ، يذهب فيطفىء الضوء الاضافي ويعود متوجسا] من أنت ؟

الشيء : لنتفق أولا على الا يلحق أحدنا أذى بالآخر .

المتهم : اتفقنا .

الشيء : لقد احترقت مركبتي .

المتهم : مركبتك ؟

الشيء : كنت قادما للاستطلاع هذه المرة . .

المتهم : وحدك .

الشيء : كان معي رفيق لست أدري ما حل به .

المتهم : هل أرسلت خصيصا لي ؟

الشيء : كلا . قلت لك أن مركبتي احترقت وسقطت عندك . هذا كل ما في الامر .

المتهم : وانت تستطيع أن تتكلم ؟
الشيء : انهم يتكلمون من خلالي معك .
المتهم : ولن تستطيع أن تعود ؟
الشيء : علي أن انتظر ...
المتهم : يا لحظك التعيس ايها الغريب [يقف . يفكر قليلا] غريب حقا ! لقد جئت عند رجل يكاد يموت من الجوع .. والآن سنموت معا .
الشيء : هل تعني انه ليس عندك ماء ؟
المتهم : بلى ! كثير من الماء ولكن قليل من الاكل .
الشيء : انني احتاج للماء فقط .
المتهم : وانا وحدي ولا أستطيع أن أعنى بك كما يجب .. فأنا لم أتزوج بعد ، ويبدو ايها السيد ان المرأة الوحيدة التي كانت ...
الشيء : امرأة ؟
المتهم : اجل .. امرأة [مندهشا] ألا تعرف ما هي المرأة ؟
الشيء : لا .
المتهم : الجنس الآخر ؟
الشيء : لا .
المتهم : كيف تتناسلون اذن ؟
الشيء : اننا نزرع . اذا أردت رفيقا قطعت جزءا من جسدك ووضعته في الرمل، وسينمو ويصير رفيقا ... أو قل بالعدوى .
المتهم : مثل الشجر ؟
الشيء : ليكن . مثل الشجر ... ولكن ما هي هذه المرأة ؟ قلت انها جنس آخر .
المتهم : المرأة ؟ آه ! انها .. اوف !.. سيبدو صعبا أن أشرح لك . كيف اقول لك ؟.. يا الهي .. انها شيء جميل .
الشيء : جميل ؟
المتهم : جميل . همم .. جميل ، وامور اخرى .
الشيء : اسمع .. يبدو اننا لن نستطيع التفاهم على أي شيء .
المتهم : هذا صحيح . الضوء . العتمة . القميص . الضرب . الالم . الاكل . الشرب . ثم تأتي المرأة . اننا نتحدث كرجلين في قطارين متعاكسين .
الشيء : قطار ؟
المتهم : والقطار ايضا !.. انني اختنق .. كأن الغرفة أخليت فجأة من الهواء !
الشيء : الهواء ؟
المتهم : أن تتنفس !. ان تتنفس ايتها الشجرة !
الشيء : اسمع ! لنضع حدا لهذه المهزلة .. اننا نحتاج الى تعارف في اول الامر .
المتهم : ان اسمي ..
الشيء : دعك من الاسماء .. الا ترى ان خلافنا يبدأ منها ؟
المتهم : صحيح .. اننا على الاقل نستطيع أن نتفاهم على خلافاتنا .
الشيء : سأحكي لك عن عالمي ثم تحكي لي أنت عن عالمك العجيب هذا .
المتهم : محاولة مسلية . ولكنها مضحكة بعض الشيء . ابدأ أنت . [يسترخي]
الشيء : ان حياتنا ... نعم . حياتنا ، كنت ـــ كنت أريد أن أقول . على أي حال ، انها على ما يرام . فنحن نملك كل شيء . نعم . كل شيء على الاطلاق .
المتهم : [يضحك بصوت عال] انك تبدو مضحكا أيها الشيء العجيب .. كيف تجرؤ على القول أنكم تملكون كل شيء وقد اكتشفت لتوي انكم لا تملكون المرأة ولا الهواء ولا الاكل ولا الضوء . الضوء . يا الهي ! هل فكرت بذلك ؟ الضوء بالذات .

الشيء : كيف يتعين علي أن أبدأ اذن ؟ اننا في موقف حرج ! فكي أقول لك ما هو عندنا يجب أن أكون على معرفة بما هو ليس عندكم .
المتهم : ان مهمتنا هنا تشبه ان نبدأ بخلق العالم .
الشيء : لا . ان خلق عالم واحد اسهل بما لا يقارن من خلق عالمين .
المتهم : أنا لا أعرف ما هو ليس عندي . وأخشى أن لا أفيدك .. وانت في حال يماثل حالي .. فكي تقول لي مثلا انك لا تعرف الضوء ينبغي أن تكون في الواقع تعرف الضوء والا كيف سيخطر على بالك أن تقول هذه الجملة ؟
الشيء : اننا في وضع يائس .
المتهم : أجل .
الشيء : ومع ذلك فان شكلك يبدو لي مضحكا للغاية .
المتهم : أستطيع أن أفهم ذلك . فأنت تبدو لي مضحكا الى حد التشنج أيضا .. ومع ذلك فنحن في الواقع مكونون على نحو منطقي ، فلو كانت أصابع اكفنا ، مثلا ، أطول قليلا مما هي عليه ، لصار بوسع أي منا أن يقتلع زلعومه بنفسه متى شاء ، أما الآن فهو لا يستطيع .
الشيء : ينبغي أن تكونوا تعساء حقا حين تعتبرون ذلك انتصارا .. لماذا يريد أي منكم أن يقتلع زلعومه بنفسه ؟
المتهم : وأنتم ؟ الا يرغب واحدكم في الموت من حين لآخر ؟
الشيء : الموت . انها كلمة قديمة أسقطناها من الاستعمال ، مثلهـا مثل كلمة الالم ، أجدادنا الابعدون يذكرون ذلك . أما نحن فلا ..
المتهم : أما نحن فنعم .
الشيء : ماذا كنتم تفعلون اذن طوال الوقت الذي مضى ؟ نحـن لم نضعه عبثا . ان الواحد منا لا يمكن أن يموت الا اذا حرم من الماء . والماء متوفر في كل مكان ..
المتهم : انكم تعساء حقا !
الشيء : تعساء لاننا لا نتألم ولا نموت ؟
المتهم : نعم .
الشيء : لا بد أن خطأ ما موجود في عقولكم . او انكم تجيدون الاحتيال بصورة فريدة !
المتهم : ان الشجار لن يجدينا نفعا .. دعنا نتفاهم .
الشيء : حين تحدثت عن الشيء الذي سميته امراة .. كان وجهك يشرق بتوهج غريب .. ان هذا الشيء كما يبدو لي أغلى كنوزكم .
المتهم : انت لن تستطيع أن تفهم .. كيف ؟ انت لا تعرف ما هو الجنس الآخر ! بل انت لا تستطيع أن تطفيء ضوءا اذا أردت أن تختبيء .
الشيء : أنتم سعداء اذن ؟
المتهم : بالطبع .
الشيء : جدا ؟
المتهم : كفاية ، ولكن بصورة لا تستطيع ادراكها .

[يقف ويبدأ في التجول في الغرفة وكأنـه يحلم فيما يتحدث بصوت شاعري . وفي الوقت المناسب يبدأ الضوء بالتوهج في غرفة المحكمة بحيث يكتمل تماما مع نهاية حديثه]

.. وكيف تستطيع أن تفهم ؟ انك لم تجرب لذة أن تلتصق بدفء المرأة ، عاريين . لا تعرف تلك الغيبوبة الراجفة كيف تهطل في العروق .. بل لا تعرف لذة ما هو أقل قيمة من هذا . ان تفرش نفسك في الشمس ، أن تنتظر الشروق . أن تمطر السماء فوق شعرك . لا تعرف . لا تعرف لحظة الذروة في اللذة ، لانها مزيج من الالم والسعادة ، كمن يضرب

على قصبة ساقه ، ولكنك لا تعرف الالم . الهواء . الضوء . بل أنت لا تعرف معنى أن تحب وأن تحب . المرأة ، مرة أخرى . أنت محروم من لذة الاكل . مـــن لذة الجوع المتحفز . ماذا أعدد لك ؟ الصداقة . الفرح والحزن . الوصول . الهزيمة والنصر . الخيبة أيضا . الانتصار مهما كان صغيرا . دعني أوجز لك الامر : أن تخرج ذات يوم مع امرأة تحبها وتحبك فتغتسلان بحرارة الشمس وتأكلان وأن تعودا بعد ذلك للفراش فتنجبا الاولاد . الاطفال ! أنت لا تعرف هذه السعادة أيضا .. فكيف تريد أن نتفاهم ؟

[تضيء قاعة المحكمة الآن تماما]

رقم ١ : أيها الافاك المخاتل !
رقم ٢ : أيها الكذاب .
رقم ١ : لقد كنت تخدع ذلك الشيء المسكين !
رقم ٢ : قاتل وكذاب أيضا .
رقم ١ : كنت ، وأنت تعدد للمسكين الجاهل كل هذه الامور البراقة ، رجلا مهجورا ، لا صديق له ، يكاد يموت من الجوع ، لا يجرؤ على المرور من أمام دكان اللحام ، منبوذا محطما فاشلا حزينا ... ثم كنت تخدع المسكين !.
رقم ٢ : أغلب الظن انه مات قهرا لان كل تلك السعادة فاتته .
رقم ١ : ربما كان هذا بالذات أداة الجريمة البشعة .
المتهم : يا سيدي .. تصور أن تكون في عالم مثل عالمه ... ألا يذكرك ذلك بشيء في عالمك ؟
رقم ١ : ما الذي تعرفه عن عالمه أيها الدجال ؟
رقم ٢ : لا شيء .
رقم ١ : محتال .
المتهم : انهم لا يعرفون الضوء .. عالم دون شمس . لا يستطيع أحدهم أن يجلس أمام مدفأة ، ليس عند أي منهم عضو تناسلي .. ان لذلك نتائج خطيرة جدا : اذن فهـــم لا يحفظون أية أغنية لهدهدة طفل ، ولا توجد في أسواقهم دكاكين لبيع لعب الاطفال .. تصوروا ، تلك الدببة اللطيفة المحشوة بالقش والقطط والثعالب والسيارات الخشبية..
رقم ١ : أنت تتحدث عن ذلك كله في الليل . بينما كنت في الصباح عازما على قذف السيدة عن السلم كي تجهض ابنك الحرام !
رقم ٢ : وتتحدث عن الضوء فيما هم يستعدون لقطع الكهرباء عن بيتك لانك لـــم تسدد فواتيرك .
المتهم : لم يكن باستطاعتهم أن يمنعوني من مداعبة طفل في الطريق ، ولا من الرؤيا في ضوء الشمس .
رقم ١ : بلى . لقد قصرت في واجباتك وكان بوسعهم وضعك في السجن .
رقم ٢ : [وهو يلوح بالحبل] أو شنقك في الليل .
رقم ١ : لماذا لم تقل له ان الجنين الحرام في رحم السيدة كان يجثم بمؤخرته فوق قلبك ؟
المتهم : لقد عرف ذلك بنفسه فيما بعد ، أن أمورا من هذا النوع لا يمكن اخفاؤها عن شخص يعيش معك في الغرفة ذاتها ، فبعد يومين من الاحاديث حول مختلف المواضيع جاءت السيدة لزيارتي

[يغيم الضوء بالتدريج عن غرفة المحكمة فيما تبدو السيدة عبر باب الشرفة تصعد الدرج]

كنا قد صرفنا وقتا طيبا ونحن نتحدث . باختصار أيها السادة صرنا أصدقاء ، وكان كل ما يحتاجه هو الماء

[ينهض ويحضر كوب ماء يضعه أمام الشيء ، وفي اللحظة ذاتها يرى السيدة على وشك الدخول فيتناول قميصه الذي ما يزال ملقى على الطاولة ويغطي به الشيء ويتجه لاستقبال السيدة]

السيدة : جئت معي بأمي فقد يساعد ذلك على التفاهم .

[تدخل الام]

الام : [تخاطب السيدة] قلت لك منذ البدء انه رجل دون مستواك . انظري كيف يستقبل سيدتين وهو بملابسه الداخلية . انه عديم الذوق وفي الحقيقة انه داعر . [متجهة للمتهم] انت بحاجة الى من يعلمك الادب والتهذيب ، ومع ذلك فمشكلتنا الآن اكثر تعقيدا من مجرد استقبالك لنا بالملابس الداخلية .

السيدة : والآن هدئي أعصابك .. ان الشجار ينبغي أن يأتي في النهاية . لماذا لا تلبس قميصك ؟

المتهم : لانني اشعر براحة اكثر هكذا .. أنت لم تصيري زوجتي بعد .

الام : ولن تصير .

المتهم : اذن انتهى الموضوع الذي جئت من أجله يا سيدتي ، اذن .

الام : لا . لم ينته . ولكنه بدأ . ستدفع الثمن غاليا اذا كنت قد خلعت عقلك من رأسك كما خلعت قميصك .

المتهم : [باستفزاز] ماذا تستطيعين ان تفعلي يا سيدتي ؟ ان صوتك يحمل تهديدا وأنا لا أحب هذه اللهجة .

الام : ماذا أستطيع ان افعل ؟ سأعدد لك : أستطيع أن أرفع عليك دعوى . أستطيع أن أرسل لك أخاها فيذبحك ويغسل عار العائلة . أستطيع أن أنهال عليك ضربا الآن .. أستطيع أن أروي القصة لخال السيدة فيضعك في السجن حتى تموت ..

[ينبثق صوت « الشيء » من تحت القميص وكأنه صدى]

الشيء : دعوى . ذبح . عار . ضرب . سجن .. ها ها ها .

[يندفع المتهم ويضع يده مضطربا فوق القميص]

الام : [مندهشة وخائفة] ما هذا ؟ لقد سمعت صوتا .

السيدة : جاء من تحت القميص .

[تحاولان الاتجاه نحو القميص فيقف أمامهما]

المتهم : لا .. لا شيء .. انها آلة تسجيل ..

الام : أنت اذن تسجل أقوالنا لاستعمالها ضدنا .. [الى السيدة] قلت لك منذ البدء انه حقير .

السيدة : انني أتساءل من أين أحضر ثمن آلة التسجيل مع انه قال لي أمس الاول انه لا يملك فلسا يشتري به خبزا .

المتهم : [محاولا تغيير الموضوع] أيتها الجميلة .. ويا سيدتي العزيزة ! دعونا نحل المشكلة كما ينبغي ، وبأهون السبل . نتزوج . ويصير الجنين ابننا المشروع ..

الام : [مقاطعة] تتزوج ؟ انت تتزوج ؟ انت المفلس تتزوج وتتحدث عن الطفل أيضا ! الطفل الحرام الذي جاء ثمرة احتيالك على هذه المسكينة . رجل بلا أصل تريد الزواج من السيدة . اسمع أيها المحتال : يجب ان نعمل على اسقاط الجنين فورا ، ويجب أن تعيد كل رسائل السيدة اليها . وتدفع حصتك في التكاليف .

الشيء : مفلس . زواج . طفل حرام . بلا أصل . اسقاط الجنين . رسائل . تكاليف .

المتهم : اسكت أيها الأحمق !

الام : من هذا ؟ ماذا يجري هنا ؟ اننا في غرفة مجنون يا سيدة !
الشيء : لا يشتري خبزا . حقير . آلة تسجيل .
المتهم : قلت لك أسكت .
الام : أريد أن أفهم ما الذي يجري هنا .
السيدة : اعترف .
المتهم : [منتفضا تحت وطأة فكرة جديدة . يتجه نحوهما ويمسكهما بحنان من ذراعيهما ويتكلم همسا] قد يكون هو الحل .
الام : [بصوت عال] ما هو هذا الحل ؟
المتهم : اخفضي صوتك لئلا يسمع ... انه شيء ثمين . يا الهي كيف الهمتني هذه الفكرة المنقذة . اسمعوا : اذا عرضناه للبيع فقد يدفعون خمسة آلاف ليرة ثمنا له .
الام : [ساخرة] أنت تملك شيئا ثمنه خمسة آلاف ليرة ؟ انني أراهن انك وضعت جواربك تحت هذا القميص القذر كي تخدعنا .
المتهم : اقسم لك بشرفي انني لا أكذب ولا أخدع ..
الشيء : شرف . كذب . خداع .
المتهم : هل سمعتما ؟ [همسا] انه مخلوق عجيب عثرت عليه .
الام : ومن أين جاء ؟
المتهم : [فخورا ومشيرا الى فوق] من هنا .
الام : ما رأيك أن تحتفظ بأربعة آلاف وتسعمئة ليرة وتعطينا الآن مئة ليرة فقط ؟
السيدة : [ببطء وقد تغيرت لهجتها] اسمعي يا ماما ... قد يكون على حق . لنعالجه في منتهى الحرص .. الم نقرأ في الصحف أمس ان جسما غريبا دخل الى الفضاء الارضي وانفجر وان شيئين مجهولين سقطا منه ؟
الام : ولكن هذا شيء واحد .
السيدة : دعونا خارج التفاصيل . هل استطيع ان القي نظرة عليه ؟
المتهم : كلا ! ان ذلك يفقده نصف ثمنه على الاقل .
الشيء : تبيعني أيها الصديق ؟
المتهم : اسكت أنت الآن .
الام : انني أقسم بكل شيء انك مخاتل قذر . محتال من الدرجة الاولى . ومع ذلك فان يومين آخرين من الانتظار لن يجعلا بطن السيدة أكبر مما هو الآن ، بحيث يظهر للعيان [الى السيدة] تعالي .

[تخرجان . يراقبهما حتى يغيبهما الباب ثم يعود فيرفع القميص عن الشيء]

المتهم : كيف حالك الآن ؟
الشيء : كالعادة .
المتهم : أنت لست غاضبا من سلوكي ؟
الشيء : لقد خدعتني وها أنتذا تريد أن تفرط بصديقك الوحيد .. أتذكر كيف أقسمت أمس انني شيء مهم بالنسبة لك ؟
المتهم : ولكنك سمعت بنفسك ما دار في هذه الغرفة قبل قليل .. ولو لم تتكلم في الوقت غير المناسب لكنا ، أنت وأنا ، في مأمن .
الشيء : الحب ، الاطفال ، الضوء . أن تنام مع امرأة . أن تأكل ..
المتهم : [مقاطعا] كفى .. انها أمور تحدث.. [بعد قليل] هل تعتقد حقا انني سأفرط بك ؟ لقد قلت ذلك لابعد الكابوس فقط .. أنت الشيء الوحيد في عالمي [مفكرا] بل أنت عالمي في الحقيقة .

[تبدو السيدة مرة أخرى عائدة على الشرفة ـــ يسارع المتهم فيغطي الشيء بالقميص]

السيدة : لقد تخلصت من أمي وعدت لك يا حبيبي ..

المتهم : ما الذي تريدينه الآن ؟

السيدة : أريد أن أعتذر عن أمي . ولكنك تستطيع ان تفهم . انها امراة عاطفية تحبني كثيرا وتخشى عليّ .. اما انا فمعك على استعداد لمواجهة طوفان برمته .. ان الامور مهما قست ستنتهي الى حل .

المتهم : بالطبع .

[صمت بارد . تنظر الى القميص]

السيدة : دعني ألقي نظرة على هذا الشيء .

المتهم : لا .

السيدة : متى ستبدأ الاتصال من أجل بيعه ؟

المتهم : لن أبيعه . انه صديقي . انه في الواقع عالمي كله .

السيدة : دع الامور تسير بيسر أيها العزيز .. لا تعاند . كـــن واقعيا . تصور كيف يستطيع صديقك مساعدتنا بلا حدود . صديقك الطيب . نتخلص من الجنين وتسدد ديونك وندخل دخولا رائعا الى حياة زوجية لا تنتهي سعادتها .. بل تصور انه يستطيع تخليصك من السجن . قال لي اللحام الآن ان جميع اصحاب الدكاكين في الحارة قـــد تضافروا لرفع الدعوى ضدك ... انها فضيحة حقا .

المتهم : لن أبيعه .

السيدة : أيها العزيز !

المتهم : كيف سيكون بمقدورك أن تفهمي ؟ أقول لك انه عالمي .

السيدة : انه عالم آخر ، شديد البعد .

المتهم : لا . لم يعد كذلك . انه عالمي الخاص .. دونه سأشعر بالعري .

السيدة : [ساخرة] انك عار الآن !

المتهم : أنا لا أتحدث عن القميص أيتها الغبية .

السيدة : وأنا لا أتحدث عن القميص ..

المتهم : عم تتحدثين اذن ؟

السيدة : عن كل شيء . الاصدقاء والحرية وانا . الحب والطعام والكبرياء . الراحة والقدرة على ملء فرص السعادة .. أنت الآن عار منها جميعا ودفعة واحدة .

المتهم : ليس كما تظنين !

السيدة : بلى . وانت مكابر وعنيد . ان اصرارك على الاحتفاظ بهذا الشيء هو بمثابة اصرارك على المنفى .

المتهم : غبية .

السيدة : انت الغبي . فكر قليلا . انه مخرجك الى العالم الحقيقي .

المتهم : لا . انه مدخلي للعالم الحقيقي .

السيدة : لو بعته لاستطعت ان تصبح ديكا قرمزيا .

المتهم : في قن والدتك .

السيدة : دع والدتي خارج الموضوع الآن ... الست ترى الامر بالوضوح الجدير برجل عاقل مثلك ؟ ما الذي ستفعله بهذا الشيء ؟ انه عديم النفع بالنسبة لك . ولو بعته لأتحت الفرصة لكسب علمي هائل للعالم كله ، ولانقذت نفسك في الوقت ذاته وعدت على سجادة حمراء الى العالم ، الى الناس . الى الحب .. الى كل شيء .

المتهم : [غاضبا] لا تغرري بي . انت لا تعرفين كيف تشرق الشمس مع هذا الشيء

وكيف تتوهج خدود الاطفال وكيف تضحي المراة سعادة حقيقة . لا تعرفين كيف يصير للهواء طعم اللذة وكيف يصير بوسعي أن أمسك الضوء بيدي واتعلق به كما يتعلق الطفل بالغصن .. اجربت عمرك أن تسمعي الموسيقى معه ؟ أن تتفرجي على الالوان ؟ أن ترقصي ؟ أن تنامي ؟ أن تأكلي ؟ أن تصهلي في الحقول وعلى رمال الشواطىء ؟ أن تكوني صديقة أو حبيبة أو طفلة ؟ أو تناضلي في سبيل طمس الالم ؟ أن تبني دنيا من العواطف ؟ أن تبعدي جدران هذا العالم المزدحم عن بعضها وتمدي الهواء فيما بينها ؟ ان تسافري من أقصى الارض الى أقصاها في لحظة ؟ وقبل ذلك كله : أن تكوني حقيقية ولو مرة واحدة في عمرك ؟

السيدة : هراء ! هراء ! ان العالم الحقيقي وراء هذا الحاجز [تشير الى حاجز الشرفة] وهو طريقك الوحيد الى هناك . ضع عقلك في رأسك ايها الطفل العزيز المسكين . ان هذا الشيء هو الانقاذ .

المتهم : انه الانقاذ .

السيدة : اعرف انك تقصد عكس ما اقصد ولكن ..

المتهم : لماذا لا تكفين عن هذا الهراء فتركضي وراء سروال أمك وتغيبي من هنا الى الابد ؟ هل تسمعين الى الابد [يمسك بها ويجرها جرا تقريبا الى الباب] لا أريد أن أراك .

[يعود فيرفع القميص ـــ تصدر عن الشيء قهقهة صغيرة]

الشيء : أنا لست أكثر غربة منك [يضحك بعنف] أنا لست أكثر غربة منك !

[يحمل المتهم قميصه بغضب ويضعه فوق الشيء بعنف ، فيما يواصل الشيء قهقهته وتضيء فجأة غرفة المحكمة ويأخذ رقـــم ١ ورقم ٢ يضحكان بعنف .. فيما يظل المتهم واقفا يرتجف بالغضب]

« ستـــار »

المشهد الثاني

● المنظر نفسه . غرفة المحكمة مظلمة ●

الشيء : يبدو لي انني سببت لك مشاكل غير متوقعة . انك مطوّق الآن .

المتهم : [قلقا] ليس تماما . اذا احتفظت السيدة بفمها مطبقا فان الامور ستجري على ما يرام ، اما والدتها فانها لا تصدق شيئا .

الشيء : انت تفضل لو ان السيدة كوالدتها ؟

المتهم : كيف ؟

الشيء : أي انها لم تصدقك .

المتهم : طبعا .

الشيء : أحيانا تبدو لي شديد التناقض ! انظر الى نفسك ! كم تحدثت لي خلال الايام الماضية عن روعة الصدق وضرورة الثقة ، ثم ها أنت تفضل لو انها لم تثق بصدق كلامك !

المتهم : ان رأسك ، أيها الشيء ، لا يعجبني .

الشيء : لا رأس لي ، كما تلاحظ بنفسك .

المتهم : اذن كف عن نبش أخطائي .

الشيء : انني لا أنبشها ، انني الاحظها فقط .
المتهم : حسنا . انني غير راغب في بدء حفلة ملاكمة معك وانت تبدو لي راغبا في الشجار الى أبعد حد . أنت ترى ، حاول أن تفهمني . انني أحاول أن أكون شيئا طيبا .
الشيء : احذر . أنت تنزلق بصورة ستنتهي بك الى أن تدق عنقك! لا تحاول أن تكون شيئا طيبا . حاول أن تكون رجلا طيبا ، ذلك انك لن تستطيع ان تكون شيئا ، مثلي مثلا . انت لا تستطيع ان تكون الا رجلا .
المتهم : هذا صحيح ، بقدر ما هو مرعب .
الشيء : مرعب حقا . انا معك . اليوم أو غدا او بعد أسبوع سيكون عليك أن تختار : هل تريدني أم تريد نفسك ؟
المتهم : الاثنين معا .
الشيء : مستحيل . ان الواحد لا يستطيع أن يكون اثنين .

[يتجه نحو الباب ويعطي ظهـــره للشيء والجمهور ويحدق عبـــر المصراعين المشرعين الى الافق]

المتهم : ينبغي ان ننتهي من ذلك كله بطريقة ما . انظر الى هذا الافق يفرش المدى الى آخر ما تستطيع العين أن ترى . ان الالوان تأخذ فيه طعما لم يكن لها أبدا . ذلك القنديل الذي كنت أسميه شمسا . أية روعة !

[يلتفت فجأة نحو الشيء ـــ بشيء من الغضب]

أنت لا تستطيع أن تفهم ! لا تستطيع أن تفهم .. انني ها هنا أفتح مصاريع عالم يولد لاول مرة . مليء بالدهشة . اكتشفه حبة حبة مثلما يكتشف الطفل أصابعه أصبعا اصبعا . دونك سيرتد هذا العالم الى الغبار والصدأ ، وسيتداعى من جديد ركاما متعفنا وراء بكارة مزقها جيش من الرواد . انك من حيث لا تدري تمنحني النبوّة .
الشيء : انت نبي مضحك اذن ، لم تستطع رسالته الرائعة ان تمتد الى أكثر من شخص واحد !
المتهم : واي شخص !
الشيء : لا تتحدث عني بهذه السخرية . انني في الواقع ما أزال أراك مضحكا وطريفا ، وأتساءل كيف تستطيع أن تحتفظ بنفسك واقفا على هـــذه الصورة .. انت تبدو لي بهلوانا . الطاولة أكثر منطقا منك !
المتهم : انظر الى نفسك كيف تتحدث الي ! فيما كنا قبل لحظة فقط قد اتفقنا انك الوحيد الذي تلقى رسالة نبوتي !
الشيء : انا ؟ ها ! انت لم تفهمني اذن ! ان نبوتك لم تتجاوزك بعد . ان الشخص الوحيد الذي ينضوي تحت لواء رسالتك هو أنت نفسك ايها التعيس !
المتهم : وانت تعتقد ان هذا شيء لا قيمة له ؟
الشيء : الى حد ما .
المتهم : تصور اذن !.. تصور ! : ان رفيقك الذي لا نعرف على اية شرفة سقط يكرر قصتك هذه في مكان ما ، بين أربعة جدران تولد من جديد في مكان مجهول لاول مرة .. ثمة شخص آخر مثلي ، على الاقل ، في هذا العالم .
الشيء : وبينكما يتكدس كون من الغبار والقطيعة والصمت !
المتهم : ربما . ولكن ليس كونا من المستحيل ... وأنت بارد مثل سطل من الثلج .. لقد راقبتك وأنا أتحدث عن رفيقك الذي فقدته حين جئتما معا الى هذه الارض .. ومع ذلك فأنت لم تهتز ، كأن الامر لا يعنيك !
الشيء : ربما سقط على شرفة السيدة ، ووجدته أمها في الصباح فغسلته وكوته وجعلته قبعة !

المتهم : .. وها أنت تتحدث عنه كأنه قبعة فعلا !
الشيء : قبعة ، أو نبي .. انت لا تعرف كم يجعل الناس منهما شيئين متشابهين .. ان اكثر الناس يفضل أن يضع النبي على رأسه من الخارج ، مثل القبعة .. مثل يافطة ضخمة ملونة مضيئة على واجهة دكان فارغ !
المتهم : لماذا لا تفترض أن زميلك سقط على شرفة رجل مثلي ؟
الشيء : كي لا أتوقعه . كي لا أمضي ما تبقى لي من الزمن مكوّما هنا أترقب دخوله من الباب مثلما تترقب أنت شيئا مجهولا يعينك على العالم كله .
المتهم : قل لي اذن : ما الذي تتوقعه أيها التعيس ؟
الشيء : انني مربوط اليك بتلك المصادفة الرهيبة التي ستقضي علينا معا : فقد تنتهي أنت الى قصر مزدحم بالخدم والاكل ، وأنتهي أنا الى قارورة كحول على رف مختبر طموح !
المتهم : سنكون ، اذن ، متساويين ... ولكن ماذا عن رفيقك ؟
الشيء : لا توسع أشغالك . دعه في مأزقه الخاص ، والآن اعطني المزيد من الماء ..

[يتجه فيأخذ الكأس من أمامه ويذهب الى نهاية الغرفة ، وفي اللحظة ذاتها تبدو « السيدة » وهي تصعد درج الشرفة]

الشيء : بست ! بست ! انتبه !

[يلتفت المتهم فيرى السيدة ، يسرع فيضع قميصه فوق « الشيء » ويتصدى للسيدة على الباب]

المتهم : نعم ؟ الم نتفق على القطيعة ؟ لماذا تعودين ؟
السيدة : لا تحدثني بهذه الطريقة كأنك لا تعرفني . كأن ابنك لا يخفق في أحشائي .. دعني أدخل أولا .
المتهم : ليس بيننا ما يقال بعد ! لقد انتهى كل شيء !
السيدة : لا . انني لا ادفن قلبي بهذه البساطة مثلك . انني أحبك .. والآن دعني ادخل أيها الغبي ..

[يفسح لها الطريق فتدخل وتلقي نظرة جانبية على الشيء]

ما الذي حدث ؟
المتهم : بأي شأن ؟
السيدة : بشأن رجل الفضاء .
المتهم : لا يوجد رجال في الفضاء أيتها الغبية .
السيدة : أيا كان اسمه .. ما الذي حدث ؟
المتهم : لم يحدث شيء . لقد كذبت عليك منذ البدء . كنت قد قرأت الخبر الذي قرأته انت عن جسم غريب دخل الى مدار الارض فاختلقت القصة لأصرف والدتك .
السيدة : اخفض صوتك .. انها واقفة في الخارج تنتظرني وقد تسمعك .
المتهم : واقفة في الخارج ؟ أنت لا تريدين أن أرتكب جريمة قتل ؟
السيدة : لا . ستكون رجلا عاقلا ، وقد وعدتني أن تكون سيدة هادئة . انت لا تستطيع أن تمضي عمرك حبيس هذه الغرفة [تشير الى الشيء] مربوطا بخيوط غير مرئية الى شيء غريب .
المتهم : ليس ثمة أي شيء .
السيدة : [تشير الى الشيء مرة أخرى] حسنا . مربوطا الى وهم .
المتهم : أنت اذن تريدين فاتورة حتى بأوهامي ؟
السيدة : كن عاقلا أيها العزيز . لقد راجعت اليوم عالما كبيرا وحدثته عن كل شيء ..

عرض علي مبلغا يهز جبلا لو اتحت له فرصة واحدة للنظر فقط . كنت مع والدتي وقد جئنا لتونا من هناك . كانت تبكي طوال الطريق من التأثر . انه يطلب نصف ساعة فقط مقابل عشرة آلاف ليرة يدفعها لك سلفا !

المتهم : دعيه يتفحص والدتك . هذه المرأة الرقيقة ، وسيستفيد أكثر مما يستفيد من تفحص أي شيء آخر .

السيدة : عشرة آلاف ليرة ثمن نصف ساعة من الفضول ! هل تتصور ذلك ؟ انها فرصة العمر أيها العزيز .. انه لا يريد أخذه ، لا يريد شراءه ، فقط يريد أن ..

المتهم : ... أن يتعرف على رقم هويته ، ويتأكد من حيازته على شهادة تطعيم ضد الجدري .

السيدة : أنت تزداد عنادا ، ولكن ذلك يزيدني اصرارا .. انني لا أستطيع أن أشطب عواطفي بهذه السهولة ، ثم انني أم طفلك ، وهذا كله يمنحني حقوقا ... عشرة آلاف ليرة ثمن نصف ساعة من حياتك ! أن عمرك كله لم يصل سعره أبدا الى نصف هذا المبلغ .

[تضيء غرفة المحكمة]

رقم ١ : [هامسا باستثارة] اقبل فورا أيها الغبي ! انها فرصتك للتخلص من الحجز على ممتلكاتك .

رقم ٢ : واذا فعلت فستتجنب جريمة قتل لا بد أن ترتكبها فيما بعد !

[ينظر المتهم نحوهما باستغراب فيما تبدو السيدة وكأنها لا تشعر بوجودهما . لحظات من الصمت ثم يخفت الضوء في المحكمة حتى تظلم]

المتهم : [للسيدة] ان عالمك رجل سخيف . كان ينبغي أن يطلب منك نصف ساعة لتفحصي أنا .

السيدة : انت على ما يرام أيها العزيز . انه العناد الذي لا مبرر له فقط . دعني ادعو والدتي للتحدث اليك .

المتهم : دعي والدتك في الخارج اذا أردت السلام في هذا العالم .

السيدة : لا تكن عدوانيا .. ستروي لك فقط ما قال لها العالم الذي راجعناه قبل قليل ، لقد حفظت كلامه المعقد غيبا .

المتهم : لا .

السيدة : لماذا لا تستمع اليها فقط ؟

المتهم : لا .

السيدة : لحظة واحدة .. ثم قل لها : لا ! اذا أردت .

المتهم : لا . منذ الآن .

السيدة : انت جبان اذن . انت تخشى أن تقتنع . هذا كل ما في الامر .

المتهم : تقتنعني ؟ أمك التعيسة ؟

[السيدة تتجه الى الخارج في حركة توحي بأنها تريد استدعاء والدتها . المتهم يتجه الى الشيء بسرعة]

المتهم : ستظل صامتا مثل حجر .. لا تورطنا . سنعمل على الغاء القصة كلها، وسأقول انني كنت اكذب .. هل تفهم ؟

[تدخل السيدة بشيء من العصبية وتلتفت وراءها وتنادي أمها]

السيدة : ادخلي يا أمي . انه يرحب بك .

[تدخل الام مترددة ولكنها بشوشة وذات نيات تبدو انها ودية ولكنها واضحة التصنع . فورا يلفت النظر ما تضعه على رأسها : قبعة تشبه « الشيء » شبها غريبا وتبدو الى حد ما مضحكة . وفورا تنفجر قهقهة « الشيء » المعدنية عالية صخابة من تحت القميص .. المتهم يتحير ويتردد ويفزع ولكنه ، في محـــاولة للتغطية علـــى ضحكات « الشيء » ينطلق في قهقهة عالية مفتعلة .. فتسود الغرفة حالة من التوتر والحيرة وتتحول الام بشيء من السرعة الى طبيعتها السلبية]

الام : أقول لك دائما انه مجنون .. وانت تضعينني مرة بعد مرة في هذا الموقف المهين .. انظري اليه كيف يسخر مني ! يا الهي ! كيف يمكن التحدث الى هذا الرجل الافاك ؟

[تضحك بتوتر] صهري العزيز !

السيدة : قليلا من الصبر يا أمي .. ان الوحدة ترهقه والهموم تفتت أعصابه .. حبيبي المسكين !

الام : انظري اليه كيف يضحك . مثل المصاب بمغص قاتل .

المتهم : [بخوف] ان قبعتك تضحكني .

الام : لقد كنت دائما صاحب ذوق ريفي . انت لست الشخص الذي يحكم على جمال أو قبح اي شيء ، فاحتفظ بآرائك لنفسك .

المتهم : [لنفسه] على المسكين ان يظل صامتا طوال الوقت كي يحتفظ بنفسه حيا على راس هذه القمامة !

[مرة أخرى « الشيء » ينفجر ضاحكا من تحت القميص فيجاريه المتهم بافتعال ويقهقه بصوت عال ليخفي قهقهات « الشيء »]

الام : انها غرفة مجانين !

المتهم : اذن لماذا لا تغادرينها ؟

الام : هذا ما سأفعله ، حتى لو كان سقفك العاري سيمطر ذهبا !

السيدة : ماما !

الام : في سبيلك فقط يا ابنتي المسكينة سأتحمل كل حظي التعس .

المتهم : ان الطريقة الوحيدة للاحتفاظ بجمال قبعتك ، يا سيدتي ، هـــي أن تعرضيها للمطر بين الفينة والاخرى !

الام : [بنفاد صبر] سأعمل بنصيحتك يا بني . هل يسرك هذا ؟ اذن دعنا من القبعة ولنتحدث عن الشيء الذي قاده سوء حظه اليك .

المتهم : ليس ثمة أي شيء عندي . والواقع انكما سقطتما في خدعة . انا لا أملك ذلك الشيء قدر ما تملكينه أنت ، مثلا .

الام : دعنا من الفلسفة والكلام الفارغ . ان عالما كبيرا يعرض عشرة آلاف ليرة ليلقي نظرة على ذلك الشيء الغامض مدة نصف ساعة ، وأنا متأكدة ، بل انه هو نفسه قال لي ، انه سيدفع عشرة أضعاف هذا المبلغ اذا رغبت في بيع ذلك الشيء .

المتهم : مئة الف ليرة ؟

الام : مئة الف ليرة .. اقرب اليك من أصابعك ، وستكون غبيا لو تركت هذه الفرصة تمر !

المتهم : ومع ذلك بودي لو كان بوسعي أن أكسب مئة الف ليرة بهذه السهولة ، ولكن لا شيء لدي . لقد كذبت عليكما .

السيدة : بل أنت تكذب الآن .

الام : ان السيدة على حق . انت تكذب الآن .

المتهم : [ناظرا للقبعة] يا للشيء التعيس ! أية نهاية !
السيدة : أيها العزيز .. لا تضيع فرصة العمر . ضع عقلك في رأسك وادخل الى العالم بالكبرياء التي تليق برجل ذكي مثلك .
المتهم : ادخل الى العالم هذا الدخول المضحك ! مثلما تدخل أمك الى حفلة كوكتيل بهذه القبعة المبتكرة !
الام : دعك من القبعة .. انك تغيظني !
المتهم : أود لو يصل غيظك الى حد تقذفيني بها غضبا !
الام : مئة الف ليرة أيها الغبي !
المتهم : بل مئتا ألف ليرة !
الام : ربما يدفع مئتي ألف ليرة لو تركته يتفحص ذلك اللغز ! [تلتفت الى السيدة وتلكزها بكوعها] لقد بدأ فتاك يلين ..
السيدة : هل أدعوه ؟
المتهم : سيضحك عليكما حتى ينقلب على قفاه ، ثم يرسل بنا جميعا الى حبس المجانين .
السيدة : سأرى بنفسي [تتجه بسرعة نحو القميص فيحول المتهم دونها بعنف]
المتهم : لا تقتربي من قميصي !
السيدة : ماذا تخفي تحته ؟
المتهم : لا شيء . انني حر في أن أضع قميصي حيث أشاء .
السيدة : لا . انك تخفي تحته شيئا .
المتهم : لنفترض انني أخفي تحته قبعتي ؟
السيدة : قبعتك ؟
الام : قبعتك ؟ انت تلبس قبعة ؟ يا للمهزلة ! لو رأوك تحتها لاخذوك الى السيرك !
المتهم : ومع ذلك فهذا شغلي انا !
السيدة : ونحن ؟ انا وانت والطفل ؟ بل انت وحدك ! حياتك وكبرياؤك وربما حريتك وسمعتك ؟.. اين ستذهب بذلك كله ؟

[ينظر المتهم الى الام قليلا . يركز بصره على القبعة ثم يبدأ ـــ وكأنه بوحي فكرة مفاجئة ـــ يغير سلوكه تجاهها]

المتهم : حسنا ! دعينا نتحدث كأناس متمدنين ..
الام : ذلك أفضل .
المتهم : اذن استريحي يا سيدتي [يسحب كرسيا] دعيني آخذ معطفك .. [تخلع معطفها بأناقة ودلال وتناوله له] وقبعتك يا سيدتي أيضا .. [يمد يده راجفا]
الام : لا . دع القبعة على رأسي .
المتهم : ولكن خذي حريتك تماما يا سيدتي . انه بيتك . ستكونين مرتاحة أكثر دون قبعة .
الام : [بدلال] ها أنتذا أيها الشقي تعود للنيل من قبعتي .
المتهم : لا . أقسم لك سيدتي . أنا الذي أعرف قيمة القبعة في الحقيقة . ولكنني أردتك أن تشعري وكأنك في بيتك . ان قبعة من هذا النوع تتعب الرأس بلا شك .
الام : معك حق ، ولكنني أفضل أن لا أخلعها .. أنت لا تعرف كم تتعبني حين أضعها على رأسي ، ذلك يستغرق وقتا طويلا جدا : كلما ركزتها حيث أريد مالت الى جانب . انها لا تثبت على حال ، ولذلك فأنت لا تستطيع أن تخمن عدد الدبابيس التي اضطررت لاستعمالها كي أثبتها على رأسي ..
المتهم : أيها الشيء التعيس المعذب !
الام : ماذا قلت ؟
المتهم : لا شيء . انها كلمة اعتدت أن أقولها بلا معنى تقريبا بين الفينة والاخرى : ايها

الشيء التعيس المعذب ! ولكن لماذا لا تحاولي أن تريحي رأسك هنيهة وتخلعي هذه القبعة ؟
الام : اف ! انت تضيع الوقت في حديث غير مهم ..
المتهم : انها تعجبني في الحقيقة .. من أين اشتريتها ؟
[الام تنظر مبتسمة بتواطؤ تجاه ابنتها التي تبادلها النظرة نفسها ، وتضحكان ضحكة مقتضبة]
السيدة : انه سرنا . أنا وأمي . وقد تعاهدنا على الا نبوح به لاحد .
المتهم : حتى أنا ؟
السيدة : ترى لماذا تهتم بقبعة والدتي الى هذا الحد ؟
المتهم : أريد أن أشتري مثلها ..
السيدة : لمن ؟
المتهم : لك أنت أيتها العزيزة .
السيدة : حقا ؟
المتهم : طبعا ... أريد أن أراك دائما تحت شيء مثل هذا .
السيدة : ولكن والدتي تعتز بها الى حد لا تتصوره ، وأخشى أن لا يكون بالوسع شراء قبعة مثلها .
المتهم : اشتريها من والدتك [يلتفت الى الام] كم تريدين ثمنا لها ؟
الام : [تضحك] انني لا أبيعها .. ولكنك لو كنت طيبـــا وتعاونت معنا ومع الاستاذ العالم وأتحت لنفسك قبض ذلك المبلغ الخيالي فانني أعدك أن أقدم القبعة هذه هدية لك كي تعطيها للسيدة كما ترغب ... والآن ؟
المتهم : الآن ماذا ؟ هل ستخلعين القبعة ؟
الام : اف ! [تلتفت الى السيدة] انني شديدة الحيرة .. ويبدو انني سأنفجر واطق !
السيدة : قليلا من الصبر يا ماما .. ان الامور تسير على ما يرام .
المتهم : اسمعوا . دعونا ننتهي من هذه المهزلة . في الحقيقة ليس لدي هنا اي شيء ، ولذلك لا تتعبي نفسك يا سيدتي .. وبالمقابل انا مهتم جدا بالحصول على قبعتك ..
الام : يا الهي !
المتهم : اسمعي يا سيدتي ، وكوني عاقلة مثلما كنت دائما : لقد جئت الى هنا كي تعقدي صفقة ، ولكن لسوء الحظ كانت افتراضاتك خاطئة .. انني أعوضك عن هذه الخيبة بصفقة أخرى فأعرض عليك شراء قبعتك ..
الام : انك لا تملك ثمن رغيف .. ثم انني أتحدث عن صفقة بمئة الف ليرة أيها الاحمق !
السيدة : [ساخرة] ما الذي تستطيع أن تدفعه ثمن هذه القبعة ؟
المتهم : أي شيء تريدانه !
السيدة : [بهدوء ، مشيرة الى القميص] نريد هذا ! هذه هي الصفقة .
المتهم : الا هذا !. [مترددا] لانه في الحقيقة لا يوجد اي شيء تحت القميص وانا لا أريد أن أغشكما .
السيدة : نحن نقبل الصفقة دون الاستماع الى كلامك .
المتهم : ولكني لا أقبل .
الام : [تنهض بعنف] ذلك كله كلام فارغ واضاعة وقت ليس الا ! قلت لك منذ البدء انه رجل مجنون كذاب ... اما انا فسأنفض يدي من هذه القصة ، لا اريد ان اتحول الى اضحوكة للناس .. هيا بنا . دعيه هنا يموت جوعا .
السيدة : ماما !

الام : لن أبقى لحظة واحدة . أنا أعرف منك بهذا الصنف من الناس ، هيا بنا !

[تتناول معطفها وتسحب السيدة بما يشبه العنف نحو الباب .. يلحق المتهم بهما ولكنهما تخرجان . يقف لحظة مترددا ثم يصرخ عبر المصراع]

المتهم : [صارخا] امشي قليلا تحت المطر يا سيدتي .. تحت المطر بحق الاله !

[يعود فيرفع القميص عن الشيء]

الشيء : [يضحك] لقد زحزحوك قليلا .

المتهم : لا . انني في مكاني تماما . لا . في الواقع لست في مكاني . انني في وضع أفضل الآن .

الشيء : صرت نبيا يفتش عن قبعة !

المتهم : بالضبط .. هل تدري ؟ انني أعبد حماتي الآن ... لقد جاءت الى هنا تحمل الحل على رأسها .

الشيء : تقول « الحل » ؟ هاهاها ! ان طموحك السخيف يعجبني ..

المتهم : ألا تفكر بانقاذ رفيقك المسكين وانزاله عن رأس تلك المرأة ؟

الشيء : لماذا ؟ ربما كان الآن في العلبة المخصصة له يضحك علي حتى الاغماء .. هل تعتقد ان مصيره أسوأ من مصيري ؟ على الاقل انه يعسكر في مكان مرتفع ويستطيع أن يرى الاشياء والامور بصورة أفضل مني ...

المتهم : أنت لا تطاق !

الشيء : ان حماتك تقول الشيء ذاته عن قبعتها حين تتزحلق عن شعرها .

المتهم : ولكن ألا تملك شيئا من التقدير لي ؟ على الاقل أنت ترى كم اعتز بك .

الشيء : وحماتك تعتز بقبعتها .. وقد رأيت الامر بنفسك .

المتهم : اي انك لا ترى الفرق بينك وبين تلك القبعة ؟

الشيء : بلى . فرق شكلي . تلك تستر الرأس من الخارج ، وانا استر الرأس من الداخل . حماتك استعملت رفيقي لـ ..

المتهم : [يقاطعه] كفاك هراء . انني أتحدث عن حل يصلح لنا جميعا ..

الشيء : لنا جميعا ؟ انت وانا وهو والسيدة ؟

المتهم : ربما . ربما كانت السيدة فقط خارج الموضوع ، موقتا . اسمع . ينبغي في البدء ان نحصل على رفيقك بأي ثمن ، ثم نذهب جميعا الى مكان اعرفه ، لا يوجد فيه أحد . انه ارض تعيسة قاحلة كانت لجدي وأورثني اياها لانها لا تباع بنصف قرش .

الشيء : وننشيء هناك دولة .

المتهم : بالضبط . في البدء نشرع بالزراعة . زراعتك انت ، نقطع منك عرقا او عرقين ، ومن رفيقك بضعة عروق ، وهكذا نتكاثر ، ونصبح شعبا ، على الاقل لن تشكو الوحدة آنذاك .

الشيء : وانت ؟

المتهم : أغزو بكم العالم فيما بعد . ونعيد اكتشافه من جديد ... انها صفقة عادلة كما اعتقد : اعطيك عالما ها هنا والآن مقابل ان تعدني بعالم فيما بعد .

[تنتابه حمى هستيرية فيتحرك باستثارة مبالغ فيها في رقعة واسعة]

انها صفقة عادلة : انت الآن وحيد ومعذب ونهايتك مشؤومة ومهددة ولا قيمة لهـا . اليس هذا صحيحا؟ حسنا! انني أوظف نفسي عندك كالعبد، وابني لك عالما كاملا من أشياء مثلك .. ومقابل هذا أنتظر أنا حتى يتكوّن عالمك وبه أغزو عالمي الضال هذا . أخلق رجالا مثلي ، عبر أشيائك . من شرفة الى أخرى ينط جنودك كما نططت انت الى شرفتي

فقلبت كل شيء . من رجل مهزوم الى رجل مهزوم آخر ، حتى يصبح لي ، مثلما حدث معك ، شعبي وعالمي .
الشيء : انت نبي حقيقي . . . ولكن ما أدراني انك لن تجعلنا نتكاثر حتى تبيعنا بالاقفاص فيما بعد ؟
المتهم : هراء ! ينبغي ان تكون قد وثقت بي وقد رأيت بنفسك ما حدث : عدني بالجنة التي أريدها أعدك بأن لا تمضي عمرك تعيسا ووحيدا .
الشيء : ستصبح اذن ملكا على حقل من القرنبيط !
المتهم : انت لا تكف عن السخرية ، ومع ذلك فانك ترتجف حبورا في اعماقك . . . وفي الواقع انني انا الذي ادفع الثمن الاكبر : أعطيك كل شيء مقابل وعد . . .
الشيء : وماذا ستعطي أولئك الذين سينضمون الى مملكتك فيما بعد ؟
المتهم : عالما أفضل .
الشيء : انني على أي حال لا أخسر شيئا ، ولذلك لا رغبة عندي في المعارضة الان ، ولكن يضحكني جدا انك ستبني كونك الجميل هذا مبتدئا بقبعة .
المتهم : لا ! كن رقيقا . . قبعة على راس حماتي نحولها ، أنت وانا ، الى نبي مثلك .
الشيء : وهذا يعني انه يتوجب علينا ان نسرقها ؟
المتهم : لا ، نعطيها القيمة التي لا تستطيع حماتي أن تعطيها .
الشيء : ودون ذلك لا نستطيع ان نبدأ وحدنا ، أنت وانا ؟
المتهم : بالطبع لا ، أيها الاحمق ، سينتهي بك الامر الى الجنون وحدك . . ثم . . ثم ماذا لو ضاق صدر رفيقك المشكوك مئات الدبابيس على ذلك الشعر المصبوغ فأخذ يصرخ ؟ الا يعطل ذلك كل شيء ؟
الشيء : نسرق القبعة اذن .
المتهم : تماما . هذه هي الخطوة الاهم والتي لا غنى عنها لاي منا .

[تضيء قاعة المحكمة فجأة]

رقم ١ : [مخاطبا رقم ٢] سجل في الملف : جريمة الشروع في السرقة أيضا .
رقم ٢ : [دون أن يفعل شيئا] طبعا . جريمة الشروع في السرقة أيضا .
رقم ١ : وهناك جريمة أخرى سنعقد بشأنها جلسة خاصة فيما بعد .
رقم ٢ : بالطبع . جريمة الشيء حين أخفى هويته وتنكر في شكل قبعة .
رقم ١ : نوع خطير من الغش .
رقم ٢ : ولكننا الان أمام جريمة مستعجلة أكثر . . الشروع في السرقة ، ويبدو انهـا سرقة من ذلك النوع الذي يقتضي استعمال العنف .
المتهم : [مقتربا من حاجز القفص] لا أيها السادة ! لم يكن في النية استخدام العنف على الاطلاق . . كنا ننوي أن نصنع قبعة من قماش تشابه قبعة حماتي تمام الشبه ، ثم ننتهز اول فرصة فنستبدلها بذلك الشيء المسكين !
رقم ١ : [مخاطبا رقم ٢] سجل اذن : السرقة والاحتيال بما في ذلك الغش .
المتهم : انني ارفض هذه التهمة الملفقة . ان القبعة ستظل قبعة من ذات النوع والصنف، على الاقل بالنسبة للطرف المدعي .
رقم ١ : ولكن بالنسبة لك ستصير القبعة مخلوقا ثمنه مئة الف ليرة .
المتهم : بالضبط ! ولذلك فان الامر ليس سرقة . انه مضاعفة قيمة الشيء المسروق مئات المرات ، دون ان يتضرر الشخص الذي سرق . بل انني اعتقد ان الحيلولة دون حدوث شيء من هذا القبيل جريمة ينبغي أن يعاقب عليها القانون . . .

[يتقدم « الشرطي » فيدوّر الحاجز فتصبح المحكمة في قفص الاتهام

ويعود دون أن يعيره أحد أي اهتمام ، وفي هذه الاثناء يواصل المتهم كلامه كأن شيئا لم يحدث مع تغير خفيف في لهجته]

... وفي هذا النطاق أعتقد انكما تعرقلان سير العالم نحو الافضل ، وهـــي جريمة لا توازيها على الاطلاق عملية استبدال قبعة بقبعة مماثلة .

رقم ١ : ان هذا الموقف يا سيدي المتهم موقف شكلي ... فبوسعك ان تقول لحماتك الحقيقة ، وعندها سيكون بوسعها ان تبيع قبعتها لاول مختبـــر تصادفه في الطريق وتشتري بثمنها عشرين أو ثلاثين ألف قبعة مماثلة .

المتهم : وهذه هي الجريمة بالضبط .. استبدال نبي واحد بعشرين ألف قبعة .

رقم ١ : أليس ذلك ، يا سيدي المتهم ، أفضل من قبعة واحدة ؟

المتهم : ولكنها ليست قبعة ... انه شيء مسكين ثمين استخدم بصورة خاطئة وسخيفة ومحزنة ، وقد كنت أبذل جهدي لرد القيمة اليه كما رأيتم بأنفسكم قبل قليل ، وها أنتم ترتكبون فورا تلك الجريمة الرهيبة فتحاولون منع حدوث ذلك .. انني أطالب بتفسير .

رقم ٢ : التفسير هو : انك ستسرق قبعة تلك العجوز المسكينة .

المتهم : لا . انتم الذين تتواطأون على خداع تلك السيدة وخداع العالـــم كله . كنتم تريدون من كل الرجال والنساء الذين شاهدوا حماتي أن يسقطوا ضحية تلك الخدعة القذرة فيقولون كلما مروا بها : « ما أجمل قبعة تلك السيدة ! » . في حين انها ليست قبعة . اما أنا فكنت أريدهم أن يقولوا : « ما أجمل قبعة السيدة » حين تكون قبعـــة حقيقية ...

رقم ١ : هل كنت يا سيدي تريد اعطاء القيمة الحقيقية للقبعة أم للشيء ؟

المتهم : للقبعة بالنسبة للسيدة ، وللشيء بالنسبة لي .. تصوروا لو أن المسكينة العجوز امتنعت عن السير تحت المطر فمات ذلك الشيء من العطش ، وجاءت ذات يوم لتلبس قبعتها فوجدتها رمادا .. أي حزن كانت ستسقط فيه ؟.

رقم ١ : أنت على حق يا سيدي .. كانت ، عندئذ ، ستفقد قبعتها الجميلة ..

المتهم : اما انا فكنت اريد ان أعطيها قبعة حقيقية بالوسع غسلها وكيها وصبغها احيانا ونشرها في الشمس .. ثم ستكون أسهل للاستعمال ..

رقم ٢ : [متجها لرقم ١] انه ، نوعا ما ، على حق .

رقم ١ : [للمتهم] اننا نعترف يا سيدي بالشروع بارتكاب تلك الجريمة ، لو تفضلت فقط فأجبتنا على سؤال واحد : هل كنت تستطيع استبدال قبعة السيدة بقبعة اخرى مثلها تماما ، شكلا وموضوعا ؟

المتهم : شكلا نعم . الى حد ما بالطبع . لن يكون تشابها مطلقا ولكنه تشابه لا تستطيع الا مختبرات عالم فضائي كشف نواقصه .

رقم ٢ : [متحفزا] وموضوعا ؟

المتهم : موضوعا ؟ بالطبع لا . انني أعطيها قبعة مقابل قبعة من حيث الشكل تقريبا ... ولكن من حيث الموضوع أعطيها قبعة مقابل جنة .

رقم ١ : سرقة مع الغش .

رقم ٢ : سرقة مع الغش . بالطبع .

المتهم : لا ! لا ! لا !

رقم ١ : من أدراك ان قبعتها لم تكن جنتها الصغيرة الخاصة ؟

[يتقدم « الشرطي » مرة أخرى فيعيد الحاجز الى وضعه السابق ، بالحركة نفسها المشار اليها فيما سبق]

المتهم : ومع ذلك فأنتم تختارون ما هو رهيب حقا . تختارون ثلاثين الف قبعة مقابل ثلاثين الف نبي . فترينة مزدحمة بالقبعات بدل جيش من الرواد ... وما هي الحجة

التافهة التي تستخدمونها ؟ جنتها الصغيرة الخاصة ! جنتها الصغيرة التافهة ! جنتها الصغيرة المزورة !

[يعود « الشرطي » الذي لم يكن قد غادر المسرح تماما فيمسك بالحاجز الا انه يظل واقفا هناك مترددا]

رقم ١ : أما أنت ، فتعيش على وعد ، وفي الواقع انك تسرق قبعة مقابل وعد ، فتحرم السيدة من قبعة ويظل الوعد عرضة للسقوط .

المتهم : ورغم ذلك ، فأنا لم أسرق القبعة .

رقم ١ : حاولت .

المتهم : نعم ، ولكنني فشلت .

رقم ١ : [لرقم ٢] لنحاكمه اذن على فشله .

رقم ٢ : لو فعلنا فسيغضب الى حد الجنون رغم ان دفاعه عن سرقة القبعة كان حارا ومحزنا الى حد يمكن أن نعتبر الفشل في تنفيذ تلك السرقة جريمة كبيرة .

رقم ١ : انه يحيرنا . لا يريد ان يحاكم بمنطق القانون ولا يريد أن يحاكم بمنطقه الشخصي .

المتهم : يجب أن تحاكموا حماتي لانها أحبطت منطقكم وأحبطت منطقي في وقت واحد .

رقم ١ : أين حماتك ؟

المتهم : باعت قبعتها .

رقم ١ : لمن ؟

المتهم : لامرأة أخرى .

رقم ١ : من هي ؟

المتهم : باعتها بدورها لامرأة ثالثة .

رقم ١ : أين هي ؟

المتهم : باعتها هي الاخرى .

رقم ١ : والآن ؟

المتهم : ما تزال تباع بسرعة كبيرة . بسرعة يستعصي معها على بطل العالم في الركض أن يلحق بها .

رقم ١ : وأنت ؟ ماذا كنت تفعل ؟

المتهم : كنت أركض . . ولكن يبدو ان القبعات اسرع انتشارا من الانبياء . . . فجأة صار الشارع مليئا بالقبعات من ذات الطراز ، في الواجهات ، وراء المنعطفات ، في الحفلات ، على رفوف الخزانات . . آه أيها السادة ! آه أيها السادة ! هل تتصورون ؟ كيف يمكنني العثور على ذلك الشيء المسكين في تلك الغابة من القبعات ؟

رقم ١ : وماذا فعلت ؟

المتهم : حملت الشيء المسكين [مشيرا الى الشيء الساكن على الطاولة] ووقفت على الرصيف ، وأخذنا نصفر معا لكل سيدة تضع على رأسها قبعة من ذلك الطراز ، على أمل أن يبادلنا الصفير .

رقم ١ : ولم يحدث أن سمعتما قبعة من تلك القبعات تصفر ؟

المتهم : لا . ففي ذلك المساء حسبوا انني أصفر للسيدات ، واحتجزوني في الحبس بتهمة الاساءة للاخلاق العامة ، وفي الصباح توقفت عن الصفير ، فأنا لا أحب السجن بتهمة الاساءة للاخلاق حين يكون هدفي الحقيقي تحسين هذه الاخلاق .

رقم ١ : وحماتك ؟ الم تدرك ابدا انها كانت تضع على رأسها مئة الف ليرة دون ان تعرف؟

المتهم : مئة الف ليرة ؟ لقد كان يا سيدي شيئا لا يقدر بثمن ! لقد كنت أحاول أن أعرّفها على قيمة ذلك الشيء وليس على ثمنه . . أتفهمون ؟

رقم ١ : [مع رقم ٢ ، في وقت واحد] لا .
المتهم : [ينظر الى الشيء على الطاولة] هل سمعت ؟ انهم لا يفهمون ! لا يعرفون الفرق بين القيمة والثمن .. المسألة بالنسبة لهما هي مسألة الفرق بين قبعة رخيصة وقبعة غالية ! [ينصرف الى « الشيء » فيما يغيم الضوء بالتدريج عن رقعة المحكمة]
الشيء : انني أشفق عليك أيها الصديق .. وأحيانا يؤنبني ضميري .
المتهم : يؤنبك ضميرك ؟ انظر الى حالتك ! ضميري انا الذي يؤنبني ! انظر كم انت وحيد ومهزوم .. اما انا فأستطيع ، على الاقل ، أن أرتد الى عالمي ..
الشيء : حتى تلك الردة صارت مستحيلة .. انت تستطيع أن تتخلص من قبعة ولكن ليس من نبي .
المتهم : ولذلك يفضلون القبعات ؟
الشيء : أجل .. ويختلفون عليها . قبعات رخيصة وقبعات غالية . انه حوار في قفص الامان ، ولكن من يجرؤ ان يضع قدمه خارج ذلك القفص ؟
المتهم : يخيل الي أحيانا انك عبء .
الشيء : أحيانا ؟
المتهم : دائما .. وها نحن لا نعرف ماذا يتعين علينا أن نفعل : فلا أنت تستطيع ان تعود الى عالمك ، ولا انا استطيع ان اعود الى عالمي .
الشيء : مثل الفكرة .
المتهم : ماذا قلت ؟
الشيء : قلت مثل الفكرة ، اذا ولدت فليس بالوسع التخلص منها .. بالوسع خيانتها فقط ... ولذلك ترى كم هو سهل بالنسبة للكثيرين ان يضعوا الافكار فوق رؤوسهم كالقبعات ، ولكن دون أن يتركوها تغوص الى داخل رؤوسهم [رأس رجل يظهر وراء حاجز الشرفة متجها نحو الغرفة] .
الشيء : لقد جاءك ضيف ، اسرع .

[المتهم يغطي الشيء بقميص ، ويتجه نحو الباب] .

الساعي : برقية لك . [يتناولها] وقع هنا . [يوقع] اكتب اسم والدتك هنا [يكتب] اعطني سيجارة [يعطيه] اشعلها لي ارجوك [يشعلها] اوف ! [يمتص نفسا عميقا ويخطو الى الداخل بلا كلفة] انني اشكو من مرض خطير يتعلق بعملي ، مرض لا شفاء منه . ففي حين أن مهمتي تقتضي مني ان اكون اقل الناس فضولا فانني على العكس اكثرهم فضولا [يشير الى البرقية في يد المتهم] انني محكوم بالعذاب . [المتهم ينظر اليه بفضول] انني سريع التأثر ولكنني أمين ايضا . وبعد أن أنتهي من عملي اذهب الى البيت [يقترب منه] انني اعيش وحيدا كما تعلم . واتذكر واجلس وابكي واضحك ويستثيرني الفضول واحيانا افكر . ابكي لموت سيدة فاضلة ، وافرح لارث مفاجيء ، وافكر بمعضلة ، واحسب كيف ينبغي أن يدفع قسط مدرسة ذلك الصبي الشقي الذي كتب لوالديه يشكو افلاسه . وهكذا صارت دراجتي كوكبا صغيرا . [يمتص نفسا اخر بشوق] والان : اقرأ لي البرقية .
المتهم ، [يفتح المغلف بلا وعي ، يقرأ ببرود ، ينظر حواليه بشيء من الاستثارة ، ثم يقرأ بصوت عال كأنما لنفسه] : سندفع لك فورا مليون ليرة ثمن السر الذي عندك — [ينظر الى ساعي البريد] انها من مختبر ابحاث مهم .
الساعي : مليون ليرة ؟ اقرأها مرة اخرى . تأكد من ذلك . ان احدا يضحك عليك بلا شك .
المتهم : [لنفسه] مليون ليرة فورا [مشدوها] مليون ليرة ؟

(ستار)

المشهد الثالث

[المشهدان الاول والثاني نفسهما ، الامور الاضافية هي : اكـوام من الرسائل والاوراق على طاولة المتهم ــ آلة كاتبة ايضا ــ حيوية اضافية تلاحظ بوضوح على المتهم ، المستغرق في القراءة وفتح الرسائل ...]

المتهم : ومع ذلك فانا لن اتخلى عنك ايها الصديق . اقسم لك بكل شيء . بكل قبعات العالم .

الشيء : لقد اغتاظت السيدة منك الى حد فضحت سرك الصغير . ان مختبرات العالم تتلوى فضولا .

المتهم : آخر العروض ؟

الشيء : مليون ونصف . في الرسالة التي امامك مباشرة . والشروط معقولة ، وكذلك يبدو أن سمعة ذلك المختبر سمعة جيدة ... انهم يعدون بأن يطلقوا علي اسمك حفاظا على حقوقك .

المتهم : سنكتب لهم لا . بقليل من التهذيب ، وليس كما فعلنا سابقا .

الشيء : هناك عروض اخرى : من مصنـــع للالبان المعلبة . شركـــة طيران . متحف زراعي . مصنع للطبع على الانسجة . كلية الاداب . قسم الشعر في جامعة اكسفورد . مشروع السنوات العشر للنزول عـــلى القمر . جمعية تحسين العلاقـــات الفضائية . شركة افلام هتشكوك . مؤسسة الرفق بالحيوان . المقر البابوي في الفاتيكـــان . دار نشر فرنسية . دائرة الاستخبارات الاميركية والروسية والصينية والانجليزية والفرنسية والالمانية والكوبية . دار شهيرة لعرض الازياء . مختبر الابحاث الجرثومية . مليونـــير سويسري يجمع الطرف واللوحات وخصوصا لوحات بيكاسو وسلفادور دالي . عروض اخرى اهمها من طفل في الهند ضيع في الاسبوع الماضي مخلوقه الفضائي الخاص الذي كان يربطه بخيط من القنب ، وعرض من مصور صحفي ناشيء يريد ان يحقق انتصارا يضمن مستقبله المهني . وهناك عروض من ...

المتهم : [مقاطعا] كفى . كفى ! ذلك شيء يبعث على الجنون !

[تتخذ الحركة عـــلى المسرح ، منذ الان ، طابعـــا هستيريا مختلطا ومتداخلا] .

.. ذلك شيء يبعث على الجنون [يضرب على الالة الكاتبة] .

الشيء : وعرض من فرقة للالعاب البهلوانية وترويض الحيوانات المفترسة ، يتيح لك ان تظهر معي في جميع العروض .

[يدخل ساعي البريد ، يضع رسالة ، ويأخذ ورقة ويخرج مندفعا]

الشيء : عرض جديد بمليوني ليرة من الحكـــومة الكندية ، انها بحـــاجة الى مزيد من السكان ليعملوا في اراضيها [يعود الساعي للحظة] .

الساعي : نصف بالمئة لي . عدني . [يخرج]

[تنطفيء الاضواء ، ويعم المسرح الظلام . رقعة صغيرة من الضوء تضيء فجأة الوجوه فقط على المسرح . لا تنتقـــل من وجه الى وجه ولكنها [تنفجر] فجأة على وجه ما وتنطفيء مع انتهاء الجملة] .

المتهم : لا . ان ذلك يبعث على الجنون [يضيء وجه السيدة] جنون .. جنون [يضيء وجه امها] غبي . احمق . [يضيء الشيء] مصنع لحبوب ضد الزكام مستعد لشراء الاسم [يضيء وجه المتهم] اسم مقاومة الزكام [يضيء وجه الساعي] حصتي مـــن

هذا الركض كله . [يضيء وجه المتهم] انهم يشترون ... [يضيء وجه السيدة التي تكمل] يشترون لك مستقبلا رائعا [يضيء وجه امها] لم تحلم به ابدا [يضيء وجه رقم ١] ينقذك من ورطة [يضيء رقم ٢] اولها الحجز على ممتلكاتك . [يضيء وجه المتهم — مكملا] للقبض على ذلك المسكين ، كانني مخبر سري من الدرجة الثالثة [يضيء وجه رقم ١] اخفاء معلومات لصالح البشرية . [يضيء الشيء] السعر يتصاعد : مليونان ونصف المليون [يضيء وجه السيدة] نقدا [يضيء وجه الام] وفورا . [يضيء وجه الساعي] الكف عن فتح رسائل الناس والحزن من اجلهم . [يضيء وجه المتهم] جنون ! جنون [وجه الام] جنون ! [وجه السيدة] جنون . [تضيء غرفة المحكمة]

رقم ١ ورقم ٢ معا : جريمة قتل ، فيما بعد ، عقوبتها الاعدام شنقا .

[يضيء المسرح دفعة واحدة ، الجميع (الساعي ، رقم ١ ، رقم ٢ ، السيدة ، امها) بصوت واحد] :

الجميع : مجنون . جنون . هيا !

[ينطفىء الضوء]

المتهم : [صوته في الظلام ، ثم تضيء غرفته بالتدريج وتعود الى وضعها السابق ، هو والشيء فقط] سيدي ! [يبدأ بالضرب على الآلة الكاتبة] ابلغكم بكل سرور فرحي الشديد بعرضكم المغري لشراء ما وصفتموه بأنه سري الذي احتفظ به ، ان جهلكم بقيمة الاسرار الحقيقية يتعستني حقا ، ولذلك فأنا آسف ان ابلغكم رفضي لطلبكم ، ولكن لا مانع من ان تحاولوا مرة اخرى شرط ان تفهموا ان قيمة هذا السر ، عكس الاسرار الاخرى ، هي في ان يذاع بأقصى ما يمكن من الامانة ..

الشيء : امامك مئة رسالة على الاقل .

المتهم : [ينزع الورقة من الالة الكاتبة ويضع ورقة جديدة] سيدي : اقتراحكم لشراء اسم المخلوق الفضائي كي تجعلوه ماركة لدواء ضد الزكام لا يمكنني البحث فيه الا اذا توصلتم حقا الى دواء ضد الزكام ، الامر الذي تؤكد لي مصادري الخاصة انه لم يحصل الى الان .

[ينزع الورقة ويضع ورقة جديدة]

سيدي : اخشى ان لا يكون لجمعيتكم التي ترفق بالحيوان اي علاقة بالمخلوق الفضائي الذي هو شيء خاص [بعد هنيهة] سيدي : ان عرضكم لشراء سري الخاص كي تستعملوه في عروض ترويض الحيوانات الشرسة يتميز بقلة التهذيب والاطلاع [بعد هنيهة] ايها الطفل العزيز : ان المخلوقات الفضائية لا يمكن ربطها بخيط من القنب . ولذلك أضعت مخلوقك التعيس .. ان مخلوقا مثل الذي عندي يحتفظ به عن طريق اطلاقه . [بعد هنيهة] ان عرضكم الاخير الذي رفعتم فيه السعر الى مليوني ليرة ونصف المليون ... [يتوقف] .

الشيء : ماذا ؟

المتهم : لست ادري ... انني متعب قليلا ... مشوش في الحقيقة ... وعلي ان اقرأ تلك الرسالة مرة أخرى .

الشيء : انت تتصرف كمليونير حقيقي ..

المتهم : لقد بدأت ، بدورك ، تزعجني ! انظر كم اضحي من اجلك ثم لا تقابلني الا بالسخرية ..

الشيء : بدأت تساوم !

المتهم : لا . وانت كاذب ، واستفزازي ايضا .. ما الذي تريده ؟

الشيء : لا اعرف .. ولكن هل تعرف انت ؟
المتهم : لا . [مشوشا] دعنا نكمل هذا الجنون غدا . انني متعب .
الشيء : انت متردد .
المتهم : لا . متعب فقط .

[تدخل السيدة ، والام ، والساعي ويقفون هناك ، حول المتهم ، دون ان يتحدثوا اليه] .

المتهم : من كان يحسب ان الامور ستصل الى هذا الحد [يلتفت نحو المجموعة] قلت لكم الف مرة لا وانتم تقولون نعم .. نعم .. نعم .. [يعود الى الطاولة ويبدأ في النقر على الالة الكاتبة ، المجموعة تتحلق حوله] سيدي . [يقرع على الآلة الكاتبة بصمت] سيدي [يعاود القرع] المخلص [يتوقف هنيهة ثم يبدأ بالقرع من جديد] آمل ان اسمع منكم قريبا [يقرع من جديد — فيما يتبادل افراد المجموعة الاوراق التي تنزعها السيدة عن الآلة] .
الشيء : [صارخا] اريد ماء .
المتهم : [دون ان يكترث] دعني ايها الغبي انهي اعمالي الان .
الشيء : ماء ..
المتهم : [يقرع على الالة الكاتبة] سيدي ، ان الملايين الثلاثة التي عرضتموها ... [يصمت] اني انتظر منكم [يصمت] المخلص [يصمت] .
الشيء : ماء [ينتصب على الطاولة] .
المتهم : [يقرع على الآلة من جديد] وبالرغم من انني اعتقد [يصمت] فان شروطا [يصمت — يواصل النقر على الآلة] فأنا الاخر [يصمت] المخلص .
الشيء : ماء ايها الخائن ! ماء [يتقوض بالتدريج] .
المتهم : [يضع الاوراق امامه ويسويها بدقة ، مستغرقا] مصنع لتعليب السبانخ — مجلة سوبرمان . حلقات تلفزيون — ها ! ها ! يا للتفاهة .

[ينهض ، يتجول في الغرفة مفكرا — المجموعة الام — السيدة — الساعي يلملمون الاوراق ، والالة عن الطاولة ويتركونها عارية ويخرجون على التوالي — المتهم يقترب من الشيء ويتفحصه ، ثم يرفع رأسه ببطء باتجاه المحكمة التي تضيء فجأة بنور ساطع] .

المتهم : لقد مات ايها السادة !

[تنطفيء جميع الانوار ثانية واحدة تعم فيها العتمة ثم تنفجر دائرة ضوء واحدة على وجه رقم ١] .

رقم ١ : قتلته عطشا . ابشع انواع الموت .

[ينطفيء الضوء في ثانية أخرى من الصمت ، ثم تنفجر دائرة ضوء على الحبل الموضوع على طاولة المحكمة ثانية اخرى] .

رقم ١ : [الصوت فقط] عقوبة الاعدام شنقا .

[الظلام مرة جديدة ... ثم تضيء غرفة المتهم الذي يبدو وهو يستكمل لبس قميصه ، متخذا الوضع الذي كان عليه في المشهد الاول] .

المتهم : انا لم اقتله ايها السادة . وقد رأيتم ذلك بانفسكم . [يضيء المسرح كله] .
رقم ١ : رأينا انك قتلته .
المتهم : [ببرود] قتلته ام قتلتها ؟

رقم ٢ : انه يعود الى لعبته الخبيثة .
المتهم : اطالب بنص قانوني واضح ، يتعلق بقتل شيء قادم من الفضاء .
رقم ١ : [لرقم ٢] اللوائح تتيح له حق طلب من هـذا النوع . [للمتهم] هذا طلب تستطيع ان تبرزه في محكمة فضائية . اما هنا ...
المتهم : انا لم اقتله ... انا استخدمت لنسيانه وادى ذلك الى موته .
رقم ١ : انت خنته ، ولذلك مات .
المتهم : موافق . على ان خيانة شيء قادم من الفضاء مسألة خاصة جدا لا علاقة لهـا بالقانون . انها ليست مثل خيانة الوطن ، او خيانة الزوجة ..
رقم ١ : خيانة مبادىء .
المتهم : مبادىء غير متفق عليها . مبادىء غير مقبولة الى الان ، في الواقع ..

[يصعد الشرطي فيغير وضع حاجز قفص الاتهام فتصبح المحكمة في القفص ـ المتهم يكمل ..] .

... وانا بدوري اطالب محاكمة المتسببين الاصليين في الجريمة . [يخـرج ورقة من جيبه ويقرأ] مصانع العاب الاطفال المبتكرة في طوكيو . مختبرات العلوم الجرثومية في جنيف . وكالـة الاستخبـارات المركزية الاميركيـة . مشروع السنوات العشر لغزو الكواكب . اللجنة الدولية لتقدير موازين التسلح . اليونسكو . هتشكوك . دار الازياء الباريسية الكبرى . مؤسسة والت ديزني . مصانـع السيارات الخاصة بالتحضـير للمستقبل . مصانـع تعليب الخضار والفواكه . الشركـة المتحدة لصناعة الصلب . مجلات الكوميك . دار النشر الكبرى في لندن . جامعات . كنائس . جوامع . مؤسسات للعلوم البصرية ، والبيولوجية . عواصم العالم جميعا . طفل من الهند . سارقو موضة قبعة حماتي . حماتي . ساعي البريد ... سبعة عشر افاقا ارسلوا رسائل تهديـد ، واخيرا : انتم ... وكي اكون عادلا : فيما بعد انا .
رقم ١ : ولكن ذلك مستحيل .
المتهم : وهل هذا سبب استفرادي انا ؟ لان ذلك غير مستحيل ؟
رقم ٢ : هل تريدنا ان نضع العالم كله ، اذن ، في قفص ؟
المتهم : لماذا لا ؟
رقم ١ : ذلك صعب قليلا .
رقم ٢ : كثيرا .
المتهم : [يقلب الورقة على قفاها ويكمل القراءة] شركات التسجيل على اسطوانات ، شركات التسجيل على اشرطة ، خمس وعشرون ملهى ليليا ، سيرك ، حديقة عـامة ، اتحاد مؤلفي المسلسلات التلفزيونية ، ستة متاحف زراعيـة ، دائرة الحرب النفسية والمعنويـة في عشر وزارات دفاع موزعة في خمس قـارات ، خطيبتي ، دائرة الحجر الصحي التابعة للدولة ، نقابة اساتذة علم النفس . دكان اللحام القريبة من بيتنا ، وبائع الخضار وموزع الحليب ورئيس تحرير الصحيفة التي اشتـرك بها منذ عامين دون ان ادفع ، وصاحبة البيت و ..
رقم ١ : كفى . ذلك يكفي حقا .
رقم ٢ : لنعد الى الوقائع ، ان كل الاسمـاء التي عددتها يمكـن دعوتها كشهود .. بوسعهم جميعا ان يشهدوا بانك كنت تمتلك شيئا حيا ، وانك ـ كما تعترف بنفسك ـ قتلته عطشا فيما بعد . هذا فقط ما يهمنا هنا .

[الشرطي يغير وضع الحاجز ، فيصبح المتهم في القفص] .

المتهم : انت تستعمل الوقائع بصورة خاطئة يا سيدي : ليس بوسعك ان تقول ان ذلك الشيء كان مخلوقا حيا .. وليس بوسعك ان تقول انني قتلته عطشا .

رقم ١ : حسنا ، ماذا تريد ان تسميه انت ؟
المتهم : لقد كان ـــ انه شيء مثل الحلم ، والان ليس اكثر من قبعة معرضة للتلف .
رقم ١ : كان ماذا ؟ حلما ؟ نبيا ؟ فكرة ؟ رسالة ؟

[تعم الظلمة المكان باجمعه فجأة ، لمدة ثوان قليلة ، ثم يرتكز ضوء مفاجيء على رقم ١] .

رقم ١ : [يقف] ان المحكمة تسحب اتهامها لكم بارتكاب جريمة قتل لعدم توفر الادلة المتعلقة بالقاتل والمقتول واداة الجريمة المزعومة . براءة .

[الظلام ، مرة اخرى ، ثانية . ثم ضوء مفاجيء على المتهم] .

المتهم : انني ارفض هذا التنصل . ارفض هذا الانسحاب القذر . [الضوء يعم المكان]
رقم ١ : [ببرود] انت بريء . انت حر .
المتهم : لا ! لا ايها السادة ! اتوسل اليكم بكل قوانين الارض ، يجب ان تجدوا طريقة ما لمحاكمتي .
رقم ١ : [ببرود] نحن آسفون ايها الرجل البريء ... لقد بذلنا جهدنا ونبشنا كل حرف كتب في كل مكان . لا فائدة . ان قضيتك استباق لما عندنا ، وعليك ان تنتظر .
المتهم : ولكن ذلك مستحيل ايها السادة . مستحيل .. [يقف ، الضوء عليه فقط] تريدونني ان اخرج من هذا الباب مرة اخرى ؟ ليس بوسعكم ان تكونوا قساة الى هذا الحد ! ارجوكم .. بريء ؟ اي عبء !

[الضوء في المسرح كله] .

رقم ٢ [يطوي الحبل باعتناء ، ويضعه ببطء في درج طاولته] نحن آسفون حقا ، ليس بوسعنا ان نخدمك . نعلن لك ذلك .

[الشرطي يتقدم ، ويأخذ في جمع طرفي الحاجز مستعدا لحملهما] .

المتهم : [يتمسك بالشرطي] لا . ارجوك . دقيقة واحدة ، فقد نجد حلا ما .. ليس بوسعك ان تغفل ذلك بهذه البساطة .

[الشرطي يمضي في عمله وكأنه لا يسمعه] .

المتهم : [للمحكمة] دعونا نتعاون ايها السادة ، لنبحث عن مخرج لهذا الموقف التعيس. اليكم تهمة اخرى اقترحها عليكم بكل احترام . الالحاد .
رقم ١ : الالحاد ؟
المتهم : اجل . الالحاد ! لقد كان هذا « الشيء » رسالة كونية ، صلة وحيدة واولى مع كون لا نعرف عنه شيئا ، وحين مات بين يدي كنت من حيث لا ادري اعرقل العناية الالهية التي ارسلته ...
رقم ١ : لا . ليس من اختصاصنا منحك مثل هذا المجد .
المتهم : ان العقوبة المخصصة لمثل هذه الجريمة اكثر اثارة من الشنق ، انني ايها السادة امنحكم فرصة رائعة .
رقم ١ : ومع ذلك ، فانت رجل بريء ايها السيد .. انت رجل حر .
المتهم : يا الهي ما اقساكم . انني اكرهكم !

[الشرطي يرفع الحاجز بعد ان يتم تجميعه ويمضي به الى الخارج]

رقم ١ : حتى لو كنت قد فعلت ذلك الشيء الكريه ، فانك قد دفعت اليه دفعا ، لا حيلة لك في الامر [يخرج ورقة من جيبه ويقرأ] معامل تعليب الخضار . التلفزيون . السينما . المواصلات اللاسلكية عن طريق الاجرام الفضائية . طفل من الهند يمتلك

خيطا من القنب فقط . دار الازياء . حماتك . خطيبتك . اللحام . بائع الـ ...
المتهم : كفى ! كفى !
رقم ١ : هيا ! اذهب الى بيتك ايها الرجل البريء . لدينا اعمال اخرى ..
المتهم : [يبكي] لا . انتم لا تستطيعون ان تكونوا متوحشين الى هذا الحد !
رقم ١ : انت بريء ، اذن انت حر . لماذا لا تذهب ؟
المتهم : انني اكرهكم جميعا ... ولكن الا تستطيعون نبش قانون واحد يحل هذا الاشكال ..؟
رقم ٢ : لقد فعلنا كل ما في وسعنا يا سيدي . نقسم لك !

[تعتم جهة المتهم . رقم ١ ورقم ٢ يقفان ويسويان ملابسهما ثم يخرجان ببطء . المتهم وحده] .

المتهم : [صارخا] لحظة واحدة ايها السادة [يتجه الضوء نحوه] لحظة واحدة .. [يكملان سيرهما حتى يختفيان ـــ المتهم يصل الى طاولة المحكمة ويقف هناك] لحظة واحدة . ولكن ذلك ايضا مستحيل . بريء ! يا للحماقة ! كأن البراءة تعطى .

[ينظر نحو طاولته ، كأنه يرى نفسه هناك ، ويشير لما يخيل اليه انه يراه باصبع الاتهام الخطابي] .

المتهم : انني احكم عليك بنوع فريد من العقاب ! [يتحير هنيهة ، ثم لنفسه] سأفكر به فيما بعد [يعود للموقف الخطابي] لو تركته يعيش لعرفت عما لا تعرف اضعاف ما جعلك تعرف عما تعرف . تصور ايها الخائن : لقد جعلك تكتشف من جديد عالمك الذي تعرفه فكيف لو تركته يكشف لك عالمه الذي لا تعرفه ؟

[تعم العتمة لثانيتين ـــ تسمع اصوات خطواته وهو يعود الى طاولته ـــ ينفجر الضوء عليه وعلى « الشيء » .. لحظات من الصمت ـــ الشيء يتحرك من جديد ، المتهم ينظر اليه ببرود ـــ الشيء يواصل تحركه بصمت ، ثم بعنف ووضوح كلي] .
[المتهم يقترب من الشيء ويرفعه بين يديه ، لاول مرة] .

المتهم : هيا بنا ايها الصديق . ليس امامنا الا ان نخرج معا .

ستار النهاية

الامبريالية والاقتصاد الاسرائيلي

لاري لوك وود

أولا ــ مقدمة :

منذ التقدم الملحوظ الذي أحرزه الكفاح الفلسطيني التحرري بعد حرب الايام الستة (حزيران ، ١٩٦٧) ، ظهرت اتجاهات ثلاثة بين الشباب الامريكي . بشكل واضح ، اتبع البعض خط حركة التحرير السوداء وحركات التحرر في العالم الثالث ، بادانة اسرائيل وبالتعبير عن تضامنهم مع الشعب الفلسطيني . بينما ، ظل آخرون ، على الجانب الآخر ، يطالبون بضرورة الدفاع عن « حق اسرائيل في الحياة » أو يقولون بأن اسرائيل بلد اشتراكي ، أكثر تقدمية من جيرانه العرب « الاقطاعيين » أو « البورجوازيين الوطنيين » . بالطبع ، هناك أيضا المستوى الوسط غير الفاعل ، الذي يؤمن ستارا لجهتين : الافراد ، الذين يعانون ارتباكا جديا من معطيات الصراع في الشرق الاوسط ، وهؤلاء الذين لم يجرؤوا بعد على التحرك باتجاه موقف سياسي واضح .

برغم أن وسائل الاعلام الامريكية تتحمل الجزء الاكبر من مسؤولية انتشار الارتباك حول اسرائيل والعالم العربي ، الا أن بعض مؤيدي حق الفلسطينيين في تقرير مصيرهم والثورة الاشتراكية في الشرق الاوسط يستحقون تحمل عبء جزء من اللوم في الارتباك الامريكي . في عديد من الحالات ، افتقرت تحليلات الصراع العربي ــ الاسرائيلي الى الدقة والتحديد ، وهكذا مهدت الى فشل مهمتها .

وحين أركز في هذه الدراسة على مظهر واحد من أزمة الشرق الاوسط ــ وهو الاقتصاد الاسرائيلي في علاقته مع الامبريالية ــ فانني أعترف علنا بعدة قناعات ثابتة ، مثل الدعم الكامل للنضال الفلسطيني كمرحلة حاسمة في النضال على امتداد العالم ضد الامبريالية، مرحلة غالبا ما تعاني أهميتها من تجاهل بعض قطاعات اليسار الامريكي وقلة تقدير لها . هناك نظرة أساسية أخرى قد تبدو أكثر صعوبة للفهم عند بعض القراء ــ وهي القناعة بأن الجموع الاسرائيلية انما هي مقهورة اقتصاديا من قبل الامبريالية . انني أشعر بالفعل أن عملية القهر هذه قد تحرك قوى داخل اسرائيل ، قوى ، كما يفعل الفدائيون اليوم ، سوف تناضل غالبا ضد الامبريالية والدولة الصهيونية مجتمعتين . وبشكل عام فانني أسعى من وراء هذه الدراسة أولا الى البرهان للمدافعين عن اسرائيل و« للمحايدين » بأن الصهيونية ودولة اسرائيل انما يجب أن تكونا مرفوضتين من اليهود وغير اليهود على حد سواء ، وثانيا الى تبادل المواد والآراء مع هؤلاء الذين ، مثلي ، يأملون أن يروا الامبريالية مقلوعة من الشرق الاوسط .

ثانيا ــ لماذا يجب علينا تحليل الاقتصاد الاسرائيلي ؟

مع أن كثيرا من الوثائق قد أظهرت ، بشكل مقنع ، الارتباطات **السياسية** القديمة بين القيادة الصهيونية والمصالح الامبريالية ، غير أن قليلا جدا من الانتباه قد وجه الى القاعدة **الاقتصادية** لهذه الارتباطات . اذا عرفنا السياسة على انها « اقتصاد مركز » ،

فانه من الضروري تحديد ما اذا كانت هناك قوى خارجية تؤثر على مسيرتها . كثيرون من المعادين للصهيونية أكدوا ان اسرائيل ، كوجود ذي قاعدتين سياسية واقتصادية ، قد تشكلت أساسا بناء على الاهداف **السياسية** للامبريالية .

ولقد تم التعبير مؤخرا ، بوضوح كبير ، عن هذه النظرة من قبل اتجاه الغالبية في المنظمة الاشتراكية الاسرائيلية ، « متسبين » .

اسرائيل هي حالة خاصة في الشرق الاوسط : بلـد **ليس مستغلا اقتصاديا** من قبـل الامبريالية . الامبريالية **تستغل اسرائيل سياسيا** ، وتقدم لها بالمقابل دعما اقتصاديا . كتب الاقتصادي الامريكي اوسكار جاس (الذي كان سابقا مستشارا اقتصاديا لدى حكومة اسرائيل) : « لمدة ٢٠ عاما ، ١٩٤٨ — ٦٨ ، بلغ فائض الاستيراد حوالي ٧،٥ بليون دولار . هذا يعني فائض استيراد بحدود ٢،٦٥٠ دولار طيلة ٢١ سنة ، لكل فرد عاش في اسرائيل (في حدود قبل حزيران ١٩٦٧) ، في اواخر العام ١٩٦٨ » . ومن هذا الدعم الخارجي ، كما بيّن الكاتب، دخل اسرائيل فقط حوالي ٣٠ ٪ تحت ظروف عائدات الارباح ، فوائد أو رأسمال . هذا وضع لا موازي له في أي مكان آخر . (Journal of Economic Literature ، كانون الاول ، ١٩٦٩ ، ص ١١٧٧)(١).

صحيح انه ليس من حق الامريكيين أن يقولوا للثوريين الاسرائيليين مـا هي المبادىء النظرية والعملية التي يجب أن توجه نضالهم داخل اسرائيل ، الا انني أشعر اننا في امريكا لسنا مجبرين على قبول تحليل متسبين دون قيد أو شرط أو على تحديد تحركاتنا نحن في ضوء هذا التحليل . ان الدعوى بأن بنية اسرائيل انما تشكلت أساسا بناء على الاهداف **السياسية** الامبريالية ، قد ارتفعت أيضا لدى بعض اليساريين الامريكيين ، مثل بيتر بوخ ، أكثر متحدثي حزب العمال الاشتراكي شهرة في أزمة الشرق الاوسط . بعض المقالات مثل « اسطورة اسرائيل المتقدمة » (١٩٦٧) او « معطيات الشرق الاوسط الملتهبة » (١٩٦٨) ، تحوي نقاطا قيمة عديدة ، لكن بوخ يعنى قليلا جدا بالدور الاقتصادي للامبريالية في اسرائيل والعالم العربي . وفي مقال أخير، « الثورة الفلسطينية والصهيونية » ، حيث ركز على مبلغ بليون ونصف البليون دولار الذي تنتزعه شركات البترول الامريكية سنويا من العالم العربي ، قدم بوخ سجلا بعناصر المجتمع الاسرائيلي التي تتلقى فائدة سياسية واقتصادية مباشرة من الصهيونية :

ان الجملة المؤكد عليها (« حق دولة اسرائيل في الوجود ») ، لا تشير الى حق اليهود الجسدي في البقاء أو حق مجتمعهم ، وانما الى بقاء جهاز دولة يهودية تحديدا ومؤيد للامبريالية ، جهاز يجد مكانا للمصالح الراسخة ، محركة ومغذاة من قبل الصهيونية في فلسطين .

شحذت هذه المصالح الثابتة اغراض مجموعة كبيرة من الدوائر المتمتعة بسلطات في دولة اسرائيل الدينية . وهي تضم رسميي الحكومة ، ومحترفي السياسة ، والابطـال السياسيين أمثال دايان ، وبيروقراطيي نقابات العمال ، ورجال اللجان الصهيونية ، والكتلة الدينية المتعصبة ، ومضاربي ومراهني الاراضي ، وأصحاب البنوك والصناعيين الذين حققوا الفوائد الهائلة المذكورة آنفا ، وكذلك أصحاب الملايين شركاء الاستثمار في التعاونيات العامة ، والقطاع المتنامي من المستثمريـن الامريكيين والاسرائيليـين في الاراضي العربية المحتلة ، الذين يبنون مراكز التزلـج في مرتفعات الجولان والمواقـع السياحية في شبه جزيرة سيناء(٢).

آمل أن تكون لائحة بوخ مرتبة حسب الاهمية ، ولكن ، وان كانت الحالة هكذا ، فان تحليلا جادا للاقتصاد الاسرائيلي يكشف ان المستثمرين الاجانب يشرفون على ما هو أكثر بكثير من « مراكز التزلج » و« المواقع السياحية » . بالاضافة الى هذا ، فان مجهودا

بسيطا يظهر أن الاستثمار الامريكي الخاص كان قائما ليس فقط قبل حرب حزيران ١٩٦٧ ، وانما حتى قبل تأسيس دولة اسرائيل . عندما يكون الانسان ملتزما بدفع امريكيين آخرين الى معارضة الصهيونية ، فانه من باب هزيمة الذات ان تتم عملية نقل غير دقيقة لصورة الاقتصاد الاسرائيلي . يبدو التساؤل فيما اذا كانت الصهيونية قد خلقت الدوائر المتسلطة في المجتمع الاسرائيلي ، او فيما اذا كانت هذه الدوائر قد لعبت دور الداعم المحرض للدولة الصهيونية . يبدو التساؤل هنا كأحجية الدجاجة والبيضة . يظهر التحليل الحريص ان الجموع الاسرائيلية انما هي ضحايا اقتصادية للامبريالية ، وليست « نتاجها المتمكن » . وبرغم كون ظلم الفلسطينيين وآلامهم أكبر بشكل لا يمكن مقارنته ، فانني أشعر انه يجب على اعداء الامبريالية في الولايات المتحدة اتخاذ كل الخطوات الممكنة لتنبيه الرأي العام الامريكي بأن الفلسطينيين والاسرائيليين انما هم ضحايا عدو مشترك واحد .

لا بد من الاعتراف ، بأن بعض الملامح السطحية تظهر ان بنية الاقتصاد الاسرائيلي الحالي تتحول عن الانماط التقليدية للاستغلال الرأسمالي . ليس من السهل أن نقارن اسرائيل بالامم المتقدمة صناعيا ، مثل الولايات المتحدة أو المانيه الغربية ، ولا بالامم المستغلة بشكل هائل ، مثل بوليفيا أو تايلاند . نعم ، انه من الصحيح ان اكبر بنك اسرائيلي ، بنك لئومي — لاسرائيل ، ليس ملكا لافراد رأسماليين ، وان الهستدروت ، اتحاد النقابات المعروف جيدا ، هو عمليا مركز التوظيف الواسع الوحيد في البلد ، وان الانتاج الزراعي يبدو ظاهريا تحت سلطة الكيبوتسات « الاشتراكية » والمزارع التعاونية . هذه الحالات تطغى بشكل تلقائي على تفكير أولئك الذين يدعون ان اسرائيل هي بلد اشتراكي ، لكنه من الممكن البرهان على أن هذه التحولات السطحية عن الرأسمالية لا تضعف من الحقيقة الاساسية — التي هي تبعية الاقتصاد الاسرائيلي للامبريالية .

ثالثا — دور الرأسمال المستورد :

فيما يشير المدافعون عن اسرائيل غالبا الى « المعجزة في الصحراء » ، فانه من الصعب نكران دور الرأسمال الاجنبي في خلق « المعجزة » . في بعض السنوات بلغ حجم استيراد الاموال الى ما يقارب ٣٤ ٪ من الناتج القومي الاجمالي . وبينما يتكون استيراد رؤوس الاموال لدى الامم الاخرى أساسا من الاستثمار الأجنبي والعون من الحكومات الاجنبية، فان اسرائيل تتلقى نسبة غير عادية (تكاد لا تصدق) من المساعدات المباشرة . تشكل تحويلات مدفوعات الجباية اليهودية الموحدة ، والتعويضات الفردية والحكومية من المانيه ، وكذلك تبرعات المؤسسات والافراد حوالي ٧٠ بالمائة من الرأسمال المستورد (١٩٤٨ — ٦٧)(٢). من الممكن تبيان الفئات المحددة لاستيراد رأس المال (من العام ١٩٥٠ — ١٩٦٧) على الشكل التالي ببلايين الدولارات :

تبرعات المؤسسات (الجباية اليهودية الموحدة وغيرها) ١٧٣٥ ، التعويضات الالمانية (منذ ١٩٥٣) ٧٧٥ ، التبرعات الفردية ٨٨٥ ، تعويضات فردية مباشرة (المانية) ١١٩٠ ، معونة حكومة الولايات المتحدة المباشرة ٣٢٠ ، مبيع سندات اسرائيل ١٢٦٠ ، ديون أجنبية مختلفة (البنك الدولي ، الخ) ١٣٦٠ ، الاستثمار الخاص من الخارج ١٠٠٠ ، وبهذا يكون المجموع ٨٥٢٥ . (من كتاب **تطور الاقتصاد الاسرائيلي** ، صفحات ١٦٨ — ١٦٩) .

صحيح ان الاستثمارات الخاصة من الخارج تساوي فقط ١١٫٧ ٪ من رأسمال قدره ٨٫٥ بليون دولار بين ١٩٥٠ و١٩٦٧ ، ولكن الافتراض يبدو متسرعا بأن الرأسماليين الاجانب ليسوا منشدين نحو اسرائيل . وكما سأبين في مكان آخر ، فان الرأسماليين

الاجانب قد لعبوا دورا حاسما في تحديد البنية الطبقية في اسرائيل ، وفي تحديد طبيعة غالبية صناعاتها . وتجب المعرفة أيضا ، بأن الشركات الاجنبية انما تحقق أرباحا من المبيعات داخل اسرائيل . ماكدونال دوغلاس لا يتبرع بنفاثات الفانتوم ، انها تباع . هكذا ، يغطي الرأسماليون الاجانب جزءا من المعونات التي تتلقاها اسرائيل . يجب الاعتراف ايضا بأن الرأسمال الاجنبي ليس موزعا بشكل متساو على السكان . الاسرائيليون من أصل آسيوي أو أفريقي ، وكذلك الاقلية العربية في اسرائيل ، لم يحصلوا الا على جزء صغير من التحويلات الشخصية (١٬٧٣٥ بليون دولار) ، وكانوا قد استثنوا من الحصول على التعويضات الفردية من المانيه (١٬١٩٠ بليون دولار). لهذا السبب ، فاننا لا نستطيع الموافقة كليا على تصنيف متسببين للطبقة العاملة الاسرائيلية :

ان العامل الاسرائيلي ، كما هو واضح ، لا يحصل على هذه المعونة نقدا ، وانما ينالها على شكل مساكن (التي لا يمكن أن تشاد بهذه الكميات اعتمادا فقط على الرأسمال المحلي) ، وبالتشغيل في الصناعات (التي كانت مرشحة للاغلاق منذ زمن طويل لولا المعونات المعلنة وغير المعلنة) ، وعلى شكل مستوى معيشي مرتفع لا يتناسب مع ناتج عمله .

انه من الواضح بأن أرباح الرأسماليين الاسرائيليين انما هي عائد مساهمتهم في المعونات الخارجية .

ان الصراع بين العمال الاسرائيليين وبين مستخدميهم لا يشرك فقط القسم من فائض القيمة الناتج عن العامل، وانما أيضا مساهمة مختلف الطبقات في المعونات الخارجية(٤). كما سوف أبين ، فان رأسماليي اسرائيل ومستشاريهم الاجانب كانوا دائما منتصرين في صراعهم من اجل الاشراف على فائض القيمة والمعونات . صحيح ان المعونات قد ساعدت على تأمين المساكن والعمل وغير ذلك لعمال اسرائيل ، ولكن من الممكن اظهار ان العمال قد دفعوا ضرائب مرتفعة من اجل هذه الضروريات .

بين الاعوام ١٩٥٠ و١٩٦٧ أمنت الاشكال « العامة » لواردات رأس المال ٤٬١٩ بليون دولار (هبات المؤسسات ، التعويضات الالمانية ، العون المباشر والقروض المختلفة) . مع ان هذه الاموال لا يمكن حسابها على أساس متبرعين ومستفيدين أفراد ، فانه من الخطأ النظر اليها وكأنها خسارة نقدية واضحة بالنسبة لاصحاب رؤوس الاموال الامريكيين والاوروبيين . انه يكفي أن نتذكر ان التبرعات لاسرائيل في الولايات المتحدة تعتبر معفاة من الضريبة ، وبهذا تقدم بعض الامتيازات للمتبرع الثري . وعلى المستوى ذاته ، فانه من الواضح أن عائدات الضريبة التي تؤمن التعويضات الالمانية ، العون الاميركي ، والقروض من الحكومات الاخرى لم تحصل من المثرين وحدهم . الرأسماليون الامريكيون والاوروبيون لم « يتبرعوا » الا بالقليل لاسرائيل : في المقابل ، فان الاشخاص الاقل ثراء قد وفروا الاموال لاسرائيل ، من حيث لا يدرون ، عبر دفعهم للضريبة .

قلما يدر مبيع سندات اسرائيل (بليون دولار) أرباحا على مشتري السندات ، بسبب نسبة الفائدة السنوية المنخفضة ، من ٣ الى ٤ بالمائة . على أية حال ، فان اسرائيل قامت بالدفع في الوقت المحدد ، ولذلك فان المستثمرين يخسرون الاموال فقط في اوقات التضخم المالي المرتفع في بلادهم .

ومع ان المعونات الخارجية لعبت دورا رئيسيا في تنمية الاقتصاد الصهيوني تحت الانتداب البريطاني ، كما فعلت منذ عام ١٩٤٨ ، الا أن على المرء أن يأخذ بعين الاعتبار انه من الممكن لطبيعة واردات رأس المال الخارجي ان تتغير . فمن جهة ، يمكن أن يؤدي اشتداد ساعد القوى الثورية في الوطن العربي الى سيل عارم من المساعدات العسكرية،

وخاصة من الولايات المتحدة ، بهدف مساعدة اسرائيل على الاستمرار في دورها كحارس للمصالح الامبريالية في الشرق الاوسط . والامكانية الثانية ، أن يزداد حجم الاستثمارات الاجنبية الخاصة بدرجة كبيرة ، مع تزايد الانتاج الاسرائيلي ، وتوسع السوق الاسرائيلية للبضائع الاجنبية . وعلى العكس من هاتين الامكانيتين ، يمكن للاوضاع الاقتصادية غير المستقرة في الولايات المتحدة وأوروبا أن تقود الى تخفيض واردات رأس المال الاجنبي . وليس هناك من أساس للاعتقاد بأن الانماط الراهنة (وهي سيطرة المعونات «الحكومية» ، وبشكل نسبي ضآلة الاستثمارات الخاصة المباشرة من الخارج، والدور الهام الذي تلعبه مبيعات سندات اسرائيل ، والديون الخارجية) هي أنماط مستديمة ، أو أن التركيب الطبقي الحالي لاسرائيل لن يطرأ عليه أي تغيير .

رابعا ــ الاقتصاد الاسرائيلي داخل الاطار الشرق الاوسطي :

يمكن القول بشكل معقول تماما ان تاريخ الامبريالية الامريكية نفسه متصل بشكل وثيق بالتحول الذي طرأ على الشرق الاوسط كافة خلال القرن العشرين . فمنذ استكشافات ما قبل الحرب العالمية الاولى على يد الجيولوجيين الامريكيين، ومنذ انحلال الامبراطورية العثمانية تحت الاشراف الامريكي ، ومنذ أن غرزت شركات النفط الامريكية اظافرها في العراق والعربية السعودية في العشرينات ، كان الشرق الاوسط عنصرا أساسيا في مناطق نفوذ الرأسمالية الامريكية في الخارج .

واني أحث كل الامريكيين على الاطلاع عن كثب على أعمال مثل كتاب هاري ماغدوف **عصر الامبريالية*** وذلك في محاولة أكثر جدية لفهم معنى الحقيقة الكامنة في ان « عددا محدودا من شركات نفط الولايات المتحدة الامريكية تسيطر على ثلثي احتياطي « العالم الحر » من النفط »(٥). واليوم ، تعمل شركات النفط الامريكية في كل بلد من بلدان الشرق الاوسط ، **بما فيها اسرائيل** . وبما ان نسبة ضئيلة من احتياجات امريكا المحلية من النفط تستدر من الشرق الاوسط ، يصعب على الكثيرين ان يفهموا طبيعة المصالح الامريكية. الا أن مؤلفي كتيب بعنوان **مصالح الولايات المتحدة في الشرق الاوسط**** استطاعوا ان يكونوا واضحين جدا في ذلك :

لقد بلغت الاستثمارات المباشرة للشركات الامريكية في نفط الشرق الاوسط قيمة اسمية قدرها ١،٥٦ بليون دولار عام ١٩٦٦ ، وبلغ الدخل (قبل ضرائب الولايات المتحدة) لشركات الولايات المتحدة ما مجموعه ٨٥٢ مليون دولار من اصل دخل اجمالي قدره ٨٦٣ مليون دولار وذلك من كافة الاستثمارات في الشرق الاوسط ... وبين العام ١٩٥٠ والعام ١٩٦٠ ازدادت قيمة الاستثمارات في بترول الشرق الاوسط من ٦٦٦ مليون الى ١،١ بليون دولار ، بينما ارتفع الدخل السنوي من ٢١١ مليون الى ٧٣٥ مليون دولار . وفي العقد ١٩٥١ ــ ١٩٦٠ ، بلغ صادر رأس المال ٢١٦ مليون دولار فقط ، بينما وصل مجموع الدخل الى ٥ بلايين دولار(٦).

وبينما يتظاهر السياسيون والعالمون ان الشرق الاوسط « مهدد بالتوسع الروسي » الا ان هذه الادعاءات لا تقوم على قاعدة صلبة . فعندما يتحدث ريتشارد نكسون عن « حماية احتياجات اوروبا النفطية » ينبغي الا يغيب عن ذهننا انه اكثر اهتماما بحماية الارباح الخيالية لعمالقة النفط منه بتأمين ما يحتاجه من الوقود في الشتاء عمال ومزارعو اوروبا . فقرابة ثلثي مجموع النفط المستخرج نتيجة معدل عمليات الشركات الامريكية في الخارج يأتي من الشرق الاوسط(٧). ومع أنه يستشهد بمصر على انها مثال للدولة

* Harry Magdoff, *The Age of Imperialism*
** *United States Interests in the Middle East*

المعتمدة على السوفييت ، الا ان عمليات النفط الامريكية في مصر قـــد **تزايدت** منـــذ عام ١٩٥٦ .

فقد تمت الترتيبات من أجل مشاريع مشتركة مع شركة « بان امريكان » (وهي فـــرع من شركة « ستاندرد أويل أوف انديانا ») وشركة « فيليبس بتروليوم » عام ١٩٦٣ . ونجحت شركة « بان أمريكان » مباشرة تقريبا ، وابتدأ الانتاج من حقل المرجان في خليج السويس في نيسان ١٩٦٧ واستمر دون ان يتأثر تقريبا خلال حرب الايام الستة . وابتدأ الانتاج في حقل آخر اكتشفته « فيليبس » في الصحراء الغربية جنوبي المكان الذي كان مسرح حرب العلمين، في آب ١٩٦٨ ، وقد ظهر ان حقل « بان اميركان » غزير الى درجة انه استطاع خلال أشهر قليلة فقط ان يعوض بل ويزيد عن خسارة حقول نفط سيناء التي وقعت تحت السيطرة الاسرائيلية . وفي نيسان ١٩٦٧ ، عندما كان حقل المرجان قد بدأ الانتاج لتوه ، حذر أحد الصحافيين في القاهرة العراق من انه « ليس من وطني يدرك ابعاد حرب النفط يمكنه أن يدعو الى تأميم النفط »(٨).

عند هذه النقطة ، ينبغي للقراء أن يتساءلوا « هل تتناسب اسرائيل بأي شكل مـــن الاشكال في اطار صورة الشرق الاوسط النفطية ؟ » ومع انه من المعتقد على نطاق واسع انه ليس لاسرائيل نفطها الخاص ، الا أن اسرائيل قد صدرت ما قيمته ١٩ مليون دولار تقريبا من النفط عام ١٩٦٧(٩)،غير انه يجب الاعتراف ، ان هذه الكمية لا يأبه بها بالمقارنة مع صادرات العراق البالغة ٣٦٢ مليون دولار (عام ١٩٦٧) أو صادرات العربيـــة السعودية التي وصلت الى ٨٤٣ مليون دولار في العام ذاته(١٠). ومنذ العام ١٩٦٧ ، ازدادت امكانات اسرائيل كمصدر للنفط بدرجة عظيمة ، وذلك بعد الاستيلاء على حقول سيناء ، وانجاز خط نفط ايلات ـــ حيفا ، وهو ثالث أكبر خط في العالم في طاقته .

وبالنسبة لاسرائيل ، يجب أن ندرك أن الامبرياليـــة لا تقصر جهودها ، تأدبا ، علـــى استخراج وبيع المواد الاولية ، مثل النفط ، بل يجب على المرء أيضا أن يفحص الارباح الناتجة عن اليد العاملة الرخيصة ، وعن السيطرة على الاسواق المستعمرة . ومع ان موارد اسرائيل الطبيعية تقتصر على المعادن الموجودة في منطقة البحر الميت وصحراء النقب ، لا يمكن التغاضي عن تجارتها الخارجية .

ففي علاقاتها مع العالم غير العربي ، تستمر اسرائيل في لعب دور المنطقة المعزولة ذات المهارات التكنولوجية الفائقة التي تضطلع بنشاطات ذات طبيعة متخصصة . ان الماس الصناعي ، مثلا ، هو أهم الصادرات الاسرائيلية ، حيث عاد عليها بـــ ١٩٠ مليون دولار في العام ١٩٦٦ . فاسرائيل تستورد الماس الخام ، تقطعه ، وتصقله وتعيد تصديره الى بلدان البنلكس (بلجيكا ، هولندا ولوكسمبورغ) ، وسويسره ، وهونغ كونغ ، واليابان والولايات المتحدة ، بربح سنوي قدره ٥١ مليون دولار . امـــا صادرات الحمضيات الطازجة ، التي يباع معظمها في أوروبا الغربية ، فقد جلبت ٧٩ مليونا في العام ١٩٦٦ ، وحققت الفواكة المعلبة ٢٠ مليونا أخرى . كما دخلت اسرائيل في السنوات الاخيرة عالم المنافسة في الازياء الرفيعة ، فجنت ١٥ مليونا من صادرات الملابس عام ١٩٦٦(١١).

ويمكن استكمال عناصر الصورة التي رسمناها آنفا عن الصادرات الاسرائيلية الرئيسية باستعراض الجدول التالي ، الذي يبين العلاقة بين الصادرات الصناعية والزراعية :

جميع الارقام بملايين الدولارات

	١٩٦٥	١٩٦٦	١٩٦٧
الصادرات الزراعية	٨٦،١	٩٤،٨	١٠٨،٤
٪ من المجمـــوع	(٢٠،١٪)	(١٨،٨٪)	(١٩،٤٪)

الصادرات الصناعية	٣٤٢٫٠	٤٠٨٫٥	٤٤٩٫٩
٪ من المجموع	(٪٧٩٫٩)	(٪٨١٫٢)	(٪٨٠٫٦)
المجمـــوع	٤٢٩٫١	٥٠٣٫٣	٥٥٨٫٣
صادرات المـــاس	١٥٤٫٤	١٩٠٫٠	١٩٣٫٠
٪ من المجموع	(٪٣٥٫٩)	(٪٣٧٫٧)	(٪٣٤٫٦)(١٢)

وهكذا ، فخلال فترة ثلاث السنوات، كانت النسبة بين الصادرات الصناعية والصادرات الزراعية هي ٤ الى ١ تقريبا ، وشكلت صادرات الماس نصف الصادرات الصناعية تقريبا . والتعريف المنقول أعلاه بأن اسرائيل « هي منطقـــة معزولة ذات مهـــارات تكنولوجية فائقة » يمكن تبريره تماما اذا ما اعتبر المرء الدور الحاسم الذي يلعبه الانتاج الصناعي . فالندرة النسبية للمواد الاولية تقضي بأن تكون **اليد العاملة** البارعة أحد الموارد الطبيعية الرئيسية . وليس على المرء أن ينظر الى أكثر من صناعة الماس حيث تجلب المواد الاولية ليس من رمال النقب ، بل من مناجم جنوب افريقيا . فاذا ما أعطينا **اليد العاملة الاسرائيلية** ما تستحقه من الاهمية ، أصبح بامكاننا أن نعالج بجدية مسألة ما « اذا كانت الصناعة في اسرائيل تدار من قبل العمال أم مـــن قبل نخبة ذات قوة سياسية ؟ » .

فبينما بلغ مجموع الصادرات عام ١٩٦٧ الرقم الذي لم يسبقه مثيل وهو ٥٥٨٫٣ مليون دولار ، سجل مجموع الواردات أيضا رقما قياسيا جديدا هو ٧٥٤٫٦ مليون دولار(١٣). ومن السهل تماما ان يغرب عن بال المرء الاثر الحقيقي للواردات الاسرائيلية الا أن بعض العمليات الحسابية البسيطة قد تستطيع فتح الاعين على الحقيقة . فاذا ما قسمنا مجموع الواردات البالغ ٧٥٤٫٦ مليون دولار عام ١٩٦٧ على مجموع السكان في ذلك العام(٢٫٨٠٧٫٠٠٠ بما فيه القدس الشرقية) (١٤)تصل الواردات للشخص الواحد حوالي ٢٧٠ دولارا تقريبا ، وهو رقم اعلى من معدل دخل الفرد السنوي في معظم بلدان الشرق الاوسط(١٥).

ويدعي كثير من مؤيدي الصهيونية ان واردات اسرائيل المرتفعة بشكل غير طبيعي من البضائع الاجنبية هي نتيجة المصاريف التي تتكبدها اسرائيل كل سنتين على « الامن القومي » ولا يمكن نفي القول أن مصاريف الدفاع الاسرائيلية هي مرتفعة (اذ بلغت معدلا قدره ٨٫٨ ٪ من اجمالي الناتج القومي في كل من السنوات مـــن ١٩٥٠ الى ١٩٦٦)(١٦). رغم ذلك ، يجب أن ندرك أن واردات الاسلحـــة هي مجرد جزء مـــن الواردات الاجمالية. واكثر من ذلك ، فقد ازداد انتاج الاسلحة المحلي بشكل ثابت، حتى ان اسرائيل ، اليوم ، تصدر أيضا الاسلحة الى البلدان الاخرى .

ان دراسة وثيقة لتركيب اسرائيل الاقتصادي تبين ان اعباء مصاريف التسلح تقع الى درجة كبيرة على كاهل العامل الاسرائيلي. اما الرأس المالي، ان كان مواطنا اسرائيليا أو مستثمرا أجنبيا ، فلا يدفع الا القليل من أجل « الامن الوطني » .

وتشكل ديون اسرائيل المزمنة بالعملات الاجنبية ، التي وصلت الى ١٫٥٩ بليون دولار عام ١٩٦٨(١٧)، (حوالي ٥٧٠٠ دولار للفرد الواحد) سلاحا قويا في أيدي المنتفعين الامبرياليين . ومن المفيد أن نذكر ان الديون بالعملة الاجنبية هي نتيجة ملازمة للسيطرة الامبريالية ، وأنه من هذه الوجهة ، يكشف الاقتصاد الاسرائيلي عن نقطة تماس مع اقتصاديات البلدان المجاورة (اذ وصلت ديون مصر الطويلة الاجل الى مبلغ ١٫٥ بليون دولار عام ١٩٦٨)(١٨). ويمكن ايراد الملاحظات التالية بخصوص الاقتصاد الاسرائيلي ضمن الاطار الشرق الاوسطي الكلي :

١) مع ان اسرائيل لا تملك حاليا اقتصادا يعتمد بشدة على النفط الا ان الدور الحيوي الذي يلعبه الماس في صادراتها يشكل نوعا من التخصص في ناتج واحد .

٢) ومع انه ليس لدى اسرائيل من المواد الاولية ما يمكن مقارنته بما لدى جيرانها ، الا أن ما تملكه من اليد العاملة البارعة هو ثروة ذات أهمية فائقة . ومـا الصادرات الصناعية لعام ١٩٦٧ (التي بلغت ٤٤٩،٩٠ مليون دولار) الا دليل على ذلك .

٣) ويشكل مستوى الاستهلاك الشخصي المرتفع في اسرائيل (وهو أعلى من مستوى استهلاك الفرد في هولندا ، والنمسا ، وايطاليا)(١٩) وكذلك واردات « القطاع العام » المرتفعة ، سوقاً للبضائع الغربية . ففي عام ١٩٦٧ أصدرت الولايات المتحدة ما قيمته ١٩٢ مليون دولار من البضائع الى اسرائيل ، بينما بلغت صادرات أوروبا الغربية لها ٤٢٠ مليون((٢٠) .

٤) وينتج عن مستوى الواردات المرتفع هذا ديون مزمنة بالعملة الاجنبية ، التي تقود مثل ديون بلدان كثيرة أخرى ، الى ربط الاقتصاد الوطني بالامم الاجنبية .

خامسا ــ صورة عن المصارف في اسرائيل :

مع انه هناك بنوك تعاونية وكذلك بنود تديرها الحكومة في اسرائيل ، الا أن المؤسسات التي تعود ملكيتها للقطاع الخاص تلعب دورا مسيطرا . ففي عام ١٩٥٣ ، كانت الملكيات الفردية والشركات الخاصة تسيطر على ٧١،٤ بالمائة من قطاع المصارف التجارية(٢١) . ومنذ ذلك الوقت ، يمكن للمرء ان يشير بشكل خاص الى النمو الثابت لبنك خاص واحد ، هو بنك الخصميات الاسرائيلي*، الذي انشأه أعضاء من عائلة راكاناتي خلال فتـرة الانتداب . اما بنك لئومي ، الذي تديره الوكالة اليهودية ، فقد ظل اكبر بنك اسرائيلي ، الا أن موجوداته ، اثناء الستينات لم تنم بالسرعة نفسها التي نمت فيها موجودات بنك الخصميات الاسرائيلي .

	١٩٦٣	١٩٦٤	١٩٦٧	١٩٦٨
بنك لئومي (بالدولار)	٠،٥٩٣ بليون	٠،٩١٤ بليون	١،٢٨٢ بليون	١،٥٧٩ بليون
١٩٦٣ = ١٠٠	١٠٠	١٥٤	٢١٦	٢٦٦
بنك الخصميات (ليرة اسرائيلية)	٠،٩٧٢ بليون	١،١٧٧ بليون	٢،١٧٨ بليون	٢،٧٧١ بليون
١٩٦٣ = ١٠٠	١٠٠	١٢١	٢٢٤	٢٨٥

وهكذا اتسم بنك الخصميات بتوسع ظاهر في الرقم القياسي لموجوداته (١٢١ الى ٢٢٤) بين عامي ١٩٦٤ و١٩٦٧ ، وهي الفترة التي كانت تعاني اسرائيل خلالها أزمة الركود الشهيرة (**ميتون** بالعبرية)(٢٢) . وعندما كانت اسرائيل تمر في فترة استعادة النشاط بعد الحرب ، استمر الرقم القياسي لموجودات بنك الخصميات في الارتفاع بسرعة تفوق تلك التي لبنك لئومي .

وفي المكانة الثالثة بنك هبوعاليم ، الذي يسيطر عليه الهستدروت ، والذي لم تبلـغ موجوداته علامة البليون ليرة حتى عام ١٩٦٥(٢٣) . وبما ان عليه أن ينافس ليس بنك الخصميات فحسب بل ايضا بنوكا خاصة صغيرة اخرى ، يواجه بنك هبوعاليم قيودا شديدة . وبشكل خاص ، فقد استثني هذا البنك من تقديم راس المال الى صناعة الماس المربحة ، التي يقوم بنك لئومي وفروعه على تمويل القسم الاعظم منها .

وقد تميز القطاع المصرفي الاسرائيلي ، في السنوات الاخيرة ، بمعدلات ربح عالية ، كانت

* Israel Discount Bank.

مصدر قلق كبير لبعض اعضاء اليسار الصهيوني حتى خلال اوائل الستينات . ويعرض بيتر بوخ في **أسطورة اسرائيل التقدمية***، المقتطف التالي من كلمة القاها مئير يعري الامين العام للمابام ، في مؤتمر المابام عام ١٩٦٣ :

يورد تقرير لبنك اسرائيل انه في عام ١٩٦١ ازدادت موجودات البنوك بمقدار ٤٠٦ ملايين ليرة اسرائيلية ، او ٢٦ بالمائة ، وذلك خلال عام واحد . وخلال تلك السنة نفسها ، ازدادت الارباح المحققة على رؤوس الاموال الخاصة بهذه البنوك بـ ٥١،٨ ٪ ، بينما ازدادت الارباح من العمليات ورؤوس الاموال معا بـ ٣٠،١ بالمائة . مثل هذه الارباح ليست ارباحا رأسمالية طبيعية(٢٤).

ومعدلات الربح المتزايدة التي يشير اليها يعري تصح أيضا على فترة ما بعد الحرب . ففي عام ١٩٦٨ ، ارتفعت أرباح البنوك بنسبة ٣٠ بالمائة ، فوصل مجموعها الى ٦٠ مليون ليرة اسرائيلية(٢٥). وفي **الثورة الفلسطينية والصهيونية****، ينقل بوخ تعبيرا آخر على دهشة يعري (نقلا عن **اسرائيل هوريزون**، أيار ١٩٦٩): لا استطيع ان ابرر، بسبب الاحوال الطارئة الحالية ، حقيقة انه في أوقات البحبوحة الاقتصادية مثل التي كنا نتمتع بها في السنة الماضية — عندما زادت أرباح البنوك عن ٣٠ بالمائة — وعندما بلغت ارباح رجال الصناعة اكثر من ٢٠ بالمائة — بقيت أجور العمال الذين ينالون الرواتب ثابتة ، بعد أن كانت مجمدة خلال تلك السنوات الكثيرة(٢٦).

وبالاضافة الى الدور المسيطر الذي تلعبه البنوك الخاصة في اسرائيل ، يجب على المرء أيضا أن يأخذ بعين الاعتبار امتداد نفوذ رجال البنوك الى قطاعات الاقتصاد الاخرى . ويمكن لاولئك الذين يعرفون عن كتاب وليم دومهوف : **من يحكم امريكا** (بالانجليزية) ، أو عن كتاب لينين : **الامبريالية : أعلى مراحل الرأسمالية** ، أن يدركوا بسرعة الدور الذي يلعبه أعضاء مجالس الادارة المشتركين في المجتمعات الرأسمالية . فعندما تشارك حلقة صغيرة من الاشخاص في عدد كبير من مجالس الادارة ، يندفع الاقتصاد الوطني بشكل ثابت نحو التمركز الاحتكاري .

ومنشورات مثل *Who's Who in Israel* ، لعام ١٩٦٩ تكشف بوضوح ان رؤساء مجالس الادارة لاكبر ثلاثة مصارف اسرائيلية يحتلون عددا كبيرا من المناصب الاخرى في مجالس ادارة اضافية :

أ — دانيال راكاناتي — وهو المدير الاداري لبنك الخصميات الاسرائيلي ومدير شركة فرعية لهذا البنك هي Discount Bank Investment Corporation وكذلك هو مدير في المؤسسات التالية : Israel Mercantile Corporation, Delek Fuel Company, و Cargo Ships «El-Yam», و Industrial Development Bank of Israel وشركة PEC Israel Corporation (وهي شركة استثمارات) . كما انه عضو في اللجنة الاستشارية لبنك اسرائيل .

ب — يشعياهو فويردر Yeshayahu Foerder — رئيس بنك لئومي . وهو المدير المؤسس لشركتي « راسكو لمتد » و« اسراس » (وهما شركتان للانشاء والبيوت) . كذلك هو مدير شركة « باز اويل » . كما انه عضو في اللجنة الاستشارية لبنك اسرائيل .

ج — ابراهام زابرسكي ، المدير الاداري لبنك هبوعاليم ، ورئيس شركة Hassneh Insurance . ورئيس بنك يعمل في رهن المنازل Housing Mortgage Bank Ltd. كذلك هو مدير شركة Delek Fuel وشركة AMPAL (للاستثمارات) وعضو في اللجنة الاستشارية

---

* The Myth of Progressive Israel
** *The Palestinian Revolution and Zionism*

لبنك اسرائيل . وكذلك عضو في المجلس العام لكل من الهستدروت ، وحزب المباي . وهكذا لا يقصر أي من رؤساء البنوك الثلاثة هؤلاء نشاطه على مجالس الادارة الواقعة في دائرته الخاصة داخل الاقتصاد الاسرائيلي . فراكاناتي ، وهو أحد الرأسماليين في القطاع الخاص ، هو أيضا مدير لبنك « يديره القطاع العام » وهو بنك Industrial Development Bank ، وفويردر ، رئيس بنك لئومي الذي تملكه الوكالة اليهودية هو أيضا مدير في شركتي « راسكو » و « باز اويل » اللتين يديرهما القطاع الخاص . وزابرسكي مدير « بنك العمال » هو أيضا مدير في شركة ديليك وهي اكبر شركة نفط اسرائيلية . وهكذا يمثل هؤلاء الرؤساء الثلاثة التلاحم الكامل بين دوائر النشاط « الخاصة » و« العامة » .

ولا يسع المرء بأي شكل أن يعتبر راكاناتي ، وفويردر ، وزابرسكي أمثلة شاذة معزولة . ففي بنك الخصميات الاسرائيلي مثلا يكتشف المرء أن رافاييل راكاناتي الذي يدير عمليات البنك في نيويورك هو أيضا مدير في شركتي « اليام » و« ديليك » . وابراهام هاسيدوف ، وهو مدير آخر ، هو أيضا مدير في :

Israel Development and Mortgage Bank of Netiot Hadarom, Ltd.

وظاهرة التداخل في النظام الرأسمالي هذه تستحق أعظم الاهتمام عندما يتفحص المرء البنك الذي يديره الهستدروت وهو بنك هبوعليم او « بنك العمال » ، فمثلا شراغة غورين وهو عضو سابق في حزب المباي في الكنيست ، يعمل ايضا كنائب لرئيس شركة ديليك وكذلك نائبا لرئيس شركة Alliance Tire and Rubber . وأحد المدراء الاخرين وهو ابراهام دكينشتاين ، يعمل رئيسا لـ AMPAL ولـ Israel Development Corp. (للاستثمارات) ذلك بالاضافة الى كونه مديرا في Alliance Tire وفي Lapidoth Ltd.(للنفط) . فهل يجرؤ « المدافعون عن الاشتراكية الاسرائيلية » أن يدعوا أن ما هذه الا مجرد أمثلة على تغلغل الاشتراكية داخل القطاع الراسمالي من الاقتصاد ؟ او انه يجب التسليم نهائيا بأن مدراء البنوك « الاشتراكيين » ما هم الا مجرد خدام صاغرين للرأسمالية ؟ وهكذا، يتكشف لنا ان القطاع المصرفي في اسرائيل يتسم بمظاهر معينة يتميز بها الاقتصاد الرأسمالي . ويمكن للمرء أن يشير ليس الى ظاهر النمو الثابت في بنك الخصميات فحسب بل وأيضا الى معدلات الربح المرتفعة (حتى أثناء الفترات التي اقرت فيها الحكومة تجميد الاجور) . بالاضافة لذلك ، لا يمكن للمرء أن يتغاضى عن ظاهرة العضوية في مجالس ادارة متعددة من قبل بعض مدراء أهم البنوك الاسرائيلية ، وهو وضع يدل على تغلغل الرأسمالية الاحتكارية .

سادسا ــ الاستثمارات الاجنبية في اسرائيل :

مع ان الاستثمارات الخاصة لم تشكل سوى نسبة ضئيلة (١١٧ بالمائة) من الـ ٨٠٥ بليون دولار وهو ما ورد اسرائيل من رأس المال الاجنبي بين عام ١٩٥٠ و١٩٦٧ ، الا أن الاثار الملموسة التي تركها الاستثمار الاجنبي تستحق مزيدا من الاهتمام . والجدول التالي يعطي صورة مفصلة عما ورد اسرائيل من رأس المال الاجنبي الخاص في السنوات الاخيرة :

(الارقام بملايين الدولارات)

	١٩٦٤	١٩٦٥	١٩٦٦	١٩٦٧	١٩٦٨	المجموع
اجمالي الاستثمارات	١٦٩٠٤	١١٤٠٩	١٠٤٠٣	٥١٠٦	٥٤٠٢	٤٩٤٠٢
الاستثمارات المصفاة	ــ ١٧٠١	ــ ٢٧٠٩	ــ ٢٧٠٠	ــ ٣١٠١	ــ ٣٢٠٧	ــ ١٣٥٠٨
	١٥٢٠٣	٨٧٠٢	٧٧٠٣	٢٠٠٥	٢١٠٥	٣٥٨٠٤

المجمـوع الصـافي :						
اعادة استثمارات	+٤٤٤	+٤٤٨	+٥٤٢	+٤٤٣	+٤٤٠	+٢٣٤٧
الارباح	١٥٦٤٧	٩٢٤٠	٨٢٤٥	٢٤٤٨	٢٥٤٥	٣٨٢٤١

وتشير احصائيات بنك اسرائيل الى هبوط حاد في الاستثمارات الاجنبية بعد عام ١٩٦٤(٢٧)، على ان ذلك ليس كافيا ليجعل من يعطفون على الصهيونية يصرخون « ألا ترى ، اسرائيل تحرر نفسها من السيطرة الاجنبية » فمبلغ الـ ٣٨٢٤١ مليون دولار ، وهو المجموع المتراكم النهائي لفترة خمس السنوات هو أعلى بكثير من مجاميع فترات خمس السنوات الاخرى . ومع ان الاستثمارات المصفاة ازدادت بشكل ثابت ، الا ان اجمالي الاستثمارات ، والاستثمارات المعادة قد تفوقت عليها بشكل مستمر . ومما يجدر ملاحظته ان الاستثمارات المعادة قد بقيت ثابتة نسبيا خلال الفترة كلها .

وينبغي لنا أيضا أن نأخذ بعين الاعتبار ان الهبوط في اجمالي الاستثمارات ، وكذلك الزيادة في الاستثمارات المصفاة قد رافقت فترة الـ « ميتون » وهي فترة الركود ، التي ما أن حل عام ١٩٦٧ ، حتى كانت قد لفظت ١٠ بالمائة من القوة العاملة الاسرائيلية خارج العمل . ويبدو ان حكومة « اشتراكية » كان ينبغي أن تتخذ اجراءات لوضع حد لعمليات التصفية الخطيرة هذه ، الا أن اشكول كان تحت رحمة المستثمرين الاجانب تماما .

اما حرب حزيران ١٩٦٧ التي خفضت جزئيا نسبة البطالة « الرسمية » بوضعها كثيرا من العمال تحت السلاح ، فقد تبعتها فترة تجدد الاستثمارات الاجنبية . ففي عام ١٩٦٨ ، وصل اجمالي الاستثمارات الى مبلغ ٥٤٤٢ مليون دولار ، وارتفع بشكل ثابت منذ ذلك الحين . وازدياد الاستثمار الاجنبي لم يكن نتيجة حرب ١٩٦٧ فقط ، بل أيضا بسبب عوامل مختلفة مثل تجميد الاجور ، وتسارع الانتاج الصناعي ، وما زودته المناطق المحتلة من أسواق جديدة ، ويد عامله اضافية . وفي عام ١٩٦٩ ، باشرت الشركات الامريكية فقط بمشاريع بما قيمته ١٠٦ ملايين دولار . وان قائمة جزئية بالشركات العاملة في اسرائيل لتضم المؤسسات العملاقة التالية : Monsanto و Xerox Motorola و Witco Chemicals, و Holiday Inns و International Paper و Westinghouse ومن المهم بشكل خاص أن ندرك ان بعض المؤسسات التي يديرها الهستدروت مثل صناعات كور قد تشاركت مع بعض المؤسسات الامريكية مثل « جنرال تلفون » و Owens-Illinois (٢٨).

رغم ذلك ، لا ينبغي أن تدهشنا الزيادة السريعة والمفاجئة للاستثمارات الاجنبية بعد الحرب ، لان قاعدتها الاقتصادية كانت قد هيئت قبل سنوات كثيرة من ذلك . وعدا الاستثمارات المباشرة من قبل شركات أجنبية ، يجب أن يأخذ المرء بعين الاعتبار الدور الهام والنافذ الذي تلعبه شركات الاستثمار . فشركة PEC الاسرائيلية مثلا (وقد أنشئت عام ١٩٢٦ باسم (Palestine Economic Corporation)) تملك أجزاء رئيسية من شركات اسرائيلية مثل Carmel Wines Ltd. و Ihud Insurance و Tambour Paints و ICOA (للطائرات والعتاد الحربي) . بالاضافة لذلك ، تملك شركة PEC Israel أسهما في بنك الخصميات وشركة « ديليك » و« يونايتد تورز » و« دان اوتيلز » ومجموعة أخرى من الشركات .

ومن بين الشركات المنشأة في الخارج ، تشكل شركة امبال (AMPAL) (التي انشئت عام ١٩٤٢ باسم (American Palestine Trading Corp.)) حالة خاصة ، اذ أنها أقيمت في الاصل على يد شركة أخرى هي حفرات عوفديم، احدى الشركات المالكة في الهستدروت . ورغم اصول امبال ، الا أنها اليوم تزود برأس المال ليس مشاريع الهستدروت فحسب ،

بل وايضا شركات ذات ملكية خاصة مثل « ديليك » و Tricontinental Pipelines . ومع أن شركة « أمبال » تختلف عن شركات الاستثمار الاخرى بما أن بعض مدرائها أعضاء في الهستدروت ، مثل أهرون بكر ، وابراهام زابرسكي ، الا أن رئيسها امريكي : ١) رودولف ج سون بورن، رئيسا ــ كذلك رئيس شركة Sonneborn Chemicals and Refining Co. (الولايات المتحدة) حتى عـــام ١٩٦٠ ، ورئيس سابق لشركـــة : Petroleum Transport and Trading Corp.(الولايات المتحدة) كما انه كان مديرا سابقا في New York Post Corporation . كذلك مدير في Witco Chemicals (الولايات المتحدة) . ورئيس للنداء اليهودي الموحـــد في الفترة ١٩٥٠ ــ ١٩٥٤ . ومديـــر في Israel Development Corp., PEC Israel Corporation (للاستثمارات) .

وهكذا ، فشركة « أمبال » من خلال سون بورن تكشف عن علاقة مباشرة ليس بالقطاع الخاص في اسرائيل فحسب ، بل وايضا بالرأسمالية الاحتكارية الامريكية (اذ أن شركة Witco Chemicals ، التي تعمل في اسرائيل ايضا ، هي مجموعة لشركات الكيمياويات والبترول بلغت موجوداتها عام ١٩٦٩ ١٦٧ مليون دولار) . ومن أجل المدافعين عن اسرائيل يجب طرح السؤال : « هل ان التزام سون بورن بتنمية اسرائيل الاقتصادية هو مجرد عمل خيري ، أم انه مع شلة رجال الخير الاخرين من اصحاب الملايين ينتظر ما سيجنيه من منافع في المستقبل ؟ »

وبينما قد يقول بعض المنتمين للصهيونية ان المناصب التي يحتلها بعض أصحاب الملايين الامريكيين هي مجرد مناصب فخرية لا تمكنهم من ترسيخ اقدامهم في الاقتصاد الاسرائيلي، يجد المرء أن سون بورن ليس حالة استثنائية أو معزولة . فهناك مثلا رالف وشسلر ، رئيس شركة Nopco Chemical Co. في الولايات المتحدة، الذي يعمل أيضا كمدير في شركة «أمبال» ، وكرئيس لشركة Israel Development Corp. ، وكمدير في البنك الذي « يديره القطاع العام»وهو Industrial Development Bank of Israel اما شركة Israel Investors Corp. وهي شركة ذات ملكية خاصة ، فرئيسها هو لويس هـ. بوير من لوس انجلس الذي هو مدير في الشركـــات الامريكية التاليـــة : Aetna Construction Corp. و Boyar-Kessler Investment Corp. و City National Bank of Beverly Hills وتخطط الشركة الفرعية الاستثمارية لهذا الاخير وهي Beverly Hills Bank Corp. من خلال شركة Overseas Diversified Equities لان تستثمر مبلغ ١٠٥ مليون دولار في اسرائيل ، بعد أن اشترت مؤخرا حصة لا يستهان بها من أسهم Perma-Sharp ، وهي اكبر شركـــة اسرائيلية منتجة لشفرات الحلاقة(٢٩) .

وفي عام ١٩٦٨ ، بلغت موجودات اربـــع شركات استثمارية امريكيـــة المنشأ هـــي (PEC Israel ، و AMPAL ، و Israel Development Corp. ، و Israel Investors Corp.) مجتمعة ٩٦،٣ مليون دولار . ومع ان هذا الرقم صغير بالمقارنة مع موجودات بنك لئومي او بنك الخصميات الاسرائيلي Israel Discount Bank ، الا انه من الخطأ انكار أهمية هذه الشركات . فقد لعبت دورا حاسما بتزويدها رأس المال لقطاعات اقتصادية مثل البترول ، والسياحة ، وهي كذلك تكشف عن الصلات الاساسية التي تربط الرأسماليين والبيروقراطيين الاسرائيليين بالرأسمالية الامريكية .

وطبعا ، ليست الشركات الاربع الامريكية المنشأ هي الشركات الوحيدة . فيمكن الاشارة الى مؤسسات مثل Africa-Palestine Investments Group، وهي مجموعة مستثمرين من جنوبي افريقيا لهم نصيب كبير من أسهم شركات التأمين ، والعمليات السياحية (مثل Peltours, Inc. و Tiberias Hot Springs) . وهناك مجموعة أخرى من مستثمري جنوب افريقيا تملك Jacob Japhet Bank و Ararat Insurance .

واكثر من ذلك ، يجد المرء أمثلة لمؤسسات اشترك فيها الاستثمار الخاص مع المعونات الاجنبية مثل الطريقة التي أنشىء بها Industrial Development Bank of Israel عام ١٩٥٧ . ومع ان معظم رأسمال البنك قد زودته مباشرة الحكومة الامريكية وبنك الاستيراد والتصدير Export-Import Bank، الا أن هناك ٥ ملايين ليرة قدمت كقرض من قبل بنك واربورغ (لندن) وهو ذو ملكية خاصة . وفي عام ١٩٦٩ ، قام بنك Industrial Development Bank حسب ما جاء في تقريره السنوي ، بمفاوضات من أجل سلسلة من القروض ، استدانها من بنك التصدير والاستيراد وشركة « أمبال » ومرة أخرى بنك واربورج (مليوني ليرة) .

ورغم حقيقة ان الاستثمارات الاجنبية الخاصة في الماضي لم تسهم الا بنسبة صغيرة مما وصل لاسرائيل من راس المال الاجنبي ، من المهم أن ندرك أن المعونات الاجنبية (التي تدفعها البروليتاريا الامريكية ، والاوروبية الغربية) قد خلقت القاعدة الصناعية التي مكنت الرأسماليين الاجانب من الاستثمار المربح . وهكذا ، فدور الاستثمار الخاص في ما يرد اسرائيل من رأس المال قد يصبح أكثر أهمية في المستقبل، عندما يكتشف الرأسماليون الاجانب فرصا جديدة للربح في اسرائيل . الا أن هذه الامكانية ، لا محالة ، رهن بنشاط الكفاح التحريري الفلسطيني ، والبروليتاريا الاسرائيلية نفسها .

سابعا ــ القطاعات الرئيسية في الاقتصاد الاسرائيلي :

أ ــ **صناعة الماس** : كما أشرنا في السابق ، اكتسبت صناعة الماس دورا حيويا في الاقتصاد الاسرائيلي ، حيث أسهمت بأكثر من ثلث صادرات البلاد عام ١٩٦٧ . وخلافا لبعض القطاعات الاخرى ، فهذه الصناعة ذات منشأ حديث نسبيا .

ان صناعة الماس في فلسطين (التي يحتكرها اليهود) قد نمت بمعدل سريع جدا بعد أن انقطعت مراكز هذه الصناعة في أوروبا عن مصادر موادها الاولية (في جنوب افريقيا) : فازداد انتاج هذه الصناعة من ١٧٠٠٠ قيراط (بلغت قيمتها ٢٥٠٠٠٠ ليرة) عام ١٩٤٠ الى ٥٨٠٠٠٠ قيراط (قيمتها ٢٠٦ مليون ليرة) عام ١٩٤٣ الى ١٣٨٠٠٠٠ قيراط (٦ ملايين ليرة) عام ١٩٤٥(٣٠). ومنذ عام ١٩٤٥ ، أصبحت اسرائيل ثاني اكبر مصدر للماس المصقول في العالم ، حيث أسهمت بأكثر من ٣٠ بالمائة من انتاج العالم .

وتزود نقابة الماس التجارية الضخمة في لندن والتي تديرها بشكل رئيسي مصالح بريطانية وافريقية جنوبية ، ٦٠ بالمائة مما تحتاجه اسرائيل من الماس الخام(٣١). فهل يعقل أن يكون « لمصالح أمنية » أو من قبيل الصدف السياسية ان يكون لاسرائيل علاقات تجارية حميمة ومكاتب دبلوماسية في جنوب افريقيا ، احد اكبر منتجي الماس الخام في العالم ؟ واذا ما أدرك المرء أهمية الماس المصقول في الميزان التجاري الاسرائيلي (حيث أسهمت صادرات الماس لوحدها عام ١٩٦٧ بما يعادل ٦ بالمائة من اجمالي الدخل القومي) ، أصبح متعذرا أن يتغاضى المرء عن القاعدة الاقتصادية التي تحكم الصداقة الاسرائيلية ــ جنوب الافريقية .

وبالنسبة لعلاقاتها مع القطاعات الاخرى ، يتبين ان لصناعة الماس خواص فريدة جدا . اولا ، يذهب ٩٩،٩ بالمائة من الانتاج للاستهلاك الخارجي(٣٢)، وليس الاسرائيلي . من جهة ثانية ، فالعامل العادي في هذه الصناعة يتمتع بانتاجية عالية جدا . ففي عام ١٩٦٤ ، انتج عمال الماس في اسرائيل البالغ عددهم عشرة الاف ما قيمته ١٣٧ مليون دولار من الماس المصقول ، اي بمعدل ١٣٧٠٠ دولار للعامل الواحد(٣٣). والعامل الثالث هو ان مؤسسات صناعة الماس هذه هي صغيرة نسبيا ، اذ ان المؤسسة النموذجية عام ١٩٦٥ لم تكن توظف اكثر من احد عشر شخصا(٣٤). واخيرا ،

فالهستدروت يكاد يكون مستثنى كليا من ملكية هذه الصناعة او السيطرة على رأس مالها .

ب ــ **الاقمشة والملابس** ــ مثلما هي الحال في صناعة الماس ، لم يظهر انتاج القماش حتى السنوات الاخيرة من الانتداب البريطاني . وشركة اتا Ata ، وهي احدى الشركات الاولى الكبرى ، قد أنشأها مستثمرون من القطاع الخاص . ويشير ايزنشتات الى انه في عام ١٩٣٩ لم يكن سوى ٢،٤ بالمائة من عمال الاقمشة في اسرائيل يشتغلون في مؤسسات تابعة للهستدروت ، بينما بلغت النسبة عام ١٩٥٩ ٢،٥ بالمائة(٣٥) .

وبالنسبة للصادرات ، تحتل الاقمشة والملابس المكان الثالث ، بعد الماس والمواد الغذائية . ويبين الجدول التالي كيف ارتفعت صادرات الاقمشة والملابس حتى اثناء فترة الـ « ميتون » او الركود .

	١٩٦٥	١٩٦٦	١٩٦٧
انتاج القماش (مليون ليرة اسرائيلية)	٦٨٥،٥	٧٢٠،٠	٦٧٢،٠
انتاج الملابس (مليون ليرة اسرائيلية)	٢٨٨،٠	٢٩٧،٠	٣٠٠،٠
صادرات الاقمشة (مليون ليرة اسرائيلية)	٣١،٣	٣٥،٧	٤١،٢
نسبة الصادرات الى اجمالي الانتاج	٤،٦٪	٥،٠٪	٦،١٪
صادرات الملابس (مليون ليرة اسرائيلية)	٩،٣	٩،٤	١٠،٨
نسبة الصادرات الى اجمالي الانتاج	٣،٢٪	٣،١٪	٣،٦٪
اجمالي انتاج الاقمشة والملابس	٩٧٣،٥	١٠١٧،٠	٩٧٢،٠
اجمالي صادرات الاقمشة والملابس	٤٠،٦	٤٥،١	٥٢،٠
نسبة اجمالي الصادرات الى اجمالي الانتاج	٤،٢٪	٤،٤٪	٥،٣٪(٣٦)

ويجب ايضا فحص ظاهرة الزيادة في صادرات الاقمشة والملابس بالنسبة لعلاقتها بظاهرة اخرى وهي تناقص عدد العمال الموظفين في هاتين الصناعتين :

	١٩٦٥	١٩٦٦	١٩٦٧
انتاج الاقمشة	٦٨٥،٥ مليون ل.أ.	٧٢٠،٠ مليون ل.أ.	٦٧٢،٠ مليون ل.أ.
عدد الاشخاص الموظفين	٢٦،٤٤٠	٢٥،٩٧٠	٢٢،٩٧٠
معدل انتاج العامل	٢٢،١٤٥ ل.أ.	٢٧،٦٩٦ ل.أ.	٢٩،٢٦٠ ل.أ.
انتاج الاقمشة	٢٨٨،٠ مليون ل.أ.	٢٩٧،٠ مليون ل.أ.	٣٠٠،٠ مليون ل.أ.
عدد الاشخاص الموظفين	١٧،٥٠٠	١٧،٩٠٠	١٨،٦٢٠
معدل انتاج العامل	١٦،٥٧٠ ل.أ.	١٦،٦٩٢ ل.أ.	١٦،١١٧ ل.أ.
عدد العمال في الصناعتين	٤٣،٩٤٠	٤٣،٨٦٠	٤١،٥٩٠(٣٧)

ومع ان كل من الانتاج وعدد الموظفين قد ارتفع في صناعة الملابس ؛ الا ان ٣٥٠٠ من عمال الاقمشة قد أخرجوا من عملهم بين عام ١٩٦٥ و ١٩٦٧ . واذا ما اعتبرنا الصناعتين معا ، يكون عدد العمال قد انخفض بنسبة ٥،٤ بالمائة . الا انه في صناعة الاقمشة ، ارتفع معدل انتاج العامل بـ ٥،١٢٥ ليرة اسرائيلية ، او ما يقرب من ٢٣ بالمائة .

وقد يحاول بعض القراء ان يخففوا من سوء الوضع في صناعة الاقمشة بالتظاهر ان فعالية العامل قد ارتفعت بشكل كبير خلال فترة الركود 'Mitun' . ذلك ان عمال الاقمشة الاسرائيليين « المحظوظين » الذين استطاعوا المحافظة على وظائفهم خلال عام

١٩٦٦ وعام ١٩٦٧ قد تعرضوا لنفس العملية الاجرامية المدعوة بالحث على السرعة في الانتاج "Speed-up" والتي تحصل في الامم الرأسمالية الكبيرة ، مثل الولايات المتحدة . اذ انه يجب التذكير ، انـه في الاقتصاد الاشتراكي ، لا ينضم العمـال الذين اصبح عليهم الخروج من عملهـم الى صفوف العاطلين عن العمـل اذا ما ادت بعض التحسينات في الانتاج الى الغاء بعض الوظائف .

د ـ **المواد الكيمياوية** ـ بخـلاف الصناعـات الاسرائيلية الاخرى ، تعتمد صناعـة الكيمياويات اعتمادا شديدا على استغلال الموارد الطبيعية ، وخـاصة المواد الاولية المعدنية الموجودة في النقب ومنطقة البحر الميت . وهي تسهـم بـ ١٢ بالمائة من نـاتج اسرائيل الصناعي(٣٨) . وبالنسبة للصادرات ، تحتل المواد الكيمياوية المكانة الرابعة . والجدول التالي يبين كيف ان صناعة الكيمياويات قد تعرضت لآثار مشابهة لتلـك التي تعرضت لها صناعتا الاقمشة والملابس :

	١٩٦٥	١٩٦٦	١٩٦٧
اجمالي الانتاج (مليون ل. أ.)	٣٤٣،٢	٣٧٠،٢	٣٧٧،٧
عدد الاشخاص الموظفين	٧،٦٥٥	٧،٥١٠	٧،١٩٦
معـدل انتاج العامل	٤٤،٨٦٢ ل.أ.	٤٩،٢٩٠ ل.أ.	٥٢،٤٩٠ ل.أ.
الصادرات (مليون دولار)	٢٥،٠	٣٠،٦	٣٥،٦(٣٩)

ومع ان عدد العمال قد انخفض بنسبة ٦ بالمائة ، الا ان الانتاج ارتفع بنسبة ١٠ بالمائة خلال فترة السنوات الثلاث . وفي نفس الوقت ، ارتفعت الصادرات بنسبة ٤٠ بالمائة . وانخفاض عدد العمال ، وكذلك الزيادة الكبيرة في الانتـاج والصادرات تستحق فحصا دقيقا . فبينما ملكية الهستدروت في صناعة الاقمشة صغيرة الى ادنى الحدود ، يسيطر الهستدروت على حوالي ٢٠ بالمائة من صناعة الكيمياويات . وفي هذه الحالة ، يقـع قسط اكبر من اللوم على المؤسسات البيروقراطية التي تحكم العمال بالنسبة الى اخراج العمال من عملهم وكذلك بخصوص ظاهرة الحث على السرعة في العمل "Speed-up" .

د ـ **الزراعة وانتـاج المواد الغذائية** : غـالبا مـا وصف المدافعون عن الصهيونيـة الكيبوتسيم والمزارع الجماعية بانها نماذج على اشتراكية اسرائيل ، مشوهين بذلـك بشكل فظيع الحقيقة عن الاهمية النسبية لهذا القطـاع . فبينما لعب النظام الزراعي « الاشتراكي » السطحي دورا هاما في نشوء الدولة الصهيونية ، الا ان ١٢ بالمائة فقط من القوة العاملة الاسرائيلية موظفة الان في النشاط الزراعي(٤٠) .

وقد لعب الهستدروت دورا تنظيميا حيويا على بعض المستويات في القطاع الزراعي ، الا ان على المرء ان يتفحص العلاقـة بين القطـاع الزراعي والقطاعـات الاخرى . « فالمزارعون الاشتراكيون » في اسرائيل ينبغي لهم اذا ما ارادوا الانتـاج ان يبتاعوا الادوات الزراعية ، والماكينات والاسمدة ، والمنتجـات الاخرى التي تقوم بصناعتهـا المؤسسات الخاصة . والناتج الزراعي ، بدوره يباع امـا الى التعاونيات التسويقية الكبيرة او الى من يتعامل به في القطاع الخاص . ويصف ايزنشتات تعاونيات الهستدروت على الشكل التالي :

غالبا ما واجه المهاجرون المستوطنون الصعوبات بخصوص زراعة وشحن المنتجـات الزراعية المختارة او المصنفة بطريقة حازمة ، ولم يكونوا راغبين في ان يتحملوا مخاطرة الخسارة . ولذا ، نشأت الحاجة الى اقامة وكالة تسويقية اضافية (وهي N U V التي كانت تنوفـا احدى شركائها) تقوم بشراء الناتج الزراعي بالمجمـل ، وتعتني

بالاختيار والتصنيف ، كما وتقوم بتأمين استقرار التسويق . وهكـذا اصبح التسويق اكثر فأكثر منفصلا عن الانتاج ...

ومعظـم المستوطنين الجدد لا يظهرون أي ايديولوجية محددة بخصـوص العمـل التعاوني ، بل ان بعضهم يجدونه مما يتناقض مع مسؤولياتهـم واستقلالهم الشخصي ويخرقها ، وبعض القرى ــ وخاصة تلك المؤلفة من جماعات لها تقاليد متباينة ــ لا تتمكن ، ببساطة ، من ايجاد شكل من التنظيم الاجتماعي الشامل، وكثيرون يجدون NUV اقل مرونة ، واكثر تلكؤا في الدفع ، كما وان شروطها اسوأ من سائر وسائل التسويق الاخرى ، واخيرا كثيرا ما يعترض المستوطنون على التسويق عن طـريق التعاونيات القروية نفسها ، لان ذلك يتيح للموشاف ان يخصم الديون والضرائب المستحقة علـى الاعضاء من واردات المبيع(٤١).

الا ان « عودة ظهور الفردية » في مجمعات اسرائيل الزراعية ، لا يمكن ارجاعهـا فقط الى غياب التوجيه الاشتراكي لدى المزارعين ، أو الى عدم فعالية التعاونيات . فمئير يعري ، احد قادة حزب المابام ، قد أشار الى ان تعاونيات الهستدروت التسويقية تعمل كمجرد وكالات لمن يجني الارباح في المدن :

« اذ ان الـ « تنوفا » (وهي احدى وكالات تسويق الانتاج التابعة للهستدروت) تسلـم الناتج الزراعي قبل ان يصل الى المستهلك ، الى وسطاء يتمكنون بذلك من جني ارباح مرتفعة جدا . فلا عجب اذا ان تصل المنتجات المستهلك احيانا بعد ان تكون اسعارها قد ارتفعت بأكثر من ١٠٠ بالمائة »(٤٢).

ويمكننا فهم ملاحظات ايزنشتات ويعري فهما اشمل بتفحصنا الارقام القياسية لاسعار المواد الغذائية في سنوات مختلفة :

	١٩٦١	١٩٦٢	١٩٦٣	١٩٦٤	١٩٦٥	١٩٦٦	١٩٦٧	١٩٦٨	ايار١٩٦٩
المواد الغذائية	٨٩،٥	٩٥،٢	١٠٠،٠	١٠١،٣	١١٠،٠	١١٥،٥	١١٨،٦	١٢١،٥	١٢٥،٣
كافة المواد	٨٥،٧	٩٣،٢	١٠٠،٠	١٠٥،٢	١١٣،٢	١٢٢،٣	١٢٤،٣	١٢٦،٩	١٢٩،٧(٤٣)

فبين عام ١٩٦١ وعام ١٩٦٣ ، استمر الرقم القياسي لسعر المواد الغذائية اعلى منه لكافة المواد المستهلكة . ومع ان هذا الوضع قد انعكس بين عام ١٩٦٤ وعام ١٩٦٩ ، الا انه تجدر الملاحظة انه منذ عام ١٩٦٦ ارتفع الرقم القياسي لسعر المـواد الغذائية بسرعة اكبر (١١٥،٥ الى ١٢٥،٣) الرقم القياسي لاسعار المواد الاخرى (١٢٢،٣ الى ١٢٩،٧) . وبكلمة اخرى ، فالوسطاء يرفعون الاسعار مرة اخرى بسهولة تـامة . ولفترة تسع السنوات كلها ، ارتفعت اسعار المـواد الغـذائية بنسبة ٤٦ بالمائة ، او بمعدل ٥ بالمائة في العام .

ومع ان الصادرات الزراعية ، وبدرجة اولى منتجات الحمضيات ، كانت احدى ركائز اقتصاد فلسطين في عهد الانتداب ، كانت الخمسة عشر عاما الاولى من عمر الدولـة الاسرائيلية تحاول التقليل مـن التشديد على الزراعة . ويشير ايزنشتات في كلامـه عن منتصف الستينات الى ان الحكومـة قد اضطرت الى ان تثني المهاجرين الجدد عن الاشتغال بالزراعة :

لقد ادت درجة الاشباع التي وصل اليها الانتاج الزراعي في السنوات الاخيرة الى تغيير رئيسي في سياسة الاستيطان . فخلافا للهدف العام الذي كانت ترمي اليه هذه السياسة في عهد الانتداب وهو توطين اكبر عدد ممكن من المهاجرين الجدد في الاراضي الزراعية ،

لا يهدف الان بشكل عام الى زيـــادة القوة العاملة الزراعية (وهي الان حوالي ١٢،٥ بالمائة)(٤٤).

في « السياسة في اسرائيل » الذي نشر في كانون الثاني ١٩٦٧ ، تهدف منظمة اسرائيل الاشتراكية (متسبين) الى القول ان الكيبوتسات « الاشتراكية » الذي يحسبها ، خطأ ، قسم كبير من الشباب الامريكي اليهودي مثلا أعلى ، قد حولت انظارهـــا الى الانتاج الصناعي ـــ فأصبحت تمثل ظاهرة الاشراف على العمل "Bosses" !

لقد تحول الكيبوتس الى النشاط الصناعي ، بدأ أولا بتصنيع المنتجات الزراعيـــة ولكن تدريجيا تحول الى ميادين اخرى ، مثل صناعة المواد البلاستيكية ، والاواني الفخارية ، والاثاث ، وطائفة من المنتجات الصناعية الخفيفة الاخرى . الا ان مواطني الكيبوتس قليلي العدد (بضع المئات) لا يستطيعون ان يزودوا اليد العاملة للزراعة وللصناعة معا. وبما ان التخلي عن النشاط الزراعي يعني خيانة مبادىء الاشتراكية الصهيونية ، اضطر الكيبوتس الى استئجار العمال من المدن المجاورة . وهكـــذا ، اصبح مجتمع الكيبوتس المشاعي آلة مشاعية لاستغلال اليد العاملة المستأجرة .

وعادة يعمل اعضاء الكيبوتس كمشرفين على العمـــل في مصانعهم بينما يقوم العمـــال المستأجرون بالمهمات الاقل مهنية . وعندما ينتهي العمل ، يعود العمال المستأجرون الى مدنهم . وبالنسبة اليهم ، فالكيبوتس هو صاحب عمل كأي رأس مالي اخر ، مع فارق ان الرأسماليين لا يبشرون بالاشتراكية(٤٥).

واذا ما افترض أي من القراء غير الحذرين ان تحليل متسبين ما هو الا خيالات فئـــة يسارية صغيرة ، فقد يفيده الاقتباس التالي عن ايزنشتات .

ومع انه لا توجد ارقـــام دقيقة ، الا ان التقديرات الموثوقة تشير الى حـــوالي ١٠٠٠ مؤسسة صناعية قد أنشئت في الكيبوتسات ـــ وغالبا من الحجم الوسط او الصغير الذي يتطلب مستويات عالية من الكفاءة التقنية . وبعـــض المؤسسات الكبيرة هي ملكيـــة مشتركة لعدة كيبوتسات ، او للكيبوتس ـــ وأحيانا **لرأس المـــال الخاص الذي يتـــم استقطابه** . ومعظم هـــذه المؤسسات هي في صناعة الاخشاب والاثـــاث ، والمـــواد الغذائية ، والمعادن ، والصناعات البلاستيكية ، وهي تشكل من ٣٠ الى ٤٠ بالمائة من مجمل انتاج الكيبوتسات(٤٦).

وبالاضافة الى التقلص الثابت في القوة العاملة الزراعية في اسرائيل ، وكذلك الالغـــاء التدريجي لاشتراكية الكيبوتسات ، عـــلى المرء ان يأخـــذ بعين الاعتبار ايضا الطبيعة الخاصة للانتاج الزراعي في اسرائيـــل . فبين عام ١٩٤٩ وعام ١٩٦٧ ، اسهم انتـــاج الحمضيات بشكل مستمر بـ ١٥ بالمائة من مجمل الانتـــاج الزراعي ، وفي عـــام ١٩٦٧ اسهمت منتجات الحمضيات بـ ١٩،٥ بالمائة من انتاج اسرائيـــل الزراعي(٤٧). وكمـــا يظهر من الجـــدول التالي ، استمرت الحمضيات تشكـــل نسبة مرتفعة من اجمـــالي الصادرات الزراعية .

الارقام بالدولارات :

	١٩٤٩	١٩٥٩	١٩٦٥	١٩٦٦	١٩٦٧
صادرات الحمضيات	١٨ مليون	٤٥،٩ م	٧١،٢ م	٧٤،٧ م	٨٣،٧ م
الصادرات الزراعية	١٨،١ مليون	٥٨،١ م	٨٦،٥ م	٩٤،٩ م	١٠٦،٠م
نسبة صادرات الحمضيات الى الصادرات الزراعية	٩٩،٥ ٪	٧٩،٠ ٪	٨٢،٣ ٪	٧٨،٧ ٪	٧٩،٠٪ (٤٨)

وهكذا ففي عام ١٩٦٧ ، اسهمت منتجات الحمضيات بـ ١٩،٣ بالمائة من مجمل الصادرات الاسرائيلية ، او ٣،٤ بالمائة من اجمالي الدخل القومي .

وخلاصة القول ان القطاع الزراعي الاسرائيلي يكشف بشكل واضح عن خواص معينة تشير الى علاقته الوثيقة بالرأسمالية الاسرائيلية : ١) الانتقال المستمر في اليد العاملة من القطاع الزراعي الذي يديره الهستدروت الى القطاع الصناعي من الاقتصاد . ٢) عجز تعاونيات الهستدروت التسويقية عن منع الوسطاء من رفع اسعار المواد الغذائية . ٣) التشديد المتزايد على الانتاج الصناعي (من ٣٠ الى ٤٠ بالمائة من مجمل الانتاج) من قبل الكيبوتسات « الاشتراكية » وكذلك تسلل رأس المال الخاص الى عمليات الكيبوتس . ٤) الطبيعة المتخصصة جدا للانتاج والتصدير الزراعي ، حيث تلعب صادرات الحمضيات دورا حيويا في الميزان التجاري .

هـ ــ **البترول** : بينما استمر « الاربعة الكبار » (الماس ، المنتوجات الغذائية ، الملبوسات والكيمياويات) أعمدة للاقتصاد الاسرائيلي مع صادرات في هذه المجالات ، مؤمنة ١٠ بالمائة من الدخل القومي العام في العام ١٩٦٧ ، فان صلات اسرائيل مع الامبريالية النفطية تبدو اقل بروزا عند النظرة الاولى . يتعمد المدافعون الحاليون عن الصهيونية القفز عن الحقيقة بأن الاشراف على حقول النفط المكتشفة حديثا في العراق كان المحرك الحيوي وراء خطة الحلفاء لتقطيع اوصال الامبراطورية التركية خلال فترة الحرب العالمية الاولى . عرّفت اتفاقية سايكس ــ بيكو السرية في العام ١٩١٥ لبنان وفلسطين بأنهما كتلتان سوف تفصلان عن المقاطعة السورية (التركية) ، حين التخلص من السيطرة التركية في الشرق الاوسط . بعد انتصار الحلفاء ، كان من المفروض ان تجري عملية تطوير كل من لبنان وفلسطين بجعلها مقاطعات اوروبية ، تخدم كمخارج ساحلية بالنسبة للنفط الخام المستخرج من العراق ومن مناطق محلية اخرى . وبينما تمت عملية جعل لبنان اوروبيا بواسطة الاحتلال الفرنسي ، أخذت العملية في فلسطين شكلا مزدوجا ــ الاشراف البريطاني العسكري والسياسي والهجرة الصهيونية الاوروبية ، مرتكزة « شرعيا » على وعد بلفور في العام ١٩١٨ .

خلال فترة الانتداب ، أعد مرفأ حيفا ليكون مركزا رئيسيا للنفط المستخرج من العراق والمملكة السعودية بواسطة الشركات الانكليزية والاميركية . هذا وان مظاهر مثل الدعم البريطاني المباشر لتنمية الاقتصاد الصهيوني ، وجعل بريطانيا فلسطين قاعدة عسكرية قبل الحرب العالمية الثانية وخلالها ، واستخدام الهاجاناه من قبل السلطات الانكليزية لحماية انابيب النفط خلال ثورة العام ١٩٣٦ في فلسطين ، ثم حقوق التنقيب التي حصلت عليها شركات النفط الاجنبية في فلسطين نفسها . كل هذه مؤشرات لا يمكن دحضها على النوايا النفطية الامبريالية لاستخدام فلسطين كمنطقة ساحلية تابعة لها . وكانت المحاولات البريطانية لتحديد الهجرة اليهودية بعد العام ١٩٣٦ ، على أية حال ، دليلا مؤشرا على تدهور الحلف الاساسي بين القادة الصهيونيين والمصالح البريطانية . ومع ان بعض الاشخاص يتحدثون خطأ عن « الحرب اليهودية للتحرر القومي ضد الانكليز » الا انهم يقفزون عن حقيقة مؤداها انه عندما تم الاستيلاء على سلطة الدولة في العام ١٩٤٨ ، فانه لم يتم الاستيلاء او اخراج المصالح البريطانية من قبل السلطات الاسرائيلية ، ذلك ان العلاقة الوثيقة بين الصهيونية والامبريالية ، بدل ان تنتهي وتتحطم ، دخلت مرحلة جديدة بمواصفات جديدة .

صحيح ان شركات النفط اغلقت انابيب نفط حيفا وتجاوبت مع المطالب العربية بعدم بيع النفط العربي لاسرائيل ، ولكنه يجب ان لا يعتقد بأن اصحاب ملايين النفط في العالم التزموا موقفا موحدا « مؤيدا للعرب » . مثلا ، ان جاكوب بلاوستين (المتوفى) ، مؤسس شركة بان اميركان للنفط ، والمساهم الرئيسي في شركة ستاندرد أويل أف

انديانا (التي بدأت عمليات النفط في مصر في العام ١٩٦٣) ، قد مثل المنظمات الصهيونية الاميركية في مؤتمر باريس في العام ١٩٤٦ وكان مؤخرا من اشهر جامعي الاموال للجباية اليهودية الموحدة. وان رودولف ج. سونه بورن (مدير « أمبال » ومدير شركة التنمية الاسرائيلية) لعب دوراً اساسيا في شراء الاسلحة للهاجاناه في الولايات المتحدة ، وخدم كرئيس الجباية اليهودية الموحدة من العام ١٩٥٠ لغاية ١٩٥٤ ، وعندما أعلن قيام اسرائيل في العام ١٩٤٨ ، اشترى حقوق الحفر الخاصة بموبيل اويل في صحراء النقب واسس سونول ، التي هي اليوم احدى شركات النفط الاسرائيلية الاساسية . وبطريقة مماثلة ، حصل المليونير البريطاني ، اسحاق ولفسن على أماكن شركة شل في النقب ، واسس شركة « باز » .

لقد تمثلت ايضا المصالح غير المتناقصة للمستثمرين الغربيين في استخراج النفط الاسرائيلي ، بتأسيس شركة Mediterranean Petroleum وشركة بان — اسرائيل للنفط في العام ١٩٥٣ . احد المدراء المؤسسين لبان — اسرائيل كان وليم ف. باكلي الاب (المتوفي) ، والد العالم اليميني الامريكي المعروف . وهناك مدراء آخرون من بينهم آرون بارو واي (Paper Mills الامريكية — الاسرائيلية) ، وأ. س. شمرون (النائب العام المساعد لاسرائيل ١٩٥٠ — ١٩٥٣) . كما خدم شمرون كمدير لشركة « مديترانيان بتروليوم » ، مع اسرائيل ب. برودي (نائب مدير شركة PEC - Israel). في العام ١٩٥٩ ، اكتسبت Magellan Petroleum Corporation (التي كانت تحت اشراف عائلة باكلي) الموجودات الكاملة للشركتين .

بعد ازمة السويس في العام ١٩٥٦ ، التي تقلصت خلالها ، بسبب اغلاق القناة المؤقت ، احتياطات اوروبا من النفط ، وكذلك عائدات الشركات الغربية ، بدأ بعض خبراء البترول في الدفاع عن بناء انابيب عبر اسرائيل . كخط بديل لشحن النفط الايراني الى اوروبا . كان هارولد لوبل احد مؤيدي الخطة (أزمة نفط الشرق الاوسط واحتياطات الطاقة الاوروبية الغربية) وهو مستشار لمؤسسة راند وكان في السابق باحثا في معهد فولك FALK الاقتصادي الاسرائيلي(٤٩). تولت شركة « تريكونتنتال بايبلاينز ليمتد » عملية بناء خط انابيب ايلات — حيفا ، وهي احد فروع كتلة باكلي . وبالطبع فان شركات الاستثمار الامريكية الاساس ، بما فيها « أمبال » ، اشتركت ايضا اسهما في « تريكونتيننتال » .

شكل هذا المشروع ، الذي كان وما زال بشكل واضح معتمدا على الاشراف الاسرائيلي على ايلات ومضائق تيران ، محاولة لاعادة تنشيط دور ميناء حيفا السابق للعام ١٩٤٨ كمحطة نفط حيوية . ليس من المخالف للمنطق بشيء ، التخمين فيما اذا كان مشروع الانابيب احد العوامل او الحوافز في حرب حزيران ١٩٦٧ ، حيث ادعت اسرائيل ان اغلاق مصر لممرات تيران كان مبرراً للحرب نفسها .

في نوفمبر ١٩٦٩ اشارت مجلة الشرق الاوسط الجديد الى ان الرسميين الاسرائيليين قد دخلوا في مفاوضات سرية مع شركات النفط الاميركية بخصوص استعمال خط ايلات — الى — حيفا بعد تكميله في العام ١٩٧٣ . كان الرأي ان شركات النفط انما دخلت هذه المفاوضات خوفا وتحسبا من المترتبات الاقتصادية بعيد خلع الملك ادريس من ليبيا .

اعلنت اسرائيل في كانون الثاني ١٩٧٠ عن تكميل انبوب النفط ، الذي وصفته Fortune على الشكل التالي : السعة الاساسية ، حوالي ٢٠ مليون طن من النفط الخام سنويا ، ويمكن مضاعفتها ثلاث مرات باضافة الخزانات ومحطات الضخ . وسوف تجني اسرائيل من ٣٣ الى ٤٠ سنت على الطن من النفط المتدفق عبر الانبوب(٥٠). هذا مع ان انبوب ايلات — الى — حيفا ، ثالث اطول خط في العالم ، يستطيع من حيث طاقته ان يدر اكثر

من ٢٠ مليون دولار سنويا من الارباح ، جاعلا اسرائيل محولا حيويا في نقل النفط الايراني الخام الى السوق الاوروبية .

بالاضافة الى انبوب نفط الامبرياليين ، على المرء ان يأخذ الحقيقة بعين الاعتبار ، بأن اسرائيل عند سنة ١٩٦٧ كانت تصدر ٢٠ مليون دولار قيمة بترول سنويا . وتبلغ الضريبة المطلوبة من المستخرجين الاجانب ١٢،٥٠ بالمائة ، أقل بكثير من اية نسبة تطلبها غالب الدول المنتجة للنفط . منذ حرب ١٩٦٧ ، اقام كثير من الشركات الاجنبية آبارا في شبه صحراء سيناء ، شركة يشرف عليها جون م. كنغ ، احد اصحاب ملايين النفط في دنفر . هذه الحقيقة ، مضافا اليها أهمية شرم الشيخ للدفاع العسكري عن منطقة أيلات، سوف تلعب دورا مهما في تحديد مستقبل الوضع السياسي لمنطقة سيناء.

برغم انه من المحتمل ان يظل انتاج النفط ، داخل اسرائيل بحدود قبل العام ١٩٦٧ ، قليلا نسبيا ، لا يمكن للمرء ان يستبعد امكانية عمليات نفط اوسع في النقب او على امتداد البحر الابيض المتوسط . انه من الواضح ان المستثمرين الاجانب في اسرائيل لم يستبعدوا هذه الامكانية ، حيث ان صناعة النفط في اسرائيل ، حتى قبل العام ١٩٦٧ ، كانت تحت سيطرة شركات اجنبية كبيرة ، أمثال سونه بورن ، وولفسن وباكلي .

تسرع عديد من الامريكيين ، ومن ضمنهم بعض الناطقين باسم اليسار ، في الافتراض بأن لا ارتباط لاسرائيل بعالم تجارة النفط . انه من الامور الاساسية ، على أية حال ، ان ندرك ان التوسع الامبريالي يشتمل ، ليس فقط على المنابع الفعلية للثروة وانما ايضا على المنابع ذات القوة الكامنة لذلك . ان العمل الضخم مثل خط انابيب ايلات — الى — حيفا وعمليات ما بعد الحرب في شبه جزيرة سيناء ، تؤكد بشدة ، على ان اسرائيل تتطور بسرعة كمنبع نفط اضافي للسوق (الاوروبية) المتوسعة باستمرار .

و — **قطاعات اضافية** : بالاضافة الى القطاعات الاربعة الرئيسية في الاقتصاد الاسرائيلي — الماس ، الزراعة ، المنسوجات والكيمياويات — يمكن للمرء ان يشير الى حقول جديدة اخذت بالتطور باضطراد منذ العام ١٩٤٨ . صناعة الصلب الاسرائيلية على سبيل المثال ، تميزت بنمو سريع . ولا بد من تسجيل ، انه في هذه الحالة ايضا ، ادت فترة الركود (الميتون) الى تخفيض العمالة ، ومع ذلك ارتفعت الصادرات .

	١٩٦٥	١٩٦٦	١٩٦٧
الناتج بملايين الليرات الاسرائيلية	١،٦٢٩	١،٥١٠	١،٣٢٤
عدد العاملين	٧٢٬٩٤٠	٦٩٬٤٠٠	٦٤٬١٢٠
معدل الانتاج للعامل الواحد	٢٢،٤٧٠ل.أ.	٢١،٧٦٠ل.أ.	٢٠،٦٥٠ل.أ.
الصادرات بملايين الدولارات الامريكية	٢٠٨	٢٨١	٣٣٢(٥١)

مع ان حوالي ١٢٪ من عمال الصلب في اسرائيل قد جرى تقليصهم بين الاعوام ١٩٦٥ و ١٩٦٧ ، فان الصادرات ارتفعت بحوالي ٧٠ بالمائة . وهذه الظاهرة مماثلة لما حدث في الصناعات الرئيسية الاخرى ، مع انه من الصحيح ان معدل الانتاج للعامل الواحد في صناعة الصلب قد شهد انخفاضا خلال هذه الفترة . على اية حال ، ان رقم الصادرات الحاد الارتفاع يوازي ارقام صناعة المنسوجات او صناعة الكيمياويات ويشير الى اتجاه بعيد جدا عن الاعتماد على الاستهلاك المحلي من أجل الارباح .

خلال الستينات كانت السياحة واحدا من اسرع قطاعات الاقتصاد توسعا . بلغت العائدات من السياحة ٥٤،٢ مليون دولار في العام ١٩٦٤ ، في مقابل ٤٬٨ مليون دولار للعام ١٩٥٤ . ومع ان العائدات السنوية بقيت ثابتة نسبيا خلال فترة الركود «ميتون»، فان الاشهر الثلاثة الاولى من العام ١٩٦٨ أدخلت وحدها ٥٧،٧ مليون دولار ، وبلغ

المجموع السنوي ٧٤ مليون دولار ضاربا رقما قياسيا(٥٢). اكتسبت السياحة أهمية ، ليس فقط كمصدر لعائدات صافية، وانما كمنبع للعملة الاجنبية، التي ساعدت جزئيا في تعديل العجز السنوي في الميزان التجاري . في حقل السياحة ، يبدو الاشراف المالي الاجنبي واضحا جدا . وعلى سبيل المثال فان « يونايتد تورز » و Peltours ، أشهر مكتبي سفر ، هما على التوالي ملك PEC اسرائيل و Hotels International ، التي كانت موجوداتها ١٨ مليون دولار في العام ١٩٦٨ ، وهي فروع لشركة فنادق هيلتون . كما ان شبكة فنادق دان تقع تحت اشراف مجموعة Isra-Miami ، التي هي بدورها عبارة عن ائتلاف مستثمرين امريكيين واسرائيليين . مؤخرا جدا ، يمكننا الاشارة الى مخططات فنادق هوليداي الرامية الى تطوير منطقة شرم الشيخ كمنطقة سياحية .

من الممكن ايضا تصنيف المواد الكهربائية والالكترونيات كقطاع متطور حديثا ، حيث تم في العام ١٩٦٥ تشغيل ٩٫٥٥٠ عاملا . مع ذلك فقد كان لمرحلة الركود اثار قاسية ، سببت انخفاضا في الناتج من ٢٣٥ مليون ليرة (١٩٦٥) الى ١٩٤ مليون ليرة (١٩٦٧). ويتناسب هذا التدهور ، ٢٣ ٪ ، مع تسريح ١٫٩٩٠ عاملا(٥٣). على أية حال ، فان كفاءات العمال ذات المستوى العالي ، في هذا القطاع ، اجتذبت استثمارا من شركات امريكية ، مثل Western Electric, Sylvania ، وستينغ هاوس ، زنيث ، ولورنس روكفلر وشركاه . من الممكن ايضا النظر الى صناعة الطيران الاسرائيلية كقطاع جديد نسبيا ، حيث ارتفع الناتج العام من ١٨ مليون ليرة اسرائيلية في العام ١٩٦١ الى ١٢٨ مليون ليرة في نهاية العام ١٩٦٧(٥٤). وكان حوالي ٦٠٠٠ عامل مستوعبين في هذا القطاع في العام ١٩٦٧ . في العام ١٩٦٩ ، اسست توربوميكا ، وهي شركة فرنسية كبيرة ، مصنعا قرب القدس لصناعة الطائرات الخفيفة .

على عكس المجالات الهامة الاخرى في الاقتصاد الوطني ، فان صناعة البناء تميزت تقليديا بكونها ملكية دائمة للهستدروت وللحكومة . في العام ١٩٥٩(٥٥) ساهم الهستدروت والالتزامات العامة بحوالي ٤١٫٥ بالمائة من ناتج البناء . ويقول ايزنشتات ان البناء قد لعب دائما دورا حيويا ، اثناء فترة الانتداب وبعدها :

كان فرع البناء على امتداد الفترة ١٩٣٠ — ١٩٦٠ ، باستثناء سنوات الحرب ، كبيرا بالنسبة لحجمه في البلدان الاخرى . وقد شغل ، في اوقات ، ١٠ بالمائة من مجموع القوة العاملة وساهم بنسبة مماثلة في الانتاج القومي . ان هذا الفرع هو الاقل ثباتا في البنية الاقتصادية ، حيث ان الحرب او الهجرة الواسعة يمكن (على التوالي) ان تسبب تقليص حجمه الى النصف او مضاعفته . هذا وقد وصلت الاستثمارات في البناء بالنسبة لسائر الاستثمارات ، ٤٠ بالمئة في أوائل الخمسينات و ٣٠ بالمئة في السنين الاخيرة ، الامر الذي زاد الاهمية النسبية لهذا الفرع في الاقتصاد(٥٦). انه من المفيد ان ندرك اهمية البناء ، تاريخيا ، ليس فقط بمعنى ايجاد التسهيلات الضرورية للصناعات الاخرى، وانما كمركز للوظائف المؤقتة للمهاجرين الجدد . اكثر من ذلك ، يجب الادراك بأن المساكن « على الطريقة الغربية » ، كانت واحدة من المكافآت الرأسمالية للمهاجرين من اوروبا ومن الامريكتين . لهذه الاسباب ، فانه لا يمكن تحليل دور الهستدروت ، كموظف رئيسي لعمال البناء ، في فراغ . وان مشاريع مثل سولل بونه Solel Boneh ، التي اسسها الهستدروت في العام ١٩٢١ ، اعتمدت باستمرار والى حد على طلب البناء من الصناعة الخاصة ومن القطاعات الاكثر ثراء من المواطنين . بالاضافة الى ذلك ، لا بد من الاشارة الى ان الاستثمار الخاص في قطاع البناء ، ارتفع باطراد منذ العام ١٩٤٨ . على سبيل المثال ، في تطوير المساكن لوحدها ، بلغ الاستثمار

الخاص في العام ١٩٦٢ حوالي ٤٣٧،٥ مليون ليرة اسرائيلية ، اي حوالي ٥٢،٩ بالمائة من مجموع استثمار المساكن . في العام ١٩٦٦ ، ارتفع الاستثمار الخاص في بناء المساكن الى ٥١٤،٥ مليون ليرة إسرائيلية ، او ٦٦،٣ بالمائة من مجموع الاستثمار(٥٧) . في هذه الايام ، من الممكن ذكر شركات ، مثل شركة البناء نافه NAVEH (وتمتلكها كليا PEC - Israel Corporation) ،حيث يسيطر الرأسمال الاجنبي .

ان دخول الرأسمال الاجنبي والمحلي الخاص قطاع البناء ، كان موازيا لتطوير الصلات الحميمة بين شركات الهستدروت والشركات الخاصة . على سبيل المثال فان بار — كوخبا ميروفيتش ، أحد المدراء المؤسسين لسولل بونه ، يعمل اليوم أيضا كمدير لشركة تلراد الالكترونية ولشركة Alliance Tire and Rubber وهي اكبر منتج لمواد المطاط في اسرائيل ، وان ميروفيتش خدم ايضا كعضو في المجلس الحكومي للاستثمارات في الاستثمارات الاجنبية .

احدى السمات الاخرى الهامة جدا لقطاع البناء هي اعتماده الدائم والمتزايد على العمال العرب . في العام ١٩٥٤ كان فقط ٨،٤ بالمائة من اجمالي القوة العاملة العربية مستوعبا في البناء ، بينما ٦٠ بالمائة كانوا في الزراعة و٨،٢ بالمائة في الصناعات اليدوية . الا انه في العام ١٩٦٦ استوعبت الزراعة ٤٠ بالمائة من القوة العاملة العربية ، في حين احتوى البناء ١٩،٦ بالمائة . ومع أنه يمكن اعادة سبب انخفاض القوة العاملة العربية في الزراعة الى الانخفاض العام لقطاع الزراعة العربية في الاقتصاد الاسرائيلي، فان ١٤،٩ بالمائة فقط من القوة العاملة كان مستوعبا في الصناعة في العام ١٩٦٦(٥٨). البناء ، بدلا من الصناعة ، كان حيز التركيز الرئيسي للبروليتاريا العربية ، لان النسبة المئوية لعمال البناء اليهود انخفضت باستمرار . هذه الحالة — التخصص في مجال واحد — تعتبر مؤشرا بارزا على الطريقة التي تغير بواسطتها شكل الحياة الاقتصادية للسكان العرب منذ العام ١٩٤٨ . أجبر الذين تركوا الزراعة على ايجاد العمل في غالب الاحيان في قطاع البناء ، الذي يعتبر أكثر قطاعات الاقتصاد الاسرائيلي تقلبا ، بينما ظلت الصناعة ، القطاع الاكثر سرعة في التوسع ، نسبيا مغلقة .

منذ حرب الايام الستة أثرت الظاهرة نفسها على العمال العرب القادمين من الاراضي المحتلة . العمال من غزة او الضفة الغربية ، الذين وجدوا عملا في اسرائيل ، يحصلون على معدل اجر غير صاف بحدود ٨ ليرات في اليوم في البناء(٥٩). وبما ان اجور هؤلاء العمال أقل بكثير من اجور العمال اليهود ، فان هناك طلبا دائما على خدماتهم . وليس هذا الطلب من قطاع الهستدروت « الاشتراكي » بأقل مما يأتي من المشاريع الخاصة . أوردت الجيروزالم بوست (١٢ شباط ١٩٧١) ان ٣٠٠٠ من أصل ١٦٠٠ عامل بناء موظفين من قبل سولل بونه التابعة للهستدروت هم اليوم من العرب القادمين من الاراضي المحتلة . كما اشار مقال سابق عن هذا في هآرتس (١٩٦٩/٨/١) بكل وضوح الى انهم ملتزمي البناء الى العمال العرب ذوي الاجر المنخفض : «رفض المهندسون بعدم اكتراث قول الوزير بنحاس سابير باننا انما نحول العرب الى حطابين وسقائين . ذلك انه ، كما يقولون ، لا بد أن يقوم أحد بانجاز هذا النوع من العمل حتى في أكثر البلدان تقدما في التكنولوجيا » .

ز — **خلاصة :** ان الطبقة الرأسمالية داخل اسرائيل ، التي ظل تطورها التاريخي مستمرا في ارتباطه بالرأسمال الاجنبي ، أشرفت على الصناعات الرئيسية لسنوات عديدة ، وادخلت باضطراد صناعات جديدة ، وبالتواطؤ مع بيروقراطية العمل عملت بثبات على التخفيف من ملكية الهستدروت في الزراعة والبناء . ومع أننا يجب ان نركز دائما على دور اسرائيل السياسي والعسكري « كدرع لاوروبا ضد آسيا »(٦٠)، وجد

وبقيت المحافظة عليه من أجل أن يحمي السيطرة الامبريالية على العالم العربي ، وانه لخطأ فادح اغفال او عدم فهم تأثير الامبريالية على الاقتصاد الاسرائيلي . الرأسمالية الامريكية تتوخى اليوم فائدة مزدوجة سياسية واقتصادية من بلد ، يعتبر ثاني أكبر مصدر للماس المصقول في العالم ، ومحولا سريع التطور لشحنات النفط الايراني الى اوروبا ، ومستوردا لاكثر من ٢٠٠ مليون دولار سنويا قيمة بضائع امريكية ، ومصدرا هاما للعمال المدربين . انها حقيقة واضحة انه لم يكن باستطاعة الاقتصاد الاسرائيلي الحالي أن يتطور دون المعونات الاجنبية ودون اغتصاب الارض التي كان يملكها الشعب الفلسطيني ، ولكننا يجب أن نعترف أن رأسماليي اسرائيل نفسها واسيادهم الاجانب كانوا المستفيدين الاساسيين .

ان التوسع السريع في الصادرات الاسرائيلية ، حتى خلال ازمتها القاسية ، رافقه تسارع مذهل في المصانع (مثلا ، معدل الانتاج للعامل في صناعة المنسوجات ارتفع ٢٣ بالمائة بين ١٩٦٥ و١٩٦٧ . في صناعة الكيماويات ارتفع الرقم ١٧ بالمائة ، وفي صناعة الماس ٢٥ بالمائة) . وكما بينت سابقا تزايد الاستثمار باضطراد ، رغم التقلبات في بعض السنوات ، فقد بلغ استثمار الشركات الاميركية وحدها ١٠٨ ملايين دولار في العام ١٩٦٩ . من الواضح ان اسرائيل بالنسبة للمستثمرين لا تقدم فقط احتمالات سياسية بل اقتصادية ايضا . على المستوى ذاته ، لا يمكن للمرء ان يتجاهل الفوائد المجناة من واردات اسرائيل المرتفعة من البضائع الاميركية والاوروبية .

مع أن اكثر ضحايا التطور الرأسمالي وضوحا هو الشعب الفلسطيني ، المنتزع من أرضه ومن اسباب حياته أو خاضع لاقصى درجات الاستغلال داخل الاقتصاد الاسرائيلي ، فان الجماهير الاسرائيلية نفسها هي أيضا ضحايا اقتصادية لـ Sonneborns, و Recanatis وغيرهم من الرأسماليين . لهذا السبب فان التوجه العنيد نحو الارباح لا يمكن أن يتم في سلام . تماما كما مر محتوى النضال الفلسطيني وشكله ضد الصهيونية عبر تحولات مختلفة ، فان العلاقة بين الجماهير الاسرائيلية والرأسمالية انما هي جديرة بالتحول . حتى لو أن المعونات الامبريالية وان الجوهر الاستعماري للمجتمع الصهيوني قد خلقا مجتمعا رأسماليا نادرا لا نجد مثيلا لبنيته في العالم ، فان التناقضات الداخلية من الممكن ان تتعمق . ان « الهجمة من اجل الارباح » من قبل الرأسماليين المحليين والاجانب الذين يعملون في اسرائيل ، لها نقيضها الواضح المنظور — امكانية النضال الثوري للجماهير الاسرائيلية ضد مستغليها .

ثامنا — ملاحظات حول الصراع الطبقي في اسرائيل :

سننتقل ، في هذا القسم ، من الاعتبارات المحددة ، مثل البنوك في اسرائيل او صناعة الماس ، الى تفحص أكثر عمومية للعلاقات الطبقية في اسرائيل . مثل هذا التفحص لا يتم دون جانب تحليلي توقعي ، اذ انه لا يمكن تجنب الاشارة الى بعض العوامل « الاستثنائية » في اسرائيل ، مثل اهمية الهجرة والهجرة المعاكسة ، دور المعونات الاجنبية ، ودور الهستدروت كحصان طروادة لرأسماليي اسرائيل نفسها وحلفائهم في ما وراء البحار . اتجاه اغلبية متسببين يفضي الى أن التكوين الطبقي والصراع الطبقي في اسرائيل يظلان في حدود مرحلة بدائية :

« اذ أن المجتمع اليهودي في اسرائيل انما هو مجتمع مهاجر مع كافة المواصفات التي توجد عادة في مثل هذا المجتمع . الطبقات هنا في مرحلة تكوين ، والوعي الطبقي ما زال باهتا جدا . عند الهجرة ، يغير القادم الجديد مهنته (خاصة في مثل حالة اسرائيل) ، واهتمامه وانتماءه الطبقي (أساس الغالبية من عمال اسرائيل هي البورجوازية الصغيرة) . اكثر من ذلك ، المراكز الاكثر سلطة في المجتمع يحتلها مهاجرو موجة أقدم ،

مما يقوي مشاعر التحرك الاجتماعي بين المهاجرين الجدد . يرى العامل المهاجر وضعه الاجتماعي الحالي ليس أكثر من مرحلة مؤقتة : والده لم يكن عاملا ، وهو نفسه يعيش على أمل أن يصبح مستقلا ، أو أن اولاده ، على الاقل ، لا يكونون عمالا . الوعي الطبقي كما هو قائم ، مثلا ، لدى البروليتاريا الانكليزية او الفرنسية ، غير موجود في اسرائيل . هنا (كما في بلدان المهاجرين الاخرى) لا يصنف الناس انفسهم على أساس انتمائهم الطبقي ، بل على أساس مجتمعاتهم وعلى أساس بلد المنشأ »(٦١).

تصنف غالبية متسبين اسرائيل على أنها « بلد هجرة » . وهذا صحيح ولكنني أشعر ان هذه الحالة الاستثنائية مبالغ التركيز عليها . برغم ان الوعي الطبقي لدى البروليتاريا الاسرائيلية ليس مشابها لاشكال الوعي الطبقي القائمة في بلدان اوروبية ، فانني أشعر أن بنية الاقتصاد الاسرائيلي الحالية سوف تدفع العمال باضطراد نحو « التصنيف الطبقي » وبعيدا عن « التصنيف على أساس المجتمع » .

انه من المهم جدا أن نفهم ، أن سكان فلسطين اليهود ، قبل مرحلة الدولة ، كانوا مقسمين الى طبقة رأسمالية واخرى بروليتارية . يعتقد بعض « الصهيونيين اليساريين » ، كما يفعل بعض معادي الصهيونية في امريكا ، انه خلال فترة الانتداب ، أشرف المهاجرون « الاشتراكيون » اشرافا قويا على الاقتصاد ، على أن هذا الاشراف اضمحل خلال مرحلة متقدمة من تاريخ الصهيونية . غير أن تاريخ اليشوف (المجتمع اليهودي في فلسطين : المترجم) لم يبرز أي « عصر ذهبي لاشتراكية صهيونية » . يقدم ايزنشتات الوصف التالي لاقتصاد الانتداب من خلال الاربعينات : كان متوسط حجم المشاريع اليهودية الصناعية (باستثناء الصناعات اليدوية) في العام ١٩٤٣ ، حوالي ٢١ عاملا . حوالي نصف مجموع العاملين ، كانوا يعملون في المصانع التي كانت تشغل اكثر من خمسين شخصا . أكثر من نصف المؤسسات كانت تشغل أقل من عشرة أشخاص .

كانت حوالي ٨٠ بالمائة من المؤسسات ــ التي تشغل حوالي ٤٠ بالمائة من مجموع العمال الصناعيين ــ منظمة على أساس الملكية الخاصة او الشركات المساهمة . كانت الشركات الخاصة والعامة المحدودة تؤلف أقل من خمس مجموع المؤسسات ، ولكنها شغلت أكثر من نصف القوة العاملة في الصناعة . أما حصة التعاونيات فلم تكن أكثر من خمسة بالمائة من مجموع الصناعة بالنسبة للحالتين .

كان قطاع الهستدروت يملك حوالي ٧٠ بالمائة من المزارع المختلطة في اواخر فترة الانتداب (١٩٤٣) ، و٦٠٨ بالمائة من مزارع الحمضيات ، وحوالي ١٠ بالمائة من الصناعة ، وثلثي فروع البناء ، ونسبة مماثلة في مواصلات الطرق(٦٢).

مع أن المؤسسات الصناعية الكبيرة كانت نادرة . يمكن للمرء ان يلاحظ ، انه خلال تلك الفترة ، كانت المؤسسات ذات الملكية الخاصة تشكل الغالبية . ومن الملاحظ أيضا أن التعاونيات والهستدروت كانت تشرف على ١٥ بالمائة فقط من اجمالي الصناعة . برغم أن الاشخاص ذوي المثاليات « الاشتراكية » او الاشخاص المنتمين لحركات مسماة اشتراكية ، كانوا مهمين عدديا خلال اليشوف ، فان المشاريع الخاصة كانت مسيطرة سيطرة قوية .

كان الوجود العسكري البريطاني المتزايد سببا لانتعاش اقتصادي خلال الحرب العالمية الثانية ، غير أن تدنيا حادا تطور في الفترة التي تلت الحرب . وعند انشاء دولة اسرائيل في العام ١٩٤٨ ، نتجت تعقيدات اقتصادية اضافية عن اغلاق خط أنابيب حيفا ، وعن أنتهاء التجارة مع الدول العربية ، وانسحاب الكثير من الرأسمال الانكليزي . بالطبع ، لا بد من الاشارة ، الى السيطرة الصهيونية على الثروة ــ بالاستيلاء على الارض

والممتلكات الخاصة بعرب فلسطين (الاراضي انتزعت باسم الصندوق القومي اليهودي ومن ثم أعيد توزيعها على الكيبوتسات والتعاونيات الزراعية المشكلة حديثا) .

ان ايجاد حيز الرقابة الحكومية على الاقتصاد ، يشكل ، بالنسبة لايزنشتات تمايزا مهما بين مرحلة الانتداب ومرحلة الدولة . وهو يرى أنه خلال السنوات الاولى على وجود اسرائيل ، أصبحت الحكومة « العامل الاقتصادي الاعلى ، في التخطيط والتشجيع على حد سواء ، وفي الاشراف على الحياة الاقتصادية، وايضا في حالات عديدة كمشارك مباشر »(٦٣). حيث ان تمييز ايزنشتات بين اليشوف ومرحلة الدولة مفيد ، كما أنه من المهم أيضا طرح سؤال يتعدى حدود الاجتماعيات البورجوازية : « هل خدمت عمليات الحكومة الاقتصادية الطبقة العاملة أم مصالح الراسمال الخاص ؟ » .

يبين ايزنشتات نفسه انه ، لغاية ١٩٥١ ، كانت الحكومة غير قادرة ، بشكل جلي ، على الامساك بزمام الازمة التي تلت ايجاد الدولة :

خلال الاعوام ١٩٤٩ — ٥١ بلغت الصادرات ١١ أو ١٢ بالمائة فقط من قيمة الواردات ، وتزايد العجز التجاري السنوي باضطراد ، بالغا مجموع ما يقارب ٣٣٣ مليون دولار في العام ١٩٥١ . حاولت الحكومة خلال هذه الفترة ، ان تضغط التضخم بوسائل التموين المقنن ، بمراقبة الاسعار مثلا ، وبوسائل ادارية مباشرة اخرى . ولكن هذه المجهودات تحطمت بسبب عمليات السوق السوداء ، ورفض منح الثقة من قبل الناس ، وخاصة بعد تقنين توزيع الملبوسات والاحذية في صيف العام ١٩٥٠ . كذلك أدت قساوة الشتاء التالي الى تأزيم الموقف ، مهددة بانهيار بنية العملة والاسعار برمتها(٦٤).

نظرا لتردي الحالة ، أعلنت السلطات « السياسية الاقتصادية الجديدة » ، التي احتوت تخفيضا لليرة الاسرائيلية في شباط ١٩٥٢ ، وتجميدا للاجور ، وكذلك عبئا ضريبيا للتطوير من الشعب . يعترف ايزنشتات ان السياسة الاقتصادية الجديدة خلقت ، في الاساس ، تزايدا في البطالة ، ولكنه يعرفها بأنها عمل ناجح ، مشيرا الى أن استقرارا قد نتج عنها(٦٥). ليس صعبا على هؤلاء الذين يعرفون السياسات الاقتصادية للحكومات الرأسمالية الاخرى ، ان يدركوا أن تخفيض العملة ، ومراقبات الاجور ، ورفع الضرائب ما هي الا « مسكنات تقليدية من أجل التضخم » . في حالة اسرائيل ، على أي حال ، يجب أن نعرف ان هذه الاجراءات قد وضعتها حكومة يسيطر عليها المباي ، حزب يسمي نفسه « اشتراكيا » .

ان التناقضات التي سبقت السياسة الاقتصادية الجديدة مألوفة في مجتمع توجد فيه طبقات . لقد حصل ١٠ بالمائة من سكان اسرائيل ، في العام ١٩٥٠ ، على ١٧،٧ ٪ من مجموع الدخل الفردي السنوي ، بينما حصل النصف السفلي لسكان اسرائيل على ٣٧ بالمائة(٦٦). ورغم أن هذه الفروقات في الدخل ليست شاسعة ، كما هي في بلدان اخرى عديدة ، الا انها تشكل حاجزا متينا بين الطبقة العليا والطبقة العمالية . ومن المؤكد انه في العام ١٩٥٠ كان السؤال « هل ستزداد الفروقات في الدخل ام ستنقص ؟ » ، امتحانا مهما لطبيعة الاقتصاد ولدولة اسرائيل . وقد تبين عام ١٩٥٣ ان حصة الهستدروت النسبية في الحياة الاقتصادية لم تتوسع . وكان الهستدروت ما زال مستبعدا عن السيطرة على القطاعات الصناعية الرئيسية كالمساس والمنسوجات والكيماويات ، كما كان مستبعدا قبل مرحلة الدولة . أما القطاعات الرئيسية التي كانت تخضع لسيطرة الهستدروت فهي : القطاع الزراعي (ثلثا مجموع الانتاج في العام ١٩٥٣) وتجارة الجملة (٢٠،٦ بالمائة من مجموع الانتاج في العام ١٩٥٣)(٦٧). كما احتفظ الهستدروت بحوالي عشرين بالمائة من قطاعي البنوك التجارية والتأمين .

وفي تلك الاثناء حقق القطاع الحكومي الجديد توسعه الرئيسي في حقل الخدمات العامة ، كالمواصلات والمنافع العامة وقد تجنب القطاع العام النشاطات الخاصة كتجارة المفرق والاعمال المصرفية والصناعات الخفيفة . أما الحكومة التي يحتل الهستدروت مناصب هامة فيها ، فقد فشلت باستمرار في ارساء سياسة تضعف من قوة القطاع الخاص التي كانت قائمة قبل انشاء الدولة .

أما حقبة الخطة الاقتصادية الجديدة فقد تميزت بنشوء تناقضات اجتماعية واقتصادية جديدة ، وبرغم أن العجز في التجارة الخارجية قد انخفض ما بين عامي ١٩٥١ و١٩٥٤، الا أن ضغوط التضخم المالي عادت للظهور خصوصا مع زيادة النفقات العسكرية خلال عامي ١٩٥٥ و١٩٥٦ . ويجب الاخذ بعين الاعتبار الموجة الثانية الكبيرة من المهاجرين التي كانت تتألف في غالبيتها من يهود شمال افريقيا .

في العام ١٩٥٧ ازدادت فروقات الدخل التي تفصل الاثرياء الاسرائيليين عن الطبقة العاملة ازديادا حادا :

	١٩٥٠	١٩٥٦—١٩٥٧	التغير
١) أعلى ١٠ ٪ من السكان	١٧،٧ ٪ من مجموع الدخل الفردي	٢٠،٤ ٪	+ ٢،٧ ٪
٢) أعلى ٢٠ ٪	٢١،٠ ٪ من مجموع الدخل الفردي	٣٤،٨ ٪	+ ١٣،٨ ٪
٣) أدنى ٥٠ ٪	٢٧،٠ ٪ من مجموع الدخل الفردي	٣٢،٨ ٪	— ٤،٢ ٪ (٦٩)

بينما يظهر من الجدول اعلاه أن أعلى ٢٠ ٪ من السكان قد حققوا زيادة بارزة في مدخولهم فان ادنى ٥٠ ٪ من السكان قد انخفضت مداخيلهم .وان السياسة الاقتصادية الجديدة نفسها ، التي تميزت بتجميد الاجور وبتخفيض قيمة العملة ، قد تطابقت زمنيا مع هذه الظاهرة . وبالاضافة كان من الواضح ان سياسات الحكومة قد فشلت في دمج المهاجرين من آسيا وافريقيا بشكل كامل .

وقد ظلت البطالة مرتفعة باستمرار بين المهاجرين الشرقيين :

نسبة العاطلين عن العمل بين:	حزيران ١٩٥٤	الهبوط	حزيران ١٩٥٧
١) المهاجرون الاميركيون والاوروبيون قبل ١٩٤٨	١) ٣،٤ ٪	١) —٥٠،٩٪	٢،٥ ٪
٢) المهاجرون الاسيويون والافريقيون قبل ١٩٤٨	٢) ٧،٧ ٪	٢) — ٢،٢٪	٥،٥ ٪
٣) المهاجرون الاميركيون والاوروبيون بعد ١٩٤٨	٣) ٧،٩ ٪	٣) — ١،٤٪	٦،٥ ٪
٤) المهاجرون الاسيويون والافريقيون بعد ١٩٤٨	٤) ١٥،٤٪	٤) — ٤،٢٪	١١،٢ ٪ (٧٠)

وهكذا نلاحظ ان المهاجرين الاسيويين والافريقيين سواء الذين وصلوا قبل او بعد عام ١٩٤٨ ، تتفشى بينهم البطالة بنسبة ضعف البطالة المتفشية بين المهاجرين الاوروبيين والامريكيين . وهذه الحالة تتمشى ، كأمر حتمي ، مع المداخيل المنخفضة ونسبة أصحاب الاملاك المنخفضة في اوساط المهاجرين الشرقيين . كذلك من المفيد ان نتذكر أن المهاجرين الشرقيين حرموا من بعض أشكال تدفق الرأسمال الاجنبي مثل التعويضات الشخصية المباشرة من المانيا الغربية .

وقد فشلت الخطة الاقتصادية الجديدة في الحد من البطالة الدائمة في أوساط الاقلية العربية في اسرائيل :

	حزيران١٩٥٤	الهبوط	١٩٥٨
نسبة اليهود العاطلين عن العمل من مجموع القوى العاملة اليهودية :	٨٫٣٪	٢٫٧٪	٥٫٦٪
نسبة العرب العاطلين عن العمل من مجموع القوى العاملة العربية :	٩٫٠٪	١٫٩—	٧٫١٪(٧١)

وهكذا فان انخفاض البطالة خلال أربع سنوات بين العمال اليهود كان أكبر منه بين العمال العرب . وبالاضافة فقد شهد عام ١٩٥٨ هوة اكبر في البطالة بين العرب واليهود مما كان الحال عليه عام ١٩٥٤ .

وفي الاساس تطابقت الخطة الاقتصادية الجديدة التي وضعت عام ١٩٥٢ مع ازدياد فروقات الدخل ومع استمرار نسبة البطالة العالية بين اليهود الشرقيين والسكان العرب . ومع ذلك فقد اتصفت حقب الخطة الاقتصادية الجديدة بتدفق رأس المال بشكل لم يسبق له مثيل في تاريخ الصهيونية . فقد بلغت واردات رأس المال الاجنبي بين عامي ١٩٥٠ و١٩٥٩، ٥٧٩ مليون دولار أي بمعدل ٥٧٫٩مليون دولار سنويا(٧٢). وبما ان الحكومة التي خططت ونفذت الخطة الاقتصادية الجديدة كانت اسميا « اشتراكية » ، وكان من بين أعضائها قادة سابقون للهستدروت مثل بن غوريون ، لا يتمالك المرء ان يسأل « لماذا خان هؤلاء القادة الاشتراكيون ، الطبقة العاملة ؟ » .

ويشعر غالبية اعضاء متسبين ، الذين يدركون تماما وجود الهستدروت وقطاعات الملكية الحكومية ، بان بيروقراطية العمال نفسها كانت دائما اقوى من الطبقة الرأسمالية في اسرائيل :

فهناك اشراف بيروقراطي شديد على القطاع الخاص (من قبل القادة العماليين) ومن قبل السلطة المباشرة للهستدروت والقطاعات الحكومية . وهذا الاشراف يتخطى التدخل الحكومي في الحياة الاقتصادية ، الامر المقبول في معظم الدول الرأسمالية . ويجب ألا ننسى ان الاقتصاد الاسرائيلي ككل — وارباح الرأسماليين — يعتمد الى حد كبير على الاموال الاجنبية التي تعطى للبيروقراطية الصهيونية . وهناك عدة طرق يمكن لبيروقراطية العمال بواسطتها ان تقيم حالة من التوازن مع تدفق الاموال الاجنبية على مختلف احتكارات القطاع الخاص وان تتمتع بالسيطرة على البورجوازية(٧٣).

وانا لا اعتقد ان وجهة نظر متسبين هذه تصور دور بيروقراطيي العمال الاسرائيليين تصويرا دقيقا . فكما ذكرت سابقا ، تتصف نشاطات الهستدروت المالية والصناعية بالتعاون الوثيق بين البيروقراطيين والرأسماليين الاسرائيليين والمستثمرين الاجانب . ان البيروقراطيين كأفراد يحتلون مناصب حكومية هامة، الا انه من الخطأ الافتراض بأنهم « يتمتعون بالسيطرة على البورجوازيين » . ورغم ان شخصيات مثل بن غوريون ، واشكول ، وغولدا مائير ، قد لعبوا دورا في تقرير مصير المعونات الاجنبية الضخمة ، الا أن سلطة البيروقراطيين الحكومية كانت امتدادا لقوة البورجوازية الاقتصادية .

ولم يمر فشل الخطة الاقتصادية الجديدة في توفير حلول فعالة لمستويات الدخل المنخفضة، وللبطالة ، ولاشكال اخرى من الحرمان موجودة في اوساط الطبقة السفلى الاسرائيلية ، بدون آثار سياسية . فمثلا، برزت حادثة «وادي الصليب» المشهورة عام ١٩٥٩ في اوساط اليهود الشرقيين . فقد ادت الاحتجاجات العنيفة على الاوضاع السيئة في حي وادي الصليب في حيفا الذي يسكنه يهود من شمال افريقيا ، الى اندلاع حوادث مماثلة في اماكن أخرى في اسرائيل . وقد ادت التظاهرات والانتفاضات الى ظهور « اللكود » ، وهي منظمة سياسية لليهود شمال الافريقيين ، والتي اعلنت معارضتها المتشددة « للمصالح الذاتية لكل الاحزاب القائمة ، واعلنت عن تبنيها لعقيدة الانفصال الاقليمي »(٧٤). ورغم ان « اللكود » قصرت نشاطها على المجال الانتخابي ، ورغم ان

الاحزاب السياسية التقليدية نجحت في طمس النقمة الشرقية بادخال عدد اكبر من المرشحين الاسيويين والافريقيين في لوائحها الانتخابية ، فان الانتفاضات بحد ذاتها وبروز « اللكود » القصير الامد كقوة سياسية تشكل مؤشرات بليغة على الصراع الطبقي داخل المجتمع اليهودي في اسرائيل .

كذلك كان للاضطهاد الطبقي في اوساط العرب « الاسرائيليين » آثار سياسية أهمها بروز حركة « الارض » عام ١٩٥٨ . وقد قامت السلطات الاسرائيلية باضطهاد وكبت حركة الارض التي كانت تطالب بالحقوق الاقتصادية والسياسية الكاملة للعرب في اسرائيل ، وبحق اللاجئين الفلسطينيين بالعودة . واخيرا ، قامت المحكمة العليا الاسرائيلية عام ١٩٦٤ باعلان حركة الارض حركة غير شرعية. ويمكن ارجاع نشوء حركة الارض وتوجه العديد من العرب نحو الحزب الشيوعي الاسرائيلي « راكاح » الى الاضطهاد الذي يمارسه المجتمع الاسرائيلي على السكان العرب . ويمكن الاطلاع على صورة تفصيلية لمحنة عرب « اسرائيل » في كتاب صبري جريس « العرب في اسرائيل » .

وقد أدى استمرار بعض المصاعب كعجز الميزان التجاري والتضخم المالي الى وضع « خطة اقتصادية جديدة » ثانية عام ١٩٦٢ . فقد تم في شهر شباط من ذلك العام تخفيض سعر الليرة الاسرائيلية من ٥٠ الى ٣٣ سنتا أميركيا . وبينما وافقت نقابة جمعية المنتجين على الحد من الاسعار في بعض المجالات ، وافق زعماء الهستدروت على تجميد الاجور لعام ١٩٦٣ — ١٩٦٤(٧٥). وقد كان من قبيل المصادفة فقط أن الاستثمارات الاجنبية زادت ، في ظل الخطة الاقتصادية الجديدة الثانية ، الى حد لم يسبق له مثيل ، اذ بلغت ١٦٩،٤ مليون دولار عام ١٩٦٤(٧٦).

ورافق توسع الاستثمار الاجنبي زيادة في بيع الاسهم في الخارج وزيادة في المعونات الخارجية . فقد بلغت واردات رأس المال — ما بين عامي ١٩٦٠ و١٩٦٤ — ٣٦ مليون دولار ، مقابل ٣١٦ مليون دولار للفترة ١٩٥٥ — ١٩٥٩(٧٧). وبالتالي ، حظيت اسرائيل بازدهار اقتصادي قصير ما بين عامي ١٩٦٣ و١٩٦٥ . ولكن ، كما يظهر من الجداول التالية ، تبع الازدهار انحسار اقتصادي :

أ) الاجور اليومية بالليرة الاسرائيلية — معدلات الذكور والاناث : ١١

١٩٦٢	١٩٦٣	١٩٦٤	١٩٦٥	١٩٦٦	١٩٦٧	١٩٦٨
١٢،٣ ل.أ.	١٣،٧ ل.أ.	١٥،٤ ل.أ.	١٧،٦ ل.أ.	٢٠،٤ ل.أ.	٢١،٤ ل.أ.	٢٢،٠ ل.أ.
	(+١١،٤٪)	(+٢٥٪)	(+٤٣،١٪)	(+٦٥،٩٪)	(+٧٤،٨٪)	(+٧٨،٩٪)

ب) جدول الانتاج الصناعي — سنة ١٩٦٣ على اساس ١٠٠ :

١٩٦٢	١٩٦٣	١٩٦٤	١٩٦٥	١٩٦٦	١٩٦٧	١٩٦٨
٨٨	١٠٠	١١٤	١٢٥	١٢٧	١٢٣	١٥٩
	(+١٣،٦٪)	(+٢٩،٥٪)	(+٤٢٪)	(+٤٤،٣٪)	(+٣٩،٨٪)	(+٨٠،٧٪)

ج) نسبة العاطلين عن العمل من مجموع القوى العاملة :

١٩٦٢	١٩٦٣	١٩٦٤	١٩٦٥	١٩٦٦	١٩٦٧	١٩٦٨
٤،٦٪	٤،٠٣٪	٣،٤٠٪	٣،٢٠٪	٧،٩٣٪	١٣،٥٢٪	٥،٧١٪
	(—١٢،٤٪)	(—٢٥،١٪)	(—٣٠،٤٪)	(+٧٢،٤٪)	(+١٩٣،٩٪)	(+٢٤،١٪)(٧٨)

قد يعجب بعض الناس باستمرار ازدياد الاجور السنوية حتى اثناء الانحسار الاقتصادي ، غير ان هذه الزيادة لا تعني شيئا اذا نظر اليها منفصلة عن الظواهر

الاخرى . فاذا نظرنا الى جدول الانتاج الصناعي نجد انه ارتفع عـام ١٩٦٨ ارتفاعا حادا ، بعد هبوط بسيط عام ١٩٦٧ . كما ان الزيادة المطلقة للانتاج الصناعي ، بين عامي ١٩٦٢ و ١٩٦٨ ، كانت أعلى بقليل من الزيادة المطلقة في الاجور . وبينمـا انخفضت البطالة بين عامي ١٩٦٢ و ١٩٦٥ ، الا انها ارتفعت ارتفاعا هـائلا في عامي ١٩٦٦ و ١٩٦٧ ، وفشلت عام ١٩٦٨ في العودة الى معدلها الطبيعي .

ومن الممكن تقسيم الفترة ١٩٦٢ ــ ١٩٦٨ الى ثلاث مراحل مميزة :

ا) ١٩٦٢ ــ ١٩٦٥ : التوسع ، ويتصف بارتفاع الاجور وارتفاع الانتاج ، وانخفاض البطالة .

ب) ١٩٦٦ ــ ١٩٦٧ : التقلص ، ويتصف بارتفاع ابطأ للاجور ، وانخفاض بسيط في الانتاج ، وبطالة هائلة .

ج) ما بعد ١٩٦٧ : التوسع ، ويتصف بازدياد ضئيل في الاجور، وارتفاع حاد في الانتاج، وانخفاض في البطالة .

ويمكن ، من هذا المنظار ، تفسير الـ « ميتون » بشكل صحيح من خلال تحليل المراحل التي سبقته وتبعته . فبينما يعتبر بعض حماة الصهيونية الـ « ميتون » حادثة يؤسف لها ، يقول آخرون انها كانت ظاهرة ضرورية خططت لها الحكومة من أجل الحد مـن العجز التجاري الكبير الذي حصل خلال فترة الازدهار ، ١٩٦٢ ــ ١٩٦٥ . فقد قام وزير المالية بنحاس سابير ، مثلا ، بتبرير الـ « ميتون » ــ في المؤتمـر الاستشاري الاقتصادي في القدس (٩ و١٠ آب ١٩٦٧) أمام مجموعة من المستثمرين الاجانب ــ كوسيلة لخفض الواردات وزيادة قوة المنتوجات الاسرائيليـة التنافسية في الاسـواق الخارجية(٧٩) .

ولكن يمكن تحدي التفسيرات الرسمية بالاسئلة التالية : ١) اذا كان الـ « ميتون » حقا نتيجة مباشرة لسياسة الحكومة ، فهل وضعت الحكومة هذه السياسة بشكل مستقل أم كاستجابة لضغط بعض اصحاب المصالح ؟ ٢) هل خططت الحكومة فعلا لرفع البطالة الى ١٣،٥٢ ٪ عام ١٩٦٧ ؟ ٣) هل أدى الـ « ميتون » فعلا الى تخفيض الواردات وزيادة الصادرات بعد عام ١٩٦٧ ؟

يمكن القول هنا بأن المولين والصناعيين الاسرائيليين لم يقنعوا بالتأثيرات الاقتصادية لازدهار ١٩٦٢ ــ ١٩٦٥ . وبما ان الاجور في قطاعات عديدة تحدد جزئيا على اساس غلاء المعيشة ، فان زيادة الاجور قد تعادلت تقريبا مع زيادة الانتاج الصناعي . وقـد ذكرت مجلة « الايكونوميست الاسرائيلية » في كانون الثاني ١٩٦٦ ، ان العديد من رجال الاعمال يعتبرون حكومة أشكول « أضعف حكومة مرت على اسرائيل »(٨٠) . وقد كانت هناك مطالبات كثيرة بمقاومة الحكومة « لتضخم الاجور » ، كمـا حدث في تموز ١٩٦٦ عندما دعت نقابة المنتجين الى الغاء الاجور المرتبطة بغلاء المعيشة(٨١) . كما طالب رجال الاعمال أيضا بتخفيض رسوم الاستيراد ، وخفض قيمة الليرة الاسرائيلية، وزيادة الانتاج الصناعي .

واذا تفهم المرء بشكل صحيح الروابط المباشرة بين الراسماليين وبنك اسرائيل ، وبين الراسماليين والدولة ، وبين الراسماليين وبيروقراطية العمال ، فليس من الصعب فهم خضوع الحكومة للعديد من مطالب الراسماليين . وهكذا ، فان الهجوم على العامل بدأ عام ١٩٦٦ حيث ازداد توقيف العمال عن العمل وازدادت المطالبة برفع الانتاج ، وبلغت البطالة ٧،٩٣ ٪ في نهاية العام نفسه .

وبينما بلغت الواردات ١،٢٣١ بليون دولار عام ١٩٦٥ ، فانهـا لم ترتفع سوى الى

١،٢٧٧ بليون دولار عام ١٩٦٦ . ومن ناحية اخرى ، ارتفعت الصادرات من ٧١١ مليون دولار الى ٨٣٢ مليون دولار . وقد انخفض العجز التجاري خلال هذه الفترة من ٥٢٠ مليون دولار (١٩٦٥) الى ٤٤٥ مليون دولار (١٩٦٦)(٨٢).

ورغم ان المراحل الاولى « للميتون » قد خففت قليلا من عجز اسرائيل التجاري ، يمكن الاشارة الى ظواهر أخرى أصبحت تتناقض الى حد كبير مع المصالح الطويلة الامد للقطاع الخاص . فقد ازدادت نقمة الطبقة العاملة وازداد عدد الاضرابات ، كذلك ازدادت الهجرة من اسرائيل ، وخاصة هجرة العمال الفنيين ، بينما انخفضت الهجرة اليها . كما ان انهيار بعض المصالح الاقتصادية ، مثل بنك « فيوخت فانغر » وبنك « اللرن » ، خلق شعورا بعدم الارتياح في وسط الطبقة الراسمالية . وقد انخفض في الوقت نفسه الاستثمار الاجنبي عن مستواه عام ١٩٦٥ ، (رغم ازدياد التعويم الذي قام به الراسماليون الاجانب) .

ومع تعمق الازمة الاقتصادية ، قامت الحكومة باتخاذ موقف أكثر عدائية من العالم العربي ، وخاصة من سوريا . وكان أحد الاثار المباشرة للاستعداد للحرب استيعاب العديد من العمال ، العاطلين عن العمل والعاملين ، في القوات المسلحة . وقد أدت زيادة الانفاق على الدفاع الى توسع الصناعات الحربية بحيث ارتفع عدد العاملين في مصانع وزارة الدفاع ، في نهاية ١٩٦٧ ، بنسبة ٤٠ ٪ ، وبحيث تضاعفت طلبات « الصناعة الحربية » من الاقتصاد المدني ثلاث مرات(٨٣).

رغم انه من الخطأ ارجاع حرب حزيران الى الازمة الاقتصادية الخانقة التي واجهتها اسرائيل عام ١٩٦٦ — ١٩٦٧ ، فقد كان لتلك الحرب نفسها ولنتائجها تأثير واضح على الاقتصاد الاسرائيلي . ويعتبر ادخال حزب جاحال المناوىء للعمال (مناحيم بيجن) في « وزارة الحرب » التي ألفها اشكول ، ومبيعات الاسهم الاسرائيلية التي لم يسبق لها مثيل (٣٢٥ مليون دولار عام ١٩٦٧) ، وازدياد الهجرة ، واحتلال مساحة واسعة من الاراضي العربية ، ظروف أدت الى اعادة الثقة بالاقتصاد الاسرائيلي في أوساط المستثمرين المحليين والاجانب .

ولكن التوسع الذي تلا الحرب كان عملية اتصفت بالتناقضات الاقتصادية والاجتماعية العميقة . ورغم ان اعدادا كبيرة من الجنود ظلت تحمل السلاح ، فقد بقيت البطالة مرتفعة نسبيا اذ كان ٥،٧١ ٪ من القوى العاملة بدون عمل في الربع الثاني من عام ١٩٦٨(٨٤). وظلت الاجور خاضعة لقيود ما قبل الحرب . وبينما ارتفعت الاجور ١،٧ ٪ خلال النصف الاول من عام ١٩٦٨ ، ارتفع الانتاج الصناعي بنسبة ٣٠ ٪ تقريبا عما كان عليه في النصف الاول من عام ١٩٦٧(٨٥). ولم تنل البروليتاريا الاسرائيلية أي تعويض على زيادة الانتاج الهائلة ، وكان عليها أن تتحمل زيادة في الاسعار — خلال الاشهر التسعة الاولى من عام ١٩٦٨ — بلغ معدلها ٢،٣ ٪ (٨٦).

بالرغم من سيل الدعاية الذي أطلقه بيروقراطيو العمال والمسؤولون الرسميون حول أهمية الانتاج الصناعي « للامن القومي » ، لم يرضخ العمال الاسرائيليون لمطلب الاسراع في العمل وتجميد الاجور . فقد كانت نسبة الاضرابات عام ١٩٦٨ أعلى منها عام ١٩٦٧، رغم ان عدد العمال الذين شاركوا في تلك الاضرابات كان أصغر ، لان الاضرابات شملت الشركات الصغرى(٨٧). هذا ومن الضروري معرفة نتائج موجة الاضرابات :

١) ان التهجم على الاجور الحقيقية للعمال جوبه برد فعل حازم .

٢) ان النداءات العاطفية حول « الامن القومي » لم تكف لمنع حصول الاضرابات .

٣) ان قيام العمال باضرابات دون موافقة نقابتهم يدل على تحدي العمال لسلطة بيروقراطيي الهستدروت .

ومن المفيد جدا أن نقوم أيضا بدراسة التناقضات الاقتصادية التي تلت الحرب لان هذه الظواهر بالاضافة الى وضع الطبقة العاملة الاسرائيلية تعطينا مفتاحا للمستقبل . أولا ، ان الهدف « الرسمي » « للميتون » ــ تخفيض العجز التجاري ــ لم يتحقق . فقد استأنف العجز التجاري ، منذ نهاية عام ١٩٦٧ تصاعده التقليدي . فمثلا ، كان العجز في التجارة مع الولايات المتحدة فقط أكثر بـ ٢٨ مليون دولار عما كان عليه في عام ١٩٦٧(٨٨) . وبالطبع يمكن ربط الانفاق العسكري الكبير بالعجز التجاري لان استيراد السلاح الاميركي تصاعد . وقد بلغ قرض الدفاع الحكومي عام ١٩٦٨ ، والذي حصّل من الجمهور ٣٠٠ مليون ليرة اسرائيلية(٨٩) . وان حماية حقول النفط في سيناء و« السوق المأسورة » في الضفة الغربية وغزة تعتمد مباشرة على التصاعد الدائم في الضرائب ، وعلى الاحتفاظ بعدد كبير من الجنود والاحتياط . وبالرغم من تخفيض الليرة الاسرائيلية عام ١٩٦٧ من ٣٣ الى ٢٨ سنتا اميركيا ، فان التضخم ما زال مستمرا بلا قيود، وخاصة في قطاع المباني السكنية .

لقد خفضت الليرة الاسرائيلية ، منذ عام ١٩٤٨ ، بنسبة ٩٠٠ ٪ ، ومن المحتمل أن تنخفض ايضا في المستقبل . وان عجز البيروقراطيين عن حل المشاكل المزمنة ، مثل تصحيح ميزان المدفوعات ، يدفعهم للحصول على معونات مالية اكبر من الخارج . فقد حصلت اسرائيل عام ١٩٧٠ على مبلغ ٥٠٠ مليون دولار من مبيع الاسهم الاسرائيلية ومن الهبات المباشرة من الولايات المتحدة ، كما ان الحكومة الاميركية تعهدت باقراض اسرائيل مبلغ ١٫٥ بليون دولار خلال خمس سنوات .

وتبلغ تكاليف ادارة المناطق المحتلة ومقاتلة الفدائيين أكثر من ٣ ملايين دولار في اليوم . وقد تضاعفت الميزانية العسكرية أربع مرات ، منذ عام ١٩٦٧ ، اذ بلغت ١٫٣ بليون دولار عام ١٩٧٠ ــ ١٩٧١ ، أي ما يوازي ربع الناتج القومي كله لتلك السنة .

وقد وصف تقرير نشر في صحيفة نيويورك تايمز الآثار المباشرة لحالة ما بعد الحرب كالتالي : قال زعيم عمالي اسرائيلي : « لا يحتاج الصراع بين الادارة والعمال الى اكثر من خمود القتال على الحدود » .

فبعد ثلاثة أشهر من توقف اطلاق النار ، ومع اختفاء أنباء القتال ، وجدت اسرائيل نفسها وسط موجة من الاضرابات في جو كانت فيه الاجور والاسعار والضرائب تهدد بالانفجار الى تضخم مالي . وقد أغلقت المدارس الثانوية في اسرائيل ، وأضرب المعلمون مطالبين بزيادة في الاجور . ولمدة اسبوع لم يقم الطيران الوطني الاسرائيلي، العال ، سوى بجزء من رحلاته المقررة نظرا لاضراب عمال الصيانة .

ولم تصدر نشرة الاحوال الجوية أمس ، فقد أضرب عمال دائرة الرصد الجوي . وانقطاع التيار الكهربائي لساعات أمر مألوف لان العمال يضربون لساعات ثم يعودون للعمل ثم يضربون مرة اخرى . وقد أعلن عمال ميناء حيفا وميناء اشدود ، وعمال الهاتف ، وحتى نقابات موظفي الدولة في عدة وزارات حكومية الاضراب لمدد متفاوتة ــ ساعات ، وايام، وأسابيع ...

... وقد اعترف وزير التربية ، ايغال آلون ، بأن للمعلمين المضربين أكثر من شكوى ، اولها أن رواتبهم تبدأ بـ ١٦٠ دولارا شهريا ، لكنه تعلل بأن ميزانية وزارته لا تتحمل مطلب ١٠،٠٠٠ معلم بزيادة ٥٧ دولارا شهريا لكل منهم .

المشكلة الاساسية هي في ان الحكومة والمواطنين يعيشون حياة تتخطى مدخولهم . وان الزيادة الكبيرة في الضرائب التي فرضت في آب الماضي ــ على الواردات والهدايا والسفر ــ بالاضافة الى ضرائب المبيعات والشركات ستؤدي الى تجميع ٥٠٠ مليون

دولار اضافية في شهر آذار القادم ، لكنها لن تؤثر سوى تأثير بسيط على هدفها الآخر وهو التخفيف من المشتريات المحلية. [المصدر : نيويورك تايمز ، ١٠ نوفمبر ، ١٩٧٠]

أن صحيفة نيويورك تايمز تخطىء حين ترجع جذور الازمة الى نسبة المشتريات المحلية العالية وليس الى التوزيع غير المتكافىء للثروة . وعلى اي حال فمن الواضح ان موجة الاضرابات التي تلت الحرب لم تفقد قوتها .

وهناك فقط عدد من الحلول الموقتة التي يمكن للرأسماليين الاجانب والاسرائيليين ان يطبقوها : ١) منع الاضرابات غير المشروعة بحزم ، ٢) خلق أزمة سياسية مشابهة لازمة ١٩٦٧ ، ٣) زيادة استغلال اليد العاملة الرخيصة من الاراضي المحتلة ، ٤) طلب معونات مالية أكبر من الغرب من أجل تحسين المستـــوى الفعلي للاجور والاحـــوال المعيشية . ولكل من هذه الحلول مخاطره .

ان منع الاضرابات غير المشروعة منعا حازما سيؤدي الى توسيع الهوة ما بين الجماهير وبيروقراطية العمال ، لان بيروقراطيي العمال الذين يحتلون مناصب حكومية سيضطرون لان يقضوا على الاضرابات . وبالاضافة ، فان هذا الحل قد يضعف مقدرة اسرائيل على ان تقوم بدور كلب حراسة عسكري يخدم المصالح الامبريالية في الشرق الاوسط .

اما الامكانية الثانية ، تصعيد الصراع العربي ــ الاسرائيلي، فتبدو أكثر قابلية للتصديق، خاصة مع ترديد الرسميين الاسرائيليين القول بأنهم سيحتفظون بشرم الشيخ والقدس الشرقية ومناطق محتلة أخرى . ومع ذلك فان أي تصعيد جديد ، حتى لو حصل على موافقة الجماهير الاسرائيلية ، لن يعطي سوى انتعاش محـــدود للقطاع الخاص في اسرائيل . فبالرغم من أن حرب حزيران قد أدت الى زيادة تدفق رأس المال الاجنبي ، وزيادة في مساحة اسرائيل ، وفي مواردها الطبيعية ، وفي اليد العاملة الرخيصة ، وفي الانتاج ، الا أنها لم توفر أية حلول جذرية لمشاكل اقتصادية كفائض الواردات والتضخم.

ورغم ان رأس الماليين الاسرائيليين فرحون « بجيش العاطلين عن العمل » في قطاع غزة والضفة الغربية، فلا يمكن تحويل القوى العاملة في المناطق المحتلة الى قوى عاملة ماهرة تحل محل العمال الاسرائيليين خلال فترة قصيرة . ورغم ان ٣٠،٠٠٠ عامل من الضفة الغربية وحدها قد وجدوا عملا في اسرائيل (زيـــادة ٤ ٪ تقريبا في القوى العاملـــة الاسرائيلية) بنهاية عام ١٩٦٩(٩٠)، فان عمال المناطق المحتلة يعملون في الزراعة والبناء وليس في التصنيع . وكان هذا نمط عمل العمال العرب من سكان اسرائيل قبل عـــام ١٩٦٧ . ويؤيد بعض القادة الاسرائيليين ومنهم دايان ، تشغيل العرب بينما يعارضه آخرون بشدة ، مثل بن غوريون وغولدا مائير . وان استبدال العمال اليهود بعمال عرب يعتبر تحديا لدور بيروقراطية العمال اليهودية .

وبنفس الطريقة ، لا توفر زيادة استغلال المناطق المحتلة كسوق للبضائع الاسرائيلية أية أرباح كبيرة وملموسة للرأسماليين الاسرائيليين . فان التضخم المالي الاسرائيلي يجلب بؤسا لا مثيل له لسكان المناطق المحتلة لان اقتصاديات الضفة الغربية وقطاع غزة لا تسمح باستيراد الكثير من البضائع الاسرائيلية ذلك ان هذه المناطق لا تحصل على كميات كبيرة من رأس المال . فقد صدرت الضفة الغربية ، عام ١٩٦٨ ، الى اسرائيل بضائع قيمتها ٤٢،٥ مليون ليرة اسرائيلية بينما استوردت منها بضائع قيمتها ١٦٣،٨ مليون ليرة اسرائيلية(٩١). ولكن الفرق بين الواردات والصادرات ، اي ١٢١،٣ مليون ليرة اسرائيلية ، كانت تعادل ١ ٪ فقط من دخل اسرائيل القومي الاجمالي تلك السنة . وان تأثير المناطق المحتلة ، كسوق شرائية وكمصدر للعمال ، على المشاكل الاقتصادية الاسرائيلية يبقى هامشيا ما دامت تلك المناطق متخلفة صناعيا .

اما « الحل » الرابع ــ زيادة المعونات المالية من الخارج ــ فسيفشل أيضا في حـــل

التناقضات الاساسية للبنيان الاقتصادي الاسرائيلي . وقد أكدت متسبين على أهمية المعونات الامبريالية لنمو اسرائيل وعلى ان « البنيان الاقتصادي نفسه مبني ومعتمد على الدور السياسي والعسكري للصهيونية في الشرق الاوسط »(٩٢). وعلى أي حال ، ان البنيان الاقتصادي الذي نشأ يتصف باستغلال العمال من قبل الرأسماليين المحليين والاجانب . والانشقاق الذي يكبر عاما بعد عام بين العامل والرأسمالي يشكل أساسا محتملا لانشقاق عقائدي وسياسي . ويجب ان ندرك أيضا ان حجم المعونات المالية وشكلها تقرره الاحتياجات العالمية للامبريالية . وان اي أزمة رأسمالية طويلة أو ظهور « أكثر من فيتنام » لن يترك العلاقة سليمة بين الرأسماليين والعمال في اسرائيل .

ورغم ان غالبية أعضاء متسبين محقون في انتقادهم الذي يدعون فيه الى الفصل بين العمالية والمناوأة ضد الصهيونية ، الا أنني أشعر بأن الاميركيين المعارضين للصهيونية لا يمكنهم تجاهل أو عدم تفهم التناقضات الداخلية للمجتمع الاسرائيلي . ان وجود هذه المتناقضات وعدم مقدرة الرأسماليين الاسرائيليين وبيروقراطيي العمال على حلها تشكل دليلا واضحا على خطأ منطق العقيدة الصهيونية . هذا واستغلال المستثمرين الاجانب للجماهير الاسرائيلية هو مظهر من مظاهر الاستغلال الامبريالي السياسي لاسرائيل .

ويشعر غالبية أعضاء متسبين ان يهود اسرائيل الشرقيين لا يملكون وعيا بروليتاريا وانهم « يؤيدون أكثر جناح شوفيني ورجعي في الطبقة الحاكمة »(٩٣). ولكن الاميركيين المناوئين للصهيونية لا يمكنهم تجاهل مشاركة العمال الشرقيين في موجة الاضرابات ، ثم مؤخرا مشاركة الشباب الشرقي في الاحتجاج على ارتفاع أجورات السكن والاحوال المعيشية السيئة . ان استغلال الطبقة الرأسمالية في اسرائيل لليهود الشرقيين هي شهادة أخرى ضد الاساس العقائدي للصهيونية . ورغم ان العديد من اليهود الشرقيين قد تجذبهم الحركات اليمينية مثل حزب « حيروت » ، فان واجبنا في اميركا أن نفضح أصحاب الملايين الاسرائيليين ، من أمثال يعقوب مريدور (صاحب الشركة البحرية لناقلات الفواكه) ، الذين يشكلون الاساس المالي للجناح اليميني .

وفي الختام ، أحث الاميركيين المناوئين للصهيونية أن يكثفوا نشاطاتهم نوعية وكمية . أما الشرق الاوسط ، الذي تستمد منه الامبريالية الاميركية جزءا هائلا من أرباحها السنوية ، فلا يمكن اعتباره بعد الآن منطقة صراع يتعلق باليهود والعرب فقط . ان فعالية نشاطاتنا تعتمد الى حد كبير على مقدرتنا على اظهار كيفية استغلال الامبريالية للجماهير العربية والجماهير الاسرائيلية التي وضعت في الشرق الاوسط لتكون شرطة تخدم مصالح الامبريالية .

---

١ — « الطبيعة الطبقية للمجتمع الاسرائيلي » ، ترجمة عن متسبين ، نشر في **نشرة المقاومة الفلسطينية** ، اعداد ٤ و٥ ، تشرين الثاني — كانون الاول ١٩٧٠ ، ص ٥ .

٢ — بيتر بوخ، «الثورة الفلسطينية والصهيونية» *International Socialist Review* كانون الثاني ، ١٩٧١ ، ص ١١ .

٣ — **تطور الاقتصاد الاسرائيلي** (القدس ، نشر مكتب رئيس الوزراء ، ١٩٦٨) ، ص ١٧ .

٤ — « الطبيعة الطبقية للمجتمع الاسرائيلي » ، **نشرة المقاومة الفلسطينية** ، ص ٥ و٦ .

٥ — هاري ماغدوف ، « **عصر الامبريالية** » (نيويورك ، ١٩٦٩) ص ١٩٥ .

٦ — **مصالح الولايات المتحدة في الشرق الاوسط**، تحرير جورج لنسفسكي (واشنطن ١٩٦٨) « المصالح الاقتصادية » ص ٤١ .

٧ — **المرجع السابق** .

٨ — **مصالح الولايات المتحدة** ، ص ٥٢ .

٩ — **الكتاب السنوي لحكومة اسرائيل** ، ١٩٦٨ — ٦٩ (القدس ، ١٩٦٩) ص ٨٥ .

١٠ — **مصالح الولايات المتحدة** ، ص ٦٦ و٦٧ .

١١ — **مصالح الولايات المتحدة** ، ص ٧٥ .

١٢ ــ أعد هذا الجدول على اساس الارقام المأخوذة من **الكتاب السنوي لحكومة اسرائيل** ، ١٩٦٨ ــ ٦٩ ، ص ٩١ .

١٣ ــ **الكتاب السنوي لحكومة اسرائيل** ١٩٦٨ ــ ١٩٦٩ ، ص ٨٩ .

١٤ ــ **المرجع نفسه** ، ص ١٦٣ .

١٥ ــ اذا استثنينا الدولتين ذاتي الدخل المرتفع، الكويت (٣٥٠٠ دولار) واسرائيل نفسها (١٤٠٠ دولار) ، فان معدل الدخل للفرد في الشرق الاوسط للعام ١٩٦٧ كان ٢٢٥ دولارا في السنة. **مصالح الولايات المتحدة** ، ص ٥٤ .

١٦ ــ ارقام مأخوذة من اجراء معدل للنسب السنوية المأخوذة من كتاب نداف سفران « **من حرب لحرب** » (نيويورك ١٩٦٩) ص ١٥٨ .

١٧ ــ **الكتاب السنوي لحكومة اسرائيل** ، ١٩٦٨ ــ ٦٩ ، ص ١٦٤ .

١٨ ــ **مصالح الولايات المتحدة** ، ص ٦٤ .

١٩ ــ **تطور الاقتصاد الاسرائيلي** .

٢٠ ــ **الكتاب السنوي لحكومة اسرائيل** ، ص ١٩٦٨ ــ ٦٩ ، ص ٨٩ .

٢١ ــ دانيال كريمر، « **الدخل القومي لاسرائيل** »، ١٩٥٠ ــ ٥٤ مشروع فولك، العدد ٥٧ (القدس، ١٩٦٧) ، جدول ١٥ ، ص ٣٦ .

٢٢ ــ ارقام الموجودات مأخوذة عن دليل *Moody Bank and Finance*

٢٣ ــ **الايكونومست الاسرائيلية**، شباط، ١٩٦٦، ص ٤٦ .

٢٤ ــ نقلا عن كتاب بوخ *The Myth of Progressive Israel* في « الصهيونية والثورة العربية » (نيويورك ، ١٩٦٩) ص ٩ .

٢٥ ــ **الايكونومست الاسرائيلية** ، كانون الاول ، ١٩٦٩ ، ص ٣٥ .

٢٦ ــ نقلا عن كتاب بوخ « الثورة الفلسطينية والصهيونية » *International Socialist Review* ، كانون الثاني ١٩٧١ ، ص ٢٥ .

٢٧ ــ **التقرير السنوي لبنك اسرائيل** ، ١٩٦٨ (القدس ، ١٩٦٩) ص ٧١ .

٢٨ ــ فيلب سيكمان « تقرير من اسرائيل » *Fortune* ، نيسان ١٩٧٠، صفحات ٤٣ و٤٤.

٢٩ ــ **الجروزالم بوست** ، ١٤ تموز ، ١٩٧٠ .

٣٠ ــ « **المشكلة الفلسطينية** » كراس المنظمة الاشتراكية الاسرائيلية ، اعيد طبعه في New England Free Press (بوسطن ، ١٩٧٠) ص٣ أرقام النقد بالجنيهات الفلسطينية، تعادل القطعة تقريبا اربعة دولارات .

٣١ ــ **التقرير السنوي** ، ١٩٦٩ ، بنك التنمية الصناعية لاسرائيل .

٣٢ ــ **المرجع نفسه** .

٣٣ ــ **التقرير السنوي** ، ١٩٦٩ ، بنك التنمية الصناعية لاسرائيل .

٣٤ ــ س. ن. ايزنشتات ، **المجتمع الاسرائيلي** (نيويورك ، ١٩٦٧) ص ٨٧ جدول ١١ .

٣٥ ــ ص ٧٥ ، جدول ٦ .

٣٦ ــ **الكتاب السنوي لحكومة اسرائيل** ، ١٩٦٨ ــ ٦٩ ، ص ٨٤ .

٣٧ ــ **المصدر نفسه** . جداول ص ٨٤ و ٩١ .

٣٨ ــ **الكتاب السنوي لحكومة اسرائيل** ، ١٩٦٨ ــ ٦٩ ، ص ٨٤ .

٣٩ ــ **المرجع نفسه** ، جداول ، ٨٤ و٩١ .

٤٠ ــ ايزنشتات ، ص ٨٩ ، جدول ١٤ . هذا الرقم ، لعام ١٩٦٤ ، يتضمن الصيادين والعمال المرتبطين بالزراعة . في عام ١٩٥٥ ، وقعت النسبة عند ١٧،١ ٪ .

٤١ ــ ايزنشتات ، صفحات ١٧١ ــ ٧٢ .

٤٢ ــ مائير يعري ، نداء الى المؤتمر الرابع لحزب المابام ، ١٩٦٣ ، نقلا عن كتاب بيتر بوخ « **خرافة اسرائيل التقدمية** » ، ص ٨ .

٤٣ ــ **نشرة الامم المتحدة الشهرية للاحصاء** ، ايلول ١٩٦٩ ، ص ١٧٨ .

٤٤ ــ ايزنشتات ، ص ١٤١ .

٤٥ ــ « السياسة في اسرائيل » ، نشر في **الصهيونية والثورة العربية** ، ص ٢٢ .

٤٦ ــ ايزنشتات ، ص ١٦٨ .

٤٧ ــ **تطور الاقتصاد الاسرائيلي** ، جدول ٧ ، ص ٣٢٤ .

٤٨ ــ **المرجع نفسه** ، جدول ١١ ، ص ٣٣٥ .

٤٩ ــ هارولد لوبيل ، **ازمة نفط الشرق الاوسط واحتياطات الطاقة في اوربا الغربية** ، (بلتيمور، ١٩٦٢) ص ٦٠ .

٥٠ ــ سيكمان، « تقرير من اسرائيل » *Fortune* نيسان ١٩٧٠ .

٥١ ــ **الكتاب السنوي لحكومة اسرائيل** ١٩٦٨ ــ ٦٩ ، ص ٨٥ .

٥٢ ــ **المرجع السابق** ، ص ٣٣٢ .

٥٣ ــ **المرجع السابق** ، ص ٨٦ .

٥٤ — **المرجع السابق** ، ص ١٠٠ .
٥٥ — ايزنشتات ، جدول ١٥ (أ) ، ص ٩١ .
٥٦ — **المصدر نفسه** ص ٩٥ .
٥٧ — **الكتاب السنوي لحكومة اسرائيل** ١٩٦٨ — ٦٩ ، ص ٢٤٧ .
٥٨ — صبري جريس ، **العرب في اسرائيل** .
٥٩ — **هآرتس** ، ٢٢ اذار ، ١٩٧٠ .
٦٠ — ثيودور هرتزل ، **الدولة اليهودية** (نيويورك، ١٩٤٦) ص ٩٦ .
٦١ — « الطبيعة الطبقية للمجتمع الاسرائيلي » PRB ٤ و ٥ ، تشرين الثاني — كانون الاول ١٩٧٠ ، ص ٤ .
٦٢ — ايزنشتات ، صفحات ٧٧ — ٧٨ .
٦٣ — ايزنشتات ، ص ٨٢ .
٦٤ — ايزنشتات ، ص ١١٦ .
٦٥ — **المرجع نفسه** .
٦٦ — دافيد هوروفيتس ، **اقتصاديات اسرائيل** (لندن ١٩٦٧) ، ص ٨١ . الارقام مأخوذة عن جيرا هانوخ *Income Differentials in Israel* مشروع فولك ، ١٩٥٩ ، ٦٠ .
٦٧ — ايزنشتات ، ص ٩٦ .
٦٨ — **المصدر نفسه** .
٦٩ — هوروفيتس ، ص ٨١ .
٧٠ — ايزنشتات ، ص ١٢٦ . الارقام مأخوذة عن Annuals CBS surveys of the Israeli labor force (المكتب المركزي للاحصاء ، التقرير السنوي) .
٧١ — ايزنشتات ، ص ١٢٤ *CBS Statistical Abstract*
٧٢ — **تطور الاقتصاد الاسرائيلي** ، ص ١٧٣ .
٧٣ — « الطبيعة الطبقية للمجتمع الاسرائيلي » PRB ٤ و ٥ ، تشرين الثاني — كانون الاول ، ١٩٧٠ ، ص ٧ .
٧٤ — ايزنشتات ، ص ٣٠٩ .
٧٥ — ايزنشتات ، ص ١١٩ .
٧٦ — **تقرير بنك اسرائيل السنوي** ، ١٩٦٨ ، ص ٧١ .
٧٧ — **تطور الاقتصاد الاسرائيلي** ، ص ١٧٣ .
٧٨ — **نشرة الامم المتحدة الشهرية للاحصاء** ، ايلول ، ١٩٦٩ ، ص ١٤٦ ، ص ١٧٨ . تشرين الثاني ، ١٩٦٩ ، ص ١٨ .
٧٩ — **الايكونومست الاسرائيلي** ، ايلول ، ١٩٦٧ ، ص ١٨٣ .
٨٠ — **الايكونومست الاسرائيلي** ، كانون الثاني، ١٩٦٦ ، ص ٤ .
٨١ — **المرجع نفسه** ، تموز ١٩٦٦ ، ص ١٥٨ .
٨٢ — **تقرير بنك اسرائيل السنوي** ، ١٩٦٨ ، ص ٢٦ .
٨٣ — **الكتاب السنوي لحكومة اسرائيل** ، ١٩٦٨ — ٦٩ ، ص ١٠٠ .
٨٤ — **تقرير بنك اسرائيل السنوي** ، ١٩٦٨ ، ص ١٨٠ .
٨٥ — **الايكونومست الاسرائيلي** ، كانون الثاني ، ١٩٦٩ ، ص ٢٤ .
٨٦ — **المرجع نفسه** .
٨٧ — **تقرير بنك اسرائيل السنوي** ، ١٩٦٨ ، ص ٢١١ .
٨٨ — **الايكونومست الاسرائيلي** ، اذار ١٩٦٩ ، ص ٨٢ .
٨٩ — **تقرير بنك اسرائيل السنوي** ، ١٩٦٨ ، ص ٤٥٨ .
٩٠ — سيكسان « تقرير من اسرائيل » ، Fortune ، نيسان ١٩٧٠ ، ص ٤٦ .
٩١ — **الايكونومست الاسرائيلي** ، تموز ١٩٦٩ ، ص ٢١٠ .
٩٢ — « **الطبيعة الطبقية للمجتمع الاسرائيلي** » ، PRB تشرين الثاني — كانون الاول ، ١٩٧٠ ، ٤ و ٥ ، ص ٦ .
٩٣ — **المصدر نفسه** ، ص ٥ . تقول متسبين ان هذه الطبقة البالغة الاهمية من سكان اسرائيل « تمثل حالة موازية لما يسمى في الجنوب الامريكي « البيض الفقراء » وفي الجزائر قبل التحرير « الاقدام السوداء » .

المنظمة الصهيونية العالمية ١٩٤٦ ــ ١٩٥١ (١)

الدكتور اسعد رزوق

تقدم شؤون فلسطينية هذه الدراسة عن المنظمة الصهيونية العالمية منذ المؤتمر الثاني والعشرين الذي عقد في العام ١٩٤٦ وحتى انعقاد المؤتمر الثالث والعشرين الذي عقد في العام ١٩٥١ . وسننشر في العدد القادم جزءا آخر من هذه الدراسة ويركز على المؤتمر الثالث والعشرين وهو المؤتمر الصهيوني الاول بعد قيام اسرائيل . والدراسة هي في الاصل جزء من بحث طويل بدأ الدكتور اسعد رزوق باعداده بتكليف من مركز الابحاث عن المنظمة الصهيونية العالمية في ربع قرن . وقد آثرنا ابقاء الملاحظات التمهيدية الواردة في مقدمة الجزء المنشور أدناه لانها تسهم في تحديد الاطار العام للبحث بكامله .

تصدير عام

من بازل الى القدس

ظهرت الحركة الصهيونية على مسرح أوروبا والعالم منذ ما ينيف على ثلاثة أرباع القرن من الزمن . وانطلق الذين قاموا بتأسيس هذه الحركة من مقدمة تفترض وجود شيء ما أسمه « المشكلة اليهودية » ، وهذا الشيء يحتاج الى حل متناسب مع معطيات العصر . فاليهود المنتشرون في كافة أنحاء الدنيا لن يتخلصوا من عداء تناصبهم اياه الفئات غير اليهودية واضطهاد يقاسونه على أيدي الاغيار الا عندما يستحصلون لانفسهم على وطن قومي يجمع شملهم ، في ظل دولة ذات سيادة . والشتات اليهودي في العالم يتعرض لخطر الاندماج والزوال ما لم يبادر « المشتتون » الى تركيز أنفسهم ، عن طريق الاستعمار الاستيطاني ، في رقعة أرضية تفي مساحتها بمتطلبات العدد السكاني المتزايد ومقتضيات الدورة الحياتية في النمو المطرد داخل المجال الجغرافي والحيوي .

ففي السنوات الاخيرة من القرن الماضي قامت المنظمة الصهيونية العالمية التي أسسها ثيودور هرتزل لتؤلف التنظيم الرسمي للحركة وتدعي لنفسها صفات الهيئة المعنية بتمثيل مصالح « الشعب اليهودي » ، باعتبار هذا « الشعب » يرغب في انشاء وطن قومي لنفسه بفلسطين . وجاء « برنامج بازل » الصهيوني ليرسم هدف الصهيونية ويعدد الخطوات العملية الكفيلة ببلوغ الهدف المنشود . أما التعريف الرسمي للمنظمة الصهيونية ، كما جاء في قانونها الاساسي ، فهو تلك الهيئة « التي تضم جميع اليهود الذين يقبلون بالبرنامج الصهيوني ويدفعون الشاقل ، أو رسم العضوية » .

وانطلاقا من المؤتمر الصهيوني الاول في بازل (١٨٩٧) أخذت هذه الحركة في شكلها المنظم تعتبر نفسها على امتداد خمسين عاما من تاريخها ــ وتمشيا مع الوصف الذي أطلقه هرتزل عليها ــ بمثابة « الدولة اليهودية في طريق التكوين » . وأقامت الاجهزة والمؤسسات والهيئات التي شاءت لها الاسهام الفعلي في عملية السعي الدؤوب للحصول على الدولة العتيدة فوق رقعة أرضية لا تملكها وليست خلوا من السكان والعمران أو التطلعات نحو مستقبل أفضل . لكن المضي في مقايسة الحركة الصهيونية على « الدولة

في طريق التكوين » ينتهي الى مقارنات مستنبطة ويغلب عليها طابع المفارقة . فاعتبار الحركة الصهيونية بمثابة « حكومة » تسعى للحصول على دولة يقودنا الى التساؤل عن مقومات تلك الحكومة الصهيونية التي كانت بدون دولة تحكمها . مثلما ان اعتبار المؤتمر الصهيوني في مقام المجلس التمثيلي أو « برلمان الحركة الصهيونية » ـــ كما تصفه مصادر التاريخ الصهيوني ـــ يؤدي بنا الى اثارة المزيد من التساؤلات المتعلقة بحجم « السكان » الذين يدعي تمثيلهم والنطق باسمهم . فالاكثرية الساحقة بين يهود العالم ظلت قابعة خارج حظيرة الحركة الصهيونية ومنظمتها العالمية . والمؤتمر الصهيوني ادعى لنفسه صفة تمثيل ما أسماه بـــ « الشعب اليهودي » ، بعد أن أضفى على مفهومه لهذا الشعب تصورا ينسب اليه ككل صفة السعي نحو تقرير المصير واقامة الكيان الذاتي المستقل . حتى ان الموسوعة الصادرة مؤخرا عن « اسرائيل والصهيونية » ارتأت تخفيف حدة المفارقة العجيبة بواسطة استدراك مفاده ان « برلمان الحركة الصهيونية » (أو المؤتمر الصهيوني الذي أوجده هرتزل) كان في البداية « يرمز » ، بدلا من « يمثل » ، الى تقرير المصير الذي سعى اليه « الشعب اليهودي » . واعتبر كاتب المقالـــة عن « المؤتمـــر الصهيوني » في الموسوعة المشار اليها ان هذا المؤتمر جاء رمزا لاحساس اليهود بوحدتهم القومية ، وتعبيرا عن رغبتهم في احراز الكيان السياسي ضمن اطار دولة مستقلة . وفي مقالة عن « تاريخ الصهيونية » تضمها الموسوعة اياها يوصف المؤتمر الصهيوني بأنه قد أصبح « البرلمان اليهودي في المنفى » .

بينما شاء ناحوم غولدمان أن يوجز طبيعة الملابسات التي أحاطت بمدلول المفارقة على صعيد الواقع والممارسة العملية ، كما على الصعيد النظري المجرد ، فقال ان مشكلة الحركة الصهيونية وأجهزتها الرسمية كانت في « التصرف كدولة دون ان تكون دولة ! » علما بأن الوكالة اليهودية ـــ التابعة للمنظمة الصهيونية ـــ لم تترك فرصة تفوت في ظل الانتداب البريطاني على فلسطين دون أن تتصرف على غرار « حكومة داخل الحكومة » او « دولة ضمن الدولة المنتدبة » .

ولكي نتوقف عن الاستطراد في اجراء المقارنات واستخدام التشابيه والاستعارات ، يجدر بنا الانتقال الى صلب الموضوع الذي تحاول هذه الدراسة تناوله بالبحث والتحليل ، الى جانب الوصف والتقرير . بيد أن التعميمات المتقدم ذكرهـــا تمت بوثيق الصلة الـــى موضوعنا ، كما انها تؤلف خلفيته التاريخية بكافة منظوراتها الايديولوجية والتنظيمية والعملية (على صعيد التركيز السكاني وعبر ارساء قواعد للاستعمار الاستيطاني) .

ان السؤال التمهيدي الذي تطرحه هذه الدراسة ، لتحاول الانطلاق منه الى متابعة البحث في الحركة الصهيونية العالمية بعد قيام الدولة اليهودية ـــ اسرائيل ـــ بفلسطين ، يتعلق بالمبررات وراء وجود تلك الحركة واستمرارها في العمل والنشاط عقب انشاء الدولة التي كانت تنشدها ، وغداة تحقيق الهدف السياسي الذي سعت نحو بلوغه طيلة نصف قرن من تاريخها . وعلى محمل السذاجة ، انـــه لمن الطبيعي أن تبادر حركة سياسية تتوسل الاستعمار الاستيطاني لبلوغ هدفها الى حل نفسها أو الى اعتبار مهمتها في حكم المنتهية ، بعد احراز الهدف وانجاز المهمة . لكن الحركة الصهيونية استمرت على قيد الوجود بعد أن أوجدت دولتها اليهودية المنشودة . ولقد انقضى على وجودها منذ قيام اسرائيل وحتى الآن ما يقارب ربع قرن من الزمن . هذه الفترة من وجود الحركة الصهيونية العالمية في ظل الدولة اليهودية القائمة فوق أرض فلسطين تؤلف الاطار العام لتحرك الدراسة ـــ على امتداد خمس وعشرين عاما (١٩٤٨ ـــ ١٩٧٣) من التطورات والنشاط المتواصل في خدمة أهداف بعيدة المدى تتجـــاوز حدود البرنامج الصهيونـــي الاصلي وتتعدى نطاق الغايات المعلنة .

لذا يجوز للباحث في موضوع الحركة الصهيونية منذ قيام اسرائيل أن يتساءل : كيف

تختلف كل من الحركة والفكرة وهيئات المنظمة الصهيونية في مدى خمسين عاما قبل انشاء الدولة عنها في الفترة اللاحقة لنشوء الدولة وقيامها . أو : كيف يتميز ربع القرن الاخير من تاريخ الصهيونية عن نصف القرن الذي سبقه وانتهى الى ظهور دولة اسرائيل فوق الارض الفلسطينية . والسؤال عن الاختلاف والتمايز يضعنا في جو البحث العام ، ويتجه بنا صوب واقعة استمرار الحركة الصهيونية رغم تحقيق الهدف السياسي الذي سعت لبلوغه طيلة خمسين عاما . فالصهيونية — كما ينبىء تاريخها الحافل حتى الآن — تقوم على مراحل متتابعة ومتصاعدة في وقت واحد . وكلما انتهت مرحلة من الانجاز وتحقيق الاهداف المرسومة ، تلتها مرحلة أخرى على طريق الغاية القصوى والهدف النهائي . ان صهيونية ما قبل الدولة تختلف عن الصهيونية في ظل الدولة . وسوف تدخل أوجه الخلاف بين « الصهيونيتين » ضمن نطاق الموضوع الذي تتناوله الدراسة التالية .

غير ان هذا الفاصل الزمني على أساس الصهيونية ، السابقة واللاحقة منها لقيام الدولة ، لا يعني اغفالا لاستمرارية الحركة وتواصلها عبر السنين التي اجتازها تاريخها في ثلاثة أرباع القرن . فالنشاط الصهيوني في مجالاته المتعددة ومراميه البعيدة لم يتوقف عن الممارسة غداة اعلان قيام الدولة اليهودية . بل نجد الاجهزة الصهيونية المسؤولة وقد بادرت قبل موعد الاعلان الى اتخاذ الخطوات التنظيمية الكفيلة بتأمين انتقال مؤسسات الحركة وهيئاتها الى مرحلة استمرار العمل في ظل الدولة العتيدة . هذه الفترة « الانتقالية » تمتد من عشية اعلان قيام اسرائيل (نيسان ، ١٩٤٨) حتى انعقاد المؤتمر الصهيوني الثالث والعشرين ، من ١٤ الى ٣٠ آب (اغسطس) ١٩٥١ ، في القطاع اليهودي من مدينة القدس . وهو أول مؤتمر عالمي تعقده الحركة الصهيونية في اسرائيل بعد قيامها .

خلال الفترة الزمنية التي تتناولها هذه الدراسة عقدت الحركة الصهيونية ستة مؤتمرات عالمية في اسرائيل : من المؤتمر الثالث والعشرين (١٩٥١) الى المؤتمر الثامن والعشرين (١٩٧٢) . والتركيز على اعمال هذه المؤتمرات ومناقشاتها والقرارات التي صدرت عنها ، بالاضافة الى التقارير المرفوعة من شتى اللجان والهيئات التنفيذية ، قد يتيح للدارس متابعة مختلف التطورات التي شهدتها الحركة الصهيونية العالمية من الداخل . كما انه يفسح المجال أمام رصد الترابط الخارجي بين مواعيد انعقاد المؤتمرات وبين الاحداث والتحركات الاسرائيلية في نطاق الشرق الاوسط وعلى المسرح العالمي . وليس من قبيل المبالغة تشبيه المؤتمر الصهيوني العالمي والقرارات التي يتخذها بمثابة الخطة الصهيونية الرسمية للسنوات الاربع التالية أو للفترة الزمنية الفاصلة بين مؤتمر وآخر يليه — سواء امتدت الى اربع سنوات او قصرت عنها قليلا أو تجاوزت حدودها . ان الدراسة الشاملة لكافة التطورات والاتجاهات البارزة في تاريخ الحركة الصهيونية العالمية ضرورية ، فالكتابات العربية حول الموضوع لا تعرف سوى رسالة الماجستير التي أعدها اسعد عبد الرحمن وقام مركز الابحاث الفلسطيني بترجمتها ونشرها في تموز (يوليو) ١٩٦٧ تحت العنوان التالي : « المنظمة الصهيونية العالمية : تنظيمها وأعمالها ، ١٨٩٧ — ١٩٤٨ » (صدرت في سلسلة « دراسات فلسطينية » ، رقم ١٥) . ومن هنا نشأت الحاجة الى القيام بمحاولة لدراسة الحركة الصهيونية بعد قيام اسرائيل ، ورصد التطورات التي شهدتها المنظمة الصهيونية العالمية على مختلف الاصعدة والمستويات : التنظيمية منها والايديولوجية ، الى جانب النشاطات المالية والمواقف السياسية وغير ذلك من مجالات النشاط الصهيوني في خدمة اسرائيل ولتوطيد دعائمها وتمكينها من الوقوف على قدميها . هذا يؤدي بالطبع الى اثارة السؤال عن العلاقة العضوية بين دولة اسرائيل والحركة الصهيونية العالمية ، وكيف جرى تنظيم هذه العلاقة بعد ظهور الدولة اليهودية الى حيز

الوجود . ففي اوساط الحركة الصهيونية ، كما بين الاوساط الاسرائيلية ، برزت آراء مختلفة ووجهات نظر متضاربة أحيانا بالنسبة لطبيعة العلاقة بين الحركة الصهيونية من جهة ودولة اسرائيل ، من جهة ثانية . وبين الدولة اليهودية من جهة واليهود الموجودين في الخارج ، من جهة أخرى . هل تقوم الصلات بين اسرائيل ويهـود العالم بصورة مباشرة ، أم ينبغي توسيط المنظمة الصهيونية والهيئات التابعة لها في عملية الاتصال ومحاولات كسب التأييد وجباية التبرعات وجمع الاموال ؟

ولكي نترك المجال مفتوحا أمام محتويات هذه الدراسة يجدر بنا الانتقال الى تقديم لمحة سريعة عن منهاجها في معالجة الموضوع وأسلوبها في تجزئته الى فترات زمنية معينة بقصد تسهيل المأخذ والتركيز على أبرز النواحي والاتجاهات ، دون اغفال المشاكل التي تواجه الحركة الصهيونية منذ قيام اسرائيل وحتى الان .

تهدف هذه المحاولة لدراسة الحركة الصهيونية العالمية في ظل وجود الدولة اليهودية الى معالجة الموضوع من زاويتين رئيسيتين : الزاوية الاولى تنظر الى الصهيونية بعد قيام اسرائيل من خلال التطورات الايديولوجية التي شهدتها الحـركة عقب انجاز الهدف السياسي في برنامج بازل وقيام الدعوة لاستبداله ببرنامج القدس (١٩٥١) ، ثم استبدال هذا الاخير بصيغة جديدة في برنامج القدس الثاني (١٩٦٨) . أما الزاوية الثانية ، فانها تحاول النظر الى الحركة الصهيونية من خلال تنظيمها وهيئاتهـا وأجهزتها العاملة في الداخل والخارج . فالمعروف هو ان الهيئات المسؤولة في تركيب المنظمة الصهيونية العالمية ، وبموجب الدستور الصهيونـي ، تتألف من : المؤتمـر الصهيوني والمجلس الصهيوني العام ورئيس المنظمة الصهيونية واللجنة التنفيذية الصهيونية ، بالاضافة الى الهيئات القضائية ومراقب الحسابات . وهناك دستور جديد للمنظمة الصهيونية العالمية أقره المجلس الصهيوني العام (١٩٥٩ — ١٩٦٠) متابعة منه لقرار المؤتمر الصهيوني الرابع والعشرين (١٩٥٦) . كما تمت مؤخرا اعادة تشكيل الوكالة اليهودية بحيث تستوعب في هيكلها الجديد نسبة معينة من الهيئات والمنظمات اليهودية غير الصهيونية . هذا بالاضافة الى تنظيم الحركة الصهيونية في المجال الخارجـي ، والتمثيل الحزبي الصهيوني في كافة أجهزتها وعلى شتى المستويات فيها . ومما لا ريب فيه ان العقيدة الصهيونية تسير جنبا الى جنب مع التنظيم الصهيوني ، لكي تتداخل واياه في كثير من الاحيان والمجالات .

من هاتين الزاويتين ، اذن ، تنطلق الدراسة الى متابعـة التطورات داخل الحركـة الصهيونية العالمية في مدى ربع قرن من الزمن . وسوف يكون اعتمادها في الدرجة الاولى على المصادر الصهيونية الرسمية لاستقاء المعلومات واقتباس القرارات والتغييرات البنيوية والتنظيمية ، الى جانب « التحولات » والمنطلقات الايديولوجيـة . فالوثائق والتقارير المتوافرة هي المصدر الملائم لمعرفة اتجاه الحركة والوقوف على مراميها البعيدة وأهدافها الراهنة . كما تتيح الكتابات والمنشورات الصهيونية الرسمية أمام الباحث فرصة استجلاء معالم التناقضات الاساسية التي تعصف بالحركة الصهيونية من الداخل وفي علاقاتها العضوية مع اسرائيل ، ومحاولاتها الرامية الى استقطاب المزيد من يهود العالم .

فلو شئنا اجراء تقسيم زمني للموضوع ، لجاز لنا اتباع التقسيم التالي بشكل عام :

أولا — الفترة الزمنية الممتدة من غداة قيام اسرائيل (١٩٤٨) وحتى المؤتمر الصهيوني الرابع والعشرين والعدوان الثلاثي على سيناء والسويس (١٩٥٦) . ويمكن تقسيم الفترة اياها الى مرحلتين : المرحلة « الانتقالية » ، وتمتد من منتصف ١٩٤٨ الى انعقاد المؤتمر الصهيوني الثالث والعشرين (١٩٥١) واعلان برنامج القدس الذي يحدد مهمات

الحركة الصهيونية في ضوء الوجود الاسرائيلي . والمرحلة « التوطيدية »، بالنسبة لتعيين الوضع القانوني للمنظمة الصهيونية في اطار الدولة الاسرائيلية وتحديد صلاحيات اجهزتها ومؤسساتها العاملة داخل اسرائيل . تمتد هذه المرحلة حتى انعقاد المؤتمر الصهيوني الثاني في اسرائيل (١٩٥٦) وقيام العدوان الثلاثي في خريف العام ذاتـــه ، لكي تتميز بانتخاب الدكتور ناحوم غولدمان رئيسا للمنظمة الصهيونية العالمية ــ وهو المنصب الذي شغر منذ استقالة حاييم وايزمان في المؤتمر الصهيوني الثاني والعشرين (١٩٤٦ ــ ٤٧).

ثانيا ــ فترة السنوات الفاصلة بين العدوان الثلاثي وحرب حزيران (يونيو) ١٩٦٧ ، حتى انعقاد المؤتمر الصهيوني السابع والعشرين في صيف ١٩٦٨ واعلان برنامج القدس الجديد (١٩٦٨) تمهيدا لمواجهة التحديات التي طالعت الحـــركة الصهيونية في اعقاب حرب الايام الستة ، ونظرا للحماس الذي غمر الاوساط اليهودية في العالم من جراء الانتصار الاسرائيلي الخاطف . ان هذه الفترة تطابق تماما لولاية ناحوم غولدمان في كرسي الرئاسة الصهيونية ، مثلما تتميز باعتزال بن غوريون نهائيا من الحكم ومجيء ليفي اشكول الذي اعتبرته الاوساط الصهيونية «صديقا اسرائيليا» للمنظمة العالمية في حرصه على تنفيذ التعاون المتبادل بين الحكومة والحركة .

ثالثا ــ المرحلة التي بدأت في أعقاب حرب حزيـــران وانطلقت من مقررات المؤتمـــر الصهيوني السابع والعشرين (١٩٦٨) ، لكي تصل الى المؤتمـــر الثامن والعشرين (١٩٧٢) . وهي مرحلة في تاريخ الصهيونية واسرائيل تجوز تسميتها بـــ « مرحلة ما بعد حرب حزيران ١٩٦٧ » ، مثلما انها تميزت بكونها الحد الزمني في بدايتها لكل من حادثين على جانب كبير من الاهمية بالنسبة لتاريخ الحركة الصهيونية . الحادث الاول يتعلق بمرور سبعين عاما على تأسيس الحركة والمنظمة واعلان برنامج بازل ، والثاني يشير الى انقضاء نصف قرن من الزمن على صدور تصريح بلفور . وهذان الحادثان ظهرا بمثابة المعالم البارزة في مسيرة الحركة التي أطلقها ثيودور هرتزل قبل ثلاثة أرباع القرن على دروب الاستعمار الاستيطاني وفي مسالك الغزو بواسطة الهجرة ، كما على صعيد الالتقاء والتعاون مع مصالح الدول الامبريالية ومخططاتها في هذه المنطقة العربية من العالم .

هذا هو التقسيم الزمني العام لموضوع دراستنا . وسوف نحاول متابعته بقدر الامكان ، دون الابتعاد عن نقطة الانطلاق الاصلية في النظر الى التطورات والاجراءات والقرارات الرسمية من زاويتين هما : العقيدة الصهيونية والتنظيـــم الصهيوني ــ في المجالين : الداخلي ــ التركيبي ، والخارجي ــ التنظيمي على صعيد الهيئات والمنظمات الصهيونية واليهودية في العالم .

وفي طليعة الامور التي تتوقف عندها هذه الدراسة عن الحركة الصهيونية العالمية منذ قيام اسرائيل ، نذكر ما يلي : أولا ، حقيقة كون الوكالة اليهودية لفلسطين نسخة طبق الاصل عن المنظمة الصهيونية العالمية . كلاهما تنظيم واحد بالذات، وفي النتيجة الاخيرة. فاللجنة التنفيذية للوكالة ليست سوى الذراع التنفيذية للمنظمة الصهيونية العالمية . وثانيا ، ان المنظمة الصهيونية العالمية لا تعدو كونها أداة بيد الحكومة الاسرائيلية ، أو احدى الوكالات والهيئات التابعة لها والعاملة في خدمتها . مثلما أنها تقوم بممارسة النشاط والعمل السياسي لصالح حكومة اسرائيل في الخـــارج تحت ستار التضامـــن اليهودي والتأييد المعنوي أو من خلال حملات الجباية وجمع التبرعات بحجة الاسهام في الاعمال الخيرية والمشاريع الانسانية .

هذه الوقائع تتحرك ضمن اطار ايديولوجي يوجزه البرنامج الصهيوني في نظرته الصريحة الى يهود العالم معتبرا اياهم بمثابة الامة الواحدة التي يتوزع أبناؤهـــا بين الاطراف

(الشتات اليهودي في العالم) وبين المركز الذي تمثله دولة اسرائيل . فالمنظمة والدولة تلتقيان على صعيد الرسالة الواحدة في المدار الصهيوني : الدولة تعتبر رسالتها اليهودية والصهيونية قائمة على عقيدة « تجميع المنفيين » ، والمنظمة تضع في طليعة برنامجها مهمة « جمع الشمل اليهودي » في دولة اسرائيل . كما يفرض البرنامج الصهيوني على أعضاء المنظمة ان يضطلعوا بواجب التأييد والدعم نحو دولة اسرائيل ، دون تراجع وبلا هوادة ، وان يسهموا بقسطهم في تنمية الوجدان القومي بين كافة يهود العالم وفي توجيه الانظار اليهودية صوب المركز الاسرائيلي الصهيوني .

لقد بادر مؤسس الحركة الصهيونية في بداية التحرك الصهيوني الاوروبي الى رفع شعار يستهدف كسب الجماعات اليهودية في العالم الى جانب المنظمة الصهيونية . ففي المؤتمر الصهيوني الثاني (بازل ١٨٩٩) أعلن ثيودور هرتزل شعاره الداعي الى « غزو الجماعات اليهودية » واجتذابها الى الحظيرة الصهيونية . ولدى قيام الدولة العتيدة ، بعد انقضاء خمسين عاما على اطلاق الشعار المذكور ، كانت الحركة الصهيونية لا تزال جادة في سعيها نحو ترجمة هذا الشعار الى الواقع العملي . ان ربع قرن من الزمن مر منذ وجود اسرائيل فوق الارض الفلسطينية ، وما يقارب العقدين من السنين أو أكثر على استصدار « قانون العودة » الذي يفتح أبواب الدولة الصهيونية بوجه يهود العالم أجمع . لكن الشعار الهرتزلي في « غزو الجماعات اليهودية » ما زال حتى الان ، وبعد مرور ثلاثة أرباع القرن على اطلاقه ، يؤلف الشغل الشاغل للحركة الصهيونية العالمية منذ نشوئها .

ومن غزو الجماعات اليهودية الى غزو فلسطين عن طريق الهجرة ، الى « غزو العمل » عبر اقصاء اليد العاملة العربية والاقتصار على العمل اليهودي دون سواه ، ثم « غزو التراب الفلسطيني » تحت ستار « الانتصار على الذات » من خلال الاستثمار بمجالات العمل في الارض والزراعة — يمتد خط صهيوني واحد ليربط بين طرفي : الحركة الصهيونية ودولة اسرائيل . وليست العقائد الصهيونية الاساسية في الدولة اليهودية سوى الامتداد الاسرائيلي للطرف الصهيوني من ذلك الخيط . فالمناداة بتحقيق الرسالة من « تجميع المنفيين » الى ادماج المهاجرين وصهرهم في بوتقة المجتمع الواحد ، والى تعزيز « الوجدان اليهودي » وتنشيط الثقافة الصهيونية والعبرية بين يهود العالم — كل هذه يصعب فصلها عن النتيجة الحتمية لدينامية التوسع وذريعة المطالبة بحدود آمنة . ان هذه العقائد والممارسات تصب كلها في بحر واحد عند نهاية المطاف . والطرف « الارضي » و« الاقليمي » لشعار « غزو الجماعات اليهودية » ليس الا توسيع حدود المركز الاسرائيلي بحجة تحقيق « أرض اسرائيل الكاملة » وجمع اليهود من كافة أقطار العالم لتركيزهم داخل الحدود التاريخية التي تدعي الصهيونية نسبتها الى « أرض اسرائيل » .

واخيرا ، ثمة قول منسوب الى هرتزل ، وقد جاء فيه : « ان الصهيونية هي ذلك الشيء العظيم الى درجة تفرض على المرء الا يتحدث عنها بغير الكلمات البسيطة جدا فحسب » . فالاعمال تنطق بلسان هذه البساطة المفرطة حتى البداهة . وتاريخ الحركة الصهيونية يظل خير شاهد على تورطها الفاضح في ميدان العظمة من خلال توجهها الامبريالي الصريح وارتكازها الاستعماري على الغزو بالهجرة والاستيطان .

١ — على عتبة الدولة :

عقدت الحركة الصهيونية العالمية مؤتمرها الثاني والعشرين منذ تأسيسها في مدينة بازل (سويسرا) بين التاسع والرابع والعشرين من كانون الاول (ديسمبر) ، ١٩٤٦ . فجاءت القرارات السياسية التي اتخذها المؤتمر تكرارا حرفيا في معظمها لقرارات

الاجتماع الصهيوني الذي دعت اليه « لجنة الطوارىء للشؤون الصهيونية » في أوتيل بيلتمور (نيويورك) . والمعروف ان « مؤتمر بيلتمور » هذا تبنى في الثاني من أيار (مايو) ، ١٩٤٢ ، قرارا يندد بالكتاب الابيض ويطالب بفتح أبواب فلسطين أمام الهجرة اليهودية تحت اشراف الوكالة اليهودية وسيطرتها ، بحيث تمنح الوكالة اياها السلطة الكفيلة بجعل فلسطين « كومنولث يهوديا » ، لكي يندمج هذا « الكومنولث » (لفظة مخففة للدولة اليهودية) بتكامل في « بنية العالم الديمقراطي الجديد » . كما سارعت « لجنة العمل الصغرى » (أو المجلس الصهيوني العام في صيغته المصغرة منذ ١٩٣٧) الى عقد جلسة لها بفلسطين لاتخاذ قرارها في ١٢ تشرين الثاني (نوفمبر) ، ١٩٤٢ ، بتكرار المطالب الصادرة عن اجتماع بيلتمور . ثم كانت القرارات السياسية التي تبناها « الاجتماع الصهيوني العالمي » في لندن ، بين أول آب والثالث عشر منه (١٩٤٥) ، بمثابة التصديق التام على ما سبقها من قرارات بالمعنى نفسه .

وجل ما فعله مؤتمر بازل المذكور — في أواخر ١٩٤٦ — لا يعدو كونه محاولة للتوكيد من جديد على مطالب بيلتمور واعادة ترتيبها وفقا للاولويات الصهيونية . فقد نص القرار السياسي الذي أصدره المؤتمر بهذا المعنى على ما يلي :

« ان المؤتمر الصهيوني الثاني والعشرين يؤكد من جديد على المطالب السياسية التي أعربت عنها أجهزة المنظمة الصهيونية مرارا وتكرارا ، وهي التالية :

١ — تأسيس فلسطين على غرار كومنولث يهودي ، يتم ادماجه المتكامل في بنية العالم الديمقراطي .

٢ — فتح أبواب فلسطين أمام الهجرة اليهودية .

٣ — منح الوكالة اليهودية صلاحية السيطرة على الهجرة الى فلسطين ، وتخويلها السلطة اللازمة لتعمير البلاد » .

اما بالنسبة لمؤتمر لندن الذي دعت اليه الحكومة البريطانية ، وحددت موعده يوم التاسع من أيلول (سبتمبر) ١٩٤٦ ، فان القرارات الرسمية للمؤتمر الصهيوني الثاني والعشرين أعلنت ان الحركة الصهيونية لا تستطيع في الظروف الراهنة الاشتراك فيه . واحالت على المجلس الصهيوني العام مسألة النظر بالامر وتقرير الاشتراك أو عدمه ، اذا ما طرأ تبدل على الوضع . كما أعلن المؤتمر رفضه للمقترحات التي تقدم بها مشروع « موريسون — غرادي » في تقسيم فلسطين الى مناطق ثلاث: عربية ويهودية وبريطانية، خاضعة للادارة البريطانية . واعتبر ان المشروع المذكور يؤدي في الواقع الى « تحلل الحكومة المنتدبة من التزاماتها نحو تشجيع تطور الوطن القومي اليهودي » .

لكن اللجنة التنفيذية الصهيونية انعقدت بكامل أعضائها في باريس عند نهاية تموز (يوليو) ١٩٤٦ ، لمناقشة فكرة التقسيم . وجاء انعقادها هذا في أعقاب صدور تقرير « لجنة التحقيق الانجلو — أميركية » (ربيع ١٩٤٦) ، وبعد ان اتضح لنفر من أعضائها كانوا على اتصال وثيق بواشنطن ان الرئيس الاميركي « يتوقع » المبادرة من جانب الوكالة اليهودية الى تقديم مشروع يتصف بـ « المعقولية والواقعية » (غولدمان) . فقد صوتت اللجنة على اقتراح تقدم به أحد اعضائها — ناحوم غولدمان — بتاريخ الخامس من آب (اغسطس) ، ١٩٤٦ . ونص القرار المتخذ على الفقرات التالية :

« ١ — ان اللجنة التنفيذية للوكالة اليهودية تعتبر بأن المقترحات الصادرة اصلا عن لجنة التحقيق ، والتي أعلنها السيد موريسون في مجلس العموم ، لا يمكن القبول بها كأساس للتباحث .

٢ ــ ان اللجنة التنفيذية على استعداد للبحث في اقتراح لاقامة دولة يهودية قادرة على الحياة في مساحة كافية من فلسطين .

٣ ــ ولاجل التنفيذ الفوري لما نصت عليه الفقرة الثانية ، تتقدم اللجنة التنفيذية بالمطالب التالية : أ ــ ان يصار على الفور الى اصدار ١٠٠ الف شهادة للهجرة ، وان يباشر حالا بنقل مائة الف يهودي الى فلسطين . ب ــ أن تمنح المنطقة المعينة من فلسطين لكي تصبح دولة يهودية استقلالها التام على الفور في المجالين الاداري والاقتصادي . ج ــ حق الادارة اليهودية في الاشراف على الهجرة داخل المنطقة المعينة من فلسطين لكي تصبح دولة يهودية » .

ويقول صاحب مشروع القرار هذا في مذكراته اللاحقة ما معناه : « لا ريب في ان القرار كانت له أهمية تاريخية ، ومهد السبيل أمام القبول النهائي بالتقسيم من جانب الامم المتحدة ، وأمام اعلان الدولة اليهودية » . كما يستفاد من المعلومات التي تضمنتها مذكرات غولدمان حول ملابسات القرار الصهيوني ان الاوساط التنفيذية في الحركة الصهيونية شهدت انقساما حول الموقف من التقسيم . فالحاخام ابا هيلل سيلفر ــ عضو اللجنة التنفيذية ، ورئيس الفرع الاميركي في اللجنة المذكورة ، بالاضافة الى رئاسته لكل من المنظمة الصهيونية الاميركية والمجلس الصهيوني الاميركي للطوارىء ــ كان يعارض فكرة التقسيم بشدة ، ويعتبرها مع اصدقائه بمثابة « تنازل عن حقنا في فلسطين كلها ، وخيانة لما دعوه بـ الصهيونية الكلاسيكية » . والدكتور عمانوئيل نويمان ــ عضو اللجنة ورئيس الصندوق التأسيسي ــ كان ايضا من بين الزعماء الصهيونيين الاميركيين الذين عارضوا فكرة التقسيم . بينما يخبرنا غولدمان عن رئيس اللجنة التنفيذية للوكالة اليهودية ــ بن غوريون ــ انه تردد «لاسباب سياسية داخلية» في جعل اللجنة التنفيذية تتخذ موقفا رسميا من التقسيم .

ولدى الرجوع الى عملية التصويت في المؤتمر الثاني والعشرين حول القرار المتعلق برفض الاشتراك في مؤتمر لندن ، نجد ان اكثرية ضئيلة من الصهيونيين الاميركيين الذين حضروا كمندوبين قد صوتت ضد القرار المذكور . فجاء توزيع الاصوات الصهيونية الاميركية ، حسب رواية المصادر الرسمية ، على النحو الآتي :

مع القرار برفض الاشتراك	عدد الاصوات	ضد قرار الرفض
الصهيونيون العموميون		
(المنظمة الصهيونية الاميركية)	٣٥	٥
الصهيونيون العموميون		
(الهداسا ومنظمة النساء الصهيونيات)	—	٢٨
عمال صهيون (حزب العمل)	—	٢٩
المزراحي	١٨	—
التحريفيون	٦	—
المجموع	٥٩ صوتا	٦٢ صوتا

كما نعرف من مذكرات غولدمان ان التصويت الحاسم في مؤتمر بازل جرى حول « قرار يكرر ما نص عليه برنامج بيلتمور ومطالبته بدولة يهودية » . فقد أصر معارضو التقسيم على ادخال العبارة التالية في النص النهائي للقرار : « داخل فلسطين كلها » . لكن هذا التعديل سقط ، لكي ينتهي غولدمان الى القول : « وبهذا الشكل غير المباشر قبلت اكثرية المؤتمر الصهيوني بمشروع التقسيم » . وفيما يتعلق بقرار رفض الاشتراك في مؤتمر لندن يتبين من الاجواء التي خيمت على جلسات المؤتمر الصهيوني ــ وهنا نرجع

الى رواية غولدمان — ان الجناح الذي تزعمه وايزمان مني بهزيمة أدت الى استقالة وايزمان من رئاسة المنظمة الصهيونية ، بعد سقوط القرار الداعي الى القبول المشروط بحضور مؤتمر لندن . كيف حدث ذلك ؟ يقول غولدمان ان الدوافع المتناقضة حملت ثلاث شخصيات صهيونية على التكتل ضد وايزمان : فقد تحالف كل من بن غوريون والحاخام ابا هيلل سيلفر وموشيه كلاينباوم (الذي بدل اسمه الى موشيه سنيه فيما بعد ، وأصبح شيوعيا) لمعارضة السياسة التي اتبعها وايزمان ومعه أكثرية اللجنة التنفيذية » . ان هذه الكتلة كانت تنادي بالرفض الصريح . ومعظم الاحزاب الصهيونية التي تمثلت في المؤتمر انقسمت في الرأي، حتى «ان اكثرية حزب بن غوريون — المباي — كانت مؤيدة لوايزمان » . ومع ذلك فقد جاءت نتيجة التصويت بأكثرية ضئيلة لصالح قرار الرفض بقبول الدعوة البريطانية . فالمسؤولية عن هزيمة وايزمان ، كما يراها غولدمان ، تقع على عاتق أمرين : طريقة التصويت غير الملائمة ، والموقف السياسي الاحمق والمتحجر الذي وقفته جماعة هاشومر هتسعير — التي تنتمي الى حركة صهيونية اشتراكية !

خرجت المنظمة الصهيونية العالمية من مؤتمر بازل دون ان ينتخب المؤتمر رئيسا لها أو لجنة تنفيذية . وبقي منصب الرئاسة شاغرا حتى انتخاب ناحوم غولدمان في المؤتمر الصهيوني الرابع والعشرين (١٩٥٦) . كما بلغ عدد المندوبين الى مؤتمر بازل ما مجموعه ٣٨٥ مندوبا ، يتوزعون على النحو التالي : كتلة الصهيونيين العموميين ١٢٣ ، الاتحاد العالمي لعمال صهيون ١٠١ ، المزراحي ٥٨ ، التحريفيون ٤١ ، هاشومر هتسعير ٢٦ ، أحدوت هاعفودا — عمال صهيون ٢٦ ، الهجرة الجديدة ٥ ، غير حزبيين ٥ مندوبين .

والملاحظ من هذا التوزيع ، بالاضافة الى عودة التحريفيين للمنظمة — الام بعد انفصال دام اكثر من عشر سنوات (١٩٣٥ — ١٩٤٦) ، ان عدد المندوبين عن الصهيونية العمالية قد انخفض كثيرا عما كان عليه في المؤتمرات السابقة . ففي المؤتمر العشرين (زوريخ ، ١٩٢٧) وصل مجموع المندوبين ، مثلا ، الى ٤٨٤ مندوبا ، توزعوا كما يلي: العمال (٢٢٤) ، الصهيونيون العموميون (أ) = ١٢٨ والفئة « ب » (٤٣) ، والمزراحي (٨٠) وحزب الدولة اليهودية (٩) . والمعروف ان هذا المؤتمر اعلن رفضه لمشروع التقسيم الذي اقترحه « تقرير لجنة بيل » (تموز ، ١٩٣٧) ، مثلما أنه اقدم — « بعد نقاش طويل وبأكثرية كبيرة » — على تفويض اللجنة التنفيذية صلاحية التفاوض مع الحكومة البريطانية لتوضيح الشروط المتعلقة بالاقتراح البريطاني في اقامة دولة يهودية بفلسطين . فقد طالب حاييم وايزمان بان يمنحه المؤتمر سلطة اجراء المفاوضات على أساس تقرير بيل حول التقسيم ، وفاز الطلب باكثرية ٣٠٠ صوت ضد ١٥٨ صوتا .

أما المؤتمر الواحد والعشرون (جنيف ، ١٩٣٩) فقد وصل عدد مندوبيه الى ٥٢٧ مندوبا ، وتوزعوا كالآتي : العمال (٢٣٤) ، الصهيونيون العموميون (أ) = ١٥٩ والفئة « ب » (٣٣) ، المزراحي (٧٥) وحزب الدولة اليهودية (١٠) والجناح اليساري لعمال صهيون (١٣) وغير الحزبيين (٣) . واستمرت اللجنة التنفيذية التي شكلها المؤتمر السابق (١٩٣٧) في ممارسة اعمالها ، بينما جرى انتخاب جميع الاعضاء في اللجنة التنفيذية الصهيونية لعضوية اللجنة التنفيذية في الوكالة اليهودية .

ان كتلة الصهيونيين العموميين في مؤتمر بازل ضمت اكبر عدد من المندوبين ، بزيادة ٢٥٪ عن المندوبين العماليين . وربما كان مرد هذا الامر الى ارتفاع اسهم الصهيونية الاميركية في أعقاب الحرب وبعد التدهور الذي اصاب الصهيونية الاوروبية من جراء الاضطهاد النازي لليهود . فالاتحاد العالمي للصهيونيين العموميين تأسس عام ١٩٢٩

خلال انعقاد المؤتمر الصهيوني السادس عشر . ثم انقسم الى جناحين او فئتين : « أ » و « ب » — منذ المؤتمر السابع عشر في بازل (١٩٣١) . وفي شهر اب (أغسطس) من العام ١٩٤٦ — اي ابان انعقاد اللجنة التنفيذية للوكالة اليهودية في باريس — توصل الجناحان الى الاتفاق على صيغة برنامج موحد للصهيونية العمومية . لكن قوتهم العددية داخل مؤتمر بازل (١٩٤٦) لم يقابلها انضباط حزبي في الموقف من القضايا الرئيسية التي عالجهـا المؤتمر الصهيوني . وفي ذلـك يقول رئيس الكونفدرالية العالمية للصهيونيين العموميين — اسرائيل غولدشتاين — في كراس اصدرتـه دائرة الثقافة في المنظمة الصهيونية الاميركية بعنوان « البرنامج الصهيوني العمومي » (١٩٤٧) : « ان المندوبين الصهيونيين العموميين تركت لهم حرية التصويت حسب هواهم في الجلسات الكاملـة للمؤتمر . ولهـذا السبب ظهروا اثناء جلسات المؤتمر وامـام انظار العالم بانهم اكثر انقساما من الاحزاب الاخرى » .

ان توزيع المندوبين في المؤتمر الثاني والعشرين انعكس بدوره على تشكيل « المجلـس الصهيوني العام » — أي الهيئة الحاكمة للمنظمة الصهيونية العالمية خلال الفترة الفاصلة بين مؤتمر وآخر . وبعد ان قرر مؤتمر بازل (١٩٤٦) زيادة عضوية هذا المجلس من ٧٢ الى ٧٧ عضوا ، أصبح التوزيع الحزبي لاعضائه كالآتي : الصهيونيون العموميون ٢٥ عضوا ، الاتحاد العالمي لعمال صهيون ٢٠ ، المزراحي وجناحه العمالي ١٢ ، التحريفيون ٨ ، هاشومر هتسعير ٦ ، احدوت هاعفودا ٥ ، الهجرة الجديدة عضو واحد .

لقد اختتم المؤتمر اعماله دون انتخاب لجنة تنفيذية لكل من المنظمة الصهيونية والوكالة اليهودية . لكنه فوض المجلس الصهيوني العام صلاحية انتخاب اللجنة التنفيذية التي أصبحت ، باعتراف المصادر الصهيونية، منذ ١٩٤٧ مطابقة في عضويتها بالنسبة للمنظمة الصهيونية العالمية والوكالة اليهودية لفلسطين . ففي مقالة « الوكالة اليهودية » التي تضمها « موسوعة اسرائيل والصهيونية » نقرأ ما يلي : « بعـد أن أصبحت المنظمة الصهيونية العالمية والوكالة اليهودية هيئة واحدة بالذات (ابتداء من ١٩٤٧ فصاعدا) ، غدت اجهزة الوكالة (المؤتمر والمجلس العـام واللجنة التنفيذية والهيئـات القضائية ومراقبة الحسابات) مطابقة لاجهزة المنظمة الصهيونية العالمية » .

وفي التقارير المرفوعة من اللجنة التنفيذية لكل من المنظمة الصهيونية والوكالة اليهودية الى المؤتمر الصهيوني الثالث والعشرين (القدس ، ١٩٥١) يوجد فصل بين الاثنين . هناك تقرير صادر عن اللجنة التنفيذية للمنظمة الصهيونية العالمية (وهذا يقع في ١٥٠ صفحة من اصل ٩٩٩ صفحة تؤلف مجموع صفحات الكتاب المطبوع للتقارير) ، بالاضافة الى التقرير المرفوع من اللجنة التنفيذية للوكالة اليهودية . مع العلم بان التقرير الاول يذكر في مطلعه ان : « جميع اعضاء اللجنة التنفيذية الصهيونية قاموا أيضا بدور الاعضاء في اللجنة التنفيذية للوكالة اليهودية » . كما يتحدث التقرير الثاني (صفحة ١٥٩) عن قيـام المجلس الصهيوني العام ، اثر انتهـاء مؤتمر بازل بوقت قصير ، بانتخاب لجنة تنفيذية صهيونية مارست دورها بمثابة اللجنة التنفيذية للوكالة اليهودية . وهذا الاصرار الصهيوني على الفصل شكليا بين اللجنتين ، رغم الاقرار الصريح بكونهما لجنة واحدة من حيث العضوية ، يهدف الى انقاذ المظاهر القانونية على اعتبار ان الوكالة اليهودية لفلسطين تتمتع بوضع قانوني تنص عليه مواد صك الانتـداب . فالمعروف ان نصف اعضاء الوكالة اليهودية الموسعة ، التي نجح وايزمان في انشائها عام ١٩٢٩ واقـرار دستورها رغم معارضة التحريفيين والراديكاليين داخـل المؤتمر الصهيوني ، كـانوا أعضاء اللجنة التنفيذية الصهيونية . بينما جاء النصف الثاني من بين «غير الصهيونيين» . لكن هذا الترتيب لم يعمر طويلا . اذ بدأ تحويل اللجنة التنفيذية الى هيئة صهيونية في تركيبها وطابعهـا بصورة تدريجية يكفلهـا الدستور ! والمصادر الصهيونية تشير الى

الاساس القانوني الذي جرى الاستناد اليه في « صهينة » الوكالة اليهودية الموسعة . فالمادة السابعة من دستور الوكالة المذكورة تنص على انه يحق للمنظمة الصهيونية العالمية ملء المقاعد الشاغرة في اللجنة اذا لم يتقدم الاعضاء اللاصهيونيون في مجلس الوكالة بالترشيحات المساوية للعدد المطلوب .

ثم تعترف المصادر الصهيونية بان ترتيب المناصفة لم يدم طويلا ، بسبب « عدم الاهتمام الكافي من جانب اللاصهيونيين » — مما أدى بدوره الى تخفيض نسبة تمثيلهم في اللجنة التنفيذية للوكالة . وتتابع المصادر اياها قائلة : « ابتداء من العام ١٩٣١ أصبحت اللجنة التنفيذية قائمة على أساس ائتلاف من الاحزاب الصهيونية الرئيسية ، واستمرت هذه الممارسة منذ ذلك الحين » . فالرجوع الى عضوية اللجنتين التنفيذيتين منذ ١٩٣١ وحتى ١٩٤٧ يؤكد بصورة قاطعة وجود لجنة واحدة على صعيد الممارسة يتوزع اعضاؤها بين فلسطين ولندن واميركا على مكاتب وفروع تعمل في مختلف الحقول وتتقاسم المهمات والنشاطات تبعا لحاجات الظروف الراهنة ومتطلبات المرحلة القادمة .

ان تركيب اللجنة التنفيذية الصهيونية = اللجنة التنفيذية للوكالة اليهودية في أعقاب المؤتمر الصهيوني الثاني والعشرين ينطوي على مغزى كبير بالنسبة لعلاقة الحركة الصهيونية بدولة اسرائيل . والصيغة الائتلافية بين الاحزاب الصهيونية الرئيسية ، كما تركيب المجلس الصهيوني العام ، قد تجلت في توزيع مقاعد اللجنة العشرين على كتل ثلاث داخل الحركة الصهيونية : كتلة العمل (٧ مقاعد) وكتلة الصهيونيين العموميين (٩ مقاعد) وكتلة المزراحي (٤ مقاعد) . هذا ما يبينه الجدول التالي :

أعضاء اللجنة التنفيذية الصهيونية — الوكالة اليهودية

[منذ اواخر ١٩٤٦ وحتى ٣ ايلول (سبتمبر) ١٩٤٨]

العضو	مكان الولادة	مكان الاقامة	الانتماء الحزبي	المسؤولية الصهيونية
داڤيد بن غوريون	بلونسك	القدس	العمل	رئاسة اللجنة، الدائرة السياسية
سيليخ برودتسكي	ليدز	لندن	صهيوني عمومي	مكتب الوكالة في لندن* (الدائرة السياسية)
بيريتز برنشتاين	هولندا	تل ابيب	صهيوني عمومي	دائرة التجارة والصناعة
الحاخام زئيف غولد	بولونيا	نيويورك	مزراحي	
الدكتور ناحوم غولدمان**	ليتوانيا	لندن — نيويورك	صهيوني عمومي	مكتب الوكالة في واشنطون
يتسحاق غرونباوم	فرصوفيا	القدس	صهيوني عمومي	دائرة العمل
حاييم غرينبرغ	روسيا	القدس	العمل	مجلس الطوارىء الصهيوني الاميركي
الياهو دوبكين	بوبرويسك	القدس	العمل	دائرة التنظيم ودائرة الشباب والرواد وقسم المبعوثين
السيدة روز هالبرين	اميركا	نيويورك	صهيونية عمومية	الرئاسة السياسية للهداسا
بيرل لوكر***	غاليسيا	لندن	العمل	
السيدة غولدا مايرسون	روسيا	تل ابيب	العمل	الدائرة السياسية في القدس (بالوكالة اثناء غياب شرتوك)
الدكتور عمانوئيل نويمان	اميركا	نيويورك	صهيوني عمومي	رئاسة الكيرن هايسود والمنظمة الصهيونية الاميركية
الحاخام اباهيل سيلفر	ليتوانيا	كليفلاند	صهيوني عمومي	رئيس الفرع الاميركي في اللجنة التنفيذية للوكالة
موشيه سنيه	بولونيا	تل ابيب	صهيوني عمومي	الدائرة السياسية في باريس

الحاخام ي.ل.فيشمان	بصارابيا	القـدس	مزراحي	نائب رئيس اللجنة ، دائرة الحرفيين والحرف الصغيرة
موشيه شابيرا	غرودنو	القـدس	مزراحي	دائرة الهجرة
اليعازر كابلان	مينسك	القـدس	العمل	أمانة الصندوق ودائرة الاستيطان الزراعي
ش.ز. شراغاي	بولونيا	لنـدن	مزراحي	رئيس دائرة الاعلام في الفاد ليئومي
موشيه شرتوك	روسيا	واشنطون	العمل	رئيس الدائرةالسياسية (واشنطون)

نائب عضو في اللجنة

موشيه كولدوني (كول)	بولونيا	تل ابيب	صهيوني عمومي	دائرة هجرة الاحداث والشبان

حل محل موشيه سنيه المستقيل (١٩٤٧) في السادس من نيسان (ابريل) ١٩٤٨ . بينما جاء زفي هيرمان (حرمون) محل كلدوني في نيابة العضوية (وهو صهيوني عمومي يقيم في تل أبيب) .

---

* البروفسور سيليغ برودتسكي : عضو في اللجنة التنفيذية للوكالة منذ ١٩٢٨ ، ورئيس هيئة النواب اليهود البريطانيين (منذ ١٩٤٠) . نائب رئيس الاتحاد الصهيوني لبريطانيا وايرلندا الشمالية ، ونائب رئيس اللجنة الادارية للجامعة العبرية ، بالاضافة الى رئاسته لاتحاد المكابيين العالمي ، ونيابة الرئاسة في الكونفدرالية العالمية للصهيونيين العموميين .

** الدكتور ناحوم غولدمان : رئيس اللجنة الادارية في المؤتمر اليهودي العالمي . وممثل الوكالة اليهودية لدى عصبة الامم في جنيف ومستشار اللجنة التنفيذية للشؤون السياسية منذ ١٩٣٧ .

*** بيرل لوكر : عضو حركة عمال صهيون منذ ١٩٠٥ . ورئيس تحرير « العامل اليديشي » في النمسا . أمين المكتب المركزي في الاتحاد العالمي لعمال صهيون (١٩١٦ — ٢٨) ، وسكرتير عمال صهيون في اميركا (١٩٢٨ — ٣١) . أصبح عضوا في اللجنة التنفيذية للمنظمة الصهيونية منذ عام ١٩٣١ ، وترأس دائرة التنظيم فيها . وشغل لعدة سنوات منصب العضوية في اللجنة التنفيذية للاممية العمالية والاشتراكية . كما انه عضو في اللجنة التنفيذية للهستدروت .

جاء في تقارير اللجنة التنفيذية المرفوعة الى المؤتمر الثالث والعشرين (١٩٥١) ان الدورة الاولى لانعقاد المجلس الصهيوني العام بين ٢٥ و٢٩ من كانون الاول (ديسمبر) ١٩٤٦ قامت بانتخاب لجنة خاصة للتعيينات ، لكي تعد اللجنة مقترحات بشأن تركيب اللجنة التنفيذية الصهيونية . وبناء على توصية لجنة التعيينات هذه — نالت التوصية أكثرية ٥٢ صوتا مقابل ١٧ — تم انتخاب لجنة تنفيذية للمنظمة والوكالة مؤلفة من ١٩ عضوا ونائب عضو .

---

٢ — « انتقال السلطات » :

خلال الفترة الفاصلة بين مطلع ١٩٤٧ ومنتصف شهر أيار (مايو) ١٩٤٨ كانت الحركة الصهيونية ، بموجب دستور المنظمة العالمية ، تدار بواسطة المجلس الصهيوني العام واللجنة التنفيذية للوكالة اليهودية والمنظمة الصهيونية . وفي الدورة الاولى لانعقاد المجلس العام ، عقب انتهاء المؤتمر الصهيوني مباشرة ، جرى انتخاب لجنتين للعمل في اثناء الفترة التالية : لجنة سياسية خاصة تضم ١٦ عضوا ، وعليها ان تقرر بشأن المفاوضات مع الحكومة البريطانية في لندن ، ولجنة للميزانية مؤلفة من ١٢ عضوا . بينما انعقدت الدورة الثانية للمجلس في زوريخ ، من ٢٥ آب (اغسطس) الى ٢ ايلول (سبتمبر) ١٩٤٧ ، في ظل تقرير « لجنة الامم المتحدة الخاصة بفلسطين » وتوصياتها حول تقسيم البلاد واقامة الدولة اليهودية في جزء منها .

والقرارات السياسية التي صدرت عن المجلس الصهيوني العام آنذاك أعربت عن الارتياح لصدور التوصية في انشاء دولة يهودية ذات سيادة عن اللجنة الدولية بأكثرية ملحوظة . لكنها استدركت بقولها : « ان الرقعة المقترحة هي جزء يسير من المساحة

الموعودة اصلا للشعب اليهودي على اساس حقوقه التاريخية ، ولا هي تضم المناطق ذات الاهمية القصوى . ثم أعلنت القرارات أسفها للمقترحات التي قدمتها أقلية اللجنة بشأن الدولة الاتحادية ، فاعتبرتها بمثابة المشروع الرامي لتحويل فلسطين الى دولة عربية ، ومن المقدر لليهود ان يظلوا اقلية دائمة في مثل تلك الدولة .

كما أقدم المجلس العام على تعيين لجنة سياسية خاصة ، تتألف من ١٧ عضوا ، لتزويد اللجنة التنفيذية بالمشورة في جميع المسائل الناشئة عن مناقشة القضية الفلسطينية في الامم المتحدة . وحدد قرار المجلس مدة ولاية هذه اللجنة حتى دورة انعقاده التالية ، على ان تعمل مع اللجنة التنفيذية ، ولا يحق لاي من أعضائها اجراء المفاوضات مع اي عضو في الجمعية العامة للامم المتحدة أو اي مسؤول حكومي . أما تركيب اللجنة السياسية فقد جاء كما يلي : الصهيونيون العموميون (٥ أعضاء) ، الاتحاد العالمي لعمال صهيون (٤) ، المزراحي (٣) ، التحريفيون (٢) ، هاشومر هتسعير (١) ، أحدوت هاعفودا (١) والهجرة الجديدة (١) .

وفيما يتعلق بالهجرة اليهودية غير المشروعة (Haapala) الى فلسطين ، قرر المجلس العام اعتبار هذه الهجرة « في الظروف الحاضرة عاملا ذا أهمية أساسية في الكفاح السياسي الذي تخوضه الحركة الصهيونية ضد سياسة الكتاب الابيض ، وعملا حيويا لانقاذ بقايا اسرائيل » .

أما الاشارة الاولى الى الوضع المتغير بالنسبة للوكالة اليهودية فقد تضمنها قرار المجلس العام بتفويض اللجنة التنفيذية الصهيونية « لاجراء مباحثات مع الهيئات الملائمة حول تركيب الوكالة اليهودية في ضوء الحقائق الجديدة داخل الحياة اليهودية ... » . وعلى صعيد التنظيم الصهيوني العالمي سجل المجلس ارتياحه للجهود التي تبذلها دائرة التنظيم في سبيل انشاء فدراليات صهيونية ، وطلب الى هذه الدائرة مواصلة جهودها في الاتجاه المذكور . كما حدد بالتفصيل الصلاحيات التي تتمتع بها تلك الفدراليات ، وشدد على واجب الانضباط لدى اعضاء الفدرالية وضرورة امتثالهم للقرارات الصادرة عن هيئاتها المسؤولة .

وتقول التقارير المرفوعة عام ١٩٥١ ان المؤتمر الصهيوني الثاني والعشرين (١٩٤٦) اتخذ قرارات متعلقة بالناحيتين التنظيمية والتشريعية داخل الحركة الصهيونية . بناء على قرار المؤتمر (رقم ١٣٠) أنشأ المجلس العام في دورة انعقاده الاولى (بازل : ٤٦/١٢/٢٨) لجنتين : لجنة استشارية للتنظيم ، تتألف من ١٣ عضوا (٤ منهم للصهيونيين العموميين ، ٣ للعماليين ، ٢ للمزراحي ، ٢ للمابام ، وواحد لكل من التحريفيين والهجرة الجديدة) ، على ان يحضر اجتماعات هذه اللجنة ممثلون عن الصندوق القومي اليهودي والصندوق التأسيسي لفلسطين ومنظمة النساء الصهيونيات WIZO . ولجنة تشريعية (بناء على قرار المؤتمر رقم ١٢٦) لوضع مقترحات بشأن التعديلات في القوانين والانظمة الاساسية للمنظمة الصهيونية : دستور المنظمة ، والنظام الداخلي للمؤتمر الصهيوني وقوانين الانتخاب والنظام الداخلي للمجلس الصهيوني العام . فاللجنة الاولى مارست اعمالها تحت رئاسة الياهو دوبكين ، عضو اللجنة التنفيذية والمسؤول عن دائرتي التنظيم والاعلام في الوكالة اليهودية . وتداولت بشأن التنظيم الصهيوني في العالم ، لكي تنتهي الى الموافقة على المشروع الرامي الى انشاء الفدراليات الصهيونية في البلدان التي لا توجد فيها مثل تلك الفدراليات . أما القضايا التي تمت بصلة مباشرة الى موضوعنا ، فقد عالجتها اللجنة اياها من زاوية « توزيع الوظائف » أو تقسيمها بين الحركة الصهيونية والدولة . والتقارير الصهيونية الرسمية تفيد بان مداولات اللجنة الاستشارية لشؤون التنظيم كانت أساسا لقرارات

بعيدة المدى جرى تقديمها الى المجلس الصهيوني العام ، لكي يصادق عليها ويقرها خلال الفترة اللاحقة لقيام الدولة .

سوف نتابع النظر في مسألة « توزيع الوظائف » من زاوية القرارات التي أصدرها المجلس الصهيوني العام في دورتين من دورات انعقاده الست خلال الفترة الفاصلة بين انتهاء المؤتمر الثاني والعشرين (١٩٤٦) وبين الاعداد للمؤتمر الصهيوني الثالث والعشرين (١٩٥١) . وهما : الدورة الثالثة لانعقاد المجلس في تل ابيب بين ٦ و ١٢ نيسان (ابريل) ، ١٩٤٨ . والدورة الرابعة في القدس ــ تل ابيب ، من ٢٢ آب (اغسطس) الى ٣ ايلول (سبتمبر) ، ١٩٤٨ .

ففي الدورة الثالثة انعقد المجلس الصهيوني العام « بحضور ٢٢ عضوا من اعضائه » (البالغ عددهم ٧٧ عضوا) ، جاء بعضهم من الخارج ، مثلما اشترك جميع الاعضاء المقيمين في البلاد . وتقول التقارير الصهيونية الرسمية انه « جرى نقل الاعضاء بطائرات خاصة من القدس المحاصرة والمقطوعة عن العالم الخارجي الى تل ابيب » . كما تؤكد التقارير اياها ان القرارات التي اتخذها المجلس العام في « هذه الدورة التاريخية » لم تنشر كلها في حينه ، وهي « سلسلة من القرارات الداخلية » التي أعرب فيها المجلس الصهيوني عن تأييده وتشجيعه للهجرة غير المشروعة الى فلسطين بالاضافة الى قراراته المتعلقة بتركيب « مجلس الشعب » و « ادارة الشعب » .

ان نصوص القرارات التي أفردت لها ملاحق خاصة في التقارير الصهيونية الرسمية تندرج تحت العناوين الثلاثة التالية : « القرارات السياسية » ، و « برنامج الدفاع الاقتصادي » و« التنظيم » بشقيه : « الاداري ــ القومي » والصهيوني. وسوف نقصر بحثنا على الناحيتين السياسية والتنظيمية فقط .

١ ــ **الناحية السياسية** : أصدر المجلس الصهيوني عند انتهاء دورة انعقاده في ٢١ نيسان (ابريل) بيانا عاما تعتبره بعض الكتابات الدعائية الصهيونية بمثابة « الاعلان الثاني للاستقلال » . ففي كراس وضعه ارميا بن ــ جاكوب تحت عنوان « دليل الصهيونية » تطالعنا اعلانات ثلاثة للاستقلال الصهيوني : الاعلان الاول بتاريخ ١٢ نيسان (ابريل)، ١٩٤٨ ، والثاني في ٢٢ منه ، والثالث هو الاعلان المؤرخ في ١٤ ايار (مايو) من العام نفسه . والنص المختصر الذي تورده التقارير الرسمية في جملة القرارات الصادرة عن المجلس الصهيوني العام يأتي مطابقا للاعلان الثاني . فهل يؤلف النص الاول والثاني نصا واحدا ؟ هذا ما ترجحه التقارير التي لجأت الى اختصار البيان العام . وبناء عليه ، يتألف النص الكامل من الاعلانين المذكورين اعلاه . فالفقرات التي ذهبت ضحية الاختصار الصهيوني الرسمي تتعلق بموقف شديد العداء من « حكومة صاحب الجلالة البريطانية » التي تسلمت أمانة الانتداب من عصبة الامم قبل ٢٧ سنة ، « وأخفقت في تحقيقها » . والاتهامات الموجهة لحكومة الدولة صاحبة تصريح بلفور والمنتدبة على فلسطين تتضمن ما يلي : « لقد ابتعدت عن روح الانتداب واستبدلتها بالغرض الاناني في تعزيز مصالحها داخل الشرق الاوسط . ونتيجة لهذه السياسة منع لاجئونا من دخول البلاد في احلك ساعات ضيقهم . لا بل جرى توقيفهم واحتجازهم ، وكتب لهم ان يعيشوا حياة يكتنفها الخطر والاذلال والعجز . بينما كانت السلطة المنتدبة تتعامل مع الد أعدائنا ، أصدقاء النازيين وحلفائهم ... » .

ومما يفسر بعض الدوافع الكامنة وراء اختصار البيان في التقارير الرسمية هو ان الفقرة المنشورة عن العرب تكتفي بالابقاء على ما يشبه النداء المسالم . فالبيان المختصر يقول: « في هذه الساعة التي جرى ارغامنا فيها على اراقة الدماء والنزاع ، نلتفت الى العرب في الدولة اليهودية والى جيراننا في المناطق المحاذية بنداء التآخي والتعاون والسلام . نحن شعب مسالم ، جئنا الى هنا للبناء في سلام » .

بيد ان الناحية التي تطال موضوعنا من زاويته الصهيونية الرسمية تكاد تنحصر بفقرتين من البيان الصادر قبل اعلان قيام اسرائيل بشهر واحد على الاقل . الفقرة الاولى ، وهي مطلع البيان العام على ما يبدو ، تقول : « في هذا اليوم ، الموافق الثالث من نيسان (التقويم العبري) يعلن المجلس الصهيوني العام في المنظمة الصهيونية العالمية ، وهو اعلى هيئة فيها ، أمام شعوب العالم المتمدنة وعلى ممثلي الامم المتحدة واليهود المنتشرين في كافة انحاء العالم ، بانه تقرر انشاء اداة ذات سلطة عليا بالنسبة لاستقلالنا القومي في فلسطين » .

والفقرة الثانية التي تبدأ بها النصوص المختصرة لقرارات المجلس الصهيوني العام تحمل الصيغة التالية : « لقد قررنا ، استنادا الى سلطة الحركة الصهيونية واعتمادا على تأييد الشعب اليهودي كله ، انه عند انتهاء الحكم المنتدب سوف تكون هناك نهاية للحكم الاجنبي في فلسطين ، وان الدولة اليهودية كهيئة حاكمة سوف تظهر الى حيز الوجود » .

ان توقيت هذا البيان العام والصادر عن « أعلى هيئة » في المنظمة الصهيونية ـ باعتبار المجلس الصهيوني العام يمارس هذه الوظيفة خلال الفترة الفاصلة بين مؤتمرين ـ جاء مرهونا بسير التطورات الجارية آنذاك داخل الامم المتحدة . فالقرار السياسي التالي الذي اصدره المجلس الصهيوني يحمل هذا العنوان : « بيان حول التغيير المقترح على سياسة الامم المتحدة » . وهو يأخذ علما بالبيان الصادر عن اللجنة التنفيذية للوكالة اليهودية والفاد ليئومي ، ثم يؤكد عليه : « ان الوكالة اليهودية والفاد ليئومي علما ، مع الاسف والاستغراب ، بالموقف الذي تبناه الان ممثل الولايات المتحدة ومندوبها لدى مجلس الامن من قرار الامم المتحدة حول فلسطين » .

لكن بوادر التحول في الموقف الاميركي ترجع الى ما قبل ذلك التاريخ ، والى اواسط شهر اذار (مارس) ١٩٤٨ ـ عندما اخذت نظارة الخارجية الاميركية تعيد النظر في موقفها من التقسيم ، وتحدثت عن الحاجة الى عقد جلسة خاصة للجمعية العامة بقصد البحث في احتمال وضع فلسطين تحت وصاية الامم المتحدة . والمسارعة الصهيونية الى اعلان قيام الدولة ـ كما يقول التحريفيون ـ حدثت بعد ازدياد المخاوف من تحولات الموقف الاميركي . فقد نشرت صحيفة « الجويش ستاندرد » الناطقة بلسان الصهيونيين التحريفيين مقالا طويلا بقلم أ. ابراهامز ، عنوانه « مخاض الخلاص » (١٩٤٨/٣/٢٦)، واتهمت فيه الوكالة اليهودية بعدم التحرك للعمل وانخاذ زمام المبادرة الا في اعقاب المخاوف التي ساورتها من تحول الموقف الاميركي . ومما اكد عليه كاتب المقال : « والان تتحرك الوكالة نحو اعلان الدولة اليهودية ، ليس لسبب الا لكون اميركا قد تراجعت عن التقسيم ، وهناك خوف بانه اذا لم تعلن الدولة الان ، سوف يؤدي قرار صادر عن مجلس الامن او شبه قرار جديد تصدره الجمعية العامة للامم المتحدة الى حرمان الوكالة مما تميل هي الى اعتباره بمثابة صحتها القانونية وتبريرها القانوني حاليا » .

وخلاصة القول ، ان القرارات ذات الطابع السياسي والتي اصدرها المجلس الصهيوني العام ـ باستثناء البيان الذي يستند الى سلطة الحركة الصهيونية في اعلان قيام الدولة اليهودية ـ كانت في معظمها من قبيل أخذ العلم بقرارات اللجنة التنفيذية للوكالة ومنحها صفة التأييد الصهيوني العام . أما الناحية التي تنقلنا الى صلب الموضوع ـ موضوع العلاقة بين المنظمة العالمية والدولة اليهودية ـ فهي ناحية التنظيم الصهيوني عشية قيام الدولة .

ب ـ **الناحية التنظيمية** : جاءت قرارات المجلس الصهيوني العام في دورة انعقاده الثالثة لتعلن تشكيل « المجلس القومي » « والادارة القومية » بفلسطين ، عملا بالقرارات التي اتخذتها اللجنة التنفيذية الصهيونية ـ اللجنة التنفيذية للوكالة اليهودية . فالمجلس القومي (« مجلس الشعب ») تألف من ٣٧ عضوا يمثلون « الحركة الصهيونية العالمية

في فلسطين ، واللجنة التنفيذية للفاد ليئومي » ، بالاضافة الى « مندوبي الهيئات العامة التي ليست ممثلة في المجلس الصهيوني العام او الفاد ليئومي » . وتمشيا مع قرار اللجنة التنفيذية الصهيونية (للوكالة اليهودية) أعلن المجلس الصهيوني العام تشكيل « ادارة قومية » مؤلفة من ١٣ عضوا ، ومسؤولة أمام المجلس القومي . هذه الادارة ظهرت غداة اعلان قيام اسرائيل على صورة « الحكومة المؤقتة » ، بينما تحول المجلس القومي الى « مجلس الدولة المؤقت » .

وازاء قيام الادارة القومية (الحكومة المؤقتة) ، بادر المجلس الصهيوني العام الى تحديد الوظائف المنوطة باللجنة التنفيذية الصهيونية (الوكالة اليهودية) بعد انتقال جزء من وظائفها وحقول نشاطها الى الدوائر الحكومية في الدولة اليهودية . فالقرار الصادر عن المجلس في دورة انعقاده الثالثة (من ٦ الى ٤٨/٤/١٢) يعين حقول النشاط التي سوف تبقى ضمن دائرة صلاحيات اللجنة التنفيذية الصهيونية على الشكل الآتي : ١ ــ الاستعمار الاستيطاني . ٢ ــ الهجرة ، لجهة تنظيمها في الشتات . ٣ ــ هجرة الاحداث والشبان . ٤ ــ التنظيم والاعلام والدعاية الصهيونية والنشاطات الثقافية . ٥ ــ التربية في الشتات . ٦ ــ أنشطة الطلائع (الرواد) والشباب . ٧ ــ تطوير القدس . ٨ ــ الصناديق القومية والاموال الموضوعة بتصرف اللجنة التنفيذية . ويعهد الى اللجنة التنفيذية الصهيونية باعداد خطة مفصلة لجهة دائرة صلاحيات ووظائف المنظمة الصهيونية (الوكالة اليهودية) ، بحيث تستند هذه الخطة الى القرار الصادر أعلاه ، لكي يصار الى تقديمها للمجلس الصهيوني العام في دورة انعقاده الرابعة .

ان هذا التوزيع الاولي للوظائف والمهمات بين المنظمة الصهيونية العالمية من جهة ، والادارة القومية (التي أصبحت الحكومة المؤقتة للدولة اليهودية) ، من جهة ثانية ، بقي حبرا على ورق ولم يعمل به الا في وقت لاحق . فالمصادر الصهيونية تسهب في الحديث عن « مبدأ الفصل » الذي جرى اعتماده (Hafrada) في افراد صلاحيات المنظمة والدولة وعدم الجمع بين الطرفين . لكن ثمانية من أعضاء الحكومة المؤقتة (البالغ عددهم ١٣ عضوا) كانوا ينتمون الى عضوية اللجنة التنفيذية الصهيونية ، وظلوا يجمعون بين الحقيبة الوزارية والحقيبة الصهيونية طيلة شهور من تاريخ اعلان الحكومة المؤقتة . ولم يتحقق شيء من « الفصل » المزعوم في الصلاحيات الا عند مطلع أيلول (سبتمبر) ١٩٤٨ــ وبعد نشوب خلافات حادة داخل الحركة الصهيونية ، وبينها وبين الزعماء الذين انتقلوا الى مقاعد الحكم وأبوا التنازل عن مسؤولياتهم الصهيونية في اللجنة التنفيذية للمنظمة والوكالة .

٣ ــ الفصل والجمع بين السلطات :

تقول المصادر الصهيونية ان « ادارة الشعب » هي التي قامت بتوزيع الحقائب الوزارية في الدولة العتيدة على الاحزاب والكتل الصهيونية وفقا للنسب التالية : الماباي (أربعة مقاعد من أصل ١٣) ، الصهيونيون العموميون (٢) ، المابام (٢) ، المزراحي وجناحه العمالي (٢) ، أغودات اسرائيل (١) ، الهجرة الجديدة (١) والسفارديون (١) . فالدكتور حاييم وايزمان ، رئيس المنظمة الصهيونية العالمية رسميا حتى أواخر ١٩٤٦ (وبالتالي رئيس اللجنة التنفيذية الصهيونية) ، انتقل الى منصب رئاسة الدولة . بينما انتقل بن غوريون الى رئاسة الحكومة المؤقتة دون ان يتخلى في البداية عن منصبه في رئاسة اللجنة التنفيذية للوكالة اليهودية (والمنظمة الصهيونية) ، بالاضافة الى تسلمه حقيبة « الدفاع » مع الاحتفاظ بوظيفته في الدائرة السياسية للوكالة .

والجدول التالي يبين توزيع الحقائب (الحكومية والصهيونية) بالنسبة لاعضاء اللجنة التنفيذية الذين كانوا في عضوية « مجلس الشعب » ابتداء من نيسان (ابريل) ثم أصبحوا أعضاء في « الحكومة المؤقتة » للدولة اليهودية :

	الانتماء الحزبي والصهيوني	الحقيبة الوزارية	المسؤولية الصهيونية	عضوية اللجنة التنفيذية
١ ــ دافيد بن غوريون	المباي	رئيس الحكومة ووزير الدفاع	رئاسة اللجنة التنفيذية، الدائرة السياسية	منذ ١٩٣٣
٢ ــ موشيه شرتوك	المباي	وزير الخارجية	رئيس الدائرة السياسية للوكالة	منذ ١٩٣٣
٣ ــ أليعازر كابلان	المباي	وزير المالية	امانة الصندوق	أمين صندوق الوكالة منذ ١٩٣٣
٤ ــ دافيد رميز	المباي	المواصلات	رئيس الفاد ليئومي	أحد مؤسسي الهستدروت
٥ ــ يتسحاق غرونباوم	صهيوني عمومي	الداخلية	دائرة العمل في الوكالة	عضو اللجنة منذ ١٩٣٧
٦ ــ بيريتز برنشتاين	صهيوني عمومي	التجارة والصناعة والتموين	دائرة التجارة والصناعة	منذ ١٩٤٦
٧ ــ الحاخام يهوذا لايب فيشمان (ميمون)	مزراحي	وزير الشؤون الدينية	دائرة الحرفيين والحرف الصغيرة	منذ ١٩٣٥
٨ ــ موشيه شابيرا	عمال المزراحي	وزير الهجرة	رئيس دائرة الهجرة	منذ ١٩٤٦
٩ ــ أهارون زيسلنغ	المابام	وزير الزراعة	اللجنة التنفيذية للهستدروت	أحد مؤسسي حزب « العمل الموحد »
١٠ــ موردخاي بنتوف	المابام	العمل والاشغال العامة	زعيم هاشومر. الهستدروت	عضو اللجنة التنفيذية للهستدروت
١١ــ بنحاس روزنبلوت (روزين)	الهجرة الجديدة	وزير العدل	رئيس المنظمة الصهيونية الالمانية وزعيم المهاجرين الالمان	عضو سابق في اللجنة التنفيذية (١٩٢٦ ــ ١٩٣١) قاض
١٢ــ بيهور شالوم شطريت	السفارديون (المباي)	وزير الشرطة (والاقليات)		
١٣ــ الحاخام ا.مائير ليفين*	اغودات	وزير بلا وزارة	رئيس اللجنة التنفيذية العالمية لمنظمة اغودات اسرائيل	

* تقول بعض المصادر الصهيونية (الجويش كرونيكل ، ٤٨/٥/٢١) انه عرضت على الحاخام ليفين وزارة البرق والبريد .
والملاحظ من جدول الحقائب الوزارية انه لا توجد حقيبة لوزارة التربية والتعليم ، أو لوزارة الصحة .

هناك سبعة وزراء في الحكومة المؤقتة جمعوا حتى شهر أيلول (سبتمبر) من العام ١٩٤٨ بين الحقيبة الوزارية والمسؤولية عن احدى الدوائر التابعة للوكالة اليهودية واللجنة التنفيذية الصهيونية . والعضو الثامن بين أعضاء اللجنة الذين انتقلوا الى الحكم مع احتفاظهم بالمنصب الصهيوني هو غولدا مايرسون (مئير) ، التي تعينت سفيرة اسرائيل في الاتحاد السوفياتي (١٩٤٨ — ٤٩) . وفي التقارير الصهيونية الرسمية نقرأ ان الاعضاء الذين دخلوا في الحكومة المؤقتة قدموا استقالتهم من عضوية اللجنة التنفيذية الصهيونية اثناء دورة انعقاد المجلس الصهيوني العام في تل أبيب بين ٢٢ آب (اغسطس) و٣ أيلول (سبتمبر) ، ١٩٤٨ ، باستثناء السيد اليعازر كابلان .

لكن الرواية التحريفية تتحدث عن موقف للصهيونيين الاميركيين داخل المجلس ، اذ طالب هؤلاء باقصاء الوزراء الاسرائيليين في الحكومة المؤقتة عن عضوية اللجنة التنفيذية . فهي تقول ، مثلا ، ان المفاجأة التي شهدتها دورة المجلس الاولى بعد قيام الدولة كانت في تصميم الصهيونيين العموميين (واكثرهم من المندوبين الاميركيين) على ايجاد فصل تام بالنسبة للمسؤولين والوظائف بين حكومة اسرائيل والمنظمة الصهيونية العالمية . ونعرف من مذكرات ناحوم غولدمان انه وقف آنذاك ضد دعاة الفصل في الوظائف: « كنت واحدا من القلائل الذين عارضوا هذا الفصل في الوظائف ، لانني أدركت ان ما يبدو بمثابة الاجراء العادي في بلدان سوية قد يكون غير ملائم بالنسبة لنا ، ويشكل خطرا علينا » . ثم يتابع غولدمان مؤكدا : « لقد صوتت أكثرية المجلس الصهيوني العام الى جانب هذا الفصل في السلطات — فالاسرائيليون صوتوا معه بدافع الحماس للدولة ، وغير الاسرائيليين خوفا من اتهامهم بالولاء المزدوج » . هنا تدخل رواية التحريفيين من جديد لتربط بين أمرين: تحقيق الائتلاف الوطني داخل اللجنة التنفيذية التي شكلها المجلس العام ، والتوصل الى اتفاق بشأن انسحاب الوزراء الحكوميين من عضوية اللجنة . فالاوساط الصهيونية المحسوبة على الماباي — يقول التحريفيون — اخذت تراهن على العداء التقليدي بين « المابام » والتحريفيين بقصد الحيلولة دون ضم ممثل او اكثر عن الحركة التحريفية لعضوية اللجنة التنفيذية الصهيونية . لكن ميل التحريفيين الى الوقوف بجانب الصهيونيين الاميركيين ضد تحالف الماباي — المابام جعل معارضي الفصل يتراجعون عن موقفهم . كما تقدم الصهيونيون الاميركيون باقتراح يرمي الى استبدال فرع الوكالة اليهودية القائم آنذاك في نيويورك بفرع اميركي يمثل اللجنة التنفيذية الصهيونية . وسوف نعود الى تناول هذا الموضوع بعد قليل .

اما « الحل الوسط » الذي تم التوصل اليه — بعد تمديد اجتماعات المجلس — فقد تضمن العناصر التالية :

أ — انسحاب الاشخاص الذين دخلوا الحكومة المؤقتة من عضوية اللجنة التنفيذية الصهيونية ، باستثناء وزير المالية — كابلان — الذي اشترط المعارضون لبقائه في اللجنة أن يبقى دون حقيبة صهيونية .

ب — انضمام التحريفيين الى اللجنة التنفيذية الصهيونية في صيغتها الائتلافية الجديدة بعد توقيعهم على بيان (١٩٤٨/٩/١) يتعهدون فيه بما يلي :

« نعترف بكون « جيش الدفاع الاسرائيلي » هو القوات المسلحة الوحيدة لدولة اسرائيل، والتي ينبغي وضعها بتصرف الحكومة .

« نعرب عن معارضتنا الواضحة لوجود أية وحدات مسلحة ومنشقة تسعى لممارسة وظائفها في أرض اسرائيل والخارج . وسوف نحارب مثل هذا العمل .

« لن ندخل ، سواء مباشرة او بطريق غير مباشرة ، طرفا في أي اتفاق مع اية جماعة

سياسية في هذه البلاد أو خارجها — متى كانت محكمة المؤتمر الصهيوني تعتبر نشاطات هذه الجماعة متعارضة مع المبادىء المذكورة أعلاه .

« نتعهد بالامتناع عن القيام بأي نشاط سياسي منفصل ويمكنه ان يتنافى مع الانضباط الصهيوني » .

ج — اعتماد التركيب العددي التالي في تشكيل اللجنة التنفيذية : المباي ٧ مقاعد (مقعدان منهم للحركة الصهيونية العمالية في أميركا) ، الصهيونيون العموميون ٦ مقاعد (من جملتهم مقعد للهداسا) ، المزراحي وجناحه العمالي ٣ مقاعد ، المبام مقعدان ، التحريفيون مقعد واحد ، وبهذا يكون المجموع ١٩ مقعدا .

والملاحظ من هذا التوزيع الجديد أن المباي تقدم على الصهيونيين العموميين في النسبة العددية ، مما أتاح له مجال السيطرة عن طريق التحالفات ، تارة مع المبام وطورا مع المزراحي — كما في الحكومة المؤقتة — بحيث لا يستطيع الصهيونيون العموميون ان يتغلبوا على كتلته حتى ولو كسبوا تأييد التحريفيين .

أما اللجنة التنفيذية « الجديدة » للمنظمة الصهيونية فقد توزع أعضاؤها على مركزين : في اسرائيل ونيويورك ، بالاضافة الى فرع لندن الذي قام على ادارته البروفسور سيليغ برودتسكي — كما في السابق — وبقي يشغل هذا المنصب الصهيوني حتى تعيينه رئيسا للجامعة العبرية في القدس (تموز ، ١٩٤٩) .

فالفرع الاسرائيلي احتفظ بالاعضاء التالين : ١ — الياهو دوبكين (المباي) : بقي على رأس دائرتي « التنظيم والاعلام » و« الشباب والرواد » ، وقسم المبعوثين الى الخارج ، ٢ — اليعازر كابلان (المباي) : وزير المالية ، وعضو في اللجنة بدون حقيبة صهيونية ، ٣ — بيرل لوكر (المباي) : رئيس الدوائر في القدس (أي رئيس فرع اللجنة التنفيذية الصهيونية في اسرائيل) ورئيس دائرة العلاقات العامة (التي حلت محل الدائرة السياسية في الوكالة سابقا) ، ٤ — ليفي اشكول (المباي) : دائرة الاستيطان الزراعي (وفيما بعد جمع اشكول بين أمانة الصندوق في اللجنة التنفيذية وبين وزارة المالية في الحكومة الاسرائيلية) ، بينما شغل حينذاك (١٩٤٨ — ٤٩) منصب المدير العام في وزارة الدفاع ، ٥ — اسرائيل غولدشتاين (رئيس الكونفدرالية العالمية للصهيونيين العموميين) : دائرة أمانة الصندوق ، حتى استقالته عام ١٩٤٩ من عضوية اللجنة التنفيذية ، وعودته الى نيويورك (آب ، ١٩٤٩) شغل المنصب بعده يتسحاق غرونباوم (١٩٤٩/٥/٥) ، وزير الداخلية في الحكومة المؤقتة ، ثم احتله ليفي اشكول ، ٦ — موشيه كولدوني (كول) — (الصهيونيون العموميون): دائرة هجرة الاحداث والشبان، ٧ — اسحاق فيرفل (روغائيل) : دائرة الهجرة ، ٨ — ي. زوربابل (المباي) : رئيس دائرة اليهود في الشرق الاوسط ، ٩— مئير غروسمان (التحريفيون) : الدائرة الاقتصادية ، ١٠ — الحاخام ز. غولد (مزراحي) : دائرة انماء القدس ، ١١ — حاييم غرينبرغ (الصهيونية العمالية في أميركا) : دائرة التربية والثقافة في الشتات ، ١٢ — ي. براجنسكي (مزراحي) وزفي هيرمان (صهيوني عمومي) : دائرة استيعاب المهاجرين، ١٣ — ش. ز. شراغاي (مزراحي) : بدون حقيبة صهيونية .

أما الفرع الاميركي فقد تألف من هؤلاء الاعضاء : ١٤ — ناحوم غولدمان : أصبح رئيسا لفرع اللجنة التنفيذية في نيويورك بعد استقالة الحاخام ابا هيلل سيلفر في مطلع ١٩٤٩ ، ١٥ — عمانوئيل نويمان : رئيس الدائرة الاقتصادية في الفرع الاميركي ، استقال مع الحاخام سيلفر في مطلع ١٩٤٩ ، ١٦ — السيدة روزهالبرين: صهيونية عمومية (أميركا)، ١٧ — حاييم غرينبرغ (أنظر أعلاه) ، ١٨ — زفي لوريا (صهيوني عمالي) — المبام (١٩٠٦ — ١٩٦٨) ، ١٩ — الحاخام ابا هيلل سيلفر (تسلم رئاسة « دائرة العلاقات

العامة » التي حلت محل الدائرة السياسية هناك) وترأس فرع اللجنة التنفيذية في نيويورك حتى استقالته في مطلع ١٩٤٩ ، ٢٠ ــ باروخ زوكرمان (لا يمثل حزبا صهيونيا ، وهو ما يسمى في قاموس الصهيونية بـ Virilist) ، ٢١ ــ الحاخام ليون غيلمن (مزراحي) انتقل الى اسرائيل « بعد أيلول ١٩٤٨ » ، واشترك في فرع نيويورك بصفة مستشار ، ٢٢ ــ جوزيف شختمان (تحريفي) نائب عضو في اللجنة .

ومن الملاحظ ان التقارير الصهيونية الرسمية تتحاشى الحديث عن دوائر الفرع الاميركي، تاركة الامر للتقرير المرفوع من اللجنة التنفيذية هناك . كما يؤكد تقرير اللجنة التنفيذية (والوكالة اليهودية) الى المؤتمر الثالث والعشرين ان الدوائر الخمس التي انتقلت الى حكومة اسرائيل هي التالية : الدائرة السياسية ، دائرة التجارة والصناعة ، دائرة الحرفيين والحرف الصغيرة ، دائرة العمل ، دائرة توطين رجالات الخدمة السابقين .

وفي مقدمة التقرير ترد أسماء الدائرة الاحصائية والقسم الديني في عداد الدوائر التي توقفت عن أداء وظائفها . مثلما يتبين لنا من القائمة المدرجة أعلاه أن التنظيم الصهيوني في ظل الدولة اليهودية بادر الى استحداث دوائر جديدة في اللجنة التنفيذية، وهي الدوائر التي ، انشئت بدافع المهمات الملحة التي تتعلق بتجميع المنفيين : من افتتاح مكتب لرئيس اللجنة التنفيذية تتبع له « دائرة للعلاقات العامة » ، الى دائرة استيعاب المهاجرين ، ودائرة تطوير القدس ، ودائرة التربية والثقافة في الشتات ، والى دائرة الشؤون اليهودية في الشرق الاوسط ودائرة استرجاع الممتلكات اليهودية في المانيا . هذا بالاضافة الى التغييرات والتوسيعات التي جرى احداثها في اطار الدائرتين : الاقتصادية والاعلامية .

٤ ــ توزيع المهمات من جديد :

غداة اعلان قيام الدولة اليهودية سارعت بعض الاوساط الصهيونية في الخارج الى استخلاص النتائج المترتبة عن وجود اسرائيل بالنسبة للحركة الصهيونية ويهود العالم وعلاقة الوكالة اليهودية بالدوائر والاجهزة الرسمية التابعة للدولة . فالدكتور ناحوم غولدمان كتب مقالة منشورة بتاريخ ٢١ أيار (مايو) ١٩٤٨ يقول فيها ما يلي : « ان الدولة اليهودية سوف يقوم على توجيهها السياسي كل من يهود فلسطين والاقلية العربية داخل الدولة ... ومن الطبيعي ان يولي اليهود من خارج فلسطين اهتمامهم العميق ، روحيا ومعنويا ، بتطور هذه الدولة . بيد انه لن يقوم رابط على الصعيد السياسي بين يهود الشتات والدولة اليهودية . أما الوكالة اليهودية على الشكل الذي توجد به اليوم ، فانها سوف تختفي من الصورة . اذ مع نهاية الانتداب يكون الاساس القانوني لوجود الوكالة اليهودية قد انتهى أيضا » .

بينما تحدثت المجلة الصهيونية التي نشرت مقالة غولدمان (وهي مجلة ناطقة بلسان الاتحاد الصهيوني البريطاني) في مطلع مقالها عن «الذين مهدوا السبيل أمام قيام الدولة» من أعضاء اللجنة التنفيذية الصهيونية ، فأشارت الى كون الحكومة المؤقتة لدولة اسرائيل هي « الزعامة الجديدة لليشوف » . ثم استدركت قائلة : « لكن الحركة الصهيونية العالمية مستمرة قيد الوجود ، وأمامها وظائف كثيرة تنتظر التحقيق . ومع ان الوكالة اليهودية قد فقدت وضعها الدولي بموجب صك الانتداب على فلسطين ، فهي سوف تبقى الهيئة التمثيلية للشعب اليهودي في جميع المسائل المتصلة بالوطن اليهودي» . وانتهت المجلة الى القول بأن التركيب الجديد للحركة الصهيونية سوف تنظر بأمره الدورة التالية لانعقاد المجلس الصهيوني العام ، كما يتوقع ادراج الموضوع على جدول أعمال المؤتمر الصهيوني الثالث والعشرين « في وقت لاحق من هذه السنة » (١٩٤٨) ــ باعتبار ان انعقاد المؤتمر يحين موعده كل عامين ، بموجب دستور المنظمة .

وهناك رأي صهيوني ثالث أعربت عنه المذكرة التي أعدهـا الفرع البريطاني للوكالة اليهودية الموسعة ، وأصدرها في كانون الاول (ديسمبر) ، ١٩٥٠ . تقول المذكرة ان الوكالة الموسعة « فقدت الكثير من غرضها الاصلي » . ثم تؤكد ان المهمات الرئيسية للوكالة اليهودية خارج اسرائيل تتضمن ــ الى جانب حملات جمع الاموال وجباية التبرعات ــ تدريب الرواد وتشجيع الهجرة والعلاقات العامـة والنشاط الاعلامي ، بالاضافة الى نشر اللغة والثقافة العبرية بين اليهود المقيمين خارج اسرائيل ، وتشجيع التوظيفات والاستثمارات المالية في اسرائيل ، متى أمكن ذلك . لكن هذه المهمات تحتاج مبادرتها وتطويرها الى حركة قوية ذات ايديولوجية حيوية . وهنا تستدرك المذكرة بقولها : « ان هذه الميزات الاخيرة لم ترمز الى الوكالة الموسعة اطلاقا ، بل هي متأصلة في المنظمة الصهيونية العالمية » . ما العمل ، اذن ؟ تقترح المذكرة ان يصار الى حـل الوكالة اليهودية الموسعة باتفاق حبي . وانتقال وظائفها الى المنظمـة . والاساس القانوني ؟ ان أصحاب المذكرة يلفتون الانتباه الى « حقيقة » مطوية لكي ينبشونهـا مؤكدين انها تقوم مقام الاساس القانوني المنشود . وهذه « الحقيقة » تبدو لهم على النحو الآتي : بعد انشاء الوكالة اليهودية الموسعة (١٩٢٩) ، طلب الى الحكومـة البريطانية ــ بموجب دستور الوكالة ــ اعطاء التأكيدات بأنه فيما لو جرى حل الوكالة ، سوف تتمتع المنظمة الصهيونية بالوضع القانوني ذاته والذي تمتعت به قبل توسيع الوكالة بموجب المادة الرابعة من صك الانتداب . والحكومة البريطانية في ذلك الحين قدمت التعهدات والتأكيدات المرجوة . لكن المذكرة لا توضح طبيعة التعهدات المعطاة ، بل تنتقل مباشرة الى استخلاص النتيجة التالية : بما ان الانتداب قد انتهى الآن (١٩٥٠)، وعلما بأن دستور الوكالة اليهودية ينص على البند المذكور أعلاه ، فانه ليس من غير المعقول تصفية الوكالة اليهودية ونقل وظائفها الى المنظمة الصهيونية العالمية .

ولدى مراجعة « دستور الوكالة اليهودية الموسعة » يتبين من مواد الاتفاقية المعقودة بين وايزمن ــ سوكولوف (عن المنظمة الصهيونية) ، من جهة ، وبين مجموعة من الاشخاص الذين وضعوا تواقيعهم عن « اللاصهيونيين » في عدد من البلدان ، من الجهة الاخرى ــ ان المادة ١٥ (« وضع الاتفاق موضع التنفيذ ») تتحدث بالفعل عن « البند » الذي اشارت اليه المذكرة . لكن هذا التلاعب والدوران حول النصوص لا يغير شيئا من حقيقة انتهاء الصفة القانونية للوكالة مع نهاية الانتداب على فلسطين .

ففي أواخر شهر آب (اغسطس) من العام ١٩٤٨ تنادى المجلس الصهيوني العام لعقد دورته الرابعة (الاولى بعد اعلان قيام اسرائيل) ، لكي « ينظر في المشاكل المتعلقـة بالصلات بين الدولة اليهودية والحركة الصهيونية ، ويعمل على رسم الحدود الفاصلة لسلطات كل من الطرفين في جميع الحقول الواقعة خارج فلك الدولة السيدة » . ويمضي التقرير الرسمي ، المرفوع من اللجنة التنفيذية ، الى القول ان « احدى النتائج الرئيسية لاجتماع المجلس كانت في تكليف اللجنة التنفيذية الصهيونية بمهمة تنظيم الهجرة » الى اسرائيل . فالقرار المفصل الذي اتخذه المجلس آنذاك جاء على تعيـين الدوائر التي تحتفظ بها اللجنة التنفيذية الصهيونية مثلما قام بتحديد الوظائف والمهمات المنوطة بكل دائرة منها . وسوف ننقله هنا كما ورد بنصه الحرفي في التقارير الرسمية الصهيونية (١٩٥١) :

« تحتفظ اللجنة التنفيذية الصهيونية بالدوائر التالية :

١ ــ **دائرة الهجرة** : ويشمل نطاق عملها ما يلي : (أ) تدريب المهاجرين (باستثناء الرواد والطلائعيين منهم ــ أنظر : دائرة الشباب والطلائع ــ الرواد) . (ب) ادارة « مكاتب فلسطين » في الخارج . (ج) التقدم من الحكومة ، بين وقت وآخر ، بمقترحات حول « كوتا » الهجرة ، على ان تحتفـظ الحكومة بالقرار النهائـي لتثبيت الكوتا .

(د) توزيع حصص الهجرة على البلدان المختلفة ، بالتشاور مع الحكومة . (هـ) اختيار المهاجرين من بين أفراد كل كوتا ، لجهة انتمائهم الى فئات الرواد — الطلائع والهجرة العمالية (والفئات التي لا يشملها هذا البند : الراسماليون ، واقارب المقيمين في البلد ، وطلاب المؤسسات التربوية في البلد،والخبراء الخ — اذ يتلقى هؤلاء اذونات الدخول من حكومة اسرائيل) . (و) تنظيم الهجرة ونقل المهاجرين الى شواطىء اسرائيل .

٢ — **دائرة استيعاب المهاجرين** : العناية بالمهاجرين توضع بيد المنظمة الصهيونية ، وهي التي تقوم على تزويد الاموال اللازمة . سوف يتم انشاء هذه الدائرة الجديدة لكي تعمل بالتعاون مع الحكومة .

٣ — **دائرة الاستيطان الزراعي (الاستعمار)** : تتعاطى نشاطات الاستيطان الجديد ، على نحو مماثل في نطاقه للنشاطات المدرجة تحت دائرة الاستعمار سابقا في الوكالة . (Hityashvut).

٤ — **دائرة هجرة الاحداث والشبان** : تشمل جميع النشاطات في اسرائيل والخارج . (Youth Aliyah).

٥ — **الدائرة الاقتصادية** : وتتضمن مهماتها ما يلي : أ — تعبئة الرساميل الخاصة بقصد التوظيف في اسرائيل . ب — تزويد الخارج بمعلومات عن الشؤون الاقتصادية في البلد . ج — بث الدعاية في الخارج لترويج المنتوجات الاسرائيلية . د — تشجيع السياحة وتنظيمها .

٦ — **دائرة انماء القدس وتطويرها** .

(جاء في قرارات المجلس الصهيوني العام تحت موضوع « القدس » ما يلي : الى أن يتقرر الوضع السياسي للقدس ، تنشأ دائرة خاصة لتطوير القدس تحت اشراف عضو واحد أو اثنين من أعضاء اللجنة التنفيذية . وتقام في القدس ادارة محلية تمثل جميع الهيئات العامة المسؤولة عن مصير المدينة) .

٧ — **دائرة أمانة الصندوق** .

٨ — **دائرة العلاقات العامة** (ملحقة بمكتب رئيس الدوائر ، ورئاسة اللجنة التنفيذية) . والسبب الرئيسي وراء انشاء هذه الدائرة ، بعد اغلاق الدائرة السياسية في الوكالة وانتقال المسؤولين عنها الى وزارة الخارجية في الحكومة المؤقتة ، هو كما تقول التقارير الصادرة عن اللجنة التنفيذية :

« وحتى بعد انشاء دولة اسرائيل وقيام حكومتها ، فما زال من الضروري الحفاظ على مقدار معين من العلاقات الخارجية ، لشن حملة اعلامية صهيونية على نطاق واسع ولخلق جو من التفهم والعطف في أوساط الراي العام غير اليهودي على منجزات اسرائيل ومشاكلها ، ولتقوية مركزها في الميدان الدولي » .

٩ — **دائرة التنظيم والاعلام** : تشرف على شؤون الاعلام الصهيوني وقضايا الدعاية الصهيونية .

١٠ — **دائرة الشباب والرواد (الطلائع)** : تقوم على تدريب الرواد .

١١ — **دائرة النشاطات التربوية والثقافية في الشتات***.

١٢ — **دائرة فرعية للشؤون اليهودية في الشرق الاوسط** (بالاشتراك مع دائرتي الهجرة والتنظيم) . »

وقد جاء في القرارات الصادرة عن المجلس الصهيوني العام آنذاك (أيلول ، ١٩٤٨) ان هذا المجلس « يلفت انتباه اللجنة التنفيذية للوكالة الى الحاجة الملحة في انشاء

« دائرة فرعية خاصة لانقاذ اليهود في البلدان العربيـــة والعمل على تهجيرهم الـــى اسرائيل » .

ان هذا التشكيل الجديد للدوائر الصهيونية ، واعادة تعيين المهمات الملقاة على عاتقها في ظل الدولة اليهودية ، يؤكد على مجموعة بارزة من الحقائق التي يصعب تجاهلها . فالمنظمة الصهيونية ـــ الوكالة اليهودية (وهما اسمان لمسمى واحـــد) قامت بدور « حكومة الظل » خلال الانتداب البريطاني على فلسطين . والوصف الذي جاء عنها في تقرير لجنة بيل ـــ من انها « حكومة قائمة جنبا الى جنب مـــع الحكومة المنتدبة » ـــ ينطبق عليها تمام الانطباق . أما عندما انتقلت « حكومة الظل » الى مقاعد الحكم الفعلي لدى اعلان قيام الدولة وتأليف الحكومة المؤقتة ، فان المنظمة الصهيونية لم تشأ ترك الساحة وتصفية أعمالها . بل فرضت على نفسها الاستمرار في ظل ما قيل انه مبدأ الفصل التام بين صلاحياتها وسلطات الحكومة . ومن الواضح أن معظم المهمات التي أنيطت باللجنة التنفيذية للمنظمة ـــ الوكالة هي من الامور التي تقع ضمن سيادة الدولة وتخضع لاشرافها .

معنى ذلك ان المنظمة الصهيونية تابعت ممارسة وظائفها كهيئة عامة الى جانب دولة اسرائيل . وهذا على الرغم من « ان نهاية الانتداب البريطاني وقيام دولة اسرائيل في ١٤ أيار (مايو) ، ١٩٤٨ ، قد أنهت السلطة القانونية للوضـــع الذي تمتعت به المنظمة الصهيونية ـــ الوكالة اليهودية كهيئة عامة . فالامم المتحدة لم تتخذ أي اجراء لتزويد المنظمة بالاساس الحقوقي الذي يؤمن استمرارها . وبما ان خلق دولة اسرائيل كان هدفا سياسيا من اهدافها الرئيسية ، فالمرء قد يستنتج بأن المنظمـــة انتهت الى الحل الآن . لكن الحقائق والوقائع تشير الى استمرارها في ممارسة الوظائف » .

والتقارير الصهيونية الرسمية التي جيء على ذكرها أعلاه تؤكد صحة هذا التحليل . فالدائرة السياسية لدى الوكالة اليهودية تحولت الى وزارة الخارجية ، لكي تأخذ محلها « دائرة العلاقات العامة » . ودائرة الشؤون الاجتماعيـــة أصبحت وزارة الشؤون الاجتماعية ، بينما تحولت منظمة الهاغاناه الى « الجيش الاسرائيلي » . أما دوائر الهجرة والاسكان واستيعاب المهاجرين والاستيطان الزراعي فبقيت « مشتركة » بين المنظمة والدولة ذات السيادة . حتى أن مهمة استقطاب المهاجرين واستجلابهم الى فلسطين بعد قيام الدولة استمرت في كونها من ابرز الوظائف المنوطة بالمنظمة الصهيونية العالمية . والدور المالي للوكالة اليهودية ، من خلال مواصلة الصناديق القومية لحملات الجباية وجمع التبرعات ، يبرز على حقيقته في التقارير الرسمية عن الفترة الممتدة من ١٩٤٦ الى ١٩٥١ ، حيث تقرر اللجنة التنفيذية للوكالة اليهودية ان الصناديق المالية الصهيونية قامت « بتمويل المجهود الحربي ضد الدول العربية في أثناء الشهور الاولى من القتال وخلال الفترة السابقة لنشوب القتال » .

لقد تساءلت صحيفة « الجويش ستاندرد » ، الناطقـــة بلسان التحريفيين ، في احدى مقالاتها المنشورة بتاريخ ١٣ شباط (فبراير) ١٩٤٨ ، تحت عنوان « مستقبل الحركة الصهيونية » ، عما تراه سيحل بالمنظمة الصهيونية العالمية لدى ظهور الدولة اليهودية الى حيز الوجود . واستطرد كاتب المقالة مؤكدا : « ومما تجدر ملاحظته ان السؤال اياه لم يطرح بالنسبة للوكالة اليهودية ، لان الافتراض السائد في كل مكان يشير الى تعذر وجود الوكالة جنبا الى جنب مع حكومة الدولة ، بل سوف يتم حلها وتختفي بصورة آلية » .

ان مثل هذه التساؤلات والتوقعات ـــ على ما فيها من تجاهل مقصود لوحدة الحال بين المنظمة والوكالة ـــ تبددت كليا غداة قيام الدولة وتوزيع المهمات بين الحكومة والادارة

الصهيونية . وفي النقطة الاولى من البيان الذي أصدره المجلس الصهيوني العام (٩/٣/ ٤٨) في ١٤ نقطة ، وبمثابة القرارات السياسية ، نقرأ ما يلي : « انشاء الدولة هو بداية حقبة جديدة في تاريخ الشعب اليهودي ... ان الحركة الصهيونية ، وهي التي تجمع في ذاتها بين الشعب اليهودي المقيم في الدولة وبين أولئك الذين أخلصوا لفكرة الاحياء القومي وهم يتوزعون في سائر انحاء العالم ، واجهت المهمات الضخمة في تنظيم الهجرة الحرة وتجميع المنفيين واستعمار المناطق الموات من أرض اسرائيل واخصاب صحاريها» . ثم جاء البند الثامن ليؤكد « الحق الاساسي لجميع اليهـــود في مغادرة بلدان شتاتهـــم والاستيطان في بلدهم القومي » .

وفي منتصف تشرين الثاني (نوفمبر) ، ١٩٤٨ ، أعلنت الوكالة اليهوديـــة انها تنوي انشاء مائة مستوطنة جديدة في « مجرى السنة اليهودية الحالية » كجزء من مشروعها للاستعمار الاستيطاني ، مع تخصيص ميزانية بقيمة مليوني جنيه استرليني لهذا الغرض فورا . ثم عمدت اللجنة التنفيذية الصهيونية (للوكالة اليهودية) الى اثبات التزامها بما جاء في « أعلان قيام اسرائيل » عن تجميع يهود العالم وفتح ابواب البلاد أمامهم ـــ والى استباق قانون العودة ١٩٥٠ ـــ فاتخذت خلال اجتماعها الذي عقدته عند اواخر ١٩٤٩ القرار التالي بشأن الهجرة : « تمشيا مع قرارات المجلس الصهيوني العام في دورة انعقاده الاخيرة بالقدس ، تؤكد اللجنة التنفيذية للوكالة اليهودية من جديد على مبـــدأ الهجرة الحرة ، هذا المبدأ الذي يؤلف شرطا مسبقا لتجميع المنفيين . وتعلن ان المبدأ المذكور بقي في موضع الاساس من سياسة اللجنة التنفيذية في حقل الهجرة والاستيعاب» . « ان ابواب دولة اسرائيل مفتوحة امام كل يهودي يرغب في الهجرة او يقدر عليهـــا او ترغمه الظروف على الهجرة الى وطنه » .

---

* بادرت اللجنة التنفيذية عام ١٩٤٨ الى انشاء هيئة خاصة او لجنة فرعية وأوكلت اليها مهمة القيام بتقصي مشاكل الاعلام الصهيوني والتربية الصهيونية . وتحددت مهمات هذه اللجنة بما يلي : أ ـــ توضيح معنى التربية الصهيونية . ب ـــ اقرار الوسائل اللازمة للقيام بالدعاية الصهيونية من جانب كافة المؤسسات التي تنهمك بمثل هذا العمل . ج ـــ استقصاء تدريس الصهيونية في المعاهد اليهودية القائمـــة في سائر انحـــاء الشتات . د ـــ دراسة الوسائل الاعلامية المتبعة حاليا . هـ ـــ وضع الخطوط الرئيسية للتركيب الصهيوني الجديد في حقل التربية والتعليم .

الوقوف على الحد الفاصل

خالد ابو خالد

أسميكِ
... ...
ماذا أسميكِ ؟
مخفورة في الذهابِ
ومغدورة في الإيابِ
ندىً
أو دماً
تارة يتخزن تحت الترابِ
وأخرى سحاباً يغطي سما الضفتين
وما بين نارين تنتفضين
ويسّاقطون فرادى وجمعاً .. رفاقي
تضيعين مني ؟
تضيعين .. حتى أساميكِ
ما بين محترف الزيفِ والزيفِ

في زمن بدويٍ
يناقش موضوعة الاحتلالِ
ويلعب دور المحذّر في المذبحة

أغمس كفي بأشلاء أهلي
وفي جسد الوطن العربي المسجّى
على طول تلك المسافة ما بيننا
حيث كنتِ ... أكون

وحيث تصيرين ... أنشل ضلعي
وأكتب حرفاً وحرفاً
أعاشر معتقلات البداوةِ والغزوِ

في حالتينِ
تداخلتُ
صوّرت بالعين عرضاً طويلاً لكل العصيِّ
وكل الكرابيجِ
سجلتُ في جسدي متحفاً
فيه كل صنوف الذخيرةِ
ماذا اسميك ؟
إني أسميك باسمي
وانت الملايينُ
والحبُّ
والارضُ
والليلُ
ما بين قطبين
وجهي .. وعكا

يقولونَ ...
ماذا يقولون ... ؟ قبل الاناشيدِ
خلف الاناشيدِ
او بَعدها
في المنابرِ
او تحتها
في المواخيرِ
لا تنصتي
إنني اذ أحاصرُ ما بين شطينِ
أقتل بالصمتِ والصخبِ

أقتل داعية للتخطي من الارضِ للارضِ
اقتل تحت شعار مكافحة الخارجين على جدول الضربِ
والسحق
أقتل باسم القضاء على الأوبئة

وأقتل في وطني
آه .. في وطني
ألف عمان قائمةٌ
ظهرها في جبين فلسطينَ
أما السكاكين
والجندُ
والمدفعيةُ
والطائراتُ

فلا تخجلي
إنها أُشرعت في الكمين الاخيرِ
وتنتظر الأمرَ من سترة لمّعت كل ازرارها
بالمجاعة ... والدمِّ
إني ارى مقتلي قاب قوسٍ وأدنى
فقومي
أناديك بالصوتِ
والموتِ
من كل ما احتل مني
ومن كل ما ظلّ منا
ومن صدر أمي
ومن مأزق المرحلة
اراكِ
وإني ارى خلف وجهي .. وجوهاً
تداري به ذلها

انهم يتقنون التنكرَ
فالكرنفال الذي كرسوه طقوساً
يصير تقاليد في وطن ضيّعوهُ
وضاعت تقاليدهُ
لست منهم
فهم بعدُ كانوا
وظلوا
طوال زمان الهزائم والأمنياتِ
وعبر تطوّر حرب الاذاعاتِ
ظلوا
الى القدس لافتةً
ولهاثاً الى الغلة الكاذبة

وان قلت يا وردة الدم خلفتهم يهدرون مصيري
وغادرتهمْ
صرت منهمْ
وان قلت واكبتهم
صرت منهمْ
وما بين هذين تنصب مشنقتي والمذابحُ
كل المطارات مسدودةٌ والمعابرُ

ما بين هذينِ
متهم بالتخلي عن النومِ والنائمينَ
ومتهمٌ بالهزيمة
متهم بالجريمة
لكنني بين هذين أصمدُ
أشحذ صوتي وأسلحتي وعذابي
وأجترح المعجزة

أناديكِ ..
ماذا أناديكِ ؟
« قطر الندى »
كلما أمطرت مقلتاكِ .. وقلبي .. دمي
أرعنت في جبال الخليلِ الخلايا
وشرق الشريعةِ
فوق تخوم بلادي
أرى الارض خارطةً عمرتها الحرائق بالحرب
بالثورة العربيةِ
من ساحة المغرب العربيّ
الى المشرق العربيّ
على جبهة القصرِ
ألقاكِ بعدُ محاربةً في الطريق الى الناصرة
وإني ارى فقراء القرى والحواري
غداً يخرجون اليّ
وبيرقهم بيرقي
وشعاري من النهر للبحرِ
صار شعاراً من البحرِ
للبحرِ
للبحرِ

حيفا كبيروتَ
واللد .. كالقاهرة ..
سألتك يا جوهر الحزنِ والنارِ
ماذا يفرق بين بنيكِ
وبين الأقاليمِ
وحّدنا توأمان .. البطولةُ والصبرُ
فرّقنا توأمان .. العصاباتُ
والسادةُ الجانحون

الى ذبح مدريد
عبر مذابح كل البلاد التي يحكمونَ
البلاد التي يذبحون البنات الصغيراتِ فيها
وتحت شعارٍ
يقول : نجنبها المذبحة

سألتك بالدمّ
هل شاركوا الدم مجراهُ
أم شاركوا الامراء التواقيعَ
والدخلاء المشاريع والكأس
والوقفات المذلةِ
في مجلس الأمنِ
قرب العظام التي يعرضون على المائدة

أحاورك الليلة اتفقوا
ان يخيطوا لهم علماً
من بقايا ثيابكِ
أن يغسلوها
لتخرج بيضاء من غير أبنائك الشهداءِ
ومن غير بصمات كفك فيها
وعمرك فيها
ورائحة الدمّ والعشبِ والجمرِ والطرق المتربات
لتخرج بيضاء من غير سوءٍ — كما يزعمونَ —
تؤهلهم ان يسوقوا صغار بلادي الى المقبرة
وها .. انني الآنَ أرفع كفي
أقرأوا فيه مجزرةً ونذيراً
أحذّر من كل جيش يموت من البردِ
تحت الحريقِ

وتحت الشعاراتِ
والامتيازاتِ
والجوع للعبة الخاسرة

وأنذركم ان نازلة تتخفى وراء الحجارةِ
والطاولاتِ
وفي لغة الخطباءِ
وفي لغة السفهاءِ
وفي لغة الحكماءِ
وفي الصحف الرائجة

هنا أنتضي الآن صوتاً ذبيحاً
يحذر من كل بوابة للخروج سوى الحرب بالشعبِ
إني أسميكِ حربي
وإني أناديكِ حربي
وما بين موتكِ
والأرضِ
ما بين نصركِ
والأرضِ
أن تسقطي الأدعياءَ
التوابيتَ
أن تربطي حول زندي شرايين قلبكِ
أن تمنحيني عظامي جسوراً
على الماءِ
أن تعبري فوقنا مرتينِ
الى الغربِ
والشرقِ
بالشعبِ
بالشعبِ
والأسلحة

ملاحظات اولية على حزب الشعب الثوري الاردني

عصام الصالح

لم تكن الحركة الوطنية في الاردن ، منذ بداياتها الاولى ، بمعزل عن التيارات السياسية والاحداث التي اجتاحت تاريخ العرب المعاصر ، بل على العكس من ذلك تماما كانت دائما في الصميم منها ، تنفعل بها وتؤثر فيها على سواء . واذا استعرضنا تاريخ هذه الحركة لوجدنا ان ارتباطها بالقضايا العربية الكبرى كان دائما ارتباط مصير اذ كانت هذه القضايا محورا اساسيا بل تكاد تكون محورا منفردا شغل هذه الحركة طوال تاريخها واستقطب جهد العاملين فيها منظمات وافرادا . وتاريخيا ، تمثلت البدايات الاولى للحركة الوطنية في شرقي الاردن بحزب الاستقلال الذي انشأته جمعية العربية الفتاة في سوريا في العام ١٩٢٠ في اثناء الحكم الفيصلي . وقد اتخذ اعضاء هذا الحزب بعد معركة ميسلون وانهيار الحكم الفيصلي ، اتخذوا من شرقي الاردن قاعدة لعملياتهم في سوريا*، وبذلك ارسى هذا الحزب منذ اللحظة الاولى لتأسيس الكيان الاردني تقليدا في التوجه نحو القضايا العربية في شكل اصبح هذا التوجه سمة الحركة الوطنية في الاردن خاصة عندما اصبحت القضية الفلسطينية في المركز من القضايا العربية . وقد وعت القوى الوطنية في الاردن مركزية القضية الفلسطينية ، فوجهت لها جهدا خاصا ، وهو ان كان عفويا وغير منظم الا انه دليل واضح على اتجاه اصبح تقليدا في الحركة الوطنية في الاردن**. وقد كرس هذا التقليد وحافظ عليه ودفع به في اتجاه متصاعد قبل العام ١٩٤٨ **حزب اللجنة التنفيذية للمؤتمر الوطني** الذي تأسس في العام ١٩٢٩ والذي

---

* نظر الاستقلاليون الى اتفاق الامير عبدالله مع تشرشل في العام ١٩٢١ على انه معاكس لاهدافهم في استعادة سوريا من الفرنسيين وقد خيب هذا الاتفاق آمالهم . وفي محاولة لاكتساب دعمهم قدم لهم عبدالله مناصب عليا في ادارته ، وكان رشيد طليع اول رئيس لمجلس المشاورين من بين صفوف حزب الاستقلال . (انظر : Naser Aruri, *Jordan: A study in Political Development*, p. 25) وقد دخل الحزب في صراعات مع الامير عبدالله «وكان قصد رجال هذا الحزب اضعاف شوكة الامير وارغامه على الاستسلام لهم ليكون طوع ارادتهم او انهم يهدفون الى خلعه » . (انظر : عودة القسوس ، **مذكرات عودة القسوس** ــ نسخة محفوظة في مركز الابحاث) . وبعد أن تصاعدت اعمال الاستقلاليين ضد القوات الفرنسية ضغطت بريطانيه على الامير عبدالله لاخراج اعضاء الحزب من الاردن وتم له ذلك في العام ١٩٢٤ . (انظر : سليمان موسى، **تأسيس الامارة الاردنية** ، ص ١٦٩ ، ١٧٠) .

** في العام ١٩٢٠ قام سكان منطقة عجلون بعمل ايجابي في مقاومة البريطانيين في فلسطين فقد جمعوا جموعا غفيرة وعقد اجتماع كبير تقرر فيه القيام بهجوم على الانجليز واليهود . وقد اغارت جموع الاهلين في نيسان ١٩٢٠ على سمخ وبيسان وبعض القرى اليهودية . وانقطع نتيجة هذا الهجوم سير القطارات بين حيفا ودمشق وتعطلت المواصلات الهاتفية ، فسارعت السلطات البريطانية وأرسلت طائراتها لقصف تحشدات المهاجمين بالقنابل ، فاضطر المهاجمون الى التراجع والعودة الى قراهم بعد أن قتل عشرة من رجالهم بينهم الشيخ كايد المفلح ، زعيم ناحية الكفارات . (انظر : منيب الماضي وسليمان الموسى ، **تاريخ الاردن في القرن العشرين** ، ص ٩١ ، ٩٢) .

قاد المعارضة في شرق الاردن مدة طويلة . وقد تصدى هذا الحزب للامير عبد الله وقاوم محاولاته بيع أراضي شرقي الاردن للصهيونية في العام ١٩٣٤ ، كما قاد الانتفاضة الوطنية المسلحة في شرق الاردن منذ اواخر العام ١٩٣٧ حتى العام ١٩٣٩ والتي ارتبطت ارتباطا وثيقا بالثورة الفلسطينية الكبرى* . وقد تأتى هذا الافق العربي للحركة الوطنية في الاردن نتيجة عوامل عدة : فبالاضافة للعوامل الجغرافية التي جعلت من شرقي الاردن منطقة محاذية لمناطق الاحداث الرئيسية في العالم العربي — خاصة فلسطين — وبالاضافة الى ارتباط مصير شرقي الاردن بمصير الوطن العربي ، فقد كان للعوامل التي ارتبطت بتأسيس الامارة نفسها أثر في هذا التوجه العربي الملح . فقد كان خلق الانجليز لامارة شرق الاردن في العام ١٩٢١ كدولة منفصلة خلقا من العدم تماما ولم يكن الاردن من قبل قد اتحدت اجزاؤه او دانت بالخضوع لعاصمة واحدة في داخل البلاد**، وبذلك فان أي شعور بالانتماء الاقليمي كان غير وارد في ظل تطلعات القوى الوطنية نحو تحرير الوطن العربي وتوحيده ، كما ان هذه القوى كانت تدرك ان الكيان الاردني كيان مستحدث ومصطنع لم تترسخ جذوره بعد . لذلك فان الاشواق الوطنية لم تكن لتتوقف عند الحدود التي اصطنعت بل كانت تتعداها الى رحابة الوطن العربي الكبير . لذلك فلم يكن بمستغرب ان يواجه الامير عبد الله وادارته اول ما يواجهان تظاهرات صاخبة قامت في عمان في شهر اب ١٩٢١ بسبب اعتقال السلطات البريطانية المجاهد السوري ابراهيم هنانو في القدس***. كما ان ادارة الامير واجهت في الوقت نفسه هياجا شعبيا في عمان عندما حاول الضابط البريطاني بيك (الذي كان يتولى قيادة القوة السيارة في شرق الاردن) القاء القبض على احمد مريود المسؤول عن حادث الهجوم على الجنرال غورو في ١٩٢١/٦/٢٣ ومحاولة اغتياله ، مما اضطر بيك ان يسترجع قواته العسكرية التي خرجت من عمان لتلك الغاية****. كذلك لم يكن بمستغرب ان تلجأ المعارضة يوما الى المنفى في دمشق وتقود معارضتها من هناك ، كما حدث مع **جماعة الشباب الاحرار** التي نشأت بعد الحرب العالمية الثانية بزعامة الدكتور صبحي ابو غنيمة والتي اضطرت الى هذا اللجوء بعد اشتداد حملة الامير عليها.
وبعد العام ١٩٤٨ ترسخ هذا الخط ذو الافق العربي : أصبحت الحركة الوطنية في الاردن امتدادا لحركة التحرر العربية وجزءا منها . وقد لعبت الاحزاب والمنظمات السياسية التي نشأت خارج الساحة الاردنية دورا كبيرا في هذا المجال اذ انشأت فروعا لها في الاردن أرتبطت تنظيميا بالمركز الذي كان دائما خارج الاردن . كما كان لنضوج الوعي القومي الذي أسهمت نكبة العام ١٩٤٨ في بلورته وتصعيده دور كبير في استشراف الافاق القومية من جانب الحركة الوطنية في الاردن . وفي الوقت نفسه لا نقلل من الدور الذي قام به الفلسطينيون في الاردن في انشداد الحركة الوطنية الى آفاقها القومية .
ومن الملاحظ ان جميع الحركات والاحزاب السياسية الوطنية التي قامت في الاردن بعد العام ١٩٤٨ كانت جميعا — باستثناء الحزب الوطني الاشتراكي — امتدادا لاحزاب وحركات عربية ترتبط معهذه الاحزاب والحركات بروابط تنظيمية معينة تنفي عنها ان تكون احزابا محلية .

---

* راجع تفاصيل هذه الانتفاضة في كامل محمود خلة ، **التطور السياسي للمملكة الاردنية ١٩٢١ — ١٩٤٨** ، في الصفحات ٢٩٣ — ٢٩٨ (وهي رسالة ماجستير في جامعة القاهرة . نسخة من الرسالة محفوظة في مركز الابحاث) .

** الدكتور أنيس صايغ ، **الهاشميون والثورة العربية الكبرى** ، ص ٢٣٠ .

*** موسى ، **تأسيس الامارة** ، ص ١٣٩ . وقد اتهم ضابطان في الجيش بالتحريض على التظاهرات هما الرئيس صالح النجداوي وأخوه توفيق النجداوي ، وشملت التهمة كذلك الزعيم علي خلقي الشرايري .

**** **المصدر نفسه** ، ص ١٣٨ . وفي اثر تلك الحادثة قدم رشيد طليع استقالته الى الامير عبدالله .

هذه المقدمة وجدناها ضرورية تمهيدا لقراءة وثيقة صدرت عن حزب اردني اعلن عن تأسيسه في تشرين الاول ١٩٧٢ ، واضح من تسميته « حزب الشعب الثوري الاردني » ومن الوثيقة الصادرة عنه « ملامح اولية حول مسألة الثورة الوطنية الديمقراطية في الاردن » انه يجهد لان يكون حزبا محليا في الاردن ، وهو امر لافت للنظر بعد ان تبين من خلال ما سلف ان الحركات السياسية في الاردن كانت في الاغلب امتدادات لاخرى عربية. والسؤال الذي يطرح هنا هو ما هي الظروف التي تدفع نحو تشكيل حزب في الاردن بعد ان كان الشعار المطروح حتى الان هو تشكيل جبهة وطنية تشارك فيها القوى الوطنية الاردنية وحركة المقاومة الفلسطينية على حد سواء . ان الاجابة عن مثل هذا التساؤل تكمن في تقديرنا في حقيقتين متناقضتين تماما ومتسببة عنهما معا في وقت واحد : تجربة حركة المقاومة في الاردن حتى ايلول ١٩٧٠ ، وتصاعد المد المضاد الذي قاده النظام الهاشمي والذي اتخذ شكلا اكثر شراسة في ايلول ١٩٧٠ وتموز ١٩٧١ .

ان الوجود الكثيف لحركة المقاومة في الاردن بعد العام ١٩٦٧ لم يتح الفرصة كاملة للحركة الوطنية الاردنية في النمو والاتساع والتصاعد . فبالاضافة لظروف الحركة الوطنية الاردنية الذاتية نفسها والتي كانت تعاني من ضعف نتيجة الحملات التي قادها ضدها النظام الهاشمي قبل ١٩٦٧ بالاضافة الى ذلك مثلت حركة المقاومة امام الجماهير قفزة نوعية متقدمة وتجاوزا للحركات الوطنية التي سبقتها . فانشدت الجماهير اليها وانخرطت في صفوفها متجاوزة هي الاخرى حالات التأييد التي منحتها للحركات السياسية التي كانت قائمة قبل نشوء المقاومة الفلسطينية . بتعبير اخر كانت الصورة كما يلي : حركة وطنية ضعيفة وممزقة ، وجماهير معرضة عنها متجهة الى بديل استجاب اكثر الى طموحاتها وفهمها للعمل . بجانب ذلك فان الحركات والقوى الوطنية العربية التي كان لها امتدادات في الساحة الاردنية حولت هي الاخرى امتداداتها التنظيمية الى فصائل تعمل ضمن أطار حركة المقاومة . ومن هنا فان الجهد الذي قامت به الحركة الوطنية في الاردن بعد العام ١٩٦٧ (تمثلت هذه الحركة بالامتدادات العربية وبالشخصيات الوطنية والمنظمات المهنية والنقابية) كان جهدا متجها نحو رفد حركة المقاومة الفلسطينية ودعمها وتهيئة الاجواء لتصاعدها . وهذا الجهد — ولا نقلل من اهميته وخطره — لانه كان متجها نحو تدعيم حركة المقاومة الفلسطينية والمشاركة فيها لم يلتفت جديا وجذريا الى معالجة القضايا الاردنية المحلية التي وان كان لها مساس مباشر بالقضية الفلسطينية الا انها تظل منفصلة عن برنامج حركة المقاومة الفلسطينية المتجهة بصورة اساسية — وهذا مبرر وجودها — نحو النضال من اجل تحرير فلسطين. واكثر من ذلك ففي المرات القليلة التي التفتت فيها الحركة الوطنية الاردنية نحو معالجة القضايا المحلية فقد كان هذا الالتفات يتم تحت راية المقاومة الفلسطينية . فيلاحظ مثلا ان النضال المطلبي الذي قامت به نقابات العمال والذي بلغ اوجه في الاشهر القليلة التي سبقت مجزرة ايلول ارتبط ارتباطا وثيقا بحركة المقاومة وكان فعلا متمتعا بحمايتها ، وما كان له ان يحقق انجازاته في تلك الفترة لولا تلك الحماية*. ومن جهة اخرى كانت تصفية الوجود العلني لحركة المقاومة في الاردن سببا في انكشاف ظهر القوى الوطنية فيه . واذا كانت هذه التصفية قد تلبست بقناع اقليمي فقد كان واضحا من خلال

---

* نشرت صحيفة « فتح » ١٩٧٠/٧/١ رسالة من عمال وأصحاب مصانع الخياطة العسكرية تتقدم بالشكر للمكتب العمالي لحركة فتح للمساعي الحميدة التي قام بها واسهمت في انهاء الخلاف بين اصحاب العمل والعمال بالشكل الذي ضمن للعمال جميع مطاليبهم بعد اضراب استمر يوما . نشرت « الهدف » ٧٠/٦/٢٠ بيانا صادرا عن الجبهة الشعبية حول مطاليب عمال شركات المواد العمرانية قالت فيه : ان ج.ش.ت.ف. التي وقفت باستمرار مع اضرابات العمال انطلاقا من التزامها الايديولوجي والسياسي ترى في المطاليب التي قدمها عمال الشركة مطاليب عادلة لا بد من اسنادها .

ممارسات النظام القمعية التي لم تميز بين وطني فلسطيني ووطني اردني ، ان النظام قد استفرد بالقوى الوطنية الاردنية بعد زوال الحماية التي منحتها لها حركة المقاومة لذلك فان هذه « النشوة الاقليمية » التي حاول النظام اسكار الجماهير الشرق اردنية بها سرعان ما سوف تتبخر ، عندما تكتشف الجماهير هذه ان هذا النظام الذي حاول ان يجعل منها اداته في قمع حركة المقاومة هو هو جلادها القديم ، وان ممارساته القهرية والاستغلالية القديمة هي ذاتها التي تمارس ضدها راهنا وان كان بوطأة اشد بعد أن اصبح وحيدا في مواجهتها . والنتيجة الحتمية والمنطقية لذلك ان تبدأ الجماهير بالدفاع عن نفسها وتشرع في خلق تكتلاتها القادرة على التصدي للنظام . وبسبب غياب حركة المقاومة العلني عن الساحة الاردنية ، وهي الحركة التي ساندت القوى الوطنية فـــان **الاتجاه سوف يكون بالضرورة نحو خلق منظمات سياسية اردنية فلسطينية محلية تعمل من خلال بحث الجماهير عن مصالحها واشباع تطلعاتها ، على تحقيق المهمات الوطنية الاردنية التي لم تدخل في صلب برامج حركة المقاومـــة الفلسطينية ، وفي الوقت نفسه سوف تكون هذه المنظمات حليفة حركة المقاومة في الاردن لان القضية الفلسطينية هي في المحور من المهمات الوطنية الاردنية .**

من هنا يدرك الاهتمام بالاعلان عن تأسيس حزب أردني ، يؤكد من جانب على « مركزية القضية الفلسطينية » والعمل لتحريرها تحريرا كاملا ترابا وشعبا (ص ٦ من الكراس ، الطبعة الثانية) ، ولكنه في الوقت نفسه يلتفت الى هموم الجماهير في الاردن ويتصدى لحلها ويطرح لنفسه مهمات محلية : سياسية واجتماعية واقتصادية ، ويحاول بالاضافة الى ذلك ان يضع قضية التحالف بين النضالين الاردني والفلسطيني في صيغة تستفيد من التجارب التي مضت ولكنهـــا تخطو بها خطوة متقدمـــة أكثر فهما لمعنـــى التحالفات . فالشعار السابق الداعي الى اقامة الجبهة الوطنية الفلسطينية ـــ الاردنية يتخذ له هنا شكلا تفصيليا واكثر تحديدا . فاقامة مثل هذه الجبهة يتطلب في البداية « **وجود جبهة وطنية اردنية** تضم مجموع القوى الوطنية والديمقراطية في الاردن **تتحالف** بارقى اشكال صيغ التحالف واكثرها جدية مع **جبهة وطنية فلسطينية** تضم بدورهـــا فصائل المقاومة الفلسطينية » (ص ٣٧) . ومن الواضح ان ايجاد هذه الجبهة الوطنية الاردنية ليس من مهمات حركة المقاومة ، بـــل هي منوطة بتصاعد الحركـــة الوطنية في الاردن ومرتهنة بقدرتها على التصدي للعمل ، وان كانت حركة المقاومة ، باعتبارها حركة ثورية عربية، يتوجب عليها ان تقوم بدور في تهيئة الظروف الملائمة لقيام مثـــل هذه الجبهة ومدهـــا بالاسباب التي تساعدها على تحقيق أغراضها . ان مهمة بلورة النضال الاردني هي مهمة القوى الوطنية في الاردن بالدرجة الاولى سواء اكانت هـــذه القوى شرق اردنية ام فلسطينية ، ذلك « ان اي تعبئة لقوى الشعب الاردني لا تعني استثناء الفلسطيني [الموجود في الاردن] ما دام هناك واقع طبقي واحد ، فالخصم واحد ولا بد من برنامـــج واحد لتعبئة كل الطاقات في مواجهة كل الخصوم » (ص ٢٨) . وفي المقابل « فان تعبئة الجماهير الفلسطينية وحدها لتواجه كل القوى المعادية ضرب من الخيال لا يجيـــز لنا سوى الاستهلاك المادي والبشري والمعنوي » (ص ٢٨) . ان هذه المعادلة بين الحركة الوطنية الاردنية وحركة التحرر الفلسطيني تجعل العلاقة بينهما محددة واضحة . فاذا كان المطلوب من حركة التحرر الفلسطيني ان توجه جهدها في الاساس الى تنمية ذاتها لتحقيق هدفهـــا في التحرير وفي الوقت نفسه تخلق الاجواء الثوريـــة في العالم العربي ـــ والاردن خاصة ـــ لتنمية الاتجاهات الثورية الجذريـــة ، فان امام الحركة الوطنية الاردنية انجاز المهمات العامة للثورة الوطنية الديموقراطية وفي الوقت ذاته تهيئة المناخ الملائم الذي يمكن حركة المقاومة الفلسطينية من الوصول الى اهدافها .

والمهمات الوطنية التي يطرحها الحزب في كراسه (ص ٣٤ ـــ ٣٩) تندرج تحت العناوين

الرئيسية التالية : اسقاط النظام الرجعي القائم واقامة نظام وطني ديموقراطي يستند الى تحالف جميع القوى والطبقات الديموقراطية ويفسح المجال لتحرير الاقتصاد الاردني من القيود التي تفرضهـا عليه الوصاية الامبريالية والرجعيـة وارساء قاعـدة صلبة للتصنيع ، واقامة اقتصاد زراعي موجه وتحرر العلاقات السياسية للاردن من كل انواع التبعية واقامة السياسة الخارجية على اسس من مركزية القضية الفلسطينية من جهة ونهج عربي وطني تقدمي معاد للامبريالية والصهيونية والرجعية من جهة ثانية واقامة اوسع العلاقات والصداقة مع المعسكر الاشتراكي من ناحية ثالثة .

وهذه العناوين الرئيسية تستند الى فهـم الحزب لطبيعة المجتمع الاردنـي والنظام الهاشمي الحاكم . ففي مقدمة الكراس يوضح الحزب ان « الاردن محكوم من قبل نظام رجعي مرتبط مع الاستعمار » (ص ٥).كما أن النظـام الهاشمي ما وجد الا لتسهيـل اقامة الوطن القومي اليهودي وطمس فلسطين من ذاكرة الامة العربية* » (ص ٩) . اما عن نمط علاقات الانتاج في الاردن وهو النمط الذي يقرر شكـل المجتمع ، فنقرأ في الكراس (ص ٢١ ــ ٢٤) العناوين التالية : يعيش الاردن كمـا تعيش دول العالـم الثالث المتخلف ، تنمو فيه تجارة الاستيراد والانتاج الاستهـلاكي واقتصاد الخدمـات والعقار ، اما الطبقة السائدة في الاردن فهي طبقة الوكلاء التجاريين في المدينة والاقطاع في الريف والمدينة ، ومع ازدياد انتشار الثقافة توسعت طبقة البرجوازية الصغيرة عبر الوظائف والاستخدامات وقد تحول بعضها الى مواقع بيروقراطية الدولة المساهمة في الحكم المتحالفة مـع الاقطاع العشائري والرأسمـال التجاري ، والجيش هو احدى المؤسسات الاقتصادية في الاردن كما انه اداة السلطة لارهاب الجماهير مدعوما بذراع الدولة البوليسية والمخابـرات الفاشية . اما العامـل فهو يبيع قوة عمله الى صاحب المؤسسة مقابل كسب بسيط لا يكفيه لنصف حياته**.

مثل هذا المجتمع تتضح فيه أي القوى التي لها مصلحة في بقاء نظام الحكم القائم حاليا ، واي القوى التي لها مصلحة أساسية في التغيير . وقد حدد الكراس (ص ٢٩ ــ ٣١) القوى الاولى ، والتي وصفها بأنها « خصم الجماهير وعدوها » ، بأنها طبقة كبار الملاك الذين لهم أجود الاراضي الزراعية ولها أملاك عقارية واسعة في المدن وهي تسيطر كذلك

---

* في محادثات القدس التي تمت بين تشرشل والامير عبدالله التي ابتدأت يوم ٢٨ آذار ١٩٢١ أوضح تشرشل في الجلسة الاولى عندما عرض ان تكون شرقي الاردن تحت ادارة حاكم عربي (وكان مؤتمر الشرق الاوسط في القاهرة الذي عقد برئاسة تشرشل في ١٢ آذار ١٩٢١ قد اوصى بالتوصل الى ترتيب مرض مع عبدالله الذي كان قدم من الحجاز) أوضح ان الحكومة البريطانية تتوقع من ذلك الحاكم ضمانا بأن يتفادى القيام بنشاطات معادية لليهود في شرقي الاردن والا يسمح بقيام نشاطات من هذا النوع ، ومن المفترض في ذلك الحاكم أن يتقبل السياسة البريطانية في فلسطين الى الغرب من نهـر الاردن لتتمكن الدولة المنتدبـة (بريطانيه) من الوفاء بالتزاماتها الدولية . وقد وافق عبدالله على ذلك . (انظر : سليمان موسى ، **المصدر السابق** ، ص ١١٢) . كما نذكر هنا بما كتبه السير اليك كركبرايد ، المعتمد البريطاني في شرقي الاردن في عهد عبدالله ،الذي ذكر ان الحكومة البريطانية كانت منهمكة في انشاء ادارة مدنية في فلسطين ، ولم تلق كثيرا من الاهتمام للمناطق البعيدة وغير المتطورة شرقي نهر الاردن ، والتي كان يقصد ان تكون **مناطق احتياط** تستعمل لاعادة توطين عرب فلسطين بعد أن يتحقق الوطن القومي لليهود في فلسطين والذي تعهدت بريطانيه بدعمه . (انظر : (Alec Kikbride, *A Crakle of Thorns*, p. 19)) .

** نشير هنا الى أن معدل الاجور للمستخدمين في الصناعات الاردنية في العام ١٩٦٨ كان ٢٦٨ دينارا أردنيا في السنة. ومن الملاحظ ان هناك نسبا متدنية جدا في اجور بعض الصناعات مثل الكسارات (١٩٢ دينارا)، الملابس والخياطة (١٩١) ، الاثاث والمفروشات (١٨٠) ، منتجات المطاط (١١٢) ، الالات غير الكهربائية (١٦٥) ، معدات النقل (١٧٥) . (المصدر : **دائرة الاحصاءات العامة** ، تقرير الدراسة الصناعية للعام ١٩٦٨ ، عمان ١٩٧٠ ، جدول رقم ١ ــ ٢) .

على مؤسسات الدولة مثل الجيش والحكومة والبرلمان ، كما تضم البرجوازية الكبيرة المسيطرة على المصانع والشركات ، ووكلاء الشركات الاجنبية والسماسرة (الكمبرادور) الذين يقومون بعملية استغلال يومية لجماهيرنا نتيجة علاقاتهم المتشابكة مع الطبقة البرجوازية الكبيرة . وحدد الكراس هذه الطبقات بأنها تمثل نسبة ٥ بالمئة من السكان. أما القوى التي لها مصلحة في التغيير أو قوى الثورة كما يسميها الكراس فهي العمال (نحو ربع مليون) والفلاحون (أكثر من نصف مليون) والبرجوازية الصغيرة والمثقفون الثوريون وشرائح من البرجوازية الوطنية ، والبدو وهم أكثر القطاعات تخلفا وجهلا وضياعا (ص ٢٦) . أما الطريق الذي ينشوف اليه الكراس وصولا الى تعبئة قوى الثورة والانتصار على « العدو الطبقي » فهو في قيام التنظيم الثوري القادر على استيعاب كل القوى الوطنية والثورية وابدال حنقها وحقدها الى عمل مبرمج . وهذا التنظيم السياسي « الحزب الثوري » يستند الى فكر الطبقة العاملة وبرامجها ويمارس العنف الثوري ، بالاضافة الى جبهة وطنية عريضة تحمل السلاح (ص ٢٧) ، فالعنف الرجعي لا يمكن ان يواجه الا بالعنف الثوري القادر على صد هجمات وشراسة الرجعيين ، خاصة وان كل طبقة تستميت في الدفاع عن مواقعها وما على قوى الثورة الا استعمال العنف الثوري المستند الى تحليل سياسي وطبقي وايديولوجي حتى تحقق الانتصار على خصومها (ص ٣٣) .

هذه هي الافكار الرئيسية التي طرحها الحزب في كراسه حول مهمات التحرر الوطني الديموقراطي في الاردن . وقد أشرنا سابقا الى مركزية القضية الفلسطينية في برنامج الحزب . ذلك ان الحزب يعتبر « ان فلسطين وأرضيتها تشكل الان قوة لمسيرة الثورة العربية ومادة انتصارها ، كذلك هي جزء من حركة الثورة العربية التي هي حركة الجماهير ، وليست حركة الانظمة ، ويجب أن تتسع التحاما بالجماهير العربية الثورية حتى تؤمن لها الثورة الرافدة على طريق حرب الشعب الطويلة الامد القادرة على فهم مهمات التحرير الوطني الفلسطيني الكامل لكل التراب الفلسطيني واسقاط الوجود الصهيوني على الارض العربية » (ص ٢٩) .

يبقى هناك بعض الملاحظات التفصيلية على الكراس نوردها كما يلي : ١ ــ بعض المعلومات التاريخية : جاء في الصفحة (١٠) ان لقاء تشرشل وعبدالله في القدس كان في ١٧ آذار ١٩٢١ ، والصحيح ان اللقاء كان في ٢٨ آذار ١٩٢١ واستمر الى ٣٠ آذار . وفي الصفحة نفسها ايضا جاء انه في السنة ١٩٢٨ تألفت أول قوة عسكرية بالاردن عرفت باسم قوة حدود شرق الاردن . والصحيح ان قوة الحدود شكلت في العام ١٩٢٨ اما اول قوة عسكرية شكلت في شرق الاردن فقد كانت في العام ١٩٢٠ (قبل تأسيس الامارة) بعد أن أرسل الضابط البريطاني فردريك بيك الى شرق الاردن لتنظيم الادارة وقد خوله المندوب السامي في فلسطين تشكيل قوتين صغيرتين واحدة من مئة رجل لتقوم بحراسة طريق عمان ــ فلسطين والاخرى من ٥٠ رجلا لتساعد المعتمد البريطاني في الكرك . وبعد قدوم الامير عبدالله الى شرق الاردن وتأسيس امارته فيها اخذ بيك على عاتقه مهمة تشكيل كتائب وقوات عسكرية متدرجا بتوسيع هذه القوات . وفي أيلول ١٩٢٣ اعطيت هذه القوات اسم « الجيش العربي » ، وفي تشرين الثاني من العام نفسه أعطى الامير عبدالله لقب أمير لواء للضابط بيك الذي أصبح قائدا للجيش*.

٢ ــ حول تأسيس الامارة : اذا كان صحيحا باطلاق ان النظام الهاشمي ما وجد الا لتسهيل اقامة الوطن القومي اليهودي وطمس فلسطين من ذاكرة الامة العربية (ص ٩) فانه صحيح كذلك ان هذا الدافع الرئيسي وراء انشاء الكيان كان يصاحبه دوافع أخرى

---

* لمزيد من التفصيل حول انشاء الجيش الاردني انظر P. J. Vatikiotis, *Polotics and the Military in Jordan*, Chapter IV

لا نقلل من قيمتها . فكما لاحظ الدكتور انيس صايغ* عند تعليقـــه على تأسيس امارة شرق الاردن « أصبحت التفرقة بسبب الكيانات عملاً شرعيا له حرمته . أصبحت الولاية او المحافظة السابقة وطنا له شعاره ورايته ودستوره وأصبح العمل على ازالة هذه الرموز ، أي العمل للوحدة ، خيانة بحق الكيان . وقامت مع الكيانات طبقة المنتفعين بها . وتحول الكثيرون من رجال الحركات الوطنية العاملة قبل ١٩٢٠ للوحدة والاستقلال الى سند يدعم الكيانات لانهم ينتفعون منها ، واخذوا يقاومون اي حركـــة صحيحة للوحدة ... [كما] افشلت الكيانات الجهاد في سبيل الاستقـــلال ... [و] رأى السياسيون البريطانيون هذه المكاسب لهم في التفرقة ، بنظرهم البعيد ، قبل حصولها فعملوا لها وحققوها في وقت قصير » . بالاضافة الى ذلك فينبغي الا نقلـــل من أهمية العوامل البترولية في خلق الكيان الاردني. وعودة الى التاريخ الذي سبق تأسيس الامارة تكشف هذه الاهمية . ففي الفترة ما بين ١ و٤ كانون الاول ١٩١٨ عقدت في لندن جلسات بين لويد جورج ، رئيس وزراء بريطانيه ، وكليمنصو ، رئيس الحكومة الفرنسية ، جرى فيها تعديل سري على اتفاقية سايكس — بيكو ، وقد طلب جورج في تلك المحادثات **نقل الموصل وفلسطين الى نصيب بريطانيه** ، وقد وافق كليمنصو على ذلك**. وغني عن البيان ان هذا الطلب البريطاني كان لتأمين منابع البترول في الموصل وطرق شحنه عبر فلسطين التي كانت بالاضافة الى حدودها الاقليمية الان تشمل ما وراء نهـــر الاردن شرقا . وفي مذكرة عمل قدمتها بريطانيه في العام ١٩١٩ تتعلق باحتلال سوريا وفلسطين والعراق الى ان يتخذ قرار بشأن توزيع الانتداب جاء ما يلي : « وفقا للمبادىء التي تتضمنها اتفاقية سايكس — بيكو فان الحكومة الفرنسية لن تعارض حق انشاء سكة حديدية بين **حيفا والعراق** ... كما انه سيكون لبريطانيه العظمى الحـــق في انشاء خطوط أنابيب للنفط ... وتشعر الحكومة البريطانية الحكومة الفرنسية والامير فيصل عن عزمها على القيام فورا بمسح هندسي بغية العثور ، اذا كان هذا الامر ممكنا ، على ممر للسكة الحديدية ولخطوط النفط يقع كليا في منطقة الانتداب البريطاني»***. وقد أوردنا هذه الامثلة ليس بهدف تأريخي وانما تأكيدا على الدور الذي يقوم به النظـــام الهاشمي في خدمة المصالح الامبريالية في المنطقة العربية .

٣ — الحركة الوطنية الاردنية : يعزو الحزب فشل الحركة الوطنية في الاردن بين العامين ١٩٥٠ و١٩٦٧ الى أن طبيعة قيادات الحركة الوطنية وبنيتها الطبقية بقيت معزولة ضمن المدن ولم تمتد الى الريف لتشكل قوة مسلحة في وجه النظام بل عانت الكثير لاعتمادها البرجوازيين اساس تكوينها أولا ، ولعدم امتلاكها القدرة على تنظيم فقراء الفلاحين ، خاصة في غياب طبقة عمالية ظاهرة كقوة رئيسية في الاردن (ص ١٦) كما انه مما زاد أو ساهم في عجز الحركة الوطنية عن أخذ مبادرة العنف الثوري في التصدي للنظـــام العميل هو عجزها عن امتلاك أفق نظري واضح واستراتيجية سياسية تحدد لها الطريق مما أوقعها أسيرة أحلامها كأن تفيق يوما على مارشات عسكرية وبلاغ رقم ١ (ص ١٧).

ان الحكم على اي ظاهرة ، سياسية كانت أم اجتماعيـــة ، يجب أن يراعي الظروف الموضوعية التي أوجدت تلك الظاهرة ، وفي الوقت نفسه يحاكمها بمقاييس المرحلة التي افرزتها دون ان تنتزع هذه الظاهرة من السياق التاريخي الذي وجدت فيه . ومحاكمة الحركة الوطنية في الفترة من ١٩٥٠ — ١٩٦٧ تتم فقط من خلال وضع هذه الحركة في

---

* صايغ ، **المصدر السابق** ، ص ٢٢٧ وما بعدها .

** زين نورالدين زين ، **الصراع الدولي في الشرق الاوسط وولادة دولتي سوريا ولبنان** ، ص ٩٥ — ٩٧ .

*** *Notes of Meeting of Heads of Delegattons of the Five Great Powers*, Paris, Sept. 15, 1919. ذكرها زين ، **المصدر نفسه** ، ص ٣١٤ ، ٣١٥ .

اطارها الصحيح من حيث طبيعتها ، الظروف المحيطة بها ، الفئات الاجتماعيـــة التي قادتها ، الاهداف التي سعت الى تحقيقها ، وفي ضوء ذلك كله يدرس فشلها او نجاحها. الحركة الوطنية في الاردن كانت ذات أفق وطني ، وجدت في المدينة ليس لانها **لم تستطع** أن تمد لها جذوراً في الريف وانما لان الطبقة التي قادت هذه الحركة (شريحة المثقفين من الطبقة البرجوازية الصغيرة) **موطنها** المدينة ، وبذلك فان عملها مرتبط بالمدينة . وهي لم **تعتمد** على البرجوازيين ، وانما كانت هي الحركة التي أوجدتها البرجوازية . اما قضية العنف الثوري فهي غير واردة أصلا لانها لا تدخل في برنامج الطبقة التي قادت هذه الحركة ، لذلك فلم يكن ثمة بديل عن التفكير بالانقلاب العسكري عن طريق الجيش ، لانه من خلال التجارب التي حدثت في العالم العربي والعالم الثالث ثبت ان هذا الاسلوب هو الذي تلجأ اليه الحركة الوطنية ذات الافق البرجوازي للوصول الى السلطة . ومن هنا فان محاكمة الحركة الوطنية في الاردن ينبغي أن تتم في اطار فهم هذه الحركة على انها حركة قادتها البرجوازية الصغيرة وسعت الى تحقيق طموحاتها الوطنية بالاساليب التي تتماشى وتنسجم مع طبيعتها . وفي هذا الاطار فشلت الحركة الوطنية في الاردن عن تحقيق أهدافها ، ولسنا هنا في صدد دراسة هذه الحركة بيد ان العناوين التالية قد تكون صالحة لدراسة اسباب هذا الفشل : ● ان الطبيعة المتذبذبة للطبقة التي قادت الحركة الوطنية خلال الخمسينات والستينات ، جعلت هذه الحركة غير قادرة على الحسم ومترددة في الموقف من النظام بينما كان النظام على العكس من ذلك تماما حاسما تجاهها. ● القوى السياسية التي كانت تقود الحركة الوطنية كانت امتدادات لقوى اخرى مركزها خارج الساحة الاردنية ، وكانت هذه القوى الاخيرة تخضع للعبة التوازنات والتسويات العربية (مؤتمرات القمة كمثال) مما جعل تأثيراتها تنعكس سلبيا على الحركة الوطنية الاردنية نفسها . ● ان دخول الولايات المتحدة في أواسط الخمسينات الى حلبة السياسة الاردنية* مع ظهور مبدأ ايزنهاور ، كان له دور كبير في تثبيت أقدام النظام ومده بالقوة التي واجه بها الحركة الوطنية وتصدى لها . كما ان المعونات الاقتصادية الاميركية ومشاريع التنمية ساعدت على خلق ازدهار اقتصادي مشوه ومكن النظام من توسيع قاعدته البيروقراطية في محاولة لتطويق البرجوازية وضمها الى صفوفه بل وجعلها في وجه من الوجوه جزءا منه ومستفيدة من وجوده .

٤ ــ أغفل الحزب في برنامجه موقفه من الوحدة العربية ، والذي يدفعنا الى اظهار هذا الامر أن الاردن كيان لا يستطيع أن يقوم وحده وان النضال من اجـــل ارتباطه بالامة العربية ضمن اطار وحدوي هو الكفيل فقط بابطال الاسباب التي أوجد من أجلها هذا الكيان . كما أغفل الحزب كذلك الموقف من الضفة الغربية ، وعلى الرغم من انه اعتبر ان ضم الضفة الغربية تم بعد انتخابات زائفة في الضفتين في ١١ نيسان ١٩٥٠ الا انه لم يشر الى مصير العلاقات بين الضفتين راهنا ومستقبلا .

---

* يلاحظ هنا دور الولايات المتحدة في الحركة الانقلابية التي قادها النظام على تجربة الحكم الوطني في العام ١٩٥٧ . ومن المؤشرات الدالة على ذلك الدور انه قبل يوم واحد من تأليف وزارة ابراهيم هاشم التي عينت في ٢٤ نيسان ١٩٥٧ (استقالة حكومة النابلسي كانت في ١٠ نيسان ١٩٥٧ وفي الفترة ما بين الوزارتين شهد الاردن اضطرابات وأحداثا سببها الانقلاب المضاد الذي قاده النظام) صرح جون فوستر دالس ، وزير الخارجية الاميركي « ان لنا ثقة كبيرة في الملك حسين لاننا نعتقد حقيقة انه يكافح من اجل الحفاظ علـــى استقلال بلده في وجه صعوبات عظيمة ... وان لدينا الرغبة في دعم الملك حسين في هذا الشأن الى الحد الذي ينكر هو اننا قادرون على أن نكون مفيدين». وفي ٢٩ نيسان ١٩٥٧ تقدم سمير الرفاعي، وزير الخارجية الاردني ، بطلب مساعدة من ليستر مالوري ، السفير الاميركي في عمان ، وفي اليوم نفسه وافق مالوري على منحة قيمتها عشرة ملايين دولار اعترافا « بالخطوات الشجاعة التي اتخذها جلالة الملك حسين وحكومة الاردن وشعبه للحفاظ على وحدة البلاد واستقلالها » (انظر: عروري، **المصدر السابق** ، ص ١٤٤ ، ١٤٥).

مراجعـــات

محمد أبو شلبايه ، **الطريق الى الحرية والخلاص والسلام**
(مطبعة الشيخ جراح التجارية ، القدس : ١٩٧٢)

بات مؤلف هذا الكتاب معروفـا لسكان المناطـق المحتلة وخارجها ، كواحد من اشهر المتحمسـين لاقامة دولة فلسطينية في الضفة الغربية وقطـاع غزه ، تأخذ على عاتقها مهمة الاعتراف بالكيان الاسرائيلي ، كحل وحيد للمشكلـة الفلسطينية ، وكمدخل لانهاء الصراع العـربي ـ الاسرائيلـي « لتحقيق سلام دائم ونهائي في المنطقة » ـ على حد تعبيره .

ساعد ابو شلبايه على ترويج افكاره هذه ، عمله كصحفي في عدد من الجرائـد الاسرائيلية التـي تصدرها سلطات الاحتلال باللغة العربية ، ونشره سلسلة طويلة من المقالات والندوات على صفحاتها. وقد بلور الكاتب افكاره في كتابين اصدرهمـا في الداخل ـ احدهما بعنوان « لا سلام بدون دولة فلسطينية حرة » ، والاخر الماثل بين ايدينا .

يتجه الكتاب نحو اهداف محددة تتلخص : بضرورة اقامة قيادة فلسطينية جديدة ، متجاوزة المنظمـات والاحزاب الفلسطينية الراهنة والانظمة العربيـة (وخاصة النظام الاردني) ، لتعمل وفق ميثـاق وطني لتشكيـل حزب مشروع داخـل الاراضي المحتلة ، يدعو لاقامة دولة فلسطينية على جزء من الارض التي تمنحها قرارات الامم المتحدة ، يكون لها نظام سياسي واقتصادي وتعليمي واجتماعي ، يتواءق مع برنامج عمله ومنسجمـا مع اسـس دعوته .

وفي اطار هذه الاهداف يردد ابو شلبايه مقولاتـه والتي يمكن تلخيصها بفكرتين اساسيتين :

الاولى ـ الدوافع والاسس التي جعلته يتقـدم بمشروع الدولة الفلسطينية .

الثانية ـ الخطوات التنفيذية والعملية الواجب اتخاذها لتنفيذ ذلك المشروع .

تكمن خطورة الكتاب والافكار التي تضمنها ، ليس في التشويهات والاخطاء لتاريخ القضية الفلسطينية فحسب ، بل كونها تقود الى اتجاه استسلامـي وتصفوي خطير يحاول أن يشق طـريقه بمساعدة العدو لابراز وجوه فلسطينية جديدة تقبل شروط اسرائيل ، وتنهي القضيـة الفلسطينية لمصلحـة العدو الصهيوني ـ الامبريالي .

ما هي الاسس الذي اعتمدها الكاتب لاقامة دولة فلسطينية ؟!

يقول الكاتب :

« ان قيام وحدة عربية ذات جيش يبلغ الملايـين ، وذات امكانات عسكرية حديثة ، لا يعني ابدا القدرة على سحق الكيان الاسرائيلي . وذلـك بسبـب الظروف الدولية التي تمنع الولايات المتحدة مـن احتـلال كوبا ، واسرائيـل من احتـلال جنوب لبنان ... » .

رغم ان التفسـير العلمي للتاريـخ ، وقوانينـه الاساسية تؤكد على ان القوى الذاتية هي العامل الاساسي لحسم التناقـض ، وان ثمة علاقـات ديالكتيكية متفاعلة ومتطورة بين موازيـن القوى الدولية الراهنة ، تجعل من حركة التاريخ تتجه في سيرها الى الامام ولصالح الشعوب المضطهـدة والمستغلة ، ورغم ان هناك تغيرات عديدة طرأت على تلك الموازين خلال السبعين عاما الماضية ، نجـد ابو شلبايه بمنطقه الصـوري ونظـراته الاستاتيكية للعلاقات الدولية ، يريد أن يوقف عجلة التاريخ ويجمد موازين القوى الراهنة الى الابد ، ليعزي استحالة المواجهـة لقوى خارجيـة (أي الظروف الدوليـة) مضفيـا عليهـا صفة الثبات والديمومة والاستمرار وبالتالي اعطائها الـدور الرئيسي في تقرير مصير الشعوب .

وفي سياق هذا الفهم الدغمائي للعلاقات الدولية يتجاهل ابو شلبابه المكانة الاستراتيجية الهامة التي تتمتع بها منطقتنا ، والتي استحوذت على اهتمام خاص لاحد اطراف القوى الدولية المتصارعة وهي الامبريالية العالمية ، ممثلة بالمصالح الاستراتيجية السياسية والاقتصادية (وخاصة البترولية) الضخمة التي تملكها ، والتي شكلت عنصرا اساسيا في تأييد ودعم اسرائيل ليس كعامل دائم وثابت في المنطقة فحسب ، بل كحارس امين على تلك المصالح من خلال مواجهة وقمع اي حالة تعرض مخططات الامبريالية ومصالحها للخطر .

اراد الكاتب ان يضع الظروف الدولية كنقطة ارتكاز لتثبت مبدأ « استحالة المواجهة » ، مما جعله يتجنب الحقائق والوقائع التاريخية السابقة والراهنة ، التي تؤكد على الارتباط العضوي والتطابق الاستراتيجي السياسي والعسكري بين العدو الصهيوني وقوى الامبريالية العالمية . وذلك بهدف الغاء التناقضات الرئيسية والثانوية بين القوى الدولية المتصارعة ، واضعا اياها على نفس المستوى في مواقفها السياسية تجاه الصراع القائم في المنطقة .

واذا كانت المهام الوطنية والثورية تتطلب ادراك الظروف الدولية ، واكتشاف مدى وحجم تأثيرها من اجل تجييرها لمصلحة قواها الذاتية ، والاستفادة من التناقضات القائمة فيما بينها للنضال ضد معسكر الاعداء الرئيسي ، فالكاتب — على العكس من ذلك — يريد ان يثبت عدم جدوى القتال والنضال ، وذلك من خلال استسلامنا للظروف الدولية ، ووضع مستقبل قضيتنا رهينة لتوازنها .

ثمة سبب اخر جعل ابو شلبابه اكثر قناعة بمشروعه ، وهو خشيته ان يضيع شعبنا «الممكن» في طلب « المستحيل » .. يقول الكاتب :
« ان تاريخ القضية اكد لنا في جميع الحالات ، اننا كنا نضيع الممكن في طلب المستحيل » و « انا اصبحنا اناسا سلبيين نقنات بالخطب الرنانة دون ان تكون لنا مغارة نختبيء فيها او شبر من الارض نقف فوقه » .

أما الكيفية التي يريد انينفذ أبوشلبابه بها تاريخنا الذي اضاع الممكن في طلب المستحيل فيقول : ان تحقيق الممكن يأتي عن طريق « حسن النوايا » و « زرع الثقة » و « اقناع الشعب الاسرائيلي اننا لا نريد الحرب » و « الالتجاء الى الدول الكبرى » و « حمل اغصان الزيتون .. الخ » .

تناول أبو شلبابه ايضا بعض المعضلات الاساسية التي تقف أمام مشروعه ، وذلك بوضعه حلولا « ممكنة » لها كمسألة القدس ، و « المستوطنات الجديدة » التي اقامتها اسرائيل على الاراضي التي احتلتها عام ١٩٦٧ .

بالنسبة للقدس يقول « .. انني اتصور مستقبلا زاهرا تكون فيه القدس العربية عاصمة للدولة الفلسطينية ، وتكون فيه القدس الاسرائيلية عاصمة لدولة اسرائيل ، واني اتصور المدينتين متصلتين بلا حواجز ولا اسوار » .

اما فيما يتعلق بسكان « المستوطنات الجديدة » يقول الكاتب : « ان هناك وسيلة ممكنة .. فعند قيام الدولة الفلسطينية المقترحة ودولة اسرائيل سيجعل عددا من المواطنين الاسرائيليين يقيمون في الدولة الفلسطينية ، وسيجعل عددا من المواطنين الفلسطينيين (ويقصد عرب المنطقة المحتلة ١٩٤٨) يقيمون في الدولة الاسرائيلية .. اي سيجعل لدولة اسرائيل جالية يهودية في الدولة الفلسطينية . وسيجعل للدولة الفلسطينية جالية فلسطينية في الدولة الاسرائيلية » .

لا يمكننا تناول أفكار أبو شلبابه هذه بمعزل عن الاتجاهات الاستسلامية السائدة بين اوساط عربية وفلسطينية داخل المناطق المحتلة وخارجها ، اذ ان المأزق السياسي والعسكري الذي تعيشه أغلبية الانظمة العربية ممثلا بانتهاجها طريق التنازل ورهانها على « تسوية » من قبل الولايات المتحدة، وتحديد وتطويق نشاط المقاومة الفلسطينية في الداخل والخارج ، ساعد الى حد كبير في نمو تيارات واتجاهات في الداخل تدور حول نفس الاطر السياسية التي تنتهجها تلك الانظمة ان لم تكن تتجاوزها .

كذلك فان افكار ابو شلبابه ليست بعيدة عن التطورات الاقتصادية التي واكبت الاحتلال الصهيوني ، من حيث التنامي المتزايد لمصالح البرجوازية الفلسطينية الكبيرة الاقتصادية في الاراضي المحتلة ، وسعيها المستمر في بلورة اتجاهات سياسية منسجمة مع تلك المصالح تطمح في الصعود على الهرم السياسي لتمثيل الشعب الفلسطيني بمعزل عن القوى الفلسطينية الثورية الاخرى والذي لا تتعدى مسألة اقامة دولة

فلسطينية « مسالمة » ونبذ كافة الاتجاهات التي تدعو الى تحرير الارض الفلسطينية ومواجهة الهجمة الامبريالية الشرسة في المنطقة .

وتعتبر افكار ابو شلبايه نموذجا تصفويا جديدا تكمن اهميته السياسية في انه يعبر عن وجهة نظر عدد من الشخصيات الفلسطينية الذي نجح العدو الى حد ما في ربط مصالحهم الاقتصادية بسياسته داخل الارض المحتلة ، ليتخذ هذا الاتجاه الاستسلامي الخطير طابع التنازل الاكبر والقبول الاكثر لشروط العدو الصهيوني ، مما ترتب عليه — بغض النظر عن النوايا — ان وضع نفسه في نفس الاتجاه الذي تسعى اليه سلطات الاحتلال في تطويع الارادة الفلسطينية وكسب ولاء سكان المناطق المحتلة عن طريق خلق زعامات فلسطينية تقبل « الامر الواقع » الذي فرضه الاحتلال ، ووضع تلك الزعامات كاحتياط سياسي في حالة عدم تجاوب الدول العربية للشروط الاسرائيلية الراهنة والمستقبلة .

وعلى امتداد هذا النهج سعى ابو شلبايه الى ايجاد أسباب أخرى للمشكلة الفلسطينية بعيدة عن الاطماع التوسعية الصهيونية ، وذلك من خلال ارجاعه أسباب المشكلة الى صيغ ديماغوجية » كحسن النوايا » و « زرع الثقة » . ومن الطبيعي ان يأتي الحل المستند الى تلك المفاهيم بشكل يتوافق مع أسس دعوته وفي اطار الهدف الذي حدده ، والذي عبر عنه أبو شلبايه بانتهاجه طرق الهداية والتبشير في حل الصراعات الاستغلالية والاستيطانية ، واتباع ما اسماه بطرق « الاقناع المتسامح والعقلاني للشعبين الاسرائيلي والفلسطيني . ان المؤامرات الدولية (...) تريد لهذين الشعبين عدم الاستقرار والاستمرار في الحروب » على حد تعبيره .

واذا كانت الاتجاهات الاستسلامية الراهنة قد وصلت الى حد الاعتراف بالكيان الاسرائيلي وفق شروط معينة كالانسحاب من الاراضي المحتلة ووضع حد لسياسة التهجير والتهويد والاستيطان التي ينتهجها العدو في الاراضي المحتلة ، فان الكتاب يدعو الى التكيف مع الاطماع التوسعية وتعبيراتها العملية (المستوطنات ، تهويد القدس ، الاستيلاء على الارض) من خلال قبوله لما يسمى بالحقائق الجديدة التي اقامها الاحتلال ، واضفائه صفة المواطنة لشعوب المستوطنات واعترافه بها « كجاليات يهودية » شرعية تملك نفس الحقوق التي يتمتع بها شعبنا الاصيل .

ومهما يكن من امر ، فباستطاعتنا القول ان العقل العربي والفلسطيني مهما بلغت درجة يأسه ومعاناته للظروف الصعبة التي يعيشها لن يتقبل اتجاهات وافكارا من شأنها ان تصفي القضية الفلسطينية وتنهي حقوق الشعب الفلسطيني التاريخية فوق الارض الفلسطينية ، باستثناء العناصر المرتبطة مع الصهيونية والعاملة على تنفيذ مخططاتها .

ينطلق ابو شلبايه بأساسه الثالث من خلال وصفه الاوضاع الفلسطينية الراهنة وما يحيط بها من ظروف اجتماعية وسياسية ونفسية صعبة فيقول « .. على ان التيه الذي نضل فيه الان ، والضياع الذي نتردى في هاويته السحيقة ، والظلم والارهاب والوصايات ، على ان هذا كله هو اول واقوى دافع يدفعنا من جديد للبحث عن طريق الحرية والخلاص » .

وكعادته يتجاهل الكاتب البحث عن الاسباب الجوهرية الاساسية التي ادت بالشعب الفلسطيني الى تلك الاوضاع متناولا اياها في ثلاثة اتجاهات :

١ — ابراز الخصائص والمميزات التي يمتاز بها الشعب الفلسطيني عن باقي الشعوب العربية الاخرى ، واصفا الشعب الفلسطيني بأنه « ملح البلاد العربية » و « ان نهضة كثير من الشعوب العربية الحديثة قد قامت بالدرجة الاولى على اكتافه » .

٢ — مقارنة الايجابيات التي يمتاز بها بالاوضاع الصعبة التي يعيشها فيقول « انه الشعب الوحيد في العالم الذي ليس له هوية ولا كيان ولا ارض ولا وطن .. الخ » .

٣ — وضع الدول العربية والمنظمات الفلسطينية بأنها المسؤولة عن تلك الاوضاع بقوله : « ان الشعب الفلسطيني يتلقى دوما جزاء سنمار » ويخضع « للوصايات والسجون » و « يرفع شعارات دون ان يملك ارضا او مغارة » . وتأتي محصلة عرضه لتلك الاوضاع في تثبيت قاعدة تقول « ان اصل القضية هي الشعب الفلسطيني وان الازمة العربية الاسرائيلية تتفرع عن الاصل .. فقد أثبتت تجارب ٤٨ — ٥٦ أن التفاهم الاسرائيلي مع الدول العربية وحدها لا يحقق سلاما وانما يحقق

عدنة ، لانه يجب ان يقوم ويستند على تفاهم اسرائيلي — فلسطيني » .

تجمع كافة الاراء والاتجاهات المستندة الى تحليل علمي للعدو، على ان الاطماع التوسعية الصهيونية قد شكلت وتشكل حجر الزاوية الرئيسية في صرح السياسة الاسرائيلية منذ بدء الصراع العربي الصهيوني وحتى الوقت الحاضر ، وعلى امتداد تلك الحقبة التاريخية شهدت القضية الفلسطينية سلسلة من الوقائع والحقائق الموضوعية ، اكدت جملة من البديهيات التي تفسر الاسباب الجوهرية والاساسية التي ادت الى الاوضاع الفلسطينية بتراكمها المأساوي الراهن ، من حيث رجوعها الى العدو الصهيوني باطماعه التوسعية وانتهاجه سياسة التهجير والتهويد والاستيطان ، والتي شكلت السبب المباشر في طرد الشعب الفلسطيني من ارضه ولجوئه الى الاراضي العربية المجاورة . ويستدل من انتهاج ابو شلبايه الاسلوب الوصفي لشرح الاوضاع الفلسطينية الراهنة دون البحث والتحليل عن الاسباب والمسببات التي ادت الى تلك الاوضاع ، انه عمد على حصر مطالب الشعب الفلسطيني ضمن اختيارات محددة بعيدة عن جوهر الصراع من جهة ومتجاوزة الحقوق التاريخية لشعبنا فوق ارضه من جهة اخرى . حتى انها تخطت المبدأ العام الذي التزمت به الدول العربية العاجزة حيال مسألة حقوق الشعب الفلسطيني والذي تمثلت بقبولها قرارات الامم المتحدة التي لم تتجاوز مبدأ « التعويض او العودة » . فتأتي مطالب الشعب الفلسطيني — حسب رأي الكاتب — ضمن الحدود الذي رسمها والتي لا يتجاوز حدها النهائي مسألة الحصول على دويلة على جزء من الارض الفلسطينية التي تمنحها قرارات من الامم المتحدة .

وقد حرص الكاتب على ان يتناول « ماساة » الشعب الفلسطيني في اتجاهين :

أ — ترغيب الشعب الفلسطيني بامكانية حصوله على دولة اذا ما انتهج الوسائل السلمية ، وقبل مبدأ التفاهم والتعاون مع الاحتلال الصهيوني بمعزل عن الدول العربية والاحزاب والمنظمات الفلسطينية .

ب — تمجيد الشعب الفلسطيني وابراز خصائصه وتميزه عن الشعوب العربية الاخرى بهدف ابراز القطرية الفلسطينية لمواجهة الدول العربية والمنظمات على اعتبار انها تقف عائقا امام الحل « العقلاني والعلمي !!! » المستند على تفاهم اسرائيلي — فلسطيني مشترك لحل المشكلة الفلسطينية حلا نهائيا واقامة دولة فلسطينية .

.. ومن نافلة القول ان الشعب الفلسطيني هو عنصر اساسي للمشكلة الفلسطينية ، ولكن التحليل السطحي للامور الذي انتهجه الكاتب دون الغوص عن الحركة الصهيونية وأهدافها وعلاقة اسرائيل بالدول الامبريالية ومخططاتها التوسعية ودورها في المنطقة لا تستجلب انتباه ابو شلبايه ، بل حتى قلما تجد في كتابه اية اشارة لتلك الاطماع ، فليس ذكرها في مصلحة الكاتب لانها من شأنها ان تقوض اسس افكاره ومقوماتها . فيأتي عرضه للاوضاع الفلسطينية كاسلوب رخيص لاستدرار المشاعر الفلسطينية واستخدامها كوسيلة في ترويج افكاره الاستسلامية بما ينطوي عليها من اخطار في ابعاد الشعب الفلسطيني عن مهماته النضالية ، ليدور حول « ممكنات نظرية » لا تمت الى الواقع العملي والموضوعي باية صلة .

بعد عرضه للاسس والاسباب التي جعلته يتقدم بمشروع الدولة الفلسطينية يخصص الكاتب فصولا عدة لعرض الخطوات العملية الواجب اتخاذها لتنفيذ ذلك المشروع .

ويخلص بذلك على ضرورة انشاء «حزب مشروع!» في الاراضي المحتلة يتجاوز المنظمات الفلسطينية والنظام الاردني ويجعل من المقدمات التي ذكرها « ميثاقا وطنيا » لهذا الحزب .

ويستطيع القارىء ان يدرك السبب الذي جعل ابو شلبايه يدعو للتصدي للمقاومة الفلسطينية « وسحب البساط من تحت ارجلها » على اعتبار ان المقاومة الفلسطينية تقف على نقيض كامل لتحليلاته وافكاره واهدافه ، بنفس الوقت الذي لا يجد المرء اية خلافات جوهرية واساسية بين ما يطرحه « مشروع الملك حسين » وبين « مشروع الدولة الفلسطينية » الذي ينادي به ابو شلبايه . فتأتي دعوته للتصدي لمشروع « المملكة العربية المتحدة » مفتقرة الى اية اسس موضوعية او مضامين سياسية وايديولوجية .

.. ثم يتناول الكاتب مهمات الحزب فيقول « ان الوطنية العاقلة تتطلب تأليف حزب مشروع في المناطق المحتلة يحمل في يده اغصان زيتون ويستغل

جميع الوسائل السلمية من اجل افهام الرأي العام في اسرائيل والعالم ان شعبنا لا يريد الحرب » . كذلك فقد اعطى الكاتب تفسيرات جديدة للايمان ، وللقومية العربية والوحدة العربية بشكل يتلاءم واسس دعوته : فيقول الكاتب « ان الصفة الاولى التي ينبغي ان تكون عليها عقيدتنا المكتملة هي الايمان بفلسطين وبالارض وبالشعب » . ولا يجد القارىء اي عناء في البحث عن المقصود بالايمان بفلسطين فقد حددها الكاتب بـ « الارض في الجزء الذي منحته اياه القرارات الدولية من ارض الوطن » .

وتحت ستار شعار « العقلانية » و « العلمية » يمضي الكاتب بنقده لكافة المفاهيم التقدمية للقومية العربية واضعا مفاهيم جديدة لها فيقول «ان المفهوم الصحيح للقومية العربية هو القادر على الاعتراف بكيان اسرائيلي غير توسعي (...) في جزء من فلسطين » .

والخلاصة :

يعتبر هذا الكتاب تلخيصا للاتجاهات الاستسلامية والتصفوية التي تنامت في كنف الاحتلال الصهيوني، وجاءت نتيجة نجاح العدو في وضع بعض الفئات الفلسطينية داخل الارض المحتلة ضمن مخططاته لابراز وجوه فلسطينية تأخذ على عاتقها مهمة التصدي للمقاومة الفلسطينية وسحب البساط من تحت اقدامها ، لتصفية القضية الفلسطينية لصالح العدو الصهيوني الامبريالي .

صبحي طه

غسان كنفاني : الآثار الكاملة ، المجلد الاول ــ الروايات .
(لجنة تخليد غسان كنفاني ، دار الطليعة للطباعة والنشر ، بيروت . الطبعة الاولى : تشرين الثاني ١٩٧٢)

رغم كل ما كتب عن غسان كنفاني ، فانه يبقى مناجنا . يفاجئنا بقدرته على الابداع وبتغلغله داخل الاشياء والعلاقات ليعيش في الرحم ، في مكان توالد الانفجارات وذهول التجاوز . في المجلد الاول من آثاره الكاملة ، تفاجئنا ثلاث روايات لم تنته : العاشق ، الاعمى والاطرش ، برقوق نيسان . وهذه الروايات تفاجىء لانها تدفعنا الى اعادة النظر في الكثير مما كتب عن روايات كنفاني . فهو يتقدم نحو واقعية شفافة تتجاوز « عائد الى حيفا » ويصل اليها بكثير من الشفافية في برقوق نيسان ، حيث لا يعود الصوت لام سعد وحدها ، او لصوت الحقيقة السياسية عارية على وجه سعيد س. بل يصبح صوت البرقوق الدامي (الشعر ــ الرؤيا) هو الذي يقود عربة الرواية . وتتحول القصص الشعبية في العاشق الى رؤية واقعية تنفجر بالاحساس الشعبي النادر ، حيث الاقدام مغروسة عميقا في التراب . أما الاعمى والاطرش فانها تعيدنا الى « رجال في الشمس » و« ما تبقى لكم »، واذا كانت الرؤيا الفنية في الروايتين تقودنا الى احساس حاد بفلسطينية هذا الادب ، فان فلسطينية المنطلق تقودنا في الاعمى والاطرش الى رؤيا شاملة تمس الانسان العربي ــ طاقة الفعل في الوعي الثوري العربي ــ ناقلة اياه الى التجذر في مسألة التحول . حيث البنية القديمة لا تنحل انحلالا وسط الحلم الثوري الرومانسي كما في ام سعد ، بل هي بنية لا يتعامل معها الا من خلال نبض الفعل الثوري في طريق طويل ومعقد ــ التحول لا يعود مسألة الفلسطيني الذي يثور مع المقاومة في انطلاقتها ويكتشف ضرورة التجذر في بنية التحول ، بل يصبح الانسان العربي عاريا أمام القمع وأمام تحدي الفعل .

١ ــ **العاشق** : رواية بدأ كنفاني بكتابتها سنة ١٩٦٦ . لكنها توقفت عند لحظة منها ولم تتم . هذا القسم من الرواية لا يزيد شيئا على معرفتنا بأدب كنفاني سوى طموحه الى كتابة ادب شعبي ملحمي. أي ان قصص المقاومة التي عرفناها في مجموعات كنفاني السابقة ، تعود هنا وبقامة جديدة . انها نسج حول بطل شعبي يتحرك في جسده الماضي النضالي المقاوم للشعب الفلسطيني . والرموز تكاد تكون معدومة . هناك صورة واحدة تتكرر هي صورة الفرس . الفرس التي ترافق البطل الشعبي وتتداخل فيه . لكنها تبقى منفصلة عنه في الوقت نفسه . النسيج « الملحمي » الشعبي الذي أرادته هذه الرواية لنفسها هو نسيج نضالي ، بمعنى انه

يحاول ان يقدم الماضي النضالي على بساط غنائي دافىء . حيث تصير التقنية الروائية اسيرة البعد الذي وضعه الكاتب لروايته . انها رواية تتابع وليست عمل تجاوز للانتاج السابق . تتابع بمعنى النمو الطبيعي ، النمو الذي لا يفاجىء وان كان له ايقاعه المتجدد . انه تتابع في اتجاه آخر . فعوض الحاضر ، يعيد الكاتب تضمين الماضي وصياغته . والبطل الشعبي هنا يختلف عن ام سعد ، فاذا كانت ام سعد ، تعبيرا عن الواقع المعاش لرومانسية ابن المخيم الثورية في فترة صعود المقاومة ، فان قاسم أو شتى تنويعات اسم هذا الفارس الشعبي ، هو حلم الحركة المستقبلية موضوعا في اطار الماضي الذي ينظر اليه بشكل متحرك . اي انه الآتي في رؤية الكاتب لماضيه . انه اعادة ترتيب للماضي الذي أريد له ان ينسى في غبار المخيم وعذابات المنفى .

واذا كان كنفاني يستعمل أسلوبا سينمائيا ، ويترك الماضي يتمازج بالحاضر ، فان الاسلوب ليس أكثر من طريقة لعرض وقائع محددة . يعلم تماما ايقاعها وأهدافها . أي ان هذا المزج الذي لا نجد فيه أي أثر للتعقيد هو محاولة لبسط الماضي أمامنا ، والنظر اليه من مواقع جديدة ، ومتحركة .

« العاشق » توقفت ، فالماضي وحده ، دون الحاضر وآفاقه ، اي معنى يصير له ؟ والبطل الشعبي الذي ننسج حوله احلام تحركنا ، الى اي حد يستطيع ان يحتمل هذه الاحلام ؟

« العاشق » ليست كتابة وثائقية . انها نسيج للعلاقة مع المستقبل . من هنا ، فهي حلم متوتر ، لكنه حلم لا يطال آفاقه الواقعية . فاللغة تتعقد مخرجة النص من اطاراته الشعبية . وتعقد النص هو الذي يحمل آفاق الارادة التي يذكرنا بها كنفاني . ارادة المستقبل ، اي توظيف هذا الماضي في خدمة المستقبل .

هل تقدر الرواية التي تؤرخ ، ان تنسج نفسها حول بطل شعبي ، وتترك نفسها كي تقفز فوق حدودها الكلاسيكية لتطال المستقبل ؟ كنفاني لم يعطنا جوابا في « العاشق » . بل طرح سؤالا . فالرواية غير المكتملة ، وفي هذه الرؤية هي مجرد سؤال . النسيج حول الماضي ، هو مجرد مشروع واقعي .

لكن « العاشق » من ناحية أخرى مليئة بالبعد الزمني . الزمن الفسيح ، الزمن المترابط حول البطل الشعبي ، حول انتصاراته . انها مقدمة للدخول الى الرواية الواقعية . مقدمة غير مكتملة لام سعد ، ولبرتوق نيسان . وهي من جهة اخرى — تاريخية — تحمل ولعا شديدا بتسجيل البطولة في اطاراتها الشعبية. البطولة التي تنساها الذاكرة العربية المستظلة بايديولوجية الهزيمة والمبشرين بها . فالبطل الشعبي هو من حيث المبدأ ميدان الذاكرة الجماعية الثورية ، في مقابل ذاكرة الابطال الرسميين .

ب — **الاعمى والاطرش** : مع الاعمى والاطرش ننتقل الى مستوى آخر . الى مستوى البطل الواقعي ، المليء بالرموز . فالرواية تتحرك في اطارين :

١ — اطار واقعي شديد الالتصاق بالهموم اليومية، بالمشاكل اليومية ، التي يخرج منها المستوى الرمزي ، « ان الرغيف هو الشيء الوحيد الذي يمكن أن يرى بالاصابع ، تماما مثلما يرى بالعين ». الواقع المليء بالتفاصيل المقنعة . الاعمى والاطرش قبل اللقاء وبعده أمام الولي عبد العاطي ، مع كل الهموم ، ومع الحياة اليومية في مكاتب وكالة الغوث . والناس الذين يموتون والذين يولدون .

٢ — اطار رمزي : يجري فيه انتقاء الرموز بعناية شديدة . أعمى ، لا يرى سوى بيده المليئة بعرق جبهة أمه التي تحمله على ظهرها من ضريح ولي الى ضريح ولي آخر . وأطرش ، كان لا بد ان يكون اطرش حتى تنقذه عاهته من الموت ، وتحيله الى أداة من أدوات الوكالة ، تستعملها لتلقي الشتائم . وولي ، اليه يجري النظر كي ينقذ المحرومين من « عيشة النكد » التي يحيونها . والسنة هي سنة ٦٧ والحرب والمقاومة ومصطفى نداني « الطاق طاق » وحمدان ووالده .

الرموز الواضحة ، الشفافة ظاهرا ، تعطي انطباعا بسهولة الرواية ، لكنها تعطيها اطارا جديدا . فالواقع — أي الاطار الاول — يتحرك ضمن الرمز — الاطار الثاني — ليخرج من هذه الحركة ارهاص بفعل ما . أو محاولة للتجذر في فعل من مستوى آخر .

عندما يلتقي الاعمى والاطرش أمام ضريح الولي عبدالعاطي ، فان هذا اللقاء يأخذ معنى جديدا : « ووضع كفه على كتفي . وخيل الي انها التصقت بي الى الابد . اين يمكن لاصم وأعمى ان يلتقيا

الا عند ضريح عبد العاطي » . هذا اللقاء يؤدي الى فعل آخر . فمن دخان الصلوات ، يتولد الجدل الاجتماعي . فالصلوات هنا هي بديل للفعل، لكنها ارادة تمثل هذا الفعل . من هنا ، عند اللقاء يبدأ التحرك . فيصعد الاعمى على كتفي الاطرش ليلمس وجه عبدالعاطي وليجده فطرا . « انه فطر ، مجرد فطر ، ثم ادركت انه لا يسمع ، فصحت بصوت عال انه فطر ، فطر » . اما جواب الاطرش فكان أكثر حدة : « يسمونه ايضا فقعا وسكت . سأظل كل عمري اضحك على نفسي كلما أتذكر اني جئت اطلب من حبة فقع اذنين اسمع بهما » .

« اثنان من طيرة حيفا ، يلتقيان حول حبة فقع ! أليس ذلك معجزة يا عبد العاطي ؟ » . اثنان من طيرة حيفا ، جمعتهما الفجيعة والتقيا . حول اوهامهما ، كلا ليس حول اوهامهما ، بل حول افيون الجمود الذي أورث الهزائم والبكاء ، هذا الافيون الذي هو جزء من بنية القمع . « قلت لنفسي ها قد صار عند الولي جهاز شرطة » . هذا اللقاء يولد ارادة للفعل . يجب قتل الولي ، يجب ان نبول عليه ، يجب اعادة قتله . لكن ارادة الفعل تأخذ طريقا آخر . فأبو قيس يحلم نفسه يخطب وسط جموع اللاجئين ، ويحلم بهم يصيرون جموعا ثائرة تعيد الطنين الى أذنيه . ارادة الفعل تتحرك من الواقع نفسه . من اكتشاف منطق علاقاته الداخلية .

هذا التداخل بين الاطارين الواقعي والرمزي ، يجد لنفسه خطا ، يتلون باللونين ، انه اللحن المرسل ، الذي يوقعه كنفاني في المقطعين ٥ و١٢ من روايته . هذان المقطعان يأخذان تشكيلة صلاة وثنية ، لكنها في الواقع صلاة من نمط آخر . صلاة من نمط السهم الذي تتكشف عنه هذه العلاقة بين الاطارين . الواقع يستحيل رموزا تتداخل في بنيته. ومن خلال علاقة الولي ، بالاعمى والاطرش ، تتكشف علاقة الاطرش بمصطفى وعلاقة الاعمى بحمدان . مصطفى هو الشخصية الواقعية مئة في المئة في هذه الرواية لكن واقعيتها هي الواقع الذي يراد تجاوزه ، والتخلي عنه . وعندما تتوقف الرواية عند ارادة هذا التجاوز الذي لم يتحقق ، فان كنفاني يترك الواقع نفسه يتحرك فينا . لقد رسم هو سهم هذا التحرك . « وانا الاعمى الذي أعرف ان المعجزة انما تجترح من القاع ، فالمعجزة هي ثمرة الجذور الضاربة في رحم الارض » . اللغة في رواية « الاعمى والاطرش » هي شعر بالغ النقاء . اللغة تنسج نفسها حول رؤيا المستقبل ، لذلك فايقاعها الموسيقي هو مؤشر على الخروج . انها لغة الجذور ، الذي يصغي الحوار فيحيله من مجرد حديث له طابع التأشير في الرواية الى عالم مستقل . عالم يتوالد فيه النقيض ، ويخرج من رحمه علامة جديدة . الحوار ، يتجاوز الواقع الذي يشد مصطفى وحمدان الرواية اليه ، بل يتجاوز الاطار الاول بأسره ، ليصبح نسيجا لواقع أكثر تعقيدا . المطروح هنا ليست فلسطينية كنفاني. انه لا يقودنا الى فلسطين ، بل يقود فلسطين الى مستقبلها ، ينطلق منها ، من اطاراتها الواقعية ليصلنا بالازمة الكبرى التي تعيشها حركة الثورة العربية . فحركة البحث عن آفاقنا ، علاقتنا بالتراث ، مستقبلنا عبر لغة تتجدد وقدرة مذهلة على الانتقال بالصورة الشعرية الى ذروة التوتر هو ما يميز رواية الاعمى والاطرش .

كنفاني في روايته ، يتحرك في اتجاه واحد . انه اتجاه معرفة الواقع ، اضاءته وتجاوزته في آن معا . انها اول رواية غير فلسطينية — بالمعنى المباشر لهذه الكلمات — يكتبها كنفاني . انها رواية عظيمة . لا تنقل الينا ارادة التحول ، بل تطمح اكثر من ذلك ، تطمح ان تنقل الينا عملية التحول في اطاراتها المباشرة المغروسة وسط الرموز المنتقاة بعناية ، والتي تسمح لهذه العملية بأن تأخذ كامل مداها وتصل الى ذروتها .

ج — **برقوق نيسان** : برقوق نيسان هي الاستعادة. القطيعة التي اعلنتها « عائد الى حيفا » عبر تعرية سعيد س. وادانته ، وسحقه واحتقار دموعه . تستعاد هنا بشكل آخر . ابو القاسم الذي ينكر جثة ابنه الشهيد هو الوجه الاخر لسعيد س. هو وجه الهرب الذي استعاد وعيه في حيفا عبر الضربة الساحقة — هزيمة حزيران — ليستعيد هنا وعيه ثانية عبر وردة البرقوق الحمراء . عبر سعاد وحركيتها النضالية ، التي هي واقع التحرك في اتجاه المقاومة . فاذا بهذا التحرك يحيل ابا القاسم من سعيد س. آخر الى مناضل من نمط جديد .

الرواية تتحرك عبر خطين متوازيين :

١ — خط الواقع : الذي تمثله الهوامش .

فالهوامش هي نمط جديد من التداعي الذي يلجأ اليه كنفاني . لكنه نمط واقعي . فالتداعي هنا يستعيد الواقع ، يرسم خلفيات شخصيات روايته ، يؤطرها ، ويرينا كيف يتحرك المثقفون عبر خطوط هذا الواقع ، كما في شخصية سعاد . او انه يكتفي برسم الاطار الخلفي للشخصيات الذي يضيء حركة الرواية ، ويزودنا بمعرفة خلفية واقعية للذي يجري على سطح الواقع .

٢ ــ خط الحركة : حيث يستحيل الواقع الى سهم متحرك ، حيث السطح هو حركة علاقة الشخصيات ببعضها البعض في اطار التحرك الثوري ، عبر هذين الاطارين يتحرك الشاعر في كنفاني ، فكنفاني هنا هو رجع الصورة الواقعية. هو غطاؤها الفني. حيث هناك حركة ثالثة تتحرك في تجاوز لشخصيات الرواية . انها الشعر . حين تضيء الهوامش الخلفية الواقعية للرواية ، فاننا ننتقل الى جو مألوف ، ولكن هذه الالفة التي لا تنقطع من خلال جو الحركة لا تلبث ان تنقطع مع الرجع الفني . الكاتب هنا ، ليس محرك الواقع . الواقع يتحرك وهو يتدخل في حركته من آن الى آخر . لكن الكاتب هو صوت مختلف . انه يتلقى هذا الواقع ويعيد صياغته من جديد : « عندما جاء نيسان ، اخذت الارض تتضرج بزهر البرقوق وكأنها بدن رجل شاسع ، مثقب بالرصاص . كان الحزن وكان الفرح المختبيء فيه مثلما تكون الولادة ويكون الالم ، هكذا مات قاسم قبل سنة » . هذا الصوت لا يفرض نفسه على سير الاحداث انه يفرض ايقاعه عليها. يعاملها بالشعر وينفصل عنها دون ان يبتعد .

السياق الذي تجري ضمنه الاحداث ، سياق شديد الواقعية ، فالواقع هو الذي يفرز ارادة تخطيه ، طريق الخلاص الوطني تأتي من الاحداث نفسها . فالرجل الذي انكر جسد ابنه الممزق بالرصاص لا يلبث ان يعي دوره النضالي ويتحرك باسلوب جديد على فهمه القديم . والحركة نفسها ، هي التي تضم العناصر جميعها اليها . عندما تستجوب الرواية الواقع ، فانها تضعه في اطاراتها الخاصة، لا تسقط عليه شيئا . فقط ترسم له اطاره ،وابطال الرواية هم الذين يصنعون حركتها .

كنفاني في « برقوق نيسان » عاشق من نوع خاص جداً . عشقه للارض يدفعها الى الامتداد في داخل لغته ، امتدادا صاخبا . والرصاص ينبت زهرا على جسدها ، والبرقوق يصبح دماء المقاتلين. هذه الحركة الفنية تعطي للقصة عمقا جديدا . انها بحث عن آفاق المقاومة . الصوت الشعري الذي يتردد صداه في تقاطيع الكلمات ، هو في الواقع بحث عن الافق . كنفاني يجعل من الافق بابا مفتوحا ، انه يستعير حادثة جزئية ، يستجوبها في سبيل ان ينهمر عليها شاعرا من نمط مختلف . هذا في رأينا هو الذي يبرر الانتقال من اطار شديد الحساسية الرمزية ، وشديد الانتماء الى عملية البحث عن افق جديد ، الى رواية واقعية ، تتابع في الواقع مسيرته في « ام سعد » وفي « عائد الى حيفا » ولو من زاوية مختلفة . كنفاني يستجمع الحدث الصغير ، يتركه ينمو ويكبر ، ويمتد شاعرا في تقاطيع الكلمات . ان هذا لا يعني فصل الشعر الذي في الرواية عن مضمونها الاجتماعي بالقدر الذي يعني ، البحث عن مستقبل تشقه الكلمة بنفسها وبالصورة الدامية ، كما في هذه الرواية . واذا كان الحدث شديد الصلة بآلية التقدم في حركة مقاومة وطنية ، فان اللغة الشعرية شديدة الصلة هي الاخرى بآفاق هذا التقدم المرتبط بالارض ، وبالدماء التي تشربها هذه الارض وبالارادة التي تتجلى عبر التعامل معها .

في رواياته الثلاث غير المكتملة كحياته ، يعود كنفاني الينا على فرس الكلمات مزودا برؤيا شاعرية شديدة الشفافية ، حاملا معه فلسطين التي تتجاوز نفسها باستمرار . فلسطين الرؤيا هي فلسطين برقوق نيسان الذي يتجمع في القبضة التي تتحفز. كنفاني في خط رواياته يتقدم نحو القدرة على التحرك من ضمن حركة الواقع ، وهو في كل ما كتب ، في كل رموزه ، وصوره الشعرية ، كان يتقدم ليس نحو الواقع ، بل نحو مستقبل هذا الواقع . وهنا تقع اهميته التاريخية .

قدرته على ان يتحول داخل جسد فلسطين ، الى رؤيا غير مكتملة المعالم . تاركا الواقع الذي تصنعه الجماهير ان يكمل هذه الرؤيا وان يحدد معالمها .

الياس خوري

Jean Lartéguy, **Les murailles d'Israël**, préface de Mosché Dayan (Editions Presses Pocket, Paris 1972).

صدر مؤخرا في باريس كتاب « أسوار اسرائيل » لجان لارتيغي ، مع مقدمة لموشي دايان ، وعنوان صغير : « اسرار الجيش الاكثر سرية في العالم ». يقع هذا الكتاب ذو الحجم الصغير في ٣١٧ صفحة، وهو من منشورات دار « برس بوكت » (باريس ١٩٧٢) . ويرمي واضع هذا الكتاب الى ان يحكي حكاية الجيش الاسرائيلي بأسلوب ادبي يجمع بين اشكال التعبير الصحفي (مقابلات عديدة) والتصوير الميداني (زيارات اماكن في الارض المحتلة) وبين النبوءات التاريخية السريعة — التبريرية غالبا . والكاتب يعزل موضوعه عن كل ابعاده الراهنة وعن كل مدارات الصراع في الوطن العربي ، ويحصر تفوق البنية العسكرية الخاصة بالمجتمع الاسرائيلي ، بالجانب النفساني المتفوق عند الجندي الاسرائيلي . جيش اسرائيل هو سورها وسرها : هذه هي الموضوعة الاساسية التي ينطلق منها الكاتب . ثم يبرهن انه لا يوجد سور ولا سر . اذن كيف يفسر الكاتب ظاهرة العسكرية الاسرائيلية وبماذا يبرر حروبها المتتالية وما قابلها من هزائم عربية ؟

لا بد من التوضيح ان كتاب « اسوار اسرائيل » يتبع المنطق العام للغزو الاسرائيلي ، والمهم فيه هو انه يحاول كشف مزايا الغزاة ، مع نقد جانبي لبعض مغالطاتهم . ويقارن هذه المزايا ، من وجهة نظر الاسرائيليين ، مع ما يقابلها عند العرب . ينقسم الكتاب الى قسمين : القسم الاول من ١١ فصلا : كمين على نهر الاردن ، اعراس القدس ، النبي المسلح ، كومندوس نصف الليل ، الجيش المزق ، المراج ، كوكبة المدرعات ، جنرالات وكولونيلات اسرائيل ، المظليون امام حائط المبكى، صورة الجندي الاسرائيلي . والقسم الثاني يتألف من مقدمة وفصلين : الفلسطينيون ، وعزلة اسرائيل . ونحن سنحاول استعراض نظرة الاسرائيليين الى انفسهم بالذات .

١ — في المقدمة الصغيرة للكتاب ، يشيد دايان بـ « المزايا المعنوية » و « التضحية » التي يتصف بها جنوده ، ويركز على تكيف الجيش مع الاوضاع الخاصة بمنطقة الشرق الاوسط ، (مدرعات مظليون ، طيران) . ويحدد مفهوم الدفاع الاسرائيلي بقوله : « ان اسرائيل ، منذ ١٩٤٨ ، لم تقم ابدا بحماية حدودها وراء شبكة من الاسلاك الشائكة او خلسق خط من التحصينات . ان الدفاع ... كان وسيبقى الهجوم ، الهجوم على العدو فوق أرضه بالذات » . ومرارا يؤكد دايان مبدأ « الهجوم الدائم » ، ولكنه يشير الى « الهوة بين القيم السائدة في الحياة المدنية وفي الحياة العسكرية » . ويذهب الى القول انه لا يوجد « اي تمييز طبقي » داخل الجيش ، اذ ان الضباط تعلموا ان لا يحاربوا وراء جنودهم ابدا ، بل ان يحاربوا امامهم دائما او قدر الامكان : « هذا هو سر قوة جيشنا » .

٢ — القسم الاول من الكتاب يضعه مؤلفه في حدود ايار ١٩٦٨ ، ويبدأ بالحديث عن كمين نصبته وحدة من المظليين الاسرائيليين للفدائيين على ضفة نهر الاردن . ويأخذ الكاتب برسم مزايا الجيش الاسرائيلي :

— قلة الكلام ، والانشغال الدائم بحل مشكلة « الانتصار الدائم » . وهذا يعني ان الجيش الاسرائيلي لا يفسح له المجال ابدا بطرح مشكلات الوعي والوجدان او الضمير .

— الجندي الاسرائيلي يجب ان يعرف كل شيء يتعلق بالاوامر المعطاة له ، ولهذا بات قادرا على الحلول محل الضابط او نائب الضابط .

— الجندي الاسرائيلي يعيش نصف حياته في الحرب الدائمة ، ونصفها الاخر في افلام الكوي — بوي .

— الاسرائيلي يقتل بدون تردد وبكل بساطة وبرودة اعصاب .

— في الكمين الذي ينصبونه للفدائيين يقتلون ويجهزون ايضا على الجرحى — كمين ابادة .

— الجنود الاسرائيليون يفضلون سلاح الكلاشينكوف الهجومي على الرشاش « عوزي » .

— الضباط يسيرون دائما في المقدمة ، ولهذا كانت نسبة الضباط القتلى خلال حرب ١٩٦٧ حوالي ٣٠٪ من مجموع الخسائر الاسرائيلية .

— اذا كان الاسرائيليون يعرفون نقاط مرور الفدائيين ، فان الفدائيين يعرفون بدورهم كمائن المظليين ، واحيانا يلغمونها .

ـ قتل الفلسطينيين هو نوع من **الصيد العادي** في نظر الاسرائيليين . ويعترف الاسرائيليون بأن « الفلسطينيين شجعان ، ولكنهم غير مجربين كفاية، وسلاحهم جيد جدا » .

ـ يطلق الاسرائيليون اسم «فتح» على كل منظمات المقاومة الفلسطينية ويخشون من الفدائيين العاملين بكل وضوح من اجل اهداف واضحة ومحددة : « استعادة ارضهم السليبة بالنضال لا بالكلام ، والتحرر من سحر الكلام الذي يدمر كل الانظمة وكل حركات المقاومة » . ولهذا فان الجنود الاسرائيليين الشباب بدأوا يشعرون بتقدير معين لهؤلاء المقاتلين الفلسطينيين .

ـ الجندي الاسرائيلي فردي جدا ، يشعر بالخطر الداخلي عليه ـ خطر مجتمع الاستهلاك ـ ويعتبر انه لا يحق له ان يخسر معركة واحدة .

ـ الجيش الاسرائيلي عجيب : منضبط وغير منضبط في آن واحد ، يأكل حسب وصايا التوراة ولكن ٨٠٪ من جنوده ملحدون او ضد الدين .

ـ الجندي الاسرائيلي مصاب بـ « عبادة طفولية للاسرار » ، فيرى الجواسيس في كل مكان ، ويعتبر ان اقل نقد له هو دليل على « العداء للسامية » . وفضلا عن ذلك فهو يجمع بين الطاعة المطلقة للاوامر وبين القلق والصلف .

ـ يعتبر الاسرائيليون ان العرب متعطشون للدماية المضخمة ، وهذا مما يجعل العرب لا يؤمنون بشيء ولا يصدقون ما يسمعون .

ـ الجنود الاسرائيليون يبحثون عن القتال التلاحمي، وذلك لاعتقادهم بأن العرب يخافون من القتال المتلاحم ، وانهم يتخيلون كثيرا في الليل خاصة ، فيرون حفنة من الاسرائيليين وكأنها الوف من الاعداء .

ـ الكمين المنصوب للفدائيين لم يقع فيه اي اشتباك ، ويكتفي الكاتب ، كما رأينا ، بابراز مزايا وصفات **المغامر العسكري الاسرائيلي** ، المأخوذ بحلم « اورشليم الذهبية » ، على طريقة الوسترن الاميركي مع الهنود الحمر .

٣ ـ يتحدث الكاتب عن الاستعراض العسكري الاسرائيلي في ايار ١٩٦٨ . يقول : في القدس سبعون الف عربي ، مسيحي ومسلم ، يرفضون الغزو ، ويشبهون يهود اسرائيل بالصليبيين الذين مكثوا قرنا في فلسطين ثم اخرجوا منها .

في الاستعراض انطلقت اغنية حرب الايام الستة ، وهي اغنية اسطورية حالمة :

« اذا نسيتك يا اورشليم ، اورشليم الذهب الخالص .

فليحرق اسمك شفاهي كقبلة الملاك الناري .

يا اورشليم الذهب والنحاس ، والنور ... »

ثم يكشف الكاتب ان حملة الاسرائيليين على مخيم الكرامة كانت الغاية منها تأمين نجاح هذا الاستعراض .

٤ ـ « النبي المسلح » هو دافيد بن غوريون ، لانه لا يريد السلام ، اي سلام . يقول : « ان الصهيونية الوحيدة ، الصحيحة ، هي استعمار فلسطين ، وكل الباقي ما هو الا خداع وثرثرة واضاعة وقت » . لقد كان بن غوريون يدعي « الاشتراكية » واذا بها تمحي امام العنصرية الصهيونية . ولقد علم الاسرائيليين حب التجسس والتكتم وايضا الانقسامات الحزبية والكره الداخلي المتبادل . وهو يشعر دائما بحاجة الى « اذلال خصومه » . ويعتبر بن غوريون ان الحرب الدائمة تنقذ الجيش من ازماته وصراعاته الداخلية ، فهو لا يؤمن ابدا بـ « السلام العربي » ، وعلى هذا ربى تلميذه العسكري موشي دايان وسواه . ولا يوجد في الجيش الاسرائيلي « اوامر » « الى الامام » ، وانما هناك امر واحد : « اتبعوني ». ويسأل الكاتب بن غوريون عما اذا كان على اسرائيل اعادة الاراضي التي احتلتها في حرب الايام الستة ، فيجيبه : « اذا كان علي ان اختار بين السلم والحرية فحسب ، فسوف اختار الحرية واقول انه يجب الاحتفاظ بالاراضي المحتلة. ولكنني اتمسك بالسلم والحرية معا . ولهذا فليس علينا سوى الاحتفاظ بالاراضي المحتلة ، اذ ان الشرق الاوسط في تبدل دائم ، والسلام لا يمكن ان يقوم الا بدعم القوى الكبرى : اوروبا ، روسيا واميركا ... واوروبا وحدها تستطيع ان تقودنا الى السلام ، ولكن اوروبا متحدة » . ويدعي بن غوريون ، فيما يدعي ، بان الاسرائيليين « هم حقا فيتكونغ الشرق الاوسط » ، ولكنه يشير الى ان تاريخ اسرائيل هو **تاريخ عسكري** ، وان «الاسرائيليين ليسوا رحيمين مع اعدائهم المقهورين» و « الجيش لن يسقط ابدا » .

٥ — وينتقل الكاتب الفرنسي ، جان لارتيغي الى سرد حكاية الجيش الذي يريده الاسرائيليون « اسطورة الاساطير » ، فهو كما يصفونه عجيب في كل شيء ، فريد من نوعه في العالم . ولكنهم لا يستطيعون ان يصدقوا ذلك دائما . وهذه ستكون نقطة ضعفهم في النهاية . لقد بدأوا بتجربة مستوطنات « ابناء الموت » ، « واثبتوا عدم تضامنهم فيما بينهم » ، فكان شعارهم ، بعد ظهور منظمة الحرس السري « الهاشومير » : « لقد سقطت يهودا في الدم والنار ، وستنهض يهودا في الدم والنار » . ثم اقاموا « مستوطنات زراعية » و « مستوطنات عسكرية » ، ومارسوا «المقاومة» الداخلية والخارجية ، ومع الانكليز انشأوا « منظمة الدفاع اليهودية » التي وصفوها بانها « سوداء — بيضاء » اي قادرة على التقلب حسب الاوضاع السياسية ، ومارسوا كل الوان القتل والحرق والتعذيب والسلب والاحتلال ، وتجسسوا في كل مكان ، وكونوا مع الانكليز ايضا « البوليس الريفي » ، ولكنهم انتهوا حيث بدأوا : الغزو الدائم ، الحرب الدائمة . لقد اصبح « الارهاب الاعمى هو الحل الوحيد المناسب لوجودهم ... ». ومع ذلك ففي اذار ١٩٤٨ خسر اليهود معركة الطرقات في كل فلسطين ، والذي انقذهم هو عدم التصميم العربي على القتال واسترسالهم في خلافاتهم الذاتية . العرب الذين اوقفوا القتال ارتكبوا خطأ مميتا ، سيتكرر مرارا ، وسينقذ اسرائيل . ولكن ذات يوم قد لا يرتكب العرب هذا الخطأ . لقد عاد العرب الى حرب العصابات ، ولكن الامور تبدلت : فالهجوم اصبح استفزازا يجر اسرائيل الى حرب انتقامية . في حرب ١٩٤٨، قاتل الفلسطينيون بحزم ، وخسر اليهود ستة الاف قتيل ، وفي حملة ١٩٥٦ خسروا ٢٠٠ قتيل خلال عشرة ايام ، وفي ١٩٦٧ خسروا ٨٠٠ قتيل خلال ستة ايام . وهذا يعني ان الحرب الطويلة هي الخطيرة فعلا على اسرائيل .

٦ — الجيش الاسرائيلي ، « اسطورة الاساطير »، له ازماته الخطيرة ، التي يستعرضها الكاتب بالتحديد : ازمة ١٩٤٨/٥/٣ عندما قام بن غوريون بابعاد اسرائيل غاليلي ، وكانت هذه الازمة الاولى ازمة قيادة وسلطة . ثم الازمة الثانية وهي اخطر من الاولى ، اذ قام جنود اسرائيليون باطلاق النار على بعضهم بعضا ، عندما اندلع الصراع بين الهاغانا والايرغون والشترن ، فسقط اربعون قتيلا ، واخذت الاذاعة السرية تتهم بن غوريون بالجبن والحماقة والديكتاتورية ، وكان وراء هذا الصراع بيجن وعصابة الايرغون .

اما الازمة الثالثة فكانت في ايار ١٩٦٧ ، قبيل الحرب بالضبط . وهذا ما يؤكده الجنرال رابين : « لا اعتقد انه كان بالامكان وقوع انقلاب عسكري في اسرائيل ، ولكننا كنا قريبين جدا من وقوعه » . وانهار الجنرال رابين عصبيا ، وعاشت اسرائيل اسبوعا من الشعور بالنكبة ومن اليأس ، وتقررت الحرب ضد العرب لانهاء ازمة الجيش الاسرائيلي الذي لا يزال يتصرف وكأنه وحدة من الكومندوس. يقول جان لارتيغي (ص ٩٩) : « في تموز — يوليو — ١٩٦٨ قام الكولونيل ريغيف ، قائد كتيبة المظليين (ورتبة كولونيل توازي في فرنسا رتبة جنرال بنجمتين) ، بنفسه وعلى رأس بضعة رجال ، بمطاردة مجموعة فدائية فلسطينية اقدمت على اجتياز نهر الاردن. ويبلغ ريغيف من الخامسة والثلاثين ، ويعتبر واحدا من افضل الاختصاصيين في مكافحة حرب العصابات ، فقتل في معركة التحام مع رجال فتح . واعترضت الحكومة الاسرائيلية وتساءلت اذا كان من الضرورة المطلقة تعريض كبار الضباط للنيران مثلما يتعرض لها الجنود العاديون ... » . ونعتقد ان في هذا القول ما يدحض نظرة الاسرائيليين القائلة بخوف العرب من القتال المتلاحم وفي الليل .

٧ — يقول لارتيغي ان السلاح الفعال في الجيش الاسرائيلي ليس الطيران ولا المدرعات وانما المخابرات التي تضم « رسميا » خمسة اجهزة متميزة : مخابرات الموساد العاملة في الخارج والمرتبطة برئاسة الحكومة ، المخابرات العسكرية او المكتب الثاني : جهاز الامن الداخلي والجاسوسية المضادة ، جهاز الابحاث والوثائق (الخارجية) ومهمته درس الوضع السياسي في البلدان العربية المجاورة ، واخيرا جهاز الاستقصاءات . ويقود هذه الاجهزة معا مسؤول ايسر هاريل ، ثم ياريف . وهنا ايضا اسطورة وتضخيم ، ولكن لا شك في ان المخابرات الاسرائيلية تلعب دورا خطيرا وتستند الى المخابرات الغربية. اسطورة لان الاسرائيليين يدعون معرفة كل شيء عن العرب ، والعرب بدورهم لا يعرفون شيئا ، وتضخيم لان محدودية عملائهم تجعل من المستحيل التصديق بأن كل الوضع العربي مكشوف لاسرائيل.

صحيح ان الاسرائيليين يستفيدون كثيرا من اخطاء العرب العسكرية والسياسية ، ولكن هذا لا يعني انهم بدورهم بدون اخطاء قاتلة ، لا يستفيد منها العرب في نضالهم . ان باريف يعترف بما يلي : « ان الحرب مخنية ولهذا فاننا لا نترك الجنرالات يهرمون في مناصبهم ... ومن ثم فوضعنا غير ميؤوس منه بعد ، ومن واجبنا ان نجني من انتصارنا الحد الاقصى من المكاسب الستراتيجية ... ومن جهة ثانية فان العرب لن يبدلوا على الفور موقفهم وسلوكهم ... ففي الاراضي المحتلة نرى زيادة السكان العرب مليونا ومائة وعشرين الفا ، وعندها تثار مشكلة التخريب . واعتقد اننا سنواجه متاعب من هذه الجهة بالذات ، وانها لمتاعب خطيرة » . « ان السكان العرب لا يحبون الاسرائيليين » وهم يشعرون بانهم مرغمون على القتال وعلى مساعدة مقاتليهم . يقول لارتيغي : في كانون الاول (ديسمبر) ١٩٦٩ ، عندما رجعت الى اسرائيل ، كان الجنرال باريف ومخابراته يتعرضون لمتاعب خطيرة . الم يكونوا قد قللوا كثيرا من تقديرهم للعرب ؟ ويشير لارتيغي الى محاولات المخابرات الاسرائيلية الرامية الى التغلغل في اوساط الاقليات داخل البلدان العربية .

٨ — وينتقل الى قضية طائرات الميراج المعلقة بين فرنسا الديغولية وبين اسرائيل ، ملمحا الى ان « العقيدة الاسرائيلية **قائمة** بمجملها على الهجوم والحرب الخاطفة ، وان تعبئة ١٢٪ من السكان الشباب والعاملين تشل اسرائيل ، فضلا عن ان الجنود الاسرائيليين المبالغ في تدريبهم واعدادهم للحرب **لا يستطيعون ان يصمدوا اكثر من شهر ، بدون ان يتعرضوا للانهيار** ، ولا يجوز لهم ان يخوضوا حربا في مواقعهم ، وانما حربهم في مواقع الاخرين . اذن جيش اسرائيل هو قوة صدامية قادرة على التدخل البالغ السرعة والبالغ الوحشية في اراضي العدو . ولكن هذا الجيش لا يمكنه ان يكون فعالا الا اذا كانت السماء خالية من الطائرات المعادية » .

ان الاخطاء والنواقص موجودة عند الاسرائيليين والعرب ، ولكن هؤلاء الاخيرين لا يستفيدون الا نادرا من اخطاء الاوائل . يقول لارتيغي : « حقا اي بلد غريب هي اسرائيل حيث يخفون عليكم مفتاح حقل العمليات كما لو انه سلاح سري ، وحيث ينشر قائد السلاح الجوي في جريدة واسعة الانتشار كل اسرار الاستراتيجية الجوية في بلده » . ان « الدفاع » الوحيد لاسرائيل هو بالطبع سلاحها الجوي ، والسماء هي ميدانها المفتوح الوحيد : « الارتفاع والافق هما عمقنا الاستراتيجي » — هذا ما يقوله الجنرال وايزمان .

ويوضح لارتيغي ان طائرات اسرائيل مزودة دائما بالقنابل والنابالم ، وان الطيارين في شركة العال كلهم ضباط في الجيش ، ومعظمهم من الكيبوتسات (٣٥٪ من طياري اسرائيل) . وبخجل يفضح لارتيغي مزاعم محدثيه الاسرائيليين : « اصغوا جيدا : طوال حرب الايام الستة في المعركة الجوية لم تتمكن اية طائرة معادية من اسقاط طائرة اسرائيلية واحدة . فكل معاركنا الجوية كانت معارك مطاردة . ولم تجابهنا ابدا اية طائرة ، حتى الميغ ٢١ . لقد ضربناها من خلف . (هذا غير صحيح) . لقد سقطت طائرات اسرائيلية في المعركة الجوية : ثلاث طائرات بالضبط » (ص ١٥٤) . ويكشف كيف انتقل طيارو شركة العال الى طائرات حربية واشتركوا في القتال سنة ١٩٦٧ ، ويشدد على ان انتصار الطيارين الاسرائيليين كان بالدرجة الاولى بسبب اخطاء الطيارين العرب ، وثانيا بسبب التدريب الجيد ، وثالثا بسبب « الخوف المقدس » الذي بذروه في قلوب العرب .

٩ — يتبين من كل ما تقدم ان الجيش الاسرائيلي هو **جيش غزو دائم** ، ولا يمكنه في حرب الحركة الا ان يحارب في اراضي العرب الاخرى . ويتساءل كيف يعمل السلاح الاسرائيلي المدرع ؟ اولا : وفقا للسيطرة المطلقة على الجو ، وثانيا بالافادة من خطوط دفاع العرب غير المتصلة . ويعترف لارتيغي ان المدرعات المصرية في سيناء قاومت في كل مكان، ولكن الطيران الاسرائيلي والمظليين ضربوها من خلف ، وان المظليين الاسرائيليين تكبدوا خسائر فادحة (اكثر من ٥٠٪) ، ويعترف بان « الفلسطينيين قاتلوا ببسالة في غزة » (ص ١٧٣). وبعد ذلك يتحدث ، باسلوب دعائي صريح ، عن جنرالات اسرائيل وكولونيلاتها . والاسرائيليون هؤلاء يطيب لهم تأكيد اللازمة الدائمة : « ولكن انتصارنا لا يعود الى العتاد ولا الى التكتيكات ولا الى القادة الذين يستخدمونها او الذين وضعوها ، وانما يعود الى الجندي الاسرائيلي... المطبوع قبل كل شيء بتدريبه المظلي » (ص ١٩٤).

١٠ — فمن هم هؤلاء المظليون ؟ انهم يعتبرون

« الحرب عملية كومندوس واسعة تشمل ابعاد الحرب الكلاسيكية » . اذن المظليون هم الكومندوس الذي « يضرب بسرعة وبقوة » . « من الكتيبة الى الفرع ، تعمل كل وحدات الجيش الاسرائيلي وفقا لاسلوب الكومندوس ولروحيتهم » اسلوبهم : مفاجأة ، ضرب ، اختفاء . « جنودنا يظهرون هناك حيث لا ينتظر احد ظهورهم ، ولا يتوقفون ابدا ، بل يتوغلون دائما نحو الهدف المنشود . **وهذا الهدف هو دائما تدمير جيش عدو** » . المظلي هو الفدائي بالضرورة ، يتدرب ليلا ، ينام قليلا ، ويحمل ما خف وقل . يقول الجنرال اوزي ناركيس : « اقدر بشهرين امكانية المقاومة في المعركة التي يمكن الجندي الاسرائيلي الطليعي الصمود فيها . اذن نحن مرغمون على شن الحروب السريعة . والحرب الاخيرة استمرت ستة ايام » . هذا درس كبير للعرب . تعاليمهم هي : « العربي يخاف من الليل ، فكونوا جنود الليل . العربي يخاف من الالتحام والسكين : فقاتلوا بالسكين وبالالتحام . والذي يخيف الاخر يكسب اذا استفاد من نقائصه » . ولتدريب المظليين غايتان : الاولى تزويدهم بالقدرة القتالية وهذا امر سهل ، والثانية اثارة رغبة حقيقية في القتل عندهم .

١١ — يرسم الكاتب صورة غريبة وعجيبة للجندي الاسرائيلي ، على مثال الجيش الاسرائيلي الذي « لا يميز الضابط عن الجندي » . ويذهب ابعد من ذلك مدعيا ان اسرائيل بلد بدون طبقات ، وجيشها بدون طبقات (ص ٢٣٢) . ثم يتحدث عن تعبئة الفتيات للقتال بين ١٨ و ٢٠ سنة لمدة ٢٠ شهرا ، ويذكر انه مما يسهل ذلك هو « المدرسة المختلطة في كل الاعمار » . وتبلغ نسبة النساء في الجيش الاسرائيلي العامل ٣٥٪ . ويوضح ان الخدمة العسكرية النسائية تلعب دورا تربويا كبيرا ، وان جيش النساء خاضع للنساء (العقيدة ستللا ليفي). واما الوحدة العسكرية الاسرائيلية فهي تضم العناصر الذكية والاقل ذكاء ، القوية والضعيفة ، الجديدة والقديمة . وينقل لارتيغي المبادىء الاساسية للتكتيك الاسرائيلي عن الجنرال مارشال في كتابه Sinai Victory ، وهي :

« — القيادة تعني الانتقال الى درجة الخطر الاعظم ،

— لا عذر لمن يبقى متأخرا ،

— عندما لا تتلقى اي امر ، تصور الامر الممكن ،

— في حالة الشك اضرب . اقرب طريق الى الامن هي طريق الهضبة المعادية ،

— لا تهاجم مجابهة ، فهناك عادة طريق افضل ،

— اذا هاجمت مجابهة ، فليكن هدفك محصورا ،

— عندما تكون القوات مستنفدة ، توقف ، ودعها للراحة ،

— لا تؤخر القتال بسبب الافتقار للتموينات ، تصرف وكأنها في طريقها اليك ،

— عندما تسلط النيران عليك ، الحركة افضل من الارتماء ارضا ،

— وعندما تهاجم ، تشجع ، تجاسر ، تجاسر . هذا هو تكتيك الكومندوس الذي لا قيمة له بدون نوعية الانسان وعزمه » .

١٢ — ومع ذلك فاسرائيل تعاني العزلة ، ويواجهها الخطر الفلسطيني ، الذي تحاول حله بواسطة الزمن و « التنازلات » والابادة . ويعتبر الاسرائيليون « ان الفلسطينيين ، بدون ارض ، هم عنصر من العناصر الاكثر ديناميكية وانفتاحا في العالم العربي » . واليوم يعيش مليون ونصف مليون فلسطيني داخل « اسرائيل الكبرى » مقابل ٢٢٠٠٠٠٠ يهودي . « ولقد تكبد جيش اسرائيل سنة ١٩٦٩ خسارة بالارواح بلغت يوميا ثلاثة قتلى ،وهذه خسارة باهظة جدا على اسرائيل ، باهظة اكثر من حملة سيناء وحرب الايام الستة » (ص ٢٧١) ، « وفي المقابل لم تتمكن اسرائيل من القضاء على المقاومة الفلسطينية ، بل ان المقاومة لم تزدد الا توطيدا . واذا كان هناك فشل اسرائيلي ، فهو هذا بالذات » (ص ١٧٦) . واما عزلة اسرائيل فهي دائمة . لماذا ؟ « لان اسرائيل لكي تعيش يا سيدي تحتاج الى الحرب اكثر مما تحتاج الى السلم » — هذا ما قاله شمعون بيريز لجان لارتيغي (ص ٣١٥) . ويختم لارتيغي «ولكن الحرب ضرورية للعرب ايضا . فهذه الحرب ضد اسرائيل هي بالنسبة الى العرب الوسيلة الوحيدة لقيام نقطة مشتركة بينهم ، ولاعطاء معنى ملموس للقومية العربية هذه التي اصبحت على كل شفة ولسان » (ص ٣١٦) . وهذا الكتاب يبقى له قيمة تعريفنا بالعدو الاسرائيلي .

الدكتور خليل احمد خليل

Khalid Kishtainy, The New Statesman and the Middle East,
(Palestine Research Center, Beirut, November 1972).

لماذا يخصص كاتب قدير مثل الاستاذ القشطيني دراسة كاملة في كتاب كالذي نحن بصدد مراجعته بعالج تغطية مجلة بريطانية واحدة لقضية فلسطين خلال فترة نصف قرن من الزمن ؟ والواقع ان هذا السؤال يتبادر الى الاذهان بمجرد رؤية عنوان الكتاب : **النيوستايتسمان والشرق الاوسط** . الا ان هذا السؤال نفسه يبقى معلقا في الاذهان حتى بعد الانتهاء من قراءة الكتاب . لا يبدو ان الهدف الرئيسي ارتكز على تقديم عرض تاريخي شامل لتطور مواقف المجلة حول القضية . فالدراسة اقتصرت على ايراد مواقف المجلة من عدد محدود نسبيا من الاحداث التي اختيرت ، على ما يبدو ، لاظهار توجهات المجلة عامة ازاء القضية . ولا يسع القارىء الا ان يحس ان الاستنتاج الذي توصل اليه المؤلف في صدد توجهات المجلة حول القضية بالذات ، وهو ان المجلة كانت تحبذ الصهيونية باستمرار طوال الفترة المعنية ، كان استنتاجا متوقعا مسبقا . الا ان المؤلف لم يطرح استنتاجه على شكله البسيط هذا ، بل أورده ضمن اطروحة تقول — ليس دائما مباشرة بل أحيانا ضمنيا — ان المجلة عرفت بمعارضتها للوراثة الاستعمارية البريطانية ولكنها لم تلتزم بمبدئها هذا في حالة واحدة : مسألة فلسطين .

ان تدعيم مثل هذه الاطروحة يتطلب معالجة مواقف المجلة من احداث شهدتها بلدان افريقية — آسيوية أخرى ، ومقارنتها مع موقفها ازاء القضية الفلسطينية . ولكن باستثناء بضع ملاحظات عابرة ومبعثرة في متن الكتاب عن موقف المجلة من بعض شؤون مصر والعراق خلال الخمسينات ، فان المؤلف لم يتطرق الى موقف المجلة من احداث اي من البلدان الافريقية والاسيوية بالتحديد . وحتى بالنسبة لمصر والعراق ، لم يثبت المؤلف ان المجلة رفعت مبدأ معارضة « الوراثة الاستعمارية البريطانية » الذي تكلم عنه . فقد اخبرنا المؤلف ان المجلة عارضت حلف بغداد (ص ٨) ، الا انه لم يخبرنا من اي موقف جاءت معارضتها له ، سوى قوله (ص ٧٨) انها تهجمت على حلف بغداد مثلما تهجمت على « تفكير بريطانيه الآمل بارضاء العرب على حساب اسرائيل » . اما بشأن مصر ، فقد قال المؤلف (ص ٧٩ — ٨٠) « ان الانظمة الاكثر تقدمية ، وخاصة مصر ، حظيت ببركة المجلة » . الا ان ما اورده من اقوال المجلة بهذا الصدد اظهر ان المجلة لم تعط بركتها للنظام المصري (الناصري آنذاك) ، بل كانت مترددة بشأنه كما عبرت عن تخوفها من « ديكتاتورية (ناصر) وتهديداته ضد اسرائيل » . كما اخبرنا المؤلف ان المجلة دعت الى انسحاب بريطانيه (من مصر ؟ ص ٨٠) وان دعوتها هذه جاءت انطلاقا من « مبادئها الاشتراكية » ، الا انه اخبرنا انها دعت ايضا الى « الحفاظ على النفط » . وقد اخبرنا المؤلف ان المجلة أيدت حق عبدالناصر في تأميم قناة السويس ولكنها عارضت حقه في منع الملاحة الاسرائيلية فيها . ويقول المؤلف ان مواقف المجلة (المتناقضة هذه ؟) جعلتها محط انظار « المثقفين العرب » الى ان ادى موقفها من فلسطين والصهيونية الى « افتراق الطرق » بين المجلة و« العالم العربي »، حين اتضح ، على حد قول المؤلف (ص ٩٠) ، « ان المجلة أيدت العدالة في كل مكان باستثناء فلسطين » . الا ان المؤلف لم يجد اي ضرورة لتحديد من هم هؤلاء « المفكرون العرب » ، كما انه لم يخبرنا متى تم « افتراق الطرق » !

قدم المؤلف عرضه لموقف المجلة من المسألة الفلسطينية بداية بالحرب العالمية الاولى واظهر انها دعت الى تأييد الصهيونية طوال الفترة منذ ذلك الحين : فقد نشرت المجلة مقالة مديح للصهيونية واعمالها في فلسطين عند بداية الحرب. وفي عام ١٩١٧ رحبت المجلة بوعد بلفور ووصفته بانه خطوة سياسية بارعة . وبعد انتفاضة ١٩٢١ العربية نشرت المجلة مقالات زعمت فيها ان العرب يستفيدون من المشروع الصهيوني كما عبر محرر الصحيفة عن رأيه بأن مخاوف الفلسطينيين « لا أساس لها » . وبعد انتفاضة عام ١٩٢٩ نشرت المجلة مقالات تهجمت فيها على الكتاب الابيض (باسفيلد — ١٩٣٠) الذي اخذ حقوق الشعب الفلسطيني بعين الاعتبار . واقترحت المجلة فيما اقترحت آنذاك ان يتم نقل الفلسطينيين العرب الى شرقي الاردن . وفي عام ١٩٣٦ عارضت المجلة المشروع المقترح لاقامة مجلس تشريعي في فلسطين وزعمت ان مثل هذا المجلس من شأنه ان يؤدي الى النزاع بين اليهود والعرب لانه يعطي اغلبية

في عضويته للعرب . واقترحت المجلة « اقامة دولة يهودية في جزء من فلسطين » آنذاك ، قبل بضعة اشهر من صدور تقرير لجنة بيل الذي اقترح تقسيم فلسطين. وبعد عام ١٩٣٩ ساهمت المجلة في الحملة التي أطلقها الصهيونيون ومؤيدوهم ضد الكتاب الابيض لعام ١٩٣٩ والذي حدد اعداد المهاجرين اليهود الذين سيسمح بقدومهم الى فلسطين . وفي تموز — يوليو ١٩٤٧ دعت المجلة الى تحقيق تقسيم فلسطين « اما لا قانونيا بقوة الهاغانا اليهودية او قانونيا بموافقة وتأييد المجموعة الدولية » . وباندلاع الحرب بعد ذلك في فلسطين ايدت المجلة الهاغانا وأعمالها لدرجة انها رحبت بجلاء الفلسطينيين عن الاراضي التي سيطرت عليها الهاغانا ووصفت هذا الجلاء على انه « أحد انتصارات اسرائيل » . وقبيل عدوان السويس عام ١٩٥٦ نشرت المجلة مقالة جاء فيها « ان اسرائيل قد تضطر الى التحرك طالما ان العرب يرفضون توقيع اتفاقية سلام ، و(يرفضون) توطين اللاجئين في اراضيهم ، و(يرفضون) وضع حد للتسلل ضد اسرائيل » . وفي عام ١٩٦٧ أيدت المجلة العدوان تأييدا تاما ووصفته بانه حرب وقائية.

عالج المؤلف تاريخ موقف المجلة من قضية فلسطين بقدر كبير من التفصيل في الفصول المتتالية التي تشكلت منها الدراسة وأظهر مدى عدائها التاريخي لحقوق شعب فلسطين . الا ان معالجته للظروف التي جعلت المجلة « تحبذ » الصهيونية لم تكن وافية . فالاطروحة التي أوردها بهذا الصدد هي كلاسيكية الى حد بعيد وهي تقول ان المجلة كانت تجهل وقائع الامور في فلسطين ، فوقعت تحت تأثير الصهيونيين في ظروف انعدام التأثير العربي المماثل. الا ان هذه الاطروحة لا تفسر لماذا لم تعبأ المجلة بآراء اللاصهيونيين من اليهود الذين اقاموا في بريطانيه وناهضوا الصهيونية بشدة . وعلى ذلك ، فقد تجنب المؤلف معالجة التوجهات الاساسية للمجلة التي جعلتها قابلة للوقوع تحت تأثير الصهيونيين دون غيرهم منذ البداية . ونذكر مثالا لتوضيح هذه المسألة : ان المقالة الاولى التي وجدها المؤلف حول الموضوع في المجلة صدرت عام ١٩١٤ وكانت بقلم الصهيوني المعروف ألبرت هايمسون ودعت الى تأييد الصهيونية وبرنامجها الداعي الى تهجير يهود بولنده بشكل خاص الى فلسطين . كما اننا نعلم ان اعلان بلفور الذي رحبت به المجلة صدر علنا بعيد الثورة البولشفية التي كان من شأنها ان تؤثر على أوضاع اليهود في بولنده التي كانت جزءا من روسيه القيصرية . وقد أكد المؤلف بصدد تأييد المجلة لوعد بلفور ان محرريها لم يكونوا على معرفة بحقائق الامور في فلسطين . الا انه لم يتطرق الى ما اذا كان المحررون على اطلاع بأوضاع اليهود في شرقي أوروبه الذين يبدو أنهم كانوا الهدف الرئيسي لمشروع التهجير ولم يتطرق المؤلف الى موقف المجلة من موضوع هجرة هؤلاء (يهود بولنده) تجاه الغرب . كما لم يتطرق المؤلف الى موقف المجلة من الثورة البولشفية . وعلى ذلك ، فلم يعالج المؤلف ما اذا كانت نظرة المجلة نحو وضع اليهود في أوروبه ، وأوروبه الشرقية بشكل خاص ، هي التي جعلتها تفتح صفحاتها للصهيونيين . وهناك مثال آخر على هذا النقص في الدراسة : فقد تكلم المؤلف في الفصل الخامس عن اعداد الهجرة اليهودية الهائلة التي شهدتها فلسطين خلال الثلاثينات وقال المؤلف « ان هتلر كان سببه ذلك كله » . الا انه لم يتطرق بأي شكل من الاشكال الى موقف المجلة من الحزب النازي الالماني قبل اعتلائه السلطة وبعد ذلك ، كما انه لم يذكر شيئا عن موقف المجلة من قانون الجنسية النازي الذي نزع حق المواطنية عن اليهود منذ عام ١٩٣٥ . وعلى ذلك فالتساؤل يبقى لدينا : ان المؤلف اظهر لنا موقف المجلة من فلسطين . الا انه لم يظهر لنا شيئا عن موقفها من اليهود في أوروبه — هذا الموقف الذي لا بد وان يكون له أثر على موقفها من فلسطين .

عند نهاية الكتاب قال المؤلف (ص ١١٨) ان موقف المجلة المؤيد للصهيونية يشكل « مثالا خطيرا على جهلها بحقائق الامور وعلى فشلها في حمل رسالة مؤسسيها، رسالة الامية والاشتراكية والعلمية». لكن المؤلف لم يقل لنا سوى القليل عن مؤسسي المجلة : انهم كانوا بمعظمهم مرتبطين « بطريقة او أخرى» بالجمعية الفابية(Fabian Society)،وانهم كانوا « زمرة من الاصلاحيين الاجتماعيين » ، وانهم كانوا « يلتزمون بالاشتراكية التدريجية وليس الاشتراكية الثورية » . ولكنه لم يعالج المحتوى الايديولوجي لعقائد هذه المجلة (والجمعية) حول الامور الاجتماعية ولم يورد ولا فقرة واحدة تعبر عن آراء المجلة في هذا الصدد ، كما انه لم يطلع القارىء على موقف المجلة من النضالات الاجتماعية المختلفة التي شهدتها بريطانيه ، وأوروبه عامة ، منذ انشاء المجلة عام ١٨٨٢ حتى الان . وعلى ذلك

فقد جاء قوله باشتراكية المجلة عابرا وعاما دون توضيح ودون تدعيم وثائقي . ويقول لنا المؤلف ان رئيس التحرير الاول للمجلة — الذي شغل المنصب حتى عام ١٩٣١ — كان « ملتزما بمنع الفقر » (ص ١٠) . اما عن رئيس التحرير الثاني الذي شغل المنصب منذ ذلك الحين حتى أواخر الستينات؛ فيقول لنا المؤلف انه اختير للمنصب « رغم عدم وجود اي علاقة سابقة له بالحركة الاشتراكية ككل » ، وانه اعتبر « فابيا Fabian تماما في أسلوبه ، يتخوف من أثر الدعاية الشيوعية على حزب العمال » (ص ٤١) . وبناء على هذه الادلة ، فلا يمكن ان يقتنع القارىء بأن المجلة كانت اشتراكية وأيدت الصهيونية ووعد بلفور نظرا لجهلها بوقائع الامور ، خاصة وان اسم المجلة بحد ذاته ، « السياسي الجديد » ، كان قد جاء ، كما يخبرنا المؤلف ، بناء على اقتراح آرثر بلفور صاحب الوعد المشهور !

بناء على ما ورد في الكتاب (وعلى ما لم يرد فيه)، لا يمكن أن يتوقع من القارىء مجاراة المؤلف في قوله ان المجلة كانت اشتراكية معادية للاستعمار ، ايدت العدالة في كل مكان باستثناء فلسطين . فهذه الاطروحة لو سمحت لكان على المؤلف ان يدعمها باشارات محددة الى مواقف المجلة من شؤون عدد من الاحداث في البلدان المختلفة . ولعل السبب الذي دعا الى هذه الاطروحة هو ان المؤلف أورد طرحه للموضوع على صيغة عتاب ، شخصي الطابع الى حد بعيد ، أرسله الى المجلة التي سبق وكان له اهتمام بها . وأسلوب المعاتبة تطلب من المؤلف الصاق صفات بالمجلة (صفات الاشتراكية وتحبيذ العدالة الى جانب صفات اخرى) لا يبدو انها تستحقها . كما ان هذا الاسلوب أستدرجه الى جدال ايديولوجي مبهم جعله يطلق عبارات غامضة عديدة في متن الكتاب ، مثل قوله ص ١٦ ان موقف المجلة من المسألة الاستعمارية كان يتطابق مع موقف لينين منها بعد قدومه الى السلطة ، وقوله ص ١٧ ان الشخصية الاشتراكية للمجلة انعكست ، بين الامور ، في « النظرة الباردة الى الاحصاءات والمصالح البريطانية » وهذه العبارات أساءت الى معنى الاشتراكية . لقد رفض المؤلف مزاعم الاشتراكية الصهيونية دون تردد (ولو بغموض) في كتابه ، لكن فهمه لمزاعم اشتراكية المجلة لم يكن سوى تعبير عن التردد .

لا ندري ان كان المؤلف يعتقد ان هذا الاسلوب المعاتب سيكون له أثره لدى المعنيين من العاملين في المجلة ومن قرائها وخاصة في اوساط حزب العمال البريطاني التي تمثل وجهة نظره الى حد بعيد . ولكن بالنسبة للقارىء العام الذي لا علاقة محددة له بالمجلة ، فان الاسلوب الذي اتبعه المؤلف ، على اعتذاريته ، لم يكن افضل السبل لتقديم قضية فلسطين . فالقضية الفلسطينية هي قضية حقة بشكل يجعل اي طرح واضح لها مفيدا اعلاميا . من هنا فائدة الدراسة الحالية التي تضمنت عرضا هاما ومفيدا لمواقف مجلة بريطانية ذات اثر في الاوساط البريطانية العامة . كما تضمنت الدراسة نقدا قيما لهذه المواقف . ولا شك ان هذه الفائدة كان من شأنها ان تكون افضل لو اكتفى المؤلف بالطرح الوثائقي لمواقف المجلة والنقد الموضوعي لها دون الاطروحة الغامضة التي تضمنتها ودون الاسلوب الاعتذاري التبريري الذي انعكس في الكلام عن اشتراكيتها ومثاليتها وما قابله من كلام عن جهلها بحقائق الامور . ولكن على اي حال ، فان هذه الدراسة لم تكن بمستوى القدرة على البحث الذي يتمتع به المؤلف والذي اظهره في دراساته السابقة وخاصة في دراسته ، **عمران فلسطين** ، التي صدرت عن مركز الابحاث عام ١٩٧١ .

أ. ن. سعد

تقارير اعلامية

الاسبرانتو والاعلام العربي

يرجع اول عهدي بلغة الاسبرانتو الدولية الى يوم من اواخر ايام سنة ١٩٦١ عندما كنت اجتاز الحدود الايطالية بالقطار الى النمسا . وعندما جاء قاطع التذاكر النمساوي دخلت معه في جدل حول مفعول بطاقتي الايطالية التي كانت تخولني السفر بالقطار لمدة شهر كامل . وكان موضوع النقاش هل ان تلك البطاقة كانت تصلح للركوب لمدة شهر داخل القطارات الايطالية ام داخل حدود ايطاليا نفسها. ولما احتد اللغط بيننا اخذت اخلط معه كلمات ايطالية باخرى المانية . وهنا تدخلت سيدة نمساوية كانت جالسة في المقعد المجاور فاقترحت حل النزاع بان تتبرع هي بفرق الاجرة — مما دعاني الى ان أمد يدي الى جيبي حالا وادفع لقاطع التذاكر فانحل بيننا النزاع . وكانت هذه مناسبة للتحدث مع تلك السيدة التي قالت لي فيما بعد انني كنت اتكلم مع قاطع التذاكر مزيجا لغويا يشبه «الاسبرانتو». ولما سألتها ما الاسبرانتو لم تكن تعرف عنها سوى انها **اللغة الدولية** وانها صادف ان سمعتها مرة مع صديقتها في احد النوادي .

وبعدها لم تبرح من بالي كلمة « لغة دولية » ولا الفكرة التي اثارتها في ذهني تلك الكلمة خاصة بعد تلك المشادة مع قاطع التذاكر التي كان سببها الاول هي **المشكلة اللغوية** . وفي ربيع ١٩٦٦ صادف ان لمحت في احدى مكتبات بغداد كتابا بالانكليزية لتعليم الاسبرانتو فرجعت بي الذاكرة الى ذلك الحادث ، وبعد عدة ايام وجدتني اكتب رسالة باللغة الدولية الى عنوان تلك السيدة النمساوية وجاءني جواب بالاسبرانتو من سكان العنوان الجدد ان تلك السيدة كانت قد هاجرت قبل سنين الى استراليا وان احد معارفهم الاسبرانتويين قد حرر لي الرسالة . وهكذا تحققت لي كلمة عابرة كنت قد سمعتها قبل ذلك بخمس سنين .. لقد الف الطبيب البولوني زامنهوف لغة الاسبرانتو واخرجها على الملأ في سنة ١٨٨٧ . وكانت الاسبرانتو في الواقع واحدة من محاولات عديدة مماثلة جرت في القرن التاسع عشر لتاليف لغة دولية اصطناعية مبسطة سهلة تكون في متناول جميع الناس من كل الاقطار كلغة مشتركة بينهم بالاضافة الى اللغات القومية المحلية . وكانت الاسبرانتو هي المحاولة الوحيدة التي كتب لها النجاح من بين كل مثيلاتها فانتشرت انتشارا واسعا وذلك بعد الحرب العالمية الاولى وخاصة في اوروبا والامريكتين ، كما كتب لها قسط من النجاح فيما بعد في بعض الاقطار المتطورة الاخرى مثل اليابان واستراليا والصين في الوقت الحاضر . وتعتبر المجلات الصينية الاسبرانتوية الان مرجعا معتمدا لتطور اللغة الدولية وذلك لانها اكثر المجلات الاسبرانتوية انتشارا في العالم في الوقت الحاضر . ويقدر عدد الذين يتكلمون الاسبرانتو الان بحوالي العشرين مليونا منتشرين في معظم اقطار المعمورة ، (وكان تقدير التايمس اللندنية لهم ٨ ملايين في سنة ١٩٥٣) .

وتشتق الاسبرانتو في الغالب من الجذور اللاتينية، كذلك من اللغات الاوروبية الاخرى . وتتسم الاسبرانتو بطابع منطقي دقيق بحيث يمكن تعلمها بمثل سرعة تعلم بعض مبادىء الرياضيات البسيطة. ويتألف نحوها وصرفها من ١٦ قاعدة بلا شواذ يمكن استيعابها جميعا خلال ساعة زمنية واحدة . وحروفها الهجائية لاتينية ، ولكن طريقة التهجي **صوتية** ، اي تكتب كما تسمع وتقرأ كما تكتب ، اذ ان لكل حرف هجائي صوت واحد فقط لا يتغير . وقد روعي في اختيار كلماتها وطريقة اشتقاقها الاختصار والدقة والموسيقى اللفظية ، كذلك الوضوح الكامل في التلفظ الذي يساعد عليه ان حروف العلة الخمسة في اللغة الدولية كلها **ذات نبرة طويلة** . ولحسن الحظ كلها موجودة فعلا **بالضبط** في النطق

العربي نفسه ، وقد اجتمعت كلها في اللفظ العربي للكلمات العربية الثلاث التالية — رائدين ، نور ، روما . ويتمكن كل من يعرف لغته القومية ان يتعلم الاسبرانتو بـ ١٥ ساعة دراسية . اما الذي لديه مبادىء من الانكليزية او الفرنسية مثلا فيمكنه تعلمها بسرعة اكبر . وبعكس ذلك ، فان تعلم الاسبرانتو يساعد كثيرا على تعلم اللغات الاوروبية خاصة اللغات اللاتينية منها كالفرنسية والاسبانية مثلا . واعتقد جازما ان انكليزيتي التي بدأت تعلمها منذ سنين طويلة قد تحسنت تحسنا كبيرا بعد تعلمي الاسبرانتو . (حتى اصبحت الان استطيع التحرير ونظم الشعر بها وتظهر لي اثار ادبية في المجلات الانكليزية بين الحين والاخر) . كما وجدت تعلم الفرنسية اسهل من ذي قبل بكثير . والسبب واضح ، الا وهو ان قواعد الاسبرانتو هي قواعد تحليلية وهي لذلك تمرين لغوي رائع ومفيد جدا حتى في اعادة فهم نحو اللغات القومية نفسها من جديد .. بطريقة ادق وافضل . يضاف الى ذلك جذورها المشتركة مع اللغات الاوروبية . وتظهر حقا في الاسبرانتو عبقرية الصناعة الفكرية الانسانية . واستطيع ان اضيف الى ذلك بكل ثقة ان التحدث باللغة الدولية او الكتابة بها هو بحد ذاته تمرين يساعد على ممارسة التفكير المنطقي بصورة عامة عند الانسان .

لقد صدر باللغة الدولية خلال الـ ٨٤ سنة الماضية عشرات الوف الكتب في شتى فنون المعرفة والاداب وسائر النشاط الفكري الانساني ، المترجم اليها من اللغات القومية والمؤلف فيها اصلا . ويجد المرء الان روائع الاداب العالمية — الكلاسيكية منها والحديثة — مترجمة الى الاسبرانتو . وقد ترجم القرآن الكريم في العام الماضي الى اللغة الدولية وقد حاز على رقم قياسي بالتوزيع بين الاسبرانتويين . وقام بالترجمة مستشرق ايطالي واضعا النص العربي أمام النص الاسبرانتوي وتظهر هذه الترجمة الان كدرة في مكاتب الاسبرانتويين . ويصدر بالاسبرانتو في الوقت الحاضر مئات من المجلات والنشرات الخاصة في مختلف مجالات الثقافة والعلوم والسياسة والاقتصاد والقانون والطب وحتى الفضاء . وتذيع بها ٢٣ دولة من بينها الصين وبولونيا وامريكا وفرنسا وايطاليا وبريطانيا والنمسا ويوغسلافيا وغيرها . كما تصدر بها عشرات الدول نشرات اعلامية وسياحية وثقافية مختلفة . وقد صدر للاسبرانتو اكثر من ٧٠ قاموسا — وهذا العدد من القواميس لا يتوفر لكثير من اللغات الحية في الوقت الحاضر . كما صدرت بالاسبرانتو افلام واغان كثيرة . وتتفرع من منظمة الاسبرانتو الدولية مئات من الجمعيات والنوادي القومية في اكثر من ٨٠ قطرا في العالم . وتجد حركة الاسبرانتو في الوقت الحاضر اقبالا كبيرا بين شعوب الدول الاوروبية والاشتراكية منها بصورة خاصة وذلك كمخرج من تنافس اللغات المحلية فيما بينها ، كذلك كمهرب من محاولة لغات بعض الدول الكبرى السيطرة « كلغات دولية » تبعا لنفوذها السياسي .

لقد كانت منظمة عصبة الامم قد اتخذت توصية في سنة ١٩٢١ بحق الاسبرانتو ، كما تبعتها منظمة الثقافة والفنون (اليونيسكو) في الامم المتحدة فاتخذت قرارا في سنة ١٩٥٤ اعترفت فيه لحركة الاسبرانتو الدولية بخدماتها الجلى في مجال العلاقات الثقافية الدولية خلال السبعين سنة الماضية واوصت فيه الامم الاعضاء بتشجيع تعليم الاسبرانتو في مدارسها . وتعقد منظمة الاسبرانتو الدولية (ومقرها في روتردام هولندا) مؤتمرات دولية سنوية تكون بمثابة « سوق عكاظ » عالمي . ويعقد مؤتمرها الـ ٥٦ هذه السنة في لندن (خلال اب القادم) ، وكان قد عقد المؤتمر السابق في نيبنه .

ان ابرز ما لاحظته عندما تعلمت اللغة الدولية وبدأت اقرأ بها انها كانت خلوا من اي أثر عربي .. فلا خبر عن العرب الا ما « يجود » علينا به الخصوم الامبرياليون والصهاينة من الاضاليل والتلفيقات والمغالطات المضحكة . وبالرغم من أن الصهاينة اساتذة في فن التضليل — غالبا عن طريق الصراخ والبكاء والتظلم الكاذب — فان مستوى اعلامهم ، خلافا لما يتصور البعض ، يظل هزيلا نوعا ما بالرغم من كمه ونشاطه الواسع . واذا ما وجدوا ان الحجة تعوزهم ، تراهم يلجأون للقذف والتشنيع . ويندر جدا ان يجد المرء اي اثر للمنطق والرزانة فيما يكتبون ، وتجدهم مسترسلين في اكاذيبهم عندما يجدون انفسهم « مختلين » بالسامع او القارىء مطمئنين الى انهم لا يجدون ردا ولا معارضة ما دام الطرف الاصلي غائبا عن الميدان — « خلا لك الجو فبيضي واصفري . » . وبالرغم من أن صحافة الغرب الاسبرانتوية اكثر « رزانة » الا انها بصورة مبدئية تمالؤهم وقلما

تسمح بمعارضة حقيقية لهم على صفحاتها . اما المجلات الاسبرانتوية في الدول الاشتراكية فقد نشطت بعد حرب حزيران في الدفاع عن القضايا العربية ، شأنها في ذلك شأن سائر اجهزتها الاعلامية . الا ان السؤال الذي يتبادر حالا الى الذهن — اين هم اذن المثقفون العرب أنفسهم عن هذه الجبهة الاعلامية الدولية الكاملة التي يمرح ويسرح بها الخصوم كأنهم يتاظون بها اشباحا خفية ؟.. لقد كان هذا حقا شيئا مخجلا .

لقد كانت هذه اول فرصة حقيقية لممارسة هوايتي الادبية التي اكتسبتها عندما كنت ادرس العلوم الاسلامية وعلوم اللغة العربية في مدينة النجف الاشرف قبل عشرين عاما قبل ان اضطر لترك مدينتي تلك طلبا للرزق . وقبلها كنت قد قضيت معظم سني الطفولة في جنوب لبنان على حدود فلسطين مباشرة حيث كنا نحن اطفال القرية نتغنى فيها نتغنى باهازيج « عتابا » الثوار الفلسطينيين مما ترك اثرا خاصا في نفسي للثورة الفلسطينية . اما السياسة فهي « العلم الذي لا يحتاج الى تعلم » كما قال احدهم .. (وهي على كل حال تتلخص بكلمتين اثنتين — قوة وضعف — بمعناهما الواسع) . فباشرت باصدار ما يشبه النشرة ضمنتها مقالات ادبية وسياسية عن العالم العربي وخاصة عن القضية الفلسطينية ، وشرعت في توزيعها على الاسبرانتويين ومجلاتهم ونواديهم في القارات الخمس . وكم كانت دهشتي وسروري عظيمين عندما لاحظت بعد مدة وجيزة ان رد الفعل كان حسنا ومشجعا جدا . وانهالت علي مئات الرسائل مستحسنة ومهنئة ومشجعة . لقد لاحظت ان الاسبرانتويين هم بصورة عامة من عشاق الادب والمتطلعين للمعرفة والاطلاع وطلاب للحقيقة ، وانهم بصورة عامة يتعاطفون مع القضايا العربية ومع نضال الشعوب العربية . ولشد ما اظهروا سرورهم البالغ انه — بعد لأي ، كما يقول المثل — اصبح لديهم بعض المواد العربية باللغة الدولية . وتتلخص مواضيع هذه المواد بالكتابة وبعض الترجمات عن الادب العربي (مقتطفات مناسبة من القرآن الكريم — اللغة العربية — امثال وحكم عربية — مقتطفات من الرحلات العربية القديمة — المعري وغيره — وقصائد ومواضيع عربية اجتماعية حديثة وغيرها) ، وكذلك كتابات وترجمات سياسية مناسبة عن كفاح الشعب العربي ونضاله لاسترداد حقوقه والدفاع عن كيانه امام اطماع القوى الامبريالية المحيطة بالوطن العربي وركيزتهم اسرائيل . وقد استفدت كثيرا من منشورات مركز الابحاث في منظمة التحرير الفلسطينية في بيروت وترجمت قسما من مواده فلاقت قبولا حسنا جدا (ولكن مركز الابحاث لم يستطع مع الاسف اعادة طبع هذه المواد او طبع غيرها وذلك لاسباب مالية ، فهلا تحركت بعض النخوات العربية ؟..) لقد بلغ عدد المقالات والبحوث التي تيسر لي كتابتها ونشرها بين الاسبرانتويين حوالي المائة خلال السنوات الخمس الماضية ، وقد اقتبست مجلات الاسبرانتو الكثير منها ، كما اذيع عدد كبير منها من اذاعات وارسو وبودابست وزاغرب وغيرها . كما علمت ان قسما منها قد ترجم الى اللغات الالمانية والبرتغالية (مقال عن اللغة العربية ظهرت ترجمته كافتتاحية في مجلة المجتمع اللغوي البرتغالي ، نشبونة) والبولونية واليابانية والاكرانية والفرنسية وربما الى غيرها . ويقوم الاسبرانتويون بهذه الترجمات الى لغاتهم القومية اظهارا لتعاطفهم مع القضايا العربية . واستطيع ان اقول بفخر وتواضع اني استطعت ان اوصل وجهة النظر العربية الى قطاع مهم من الرأي العام المستنير متمثلا في جمهرة الاسبرانتويين خاصة في اوروبا والامريكتين وهي البلاد التي لا تزال تخضع لآثار سياساتها علينا في الوطن العربي . كما وزعت بينهم حوالي عشرة الاف بطاقة بريدية ملونة بديعة الطبع وبعض المواد الاعلامية والسياحية الاخرى خاصة عن العراق ولبنان . كذلك ترجمت ثلاث كراسات سياحية عن هذين البلدين العربيين الى اللغة الدولية اسوة بعشرات الدول التي تستخدم الاسبرانتو في المجال السياحي ، وقد وعد المسؤولون بطبع هذه الكراسات ونرجو ان يتم ذلك قريبا . وتبادلت مع الاسبرانتويين الاف الرسائل الشخصية تكاد تكون بالنسبة لي « دائرة معارف » لما تحتوي من اخبار وآراء وثقافات وتعليقات وانتقادات ومعلومات شيقة عن بلاد واقوام مختلفة. وكثير من هذه الرسائل كانت صريحة في ان على الشعوب العربية نفسها ان تشدد من نضالها ضد جيوب التخلف قبل ان تتوقع ان تحتل مكانها اللائق بين الامم . ولن يستطيع اي مخلص واع الا ان يرى ان التقدم الحضاري في الوطن العربي القائم على الانتفاضة على مخلفات الماضي الفاسدة ، ثم بناء المجتمعات على التقدم التكنولوجي والعدالة الاجتماعية وتطوير الثقافات الوطنية والمشاعر

القومية على اسس انسانية حديثة هو **المخرج الوحيد** الذي لا بديل عنه للالتحاق بركب الشعوب المتحررة كاملة السيادة . اما السلاح بحد ذاته فسيبقى بأيدينا مثله مثل سيف طويل تحاول التلويح به ذراع هزيلة ، الى أن تطهر كياناتنا الداخلية من الادران والامراض والنفايات السامة فنربي بذلك جسما سليما قادرا على الدفاع عن نفسه بكفاءة وعزم .

هذه خلاصة لقصتي مع اللغة الدولية التي فتحت امامي — كمثقف عربي — ابوابا على عالم جديد وطريف لحمته وسداه اناس هم حقا مدعاة للاهتمام . وهم يمثلون قطاعا واعيا من الرأي العام في مجتمعاتهم لانهم في الغالب من اصحاب المهن الفكرية والثقافية او من محبي الثقافة والاطلاع ، لذلك فانهم وسط مناسب جدا وبالغ الاهمية للاعلام العربي ولتطوير العلاقات الثقافية بيننا وبين شعوبهم — مما لا يمكن اغفاله ونحن نتلمس طريقنا للتعريف بقضايانا القومية ثم لتطوير واغناء علاقاتنا الحضارية والثقافية مع العالم الخارجي الاكثر تقدما منا — وذلك عن طريق هذه اللغة الدولية السهلة الجميلة الدقيقة الغنية بما لذ وطاب من آداب الامم الاخرى ومشاعرها وثقافاتها العديدة المتنوعة . ثم ان استخدام اللغة الدولية سيظهرنا امام العالم باننا مجددون في افكارنا واساليبنا جادون في اللحاق بركب الزمن من حولنا. وأود ان اذكر بهذه المناسبة اني نشرت مؤخرا مقالا في مجلة « الورود » البيروتية (عددي ايار وحزيران) عالجت فيه موضوع اللغة الاصطناعية بطريقة علمية وكيف اننا نستطيع اتقان هذه اللغة بسهولة ويسر لا يمكن ان يتسنى لنا مثله — خاصة نحن العرب — في تعلم اي لغة اوروبية اخرى . واوصي القارىء الكريم بالرجوع اليه ليرى ان الصعوبة الوحيدة في اللغة الدولية تتمثل فقط في مرحلة فهم الفكرة — فكرة لغة دولية — نفسها وتبين ضرورتها لعالم اليوم الذي يتسارع تقارب اجزائه بعضها الى بعض يوما بعد يوم بحيث أصبحت مسألة تقبل لغة دولية ثانوية مشتركة ضرورة قصوى وشرط اساسي من شروط تطوير مجتمع دولي افضل .

هذه دعوة مخلصة لاخواني المثقفين العرب وخاصة اخواننا الفلسطينيين منهم ممن يرغبون في الاسهام بمعركة القلم في المجال الدولي . واستطيع ان اؤكد ان مجهودي المتواضع قد فعل فعله ايضا في اغاظة الخصوم الصهاينة ومواليهم واثار حنقهم . فقد حرر احد كتابهم المعروفين مقالا كاملا عني نعتني فيما نعتني باوصاف سيئة . كما استلمت من بعضهم تهديدا صريحا بان نشاطي هذا « خطير » (وان لم يقل على من ؟!) وانه « كان الاجدر بك ان تستخدم نفوذك في اصلاح ما بين الشعوب (!) العربية نفسها». حتى ان آخر ما كتب كان تعليقا في احدى المجلات ابدى فيه « عجبه » مع « تهانيه القلبية » لعربي استطاع ان يكتشف اللغة الدولية وان يتعلمها . وكان جوابي الحزين له أن العالم العربي يهب (؟؟) من عقول ابنائه ١٥ الف عقل مفكر يسرقهم منا اسياده في الغرب كل عام .

حسين محمد العاملي

نشاط الطلاب العرب الاعلامي في اميركا

« ساعدوا غزة » . كانت هذه العبارة مكتوبة باحرف كبيرة على يافطة عريضة في قلب جامعة كاليفورنيا بمدينة بركلي في « يوم غزة » الذي اقامه الطلبة العرب في الجامعة لمناصرة غزة الباسلة . وكان الشعار لذلك اليوم : « غزة — اكبر مخيم اعتقال في العالم ، وهذه المرة يحميه اليهود الصهيونيون »(١).

« من فلسطين الى فيتنام : نضال واحد وجبهات عديدة » وهذا الشعار ايضا اصبح يتزايد في الجامعات الاميركية ، ويعود السبب في ذلك الى نشاط الطلبة العرب المتزايد والى انصارهم الاميركيين . فهؤلاء الطلبة يحاولون ايضاح وجهة النظر العربية الى الطلاب الاميركيين وحقائق قضية فلسطين والشرق الاوسط . وجدير بالذكر ان برامج امثال « يوم فلسطين » و « يوم غزة » اصبحت تقام اليوم في معاهد التعليم العالي الكبرى الاميركية ، وتقام مدعومة من قبل اشخاص معروفين ومحترمين في اوساط الطلبة الاميركيين . ومن بين هؤلاء السيد روبرت شير ، المحرر السابق لمجلة « رامبرت مغازين » الذي يقوم حاليا (١٩٧٢)

بحملة واسعة النطاق لاعلام الطلبة الامريكيين حول الوضع الراهن في الشرق الاوسط(٢).

وقام الطلبة العرب في جامعة ستنفورد الشهيرة بولاية كاليفورنيا بتظاهرة ضد اسحق رابين ، سفير « اسرائيل » لدى واشنطن . ونتيجة لذلك اضطر تأخير حديثه ١٥ دقيقة . هذا وحضر الحديث ٥٠ شخصا فقط ، في حين بلغ عدد الذين تظاهروا ضده ٤٠٠ شخص ، كما وزع الطلبة العرب اكثر من ١٠،٠٠٠ منشور (كراسة) توضح للامريكيين ظلم الصهاينة في فلسطين المحتلة(٣).

وفي جامعة ولاية بنسلفانيا ، قام طالب عربي بعرض وجهة النظر العربية للقضية الفلسطينية في « مؤسسةهليل » اليهودية وهي مؤسسة تخدم الطلبة اليهود في الجامعات هنالك . وكذلك قام طالب عربي اخر في نفس الجامعة بالقاء محاضرة حول النزاع العربي الاسرائيلي الى احد صفوف التاريخ . وكلا المحاضرتين قوبلتا بالاستحسان والتفهم للقضية(٤).

هذه هي بعض النشاطات التي يقوم بها الطلبة العرب ، جماعات وافرادا ، في معاهد التعليم العالي الامريكية ، مستهدفين ، في ذلك ، ايصال حقائق القضية الفلسطينية الى رفاقهم في الجامعات وغيرهم من المواطنين الامريكيين . وفي هذا التقرير، يدور بحثنا حول نشاط الطلاب العرب في الولايات المتحدة وجهودهم الشخصية لخدمة القضية العربية الاولى ، القضية الفلسطينية . وسنركز في حديثنا هذا على معالجة النقاط الرئيسية التالية : لمحة موجزة عن عدد الطلاب العرب وحقول تخصصهم، مدى معرفة الامريكيين بالبلاد العربية عامةوبالقضية الفلسطينية خاصة ، ووضع الطلبة العرب الاستراتيجي لخدمة القضية في الجامعات ومجالات العمل الاعلامي والوسائل المستخدمة للاعلام ، والصعوبات التي تواجه الطلاب العرب في عملهم، والقاء نظرة سريعة حول اثر العمل الطالبي في الامريكيين ، واخيرا ، نقدم اقتراحات لتحسين الوضع الاعلامي العربي على صعيد الجامعات . ومما يجب الاشارة اليه هو ان هذا البحث يركز على نشاط الطلبة العرب في جامعات الولايات المتحدة الامريكية بعد حرب ١٩٦٧ فقط .

لمحة عن الطلبة العرب :

والحديث عن الطلبة في امريكا ، يفرض علينا تقديم لمحة موجزة عن عددهم وحقول دراساتهم . تفيد احدث الاحصاءات المتوفرة لدينا للعام ١٩٧١ ، ان عدد الطلبة العرب الذين يتابعون دروسهم في الولايات المتحدة الامريكيةبلغ ٨،٢٠٤ طلاب وطالبة، ينتمون الى ١٨ قطرا عربيا ويتابعون تعلمهم في مئات الجامعات والكليات الامريكية . وبالتحديد ، فان اكبر مجموعة من هؤلاء اتت من لبنان (١٢١٠ طلاب » يليها مصر (١١٠٣) ، فالاردن وفلسطين (٩٨٧) ، فالمملكة العربية السعودية (٩٣٨) فسوريا (٤٦٥) ، فالعراق (٤٤٦) ، فالكويت (٣٥٣) ، فليبيا (٣٨٩) ، فتونس (١٢١) ، فالسودان (١١١) ، فالمغرب (٧٨) ، فالجزائر (٤٦) ، فقطر (١٧) ، فاليمن (١٤) ، فالبحرين (١٣) ، فجنوب اليمن (٥)، فالامارات المتصالحة (٢) ، واخيرا طالب واحد من مسقط . ومعظم الطلبة العرب هم من الرجال ، بنسبة ٩٤ في المائة مقابل ٦ في المائة للنساء ، وكذلك معظمهم يتابعون تخصصهم في الدراسات العليا ، بنسبة ٦٠ في المائة . ومن حيث حقل الدراسة ، فان اكبر نسبة تدرس الهندسة (٢٧٪) يليها العلوم الطبيعية (١٢٪) ، فالعلوم الاجتماعية (١١٪) ، فالانسانيات (٩٪) ، فادارة الاعمال (٨٪) ، فالعلوم الطبية (٥٪) ، فالتربية (٣٪) واخيرا الزراعة بنسبة ٢ في المائة . ويذكر ان عدد الطلبة الاجانب من كافة انحاء العالم الذين يتابعون دراساتهم في الولايات المتحدة ١٤٤،٧٠٨ للعام ١٩٧١(٥).

منظمة الطلبة العرب :

وللطلاب العرب في الجامعات الامريكية منظمة تدعى « منظمة الطلبة العرب في الولايات المتحدة وكندا ». تأسست في عام ١٩٥١ عندما بادر عدد من الطلبة الذين ادركوا ان مثل هذه المنظمة يمكن ان تكون وسيلة مثلى لخدمة القضايا العربية عامة والقضية الفلسطينية خاصة . وتكونت المنظمة لتحقيقالاهداف التالية : المساهمة في اماني العرب في التحرر والوحدة ، نشر المعلومات والحقائق عن الامة العربية وتاريخها وحضارتها وامانيها واهدافها وامكانياتها ونواحي التقدم فيها ، تشجيع الطلبة العرب في اميركا لدراسة المشاكل الاساسية التي تواجه العالم العربي وامكانية التغلب عليها ، تقديم المساعدات الممكنة للطلبة العرب الذين يدرسون في اميركا والذين ينوون الدراسة فيها في

حدود امكانياتها ، تنمية الصداقة والتفاهم مع الشعب الاميركي ، الاتصال بالمنظمات الطالبية الاخرى سواء كانت في اميركا او خارجها لتنمية اواصر الصداقة وتبادل النشرات والمعلومات(٦).

واما في مؤتمر ١٩٧٠ فقد جرى تحول جذري في اهداف المنظمة . اذا استطاعت القوى التقدمية في المنظمة حشد عدد كبير من الطلبة العرب من اجل انقاذ المنظمة من الفئات اليمينية والانتهازية . واستطاع حشد الطلبة التقدميين ان يحرز الانتصارات التالية : اجراء تغييرات على دستور المنظمة والتي اتسمت بالصبغة التقدمية والتي تشكل ضمانة لاستمرار هذا الخط التقدمي الثوري. فاحد البنود الاساسية ، مثلا ، ينص ان على المنظمة ان تبني من الطالب العربي انسانا ملتزما بالفكر الثوري كي يستطيع ممارسة دوره فيما بعد عودته للوطن للمساهمة في حل القضايا والمشاكل التي تواجه حركة التحرر العربي عامة وحركة التحرر الوطني الفلسطيني خاصة (٧).

ومن خلال القاء نظرة سريعة على البرامج التي تركز عليها ، او تدارستها ، في مؤتمراتها السنوية، يمكن للقارىء ان يدرك اهتمام المنظمة بالقضية الفلسطينية بشكل خاص . ففي المؤتمر الحادي والعشرين الذي انعقد في ٢ — ١٩٧٢/٩/٦ في جامعة الينوي (فرع شيكاغو) كان من بين المواضيع التي تباحثها المؤتمرون النقطتان التاليتان : دور الطلبة العرب في عملية تقييم حركة المقاومة واخراجها من ازمتها التاريخية الاتية ، وعقد ندوة بعنوان « المهام الراهنة امام حركة المقاومة » القاها ممثلو فصائل المنظمات الرئيسية(٨). وفي المؤتمر العشرين الذي انعقد في جامعة هيوستن في تكساس في ٢٦ — ١٩٧١/٨/٢٩ فقد خصص جميع برامجه للقضية الفلسطينية تحت عنوان « الثورة الفلسطينية والثورة العربية — تحديات وآفاق » . والمواضيع التي بحثت تشمل: النضال الفلسطيني عبر التاريخ ، المقاومة منذ ايلول ١٩٧٠ ، فلسطين الديمقراطية ، الوحدة الوطنية خلال مراحل فلسطين التحرير ، دور المثقفين في الثورة العربية ، الثورة الفلسطينية والواقع العربي . وقد دعي الى المؤتمر اكثر من عشرين منظمة طالبية اميركية ، كما دعي عدد من الشخصيات العربية الفكرية المهتمة بالشؤون الفلسطينية(٩).

وركز المؤتمر السنوي التاسع عشر الذي انعقد في مدينة لونج بيش بولاية كاليفورنيا في ٨/٢٩ — ١٩٧٠/٩/٢ على حلقة دراسية حول « العمل الطالبي في خدمة الثورة الفلسطينية » (لقاء مع وفد طلاب فلسطين) ، وحلقات دراسية عن « الثورة الفلسطينية ، البعد العربي واستراتيجية الثورة » ، ثم حلقات دراسية عن « البعد العالمي للثورة الفلسطينية »(١٠).

وختم المؤتمر اعماله بعد ان اقر شجب الحلول الاستسلامية كما اقر الخط السياسي الجديد للمنظمة . ومن ابرز نقاط الخط الجديد الكلمات التالية : « ان الصهيونية هي حركة استيطانية عنصرية حليفة للاستعمار ومعادية لتطلعات الجماهير العربية وامانيها في التحرر والاستقلال والتقدم ، كما وان اسرائيل تشكل قاعدة امامية للاستعمار والامبريالية تستعمل كأداة ودرع وتأخير لمسير الثورة العربية ، ولا بد من مواجهة هذا العدو وقلعه من الارض الفلسطينية ودحره الى الابد . اكدت تجارب شعوب القارات الثلاث — اسيا وافريقيا واميركا اللاتينية — في حربها ضد قوى الاستعمار ، ان التحرر والخلاص الوطني من قبضة الاستعمار لا يأتي الا عن طريق حرب التحرير الشعبية الطويلة الامد ، التي فيها يتم حشد مجموع طاقات الشعوب وتعبئتها لمحاربة القوى الاستعمارية »(١١).

وتصدر اللجنة التنفيذية في منظمة الطلبة العرب صحيفة تدعى « الاخبار » ، وهي نشرة تربوية ثقافية تستهدف تحسين الروابط بين الشعبين الاميركي والعربي ، وتنقل اخبار الطلاب العرب ونشاطهم وكل ما يتصل بالقضية الفلسطينية باللغتين الانكليزية والعربية.

جهل الاميركيين بالمنطقة والقضية :

ولا بد لنا من تذكر بعض الشيء عن جهل الاميركيين بالمنطقة وبالقضية الفلسطينية ، وكل من يزور اميركا ويتباحث مع اهلها يدرك ذلك تمام الادراك. فالاميركيون اجمالا غير مطلعين على الشؤون الدولية، كما يتوقع من شعب متعلم وقوي ومتقدم . ويعود ذلك الى ان الصحف الاميركية وغيرها من وسائل الاعلام تركز عادة على الاخبار المحلية والاميركية اكثر من اي اخبار اخرى . واما بالنسبة للشرق الاوسط ، فان اخبار اسرائيل تحتل الصدارة في

وسائل الاعلام ، نظرا لطغيان الدعاية الصهيونية هناك ، ولغياب الوجود الاعلامي العربي الرسمي المنظم .

والامثلة التالية تلقي الاضواء على صحة ذلك : جاء في مقال في صحيفة « مدل ايست انترناشونال » التي تصدر في لندن في مقال لها عن الطلاب العرب في الولايات المتحدة ان سيدة فلسطينية نشيطة في حقل القضية كتبت رسالة الى البيت الابيض حول ازمة الشرق الاوسط . ورد البيت الابيض برسالة جاء فيها : « اشكرك على استفسارك عن قضية فيتنام » ، اي ان البيت الابيض اخذ يخلط بين الشرق الاوسط وفيتنام . ونقل كاتب المقال عن لسان طالب مصري بأنه عندما يعرف عن نفسه انه طالب مصري ، فان جواب الشعب يأتي دوما « حسنا » ، انت يهودي « اي انهم يخلطون ايضا بين المصري واليهودي ، رغم ان الشاب المصري هذا غير يهودي . وهذا لا يقتصر على عامة الشعب فقط ، بل حتى طلاب الدراسات العليا يجهلون ابسط الحقائق عن المنطقة وبالتالي عن القضية . ويطرح الشعب اسئلة تظهر سذاجتهم بشكل واضح ومنها : هل انت من العربية (الجزيرة) ؟ كما انهم يظنون ان مدينة دمشق هي في مصر . كما يظن الشعب الاميركي بان قضية الشرق الاوسط هي قضية نزاع بين العرب واليهود ولا يعلمون جوهر القضية التي هي نزاع بين الفلسطينيين والصهيونيين »(١٢). هذا ولقد اختبر كاتب هذا المقال تجارب اغرب مما ذكر ، ومن ابرزها ان لبنان يقع في اوروبا ، في مكان ما بجوار سويسرا وفرنسا . او حتى البعض منهم لا يعرف بان ثمة بلدا اسمه لبنان . وبالاضافة الى كل ذلك ، يطرح الاميركيون من طلاب وغيرهم اسئلة بسيطة جدا ، تبرهن عن الجهل الفادح بالمنطقة وبوسائل العيش الاساسية. فالاسئلة التي تطرح هي : هل تعيشون في الخيم؟ هل عندكم تلفونات؟ هل عندكم تلفزيونات؟ هل تجلسون على الكراسي ؟ كيف تأكلون : باليد ام بالشوكة والسكين ؟ الخ .

وعلى الرغم من كل ذلك الشيء الذي ينبغي التشديد عليه هو ان الشعب الاميركي اجمالا لطيف ، وطيب القلب ومنفتح على الاخرين ، وفوق ذلك يحب ان يعلم عن الاخرين ، ولا يخاف ان يقول : انا لا اعرف ، حدثني عن بلدك او عن نفسك .

مجالات العمل :

والان نأتي الى صلب الموضوع ، بحيث يتجسد نشاط الطلبة العرب الاعلامي في مجالات عديدة ، ابرزها : مؤتمرات سنوية للمنظمة (كما ذكرنا) ثم قيام برامج تدعى « اسبوع فلسطين » و « يوم غزة » ، وقيام حفلات شاي وقهوة ونزهات ، عقد ندوات وكتابة رسائل الى الصحف وتوزيع نشرات ، القاء محاضرات واحاديث في الجامعات وفي خارجها ، تنظيم تظاهرات والاشتراك بالمعارض وبالمهرجانات الدولية ، الخ .

١ — **اسبوع فلسطين ويوم غزة :** ومن ابرز ما يقوم به الطلبة العرب في الجامعات الاميركية ربما تنظيم برامج حول « فلسطين » و « غزة » يدعون الطلاب والاساتذة اليها ، يتكلم عادة في تلك البرامج شخصيات اميركية مهتمة في القضية الفلسطينية ومفكرين عرب . وتشمل الوسائل التي يستخدمها الطلبة العرب في البرامج عادة عرض صور واعلام عن فلسطين وتوزيع مناشير حول القضية ، وتنظم رحلات ونزهات وعرض ازياء عربية وفلسطينية تشترك فيها فتيات عربيات واميركيات، وتختتم عادة بجمع تبرعات لصندوق فلسطين . ويشترك في البرامج هذه مفكرون وكتاب عرب ، وممثلون عن المقاومة ، واساتذة اميركيون، وسفراء اميركيون سابقون في البلاد العربية ، وممثلو الدول العربية في الامم المتحدة ، ويهود غير صهيونيين . وفي يوم غزة ، في جامعة كاليفورنيا ، الذي سبق القول عنه ، خصصت صحيفة « ذي دايلي كاليفورنيا » وهي صحيفة الجامعة الطالبية التي توزع ٤٠،٠٠٠ نسخة يوميا، صفحة كاملة عن نشاط الصهيونيين ومقاومة ابناء غزة لهم . واثناء النهار طافت سيارة تحمل مكبر الصوت في شوارع بركلي، ودعت الشعب الى حضور الاجتماع . ونتيجة لذلك فقد حضر الاجتماع ٦٠٠ شخص . وعلقت الصحيفة المذكورة على ذلك بان هذا العدد الكبير من الحضور اثار دهشة بعض المراقبين هناك لانه كان اكبر عدد يحضر اجتماعا سياسيا في الجامعة خلال عام اتسم بالرقود الطالبي . وكان المتكلم الرئيسي السيد روبرت شير ، وهو اميركي من اصل يهودي ولكنه ينتمي الى اليسار الجديد ، فجذب انظار الحضور واوضح كيف يجب على اليهود ان يتحرروا من الصهيونية ، ثم تطرق الى القاء نظرة حول تاريخ حركة المقاومة الفلسطينية من خلال احداث غزة

وذعا اليهود التقدميين الى تحرير أنفسهم من الدعاية الصهيونية . وفوق ذلك فان محاضرته قد اذيعت في اليوم التالي من على الراديو بحيث وصلت الى ملايين الناس كما نشرت الصحف نشاط يوم غزة على نطاق واسع(١٣).

٢ ــ **تعلموا عن فلسطين** : وفي جامعة كولومبيا الشهيرة في نيويورك اقيم مهرجان تعليمي Teach-in حول قضية التحرير العربية التي تواجه الامبريالية الصهيونية . وكان الغرض من المهرجان المذكور دعم النضال الثوري العربي . ومن ابرز المواضيع التي بحثت المحاضرات والمناقشات التي دارت حول : حركة التحرير الفلسطينية ، طبيعة واستراتيجية اسرائيل ، الثورة العربية ، الصهيونية ، ودور الاستعمار والامبريالية في المنطقة . وقد تكلم في البرنامج عدد من العرب والاميركيين المهتمين بالقضية الفلسطينية(١٤).

٣ ــ **رسائل الى الصحف** : ويرسل الطلبة العرب رسائل الى الصحف تنشر عادة في بريد القراء ، مقدمين ايضاحات حول ملابسات القضية الفلسطينية .

٤ ــ **الاتصالات بالمنظمات الراديكالية** : يعمل الطلبة العرب مع التنظيمات الطالبية الراديكالية واليسارية الجديدة التي تجتاح معظم الكليات والجامعات الكبيرة في الوقت الحاضر في اميركا . وهذه المنظمات تتعاطف مع حق الشعب الفلسطيني في الحياة والحرية والعودة الى ارضه الاصلية . وفي هذا المجال،قابلت الانسة الشابة لندا جانس في جامعة جنوب الينوي اثر محاضرة القتها في الخريف الماضي في مهرجان انتخابي . هذه الفتاة مرشحة عن حزب العمال الاشتراكي . عندما سألتها ، في سياق حديثنا، عن رأيها في القضية الفلسطينية، اجابت بالكلمات التالية : « نحن ، في حزب العمال الاشتراكي ، نعارض الحركة الصهيونية ونعتبرها جزءا لا يتجزأ من الامبريالية العالمية . ونحن ندعم حقوق الشعب الفلسطيني ، غير اننا لا نقف مع فريق ضد الاخر في الصراع القائم حاليا في الشرق الاوسط . لذا ، نحن نؤيد حركة فتح الفدائية التي تدعو الى قيام دولة ديمقراطية تضم العرب واليهود في أمة واحدة على السواء »(١٥). هذا ولقد قرأت خبرا في صحيفة الحزب المذكورة والتي تدعى « ذي ميلتنت » عن حركة المقاومة وكان الخبر في الواقع مكتوبا بدقة وبموضوعية ، فلما ترى خبراً من هذا النوع في تلك البلاد .

٥ ــ **اتصالات شخصية** : ولعل افضل الوسائل لخدمة القضية الفلسطينية تتمثل في الاتصالات الشخصية والفردية ، وهذا دون شك افضل وسائل الاعلام الذي يستخدمه الطلاب العرب . وجدير بالذكر ان معظم احاديث الطلبة العرب ، وخاصة الفلسطينيين ، تركز بشكل رئيسي حول القضية الفلسطينية وشرح ملابساتها وتقديم الحقائق عنها .

أثر نشاط الطلبة :

بعد كل ما تقدم ، السؤال الذي يطرح نفسه بصورة جد بديهية هو : ما هو اثر نشاط الطلاب العرب في اميركا وما هي مدى فعاليته ؟ في الواقع لا يستطيع احد ان يعرف تماما اثر نشاط الطلبة الاعلامي ، لان هذا الباحث لم يعثر على اية دراسة حول هذا الموضوع ، غير ان جميع الدلائل المتوفرة، نتيجة للتجارب والاتصالات الشخصية ، تشير الى ان نشاط الطلاب ذا اثر ، وذلك ضمن امكاناتهم المحدودة . ففي كل حوار او مناقشة يتفوق الطلبة العرب على الصهيونيين . وهذا ما لمسته غير مرة في اميركا ، لان الحضور يتجاوب مع الافراد الذين يقدمون اكبر نسبة ممكنة من الارقام والحقائق . وهذا ما يفعله الطلبة العرب .

وفي هذا المجال بدأت المنظمات الصهيونية تعرب عن ضيقها بنشاط الطلاب المتزايد فكتب مراسل النيويورك تايمز يقول ، نقلا عن تقرير للمنظمة الصهيونية المسماة « بناي بريث » التي ادعت ان جماعات الدعاية العاملين في الولايات المتحدة الذين يتعاونون مع جماعات اميركية متطرفة ، يدعمون حركة فتح الفدائية التي تشن حربا ضد اسرائيل . وقال السيد ارنولد فوستر ، من المجلس العام للعصبة المذكورة ، ان جماعات الدعاية تشمل حوالي ١٠،٠٠٠ طالب في منظمة الطلبة العرب في الولايات المتحدة كما تشمل جماعات شيوعية واليسار القديم والراديكاليين الجدد ، وبعض السود الثوريين . وجاءت هذه الهجمات والادعاءات في تقرير للعصبة من ٢٧ مكتبا اقليميا في جميع انحاء الولايات المتحدة . وكان التقرير قد صدر نتيجة لتزايد العطف على العرب في الغرب والذي سبب اثارة اهتمام اسرائيل . وتابع فوستر يقول « ان حملة تبرع ودعاية قامت لمنظمة فتح في العام الماضي (١٩٦٨) ، وقام بها جماعة من الطلبة

الفلسطينيين العرب في هذه البلاد . وفي ديترويت بولاية ميشغان يقوم اعضاء منظمة الطلبة العرب بحملة لجمع التبرعات . وفي بعض الاحيان يقومون بالتعاون مع الجماعات الناشئة من التروتسكيين وحزب العمال »(١٦). وقبل هذا التقرير بسنوات، كانت منظمات الصحف الصهيونية قد بدأت ايضا الاعراب عن ضيقها بنشاط الطلبة العرب ، فكتبت صحف اسرائيلية ، تحذر من نشاطهم المتزايد في الولايات المتحدة ، كما فعلت الشيء نفسه صحيفة « النيويورك تايمز » في مقال نشر في تشرين الاول (اكتوبر) سنة ١٩٦٦(١٧). هذا وقد بدأت السلطات الاميركية ، منذ حادث ميونخ ، تمارس سياسة ارهابية ضد الطلبة العرب في الولايات المتحدة تتمثل في الملاحقات المستمرة والمضايقات المتنوعة .

هذا ويتجلى اثر نشاط الطلبة العرب في الجهود التي يبذلها بعض الاميركيين والاجانب في نصرة القضية الفلسطينية . ففي هذا السبيل ، كتب البروفسور الاميركي « ثرمان ل. بروكس » ، وهو استاذ العلوم السياسية في جامعة جنوب الينوي بالاشتراك مع طالب الدكتوراه الهندي السيد س . كماراتنام ، الى صحيفة الجامعة « ذي دايلي ايجبشان » رسالة الى المحرر تحت عنوان : « من هو اللاجيء ؟ » ذكرا فيها ان العالم يتناسى اللاجئين الفلسطينيين الذين طردوا من بلادهم الاصلية بالقوة وهم اليوم مازالوا في حالة يرثى لها.

وفوق ذلك، لا يمكن للقارىء ان يتصور مدى اثر نشاط الطلبة العرب وفعاليته في الوقت الحاضر، لانهم يقومون بنشاط مع الطلاب في الجامعات . ولا يخفى ان هؤلاء الطلبة اليوم لا نفوذ لهم في الحكومة ولا في سياسة اميركا الخارجية . ولكن النقطة التي اود ان اركز عليها هي : ان الطلبة العرب يدرسون مع قادة المستقبل في اميركا وزعمائها وطليعة الرأي العام الاميركي . فمن هؤلاء دون شك سيتخرج الحكام والسياسيون والمحامون والقضاة والاطباء والمهندسون والاداريون والعلماء والمدرسون ورجال الاعمال وربات البيوت ، الخ. ومعنى ذلك ان البذور التي يغرسها اليوم طلبتنا في الخارج سوف تنمو وتكبر وتصبح يوما شجرة كبيرة ، تعطي اثمارا . ولكن الذين يريدون نتائج لنشاط الطلبة على جناح السرعة ، فهذا شيء شبه مستحيل في الوقت الحاضر . وثمة مثل غربي يقول : « لم تبن روما بيوم واحد » .

صعوبات تواجه الطلبة :

يمر نشاط الطلبة العرب الاعلامي وجهودهم بعقبات جمة ، منها داخلية ومنها خارجية ، البعض منها يمكن التغلب عليها بسهولة والبعض الاخر يتطلب جهودا كبيرة . ومن ابرز الصعوبات التي تواجه عملهم الاعلامي في اميركا تتلخص بما يلي :

١ — لعل اول ما تعاني منه منظمة الطلبة العرب في الوقت الحاضر هو الحصول على المال الكافي للقيام بنشاطها على خير ما يرام . فالمال مهم في الحقل الاعلامي ، كما لا يخفى على احد . وتعاني المنظمة بشكل خاص من صعوبات مالية نظرا للحصار الذي فرضته السفارات العربية عليها ، فقد ادى هذا الحصار الى الحد من قدرة المنظمة على التحرك والانطلاق واتمام المشاريع التي كانت قد وضعتها ووعدت الطلبة بها واهمها اصدار المجلة الدورية .

٢ — ويعاني العمل الطالبي الاعلامي من فقدان العمل الموحد في هذا الشأن . فمن المعلوم ان الطلبة العرب في اميركا لا يسيرون وفق خطة مدروسة وموحدة ، بل وفق فئات مختلفة ، سياسيا واجتماعيا . فهذه الفئات لا تستجيب الى اهداف المنظمة وبرامجها . اضف الى ذلك ان ثمة عددا من المؤسسات العربية التي تعمل ايضا بشكل مستقل ولا تبدي رغبتها في التعاون مع المنظمة ، مما يؤدي الى تشتت الجهود الاعلامي العربي . وثمة فئات أيضا من الطلبة العرب تتأثر ببعض الجماعات الطالبية بالفكر غير الواعي لبعض فئات اليسار الجديد في الولايات المتحدة ، مما يسبب وجود مزيد من التنافر بين الطلبة العرب في أميركا ، ويأتي كل ذلك في الوقت الذي يحتاج فيه العرب الى المزيد من الاتحاد وليس المزيد من التباعد والتنافر. فخلافات الدول العربية نفسها هنا تنعكس هناك أيضا . فكل فئة تميل الى دولة عربية أو أكثر .

٣ — واخيرا ، لا بد من ذكر ضغوط الدعاية الصهيونية . فمما لا جدال فيه ان عدد الطلاب العرب ضئيل جدا بالنسبة لعدد اليهود الصهيونيين وأنصارهم . فقوة الدعاية الصهيونية والاسرائيلية نفسها كبيرة وقوية جدا وذات نفوذ وخاصة في وسائل الاعلام الجماهيرية ، كالراديو والتلفزيون والصحف والمجلات . والدعاية الصهيونية صناعة

قديمة ومدروسة للغاية ، يقوم بتخطيطها علمـاء واختصاصيون في هذا الفن .

اقتراحات لتقوية النشاط الاعلامي

وختاما ، فما هي أبرز الخطوات الواجب اتخاذها لجعل نشاط الطلبة العرب الاعلامي أكثر فعالية وايجابية ؟ لعل ابرز الامور التي يمكن القيام بها لتوحيد الجهود ولتصعيد النشاطات الاعلاميةتتلخص بما يلي : تزويد الطلاب العرب بأحدث الكتـب والمنشورات والوثائق والصحف والمجلات حـول القضية الفلسطينية باللغة الانكليزية . ثم توفير المال الكافي الى منظمـة الطلبة العرب لاتمـام مشاريعها الاعلامية وفصل السياسة عـن النشاط الاعلامي . وكذلك يجب توفير نوع من الحماية العربية للطلاب العرب الذين يتعرضون للضغـوط الصهيونية او الذين يحتاجون الى مساعدات مالية نتيجة لجهودهم للمساهمة في النشاط الاعلامي . ويحسن استقطاب العنـاصر الطالبية الاميركيـة المتعاطفة مع القضية وتجنيدها للعمـل الاعلامي العربي ودعمها ماديا ومعنويا ، كما يحسن تقديم منح للطلاب الاميركيـين المهتمين بالقضية السي الدراسـة في الجامعات العربية وذلك كي يطلعوا عن كثب على أحوال قضايا البلاد العربية واحوال اللاجئين . وكذلك يجدر تسهيل الزيـارات لبعض الفئات والافراد الاميركيين المتعاطفين مع القضية الى زيارة البلاد العربية وخاصـة قرى الحدود ومخيمات اللاجئين التي تتعرض للعدوان الاسرائيلي بين الحين والاخر . واخيرا ، لا بد من تأليف لجنة اعلام عربية عليا توجه عمل الطلاب في اميركا .

الدكتور الياس زين

---

١ — *The Daily Star* (Beirut), January 20, 1972.

٢ — *Ibid.*

٣ — *Ibid.*

٤ — *News* (Organization of Arab Students in the USA), May, June 1970, p. 5.

٥ — *Open Doors 1971*, (New York: Institute of International Education).

٦ — عن كتيب تحت عنـوان : **مؤتمر الطلاب العرب الاول** ، مارس ١٩٥٩ (منظمة الطلبة العرب في الولايات المتحدة الامريكية) ، ص ٣ — ٥ .

٧ — مجلـة « **الهدف** » (بيروت) ، ١٤/٨/ ١٩٧١ .

٨ — مجلة « **الرايـة** » (بيروت) ، ١٠/٧/ ١٩٧٢ .

٩ — « **الهدف** » ١٤/٨/١٩٧١ .

١٠ — وصفحة واحدة على ستانسل ، دون تاريخ، باللغة الانكليزية (مكتبة الدراسات الفلسطينية).

١١ — نشرة « **الاخبار** » (منظمة الطلبة العرب في الولايات المتحدة) تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٧٠ ، ص ٦ .

١٢ — Henry P. Burn, "Arab Students in the USA," *Middle East International (London)*, Vol. 12, March 1972, pp. 27-29.

١٣ — *The Daily Star*, January 20, 1972.

١٤ — *The Militant* (publication of Socialist Worker's Party, USA), 11/4/1969.

١٥ — مقابلة الكاتب مع الانسـة لندا جـانس اجريت في جامعة جنوب الينوي في ٩/١٠/١٩٧١.

١٦ — *The New York Times*, (April 20, 1969).

١٧ — « **الاسبوع العربي** » (بيروت) ، ٢٠/٢/ ١٩٦٦ .

الاعلام العربي المشتـــرك في اطار جامعة الدول العربية

يقتضي التعرض للاعلام العربي المشترك في اطار جامعة الدول العربية البدء بتحديد مفهوم الاعلام ومدى اختلافه عن مفهوم الدعاية . ويمكن القول ان الاعلام Information عبارة عن مجموعة من الحقائق المرتبطة بموضـــوع او قضية معينـــة أو مواضيع أو قضايا معينة تنقل مـــن مرسل لهذه الرسالة الاعلامية الى مستقبل audience لها عن طريق عدة وسائل أبرزها وسائل الاعلام الجماهيري mass media والاتصال المباشر .

وهذا يختلف عن مفهوم الدعاية Propaganda وهو عبارة عن مجموعة من الحقائق المغرضة او المشوهة او المناقضة التي تهدف الى تغيير المنطق الذاتي لمتقبلي الرسالة الاعلامية وتجعلهم يتخذون موقفا معينا ما كانوا يتخذونه لو لم يتعرضوا لمثل هذا العمل الدعائي(١).

وتعتبر جامعة الدول العربية اطارا من اطارات العمل العربي المشتـــرك في المجالات السياسية والاعلامية والاقتصادية والثقافية والصحية والفنية الخ ... اي ان الاعلام العربي المشترك يعتبر أحد جوانب العمل العربي المشتـــرك في اطار جامعة الدول العربية(٢).

ويقتضي التعرض للاعلام العربي المشترك تناول ما يلي(٣). اولا : تنظيم جهاز الاعلام العربي في اطار جامعة الدول العـــربية . ثانيا : المنطـــق الاعلامي المشترك للدول العربية . ثالثا : وظيفة الاعلام العربي المشترك .

اولا : تنظيم جهاز الاعلام العربي في اطار جامعة الدول العربية :

يمكن تحديد الاطار التنظيمي لجهاز الاعلام العربي فيما يلي :

(١) اجهزة التخطيط والتوجيه والمتابعة

مجلس وزراء الاعلام العرب : يتألف مـــن وزراء الاعلام في الدول الاعضاء ، وعادة ما يجتمع مرة سنويا ، وينظر المجلس في السياسة الاعلاميـــة العربية المشتركة ، ويقوم بدراسة ما يرفع اليه من تقارير عن الدعاية المضادة وطرق مجابهتها كمـــا يدرس توصيات اللجنة الدائمة .

اللجنة الدائمة للاعلام العربي : تتألف من رؤساء أجهزة الاعلام في الدول الاعضاء ، وتجتمع مرتين في العام كما يجوز أن تجتمع على دورات استثنائية لدراسة المشروعـــات الاعلامية واقتراح الخطـــة الاعلامية والعمل على وضع السياسة الاعلامية التي يرسمها مجلس وزراء الاعلام موضع التنفيذ وتتابع جهود جهـــاز الاعلام بالجامعة ومكاتبـــه بالخارج .

وللجنة أن تستعين في دراساتها بالمتخصصين العرب في مجال الاعلام بوصفهم خبراء لاعداد بحوث في موضوعات تعينها لهم .

المكتب الدائم للدعوة العربية : يتألف من الملحقين الصحفيين في السفارات العربية بالقاهرة ومندوب عن هيئة الاستعلامات المصريـــة لتحقيق الصلـــة المستمرة بين الامانة العامـــة والدول الاعضاء . ويشمل اختصاص المكتب المشروعات الاعلامية التي يستدعي تنفيذها مراجعة الدول الاعضاء والاتصال بها وتقوم الامانة العامة باطلاع المكتب على تقارير مكاتب الاعلام العربي في الخارج المفصلة لاوجه نشاطها والحملات الاعلامية والرأي العام في المنطقة التي تعمل بها بحيث يكون المكتب الدائم صلة فعالة بين جهاز الاعلام العربي في الامانة العامة والدول الاعضاء ، اما الهيئة التي يستمد منهـــا المكتب سلطته بجانب الدول الاعضاء فهي اللجنة الدائمة للاعلام العربـــي التي تقدم اليهـــا تقارير المكتب وتوصياته(٤).

(٢) الهيكل التنظيمي للجهاز

يرئس الجهاز الامين العام المساعد المشرف على شؤون الاعلام ويتكون الجهاز من ادارة مركزية وفروع في الخارج .

١ ــ الادارة المركزية : يرئسها مدير . ونص قرار الامين العام رقم ٩٤ لعام ١٩٦٩ على أن العمل يتوزع في الادارة بين لجنة ومكتبين وثلاثة اقسام :

أ ــ لجنة التخطيط والمتابعة : يرئسها مدير الادارة وتشكل من الوكيل ورؤساء الاقسام وتجتمع يوميا برئاسته واسبوعيا برئاسة الامين العام المساعد المشرف على جهاز الاعلام ، ومهمة هذه اللجنـــة دراسة اعمال المكتب الفنـــي وتحديد السياسة المرحلية والدائمة للعمل الاعلامي ودراسة مشروعات الخطط الاعلامية والبرامج التي يقترحهـــا قسم التخطيط والمتابعة ومشروعات الانتاج التي يقترحها

تقسم الانتاج الاعلامي والنظر فيما يعد للعرض على اجهزة التخطيط والمتابعة وتقييم العمل الاعلامي في ضوء تقارير المتابعة ووضع برامج التفتيش الفني والاداري والمالي على اعمال مكاتب الجامعة في الخارج وتنسيق العمل بين اقسام ادارة الاعلام.

ب ــ **المكتب الفني** : يتلقى ما يرد من جميع مصادر الانباء والمعلومات كما يتلقى تقارير الحكومات العربية ومكاتب الجامعة في الخارج وذلك مباشرة او عن طريق قسم التخطيط والمتابعة الذي يزود المكتب بصور ما يرد اليه ويدرس المكتب كل ذلك بهدف تحليل اتجاهات ومواقف الرأي العام والتوصية بالسياسة الواجب اتباعها واقتراح مضمون الخطط الاعلامية والتوصية بما ينبغي ان يصدر من بيانات او مطبوعات ويدرس ما يتعلق بشؤون المقاطعة بالتعاون مع باقي الاقسام .

ج ــ **مكتب العلاقات العامة والصحافة** : ينقسم العمل بهذا المكتب الى (١) مركز العلاقات العامة ويقوم باعداد وتنظيم زيارات الوفود والشخصيات للبلاد العربية بالتعاون مع مكاتب الجامعة في الخارج من جهة وحكومات الدول الاعضاء من جهة اخرى كما يقوم بالاتصالات التي يكلف بها على الصعيدين العربي والدولي . (٢) المركز الصحفي ويتولى تنظيم الاتصال بأجهزة الاعلام ورجال الاعلام واهل الفكر وينظم عقد المؤتمرات الصحفية ويصدر البيانات والنشرات الصحفية ويدعو رجال الاعلام للاجتماعات العربية .

د ــ **قسم الشؤون الادارية** : يعتبر مسئولا عن حسن سير العمل في جميع اقسام ووحدات الادارة فيتلقى بريد الادارة ويتابع تنفيذ التعليمات ويتولى العمل الاداري المتعلق بالجهاز ... الخ .

هـ ــ **قسم الشئون المالية والعاملين بجهاز الاعلام** : يوجد بالادارة المالية وشئون الموظفين قسم للشئون المالية والعاملين بجهاز الاعلام تسند اليه جميع الاعمال المالية والحسابية وشئون العاملين ويتولى مراقبة ومراجعة مصروفات الجهاز .

و ــ **قسم التخطيط والمتابعة** : يتولى اقتراح مشروع الخطط الاعلامية وتنسيق العمل الاعلامي وتجميع المعلومات والوثائق وتبويبها واعداد البحوث والدراسات ومتابعة تنفيذ الخطط والبرامج الاعلامية والاشراف على اعمال مكاتب الجامعة في الخارج .

ويعمل على تعزيز العلاقات بالاتحادات والمنظمات العربية والاجنبية والجاليات العربية وجمعيات الصداقة ومنظمات الطلبة والعمال العرب في الخارج ويتولى العمل في هذا القسم شعبتان :

١ ــ **شعبة المتابعة** : وتقوم بمتابعة اعمال الامم المتحدة ووكالاتها المتخصصة والمنظمات المختلفة واوروبا وافريقيا واسيا والامريكتين .

٢ ــ **شعبة الوثائق والمعلومات والبحوث** : ينقسم العمل بها الى ثلاث وحدات : ١ ــ **المعلومات** : تتولى هذه الوحدة تبويب المعلومات وحفظها وحفظ الوثائق وتقوم بتنظيم مكتبات الافلام والصور والخرائط . ٢ ــ **البحوث**: تتولى اعداد الدراسات والبحوث وتتعاون مع مراكز البحوث والدراسات وتقترح البرامج المرحلية وبعيدة المدى تمهيدا لتوزيع اعبائها بينها وبين المراكز الاخرى : ٣ ــ **الترجمة** : تقوم بأعمال الترجمة .

ز ــ **قسم الانتاج الاعلامي** :

مهمته انتاج المواد الاعلامية ويتولى العمل في هذا القسم : ١ ــ **شعبة التحرير والمطبوعات** : تتولى امور النشر وتعميمه والاشراف على اصداره . ٢ ــ **شعبة الصوت والصورة** : تتولى اعداد الشرائح الملونة والصور الفوتوغرافية وانتاج الافلام السينمائية الخاصة بالاعلام واعداد التسجيلات الاذاعية . ٣ ــ **شعبة المعارض والسياحة** : تتولى تنسيق التعاون العربي في مجال المعارض في اطار الهيئة العربية للمعارض وفي مجال السياحة بالتعاون مع الاتحاد العربي للسياحة . ٤ ــ **شعبة الطباعة** : تقوم بتصوير المستندات وطبع الكتيبات والنشرات(٥).

٢ ــ **مكاتب الجامعة العربية في الخارج** : وهي مكاتب الجامعة العربية في الولايات المتحدة الامريكية / مكتب نيويورك ، واشنطن ، شيكاغو، سان فرنسيسكو ، دلاس/ ، مكتب الجامعة في كندا/اوتاوا/ ، مكتب الجامعة في بيونس ايرس بالارجنتين ، مكتب الجامعة في ريو دي جانيرو بالبرازيل ، مكتب الجامعة في لندن ببريطانيا ،مكتب الجامعة في باريس بفرنسا ، مكتب الجامعة في جنيف بسويسرا ، مكتب الجامعة في روما بايطاليا، مكتب الجامعة في بون بالمانيا الغربية ، مكتب الجامعة في نيودلهي بالهند ، مكتب الجامعة في طوكيو باليابان ، وبالنسبة لافريقيا هناك ملحق

مصغي في لوروبي واخر في داكار(٦). وعادة ، يوجد بهذه المكاتب مسئولون عن العلاقات العامة والصحافة والبحوث ... الخ وفقا للامكانيات المتاحة واحيانا تقوم بمهام تمثيلية مثل مكتب نيويورك .

وتتعاون الهيئات العربية التالية مع المكاتب الخارجية : أ ـ **لجنة رؤساء البعثات الدبلوماسية العربية** : تتألف من رؤساء البعثات الدبلوماسية والقنصلية العربية ومديري المكاتب في المنطقة التي يعمل بها المكتب ومهمتها التعاون وتبادل الرأي والاتفاق على الخطة العربية . ب ـ **اللجنة الاعلامية** : تتكون من مديري المكاتب الخارجية ويجتمعون اجتماعات دورية لدراسة الموقف الاعلامي العربي وتبادل المعلومات وتوحيد الخطط الاعلامية التي ينفذها كل مكتب حسب امكانياته المتاحة .

ج ـ **اللجنة الاقتصادية** : تتالف من القائمين على الشئون الاقتصادية في السفارات العربية في الخارج ومهمتها دراسة المصالح العربية الاقتصادية في الدول التي تعمل بها ومتابعة النشاط الاسرائيلي الاقتصادي واقتراح طرق مجابهته . د ـ **اللجنة الثقافية** : تتألف من الملحقين الثقافيين بالسفارات العربية . وتعمل اللجان الثلاث بتوجيه من مجلس رؤساء البعثات الدبلوماسية العربية(٧).

ثانيا : المنطق الاعلامي المشترك للدول العربية :

يمكن تقسيم هذا المنطق الى منطق سلبي ومنطق ايجابي(٨).

المنطق السلبي : يمكن تحديد المنطق السلبي للاعلام العربي المشترك فيما يلي :(٩)

ـ **اسرائيل حقيقة إستيطانية** : يستند المنطق الاعلامي العربي الى ابراز الحقائق عن الصفة الاستيطانية لاسرائيل والتصدي لمزاعمها التاريخية وابراز الادلة العلمية التي تثبت عروبة فلسطين وابراز اغتصاب فلسطين عام ١٩٤٨ والعوامل التي مهدت لذلك ، والاستناد في هذا المصدر الى الادلة الاثرية وكتابات الاجانب ومنهم بعض اليهود غير الصهاينة لاثبات الصفة الاستيطانية لاسرائيل .

ـ **ابراز الحقائق الدينية المرتبطة باسرائيل واليهود والعرب** : وذلك بتفنيد « الوعد الالهي » وغير ذلك من المزاعم الصهيونية مع الاستناد الى المتخصصين في هذا الصدد وان الوعد شمل العرب ايضا .

ـ **ابراز وجود الديانة اليهودية وعدم وجود ما يسمى بالعنصر اليهودي** : تفنيد الادعاءات الخاصة «بالعنصر اليهودي» و«الامة اليهودية» و«القومية اليهودية» وحقيقة وجود ديانة يهودية لاناس مختلفي العناصر والاصل الانتروبولوجي مع الاستناد الى كتابات المختصين في الانتروبولوجيا والتاريخ وغيرها .

ـ **اسرائيل حقيقة استيطانية مرتبطة بالغرب** : ابراز الصفة المهاجرة للعنصر البشري في اسرائيل وابراز دور العنصر البشري المهاجر من الغرب واهميته النسبية ، وحقيقة الاقتصاد الاسرائيلي الذي يتسم بالاصطناعية فهو منقول Transmitted economy اساسا من الغرب .

ـ **اسرائيل تعبر عن صورة جديدة للفاشية والنازية** : تعبير اسرائيل عن صورة جديدة للتسلطية مثل الفاشية والنازية وذلك لاهدارها حقوق الانسان العربي وحرياته الاساسية في الاراضي المحتلة عام ١٩٤٨ وما بعدها وذلك بالاضطهاد واهدار الحريات ومصادرة الممتلكات والقتل وهدم الممتلكات وابعاد السكان ... الخ.

ـ **التقدم التكنولوجي الاسرائيلي منقول من الخارج:** ابراز الحقيقة العصرية والتكنولوجية لاسرائيل واثبات صفتها الاصطناعية سواء اكان ذلك في العنصر البشري والامكانيات المادية والفنية وان اسرائيل لم تحول الصحراء الى اراضي خصبة ولكن التقدم التكنولوجي ولا سيما الموارد من الغرب هو الذي قام بهذه المهمة .

ـ **اسرائيل دخيلة على الشرق الاوسط** : اسرائيل جزء دخيل على الشرق الاوسط ويتسم وجودها بعدم الاستقرار لانها دخيلة عليه ، لقيامها على ارض فلسطين وطرد السكان الاصليين منها .

ـ **اسرائيل تمثل الفكرة العنصرية** : وذلك بكشف الاسس العنصرية للمجتمع الاسرائيلي سواء اكان ذلك ضد العرب او بين اليهود انفسهم وتشابه ذلك مع النظم العنصرية في افريقيا الجنوبية .

هذه هي ابرز نقاط المنطق السلبي للاعلام العربي المشترك ، اما ابرز نطاق **المنطق الايجابي** للاعلام العربي المشترك فيمكن توضيحها فيما يلي :(١٠)

ـ **حتمية الوحدة القومية** : ابراز مقومات الوحدة القومية التاريخية والسياسية والاقتصادية وغيرها مع توضيح اهمية التكامل السياسي والاقتصادي في عالم اليوم .

— **شرعية المقاومة الفلسطينية** : ابراز الادلة القانونية والسياسية والتاريخية لشرعية المقاومة الفلسطينية وحق الشعب الفلسطيني في تقرير مصيره واعتبارها حركة من حركات التحرير الوطني ومرتبطة بالنضال من اجل التحرير الوطني .

— **الدول العربية تأخذ بالتقدم التكنولوجي** : تأخذ الدول العربية بالتقدم التكنولوجي في حدود امكانياتها كدول حديثة العهد بالاستقلال وتسير بخطوات في هذا الصدد .

— **ابراز مساهمة العرب الحضارية** : ساهم العرب في الحضارة الانسانية في المجالات المختلفة كما ان اوروبا استفادت مما اضافه العرب الى الحضارة والعلم مع الاستدلال بالبقايا الاثرية وكتابات المختصين في هذا الصدد .

— **ابراز الطابع القومي العربي** : توضيح الطابع القومي العربي واتسامه بالانسانية والتعاون والاخاء مع التصدي للمحاولات التي تهدف الى تشويهه والنيل منه .

— **انسانية الموقف العربي تجاه القضية اليهودية:** تأكيد الموقف الانساني للشعب العربي تجاه القضية اليهودية وابراز تاريخ الاخاء العربي اليهودي وتمتع اليهود بحقوق المواطنة في الدول العربية(١١)

ويأخذ هذا المنطق في اعتباره عدة عوامل اهمها :

— **مستقبل الرسالة الاعلامية** : يأخذ المنطق الاعلامي العربي في اعتباره مستقبلي الرسالة الاعلامية ومن هنا تبرز تعدد وسائل الاعلام وتعدد مؤسساته وابراز المداخل المناسبة لمستقبلي الرسالة الاعلامية وعلى هذا الاساس تبدو اهمية معرفة الرأي العام القطاعي Sectorial والمناطق المتعلقة بمستقبلي الرسالة الاعلامية .

— **التخطيط السياسي** : يعتبر الاعلام العربي المشترك احد وسائل السياسة الخارجية العربية المشتركة ولذلك فالتخطيط الاعلامي العربي يسير في اطار التخطيط السياسي العربي المشترك وعلى هذا الاساس يأخذ التخطيط الاعلامي العربي في اعتباره اهداف السياسة الخارجية العربية ودور الاعلام في تحقيق هذه الاهداف .

— **الدعاية الاسرائيلية** : يضع الاعلام العربي في اعتباره الدعاية الاسرائيلية المضادة ووسائلها وامكانياتها وكفاءة العاملين فيها واستراتيجيتها الطويلة وما يتعلق بذلك من امور مرحلية بالاضافة الى المنطق الدعائي الصهيوني ومراحله وتطوره والعوامل المؤثرة فيه(١٢).

ثالثا : وظيفة الاعلام العربي المشترك :

يمكن تحديد وظيفة الاعلام العربي فيما يلي :

وظيفة الاتصال بالجماعات المؤثرة: يقوم الاعلام العربي بالاتصال بالجماعات المؤثرة مثل جماعات الضغط Pressure groups والجماعات المصلحية interest groups واللوبيات Lobbies والشخصيات البرلمانية والحزبية ومختلف المؤسسات المؤثرة في صناعة القرار السياسي .

وهنا يؤخذ في الاعتبار طبيعة النظم السياسية السائدة وطرق اتخاذ القرار ومدى ديمقراطيته او اوتوقراطيته وهل يفرض من القيادة او تساهم فيه الفئات الحكومية .

وعلى هذا الاساس فان الاتصال بالجماعات المؤثرة عامل هام في التأثير على موقف الدولة من القضايا التي يطرحها الاعلام العربي وفي هذا الصدد يؤخذ في الاعتبار درجة الموقف السياسي للدولة وتتراوح هذه المواقف بين التأييد التام والتأييد والحياد والمعارضة التامة والمعارضة وهنا تكون وظيفة الاعلام العربي تحديد درجة الموقف السياسي للدولة والعمل على زحزحته نحو درجة التأييد الممكنة لصالح القضايا العربية ويكون موقف الدولة معيارا لتحديد الطريقة التي يتدخل بها الاعلام العربي ومدى الامكانية المتاحة لهذا الاعلام وقدراته والظروف التي يعمل بها في هذا الصدد .

ويتعدى الاعلام العربي هذه الوظيفة للقيام بوظيفة مرافقة الا وهي وظيفة العلاقات العامة .

وظيفة العلاقات العامة : يمكن تلخيصها في انها نقل الحقائق الى مستقبلي الرسالة الاعلامية ومعرفة رد الفعل Feed-back للمتقبلين واخذه في الاعتبار عند توجيه الرسائل الاعلامية التالية وهنا يتم توزيع الكتب والكتيبات والمنشورات والنشرات والبيانات الصحفية والاتصال بالصحف والاذاعة والتلفزيون واجراء المقابلات مع وسائل الاعلام والسياحة وذلك بتشجيع الحركة السياحية للعالم العربي ... الخ .

وهذه الوظيفة تؤثر في الرأي العام بشكل عام الامر الذي يؤثر على المستقبلين بغض النظر عن مدى تأثيرهم في اتخاذ القرارات(١٣).

وظيفة تمثيلية : تنحصر في القيام بوظائف تمثيل جامعة الدول العربية باعتبارها ليست منظمة اقليمية فحسب بل هي ايضا منظمة قومية لانتماء اعضائها الى عقيدة القومية العربية وعلى هذا الاساس نجد ان مكتب نيويورك مثلا يقوم بوظيفة تمثيلية بالاضافة الى صفته الاعلامية وهذا يرجع الى وجود الامم المتحدة في نيويورك ومن هنا يبرز دور المجموعة العربية والاتصال بها عند تحديد المواقف والتصويت عليها في الامم المتحدة .

خاتمة : استعرضنا فيما سبق تنظيم جهاز الاعلام العربي في اطار جامعة الدول العربية والمنطلق الاعلامي العربي المشترك للدول العربية ووظيفة الاعلام العربي المشترك واذا اخذنا ذلك في الاعتبار لتحديد فاعلية الاعلام العربي فان الامكانيات المتاحة والاشخاص القائمين بها والظروف المرتبطة بذلك وطرق الاختيار بين البدائل، كل ذلك في جانب والدعاية الاسرائيلية والصهيونية ولا سيما استراتيجيتها ومراحلها والعوامل المؤثرة فيها وامكانياتها ومنطقها الدعائي وتخطيط هذا المنطلق ، كل ذلك في اطار الظروف الدولية والاعتبارات السياسية ، وعلى هذا الاساس يمكن القول ان الاعلام العربي المشترك في اطار جامعة الدول العربية سار على نحو لا بأس فيه وحقق اهدافا معقولة في حدود امكانياته وان الحكم المطلق على دور الاعلام العربي المشترك بالفشل او النجاح دون الاخذ في الاعتبار هذه العوامل يعتبر اما جهلا بالحقائق او حبا في الهجوم فالاعلام العربي المشترك كجزء من نشاط جامعة الدول العربية يعتبر انعكاسا لارادة العمل العربي وارادات الدول الاعضاء ، كما ان الجامعة العربية بدأت تستفيد من المتخصصين والفنيين والخبراء في كافة المجالات في حدود امكانياتها الامر الذي يجب النظر اليه بعين الجد .

محمد علي العويني

---

١ — فيما يتعلق بهذه المفاهيم انظر تعريفات اخرى في :
— د. حامد ربيع — المخطط الدعائي في الاستراتيجية الصهيونية — مجلة **السياسة الدولية** — العدد ١١ — يناير ١٩٦٨ .
— د. حامد ربيع — **فلسفة الدعاية الاسرائيلية** — مركز الابحاث منظمة التحرير الفلسطينية — بيروت — يوليو ١٩٧٠ .
— Klapper: *The Effects of Mass Communication*, 1961
— Symposium Ljubljana 1968, Mass Media and International Understanding, School of Sociology, Political Science and Journalism, Ljubljana, 1969.

وعرضنا لهذا الكتاب في مجلة **السياسة الدولية** — العدد ٢٧ — يناير ١٩٧٢ — ص ص ١٦٧ — ١٧١ .

٢ — د. سيد نوفل — **العمل العربي المشترك ماضيه ومستقبله** — الكتاب الاول — ١٩٦٨ — منشورات معهد البحوث والدراسات العربية — جامعة الدول العربية — ١٩٦٨ .
— د. سيد نوفل — **العمل العربي المشترك في المجال الدولي** — منشورات معهد البحوث والدراسات العربية — جامعة الدول العربية — ١٩٧١ .

٣ — اعتمدنا في هذه الدراسة على الاندماج في الظاهرة موضع الدراسة احيانا و الاحتكاك بها احيانا اخرى وملاحظتها بالاضافة الى الاحالات المرجعية واعتمدنا في الجزء الخاص بالمنطق الاعلامي على تحليل المضمون .

٤ — قرار سيادة الامين العام رقم ٩٤ بتاريخ ١٩ اغسطس ١٩٦٩ .
— **المجلة المصرية للعلوم السياسية** — عدد خاص عن جامعة الدول العربية — العدد / ٦٧ — يوليو ١٩٧٠ — ص ص ١٨٨ — ١٩١، ٢٤٠ .
— دليل جامعة الدول العربية — **ملحق الاهرام الاقتصادي** — عدد ١٥ مارس ١٩٧٠ — تقديم د. بطرس بطرس غالي — ص ص ٤٨ — ٤٩ ، ٥٣ — ٥٥ .

٥ — قرار سيادة الامين العام رقم / ٩٤ بتاريخ ١٩ اغسطس ١٩٦٩ — مرجع سابق .
— **المجلة المصرية للعلوم السياسية** — العدد / ٦٧ — مرجع سابق .

٦ — لمزيد من التفصيل انظر :
— جامعة الدول العربية — الامانة العامة — **ميزانية عام ١٩٧٠ / ١٩٧١** من ١٩٧٠/٧/١ حتى ١٩٧١/٦/٣٠ . والتي وافق عليها مجلس الجامعة بجلسته المنعقدة في يوم ١٩٧٠/٣/١٤ .

— جامعة الدول العربية — الامانة العامة — جهاز الاعلام — تقرير عن نشاط مكاتب الجامعة في الخارج للعرض على اللجنة الدائمة للاعلام العربي — ١٩٧٠ .

— جامعة الدول العربية — الامانة العامة — ادارة الاعلام — تقرير عن موقف الاعلام العربي عن النصف الاول من ١٩٧١ .

٧ — قرار سيادة الامين العام السابق الاشارة اليه .

المجلة المصرية للعلوم السياسية — مرجع سابق ص ص ١٩٠ — ١٩١ .

٨ — وصلنا الى هذا المنطق اساسا عن طريق تحليل المضمون وهو اسلوب من اساليب تحليل المواد الاعلامية .

انظر فيما يتعلق بتحليل المضمون :

Lindzey, Aronson : *The Handbook of Social Psychology*, Vol. II, 1968, p. 63.

د. حامد ربيع — **نظرية الدعاية الخارجية** — كلية الاقتصاد والعلوم السياسية — جامعة القاهرة ١٩٧٠ — ص ٩٧ وما بعدها .

انظر بعض الدراسات في تحليل المضمون مثل :

Suleiman, Michael W., « The Mass Media and the June War» & H.H., «The Middle East Crisis of 1967 and the New York Times», in *Essays on the American Public Opinion and the Palestine Problem*, P.L.O. Research Center, Beirut, February, 1969.

٩ — اعتمدنا في الوصول الى هذا المنطق السلبي على تحليل مضمون نشرات وكتب صادرة عن مكاتب الجامعة في الخارج والادارة المركزية للاعلام مثل :

— *The Arab World*, Published by the Arab Information Center, New York, U.S.A.
— *Al'arab*, Published by the League of Arab States Mission, New Delhi, India.
— *Informations Arabes*, Centre d'Information Arabe, Genève.
— *Actualités Arabes*, Publié par le Bureau de la Ligue des Etats Arabes, Paris.
— *The Arab*, Published by the Arab League Office, London.
— *The Arab Review*, Published by the Arab League Office, Tokyo.

— جامعة الدول العربية — الامانة العامة — ادارة الاعلام — نشرة الاعلام العربي .

١٠ — اعتمدنا في هذا الصدد على المراجع السابقة نفسها .

١١ — جامعة الدول العربية — الامانة العامة — ادارة الاعلام — مذكرة بشأن تنسيق الامكانيات الاعلامية في الخارج للعرض على اللجنة الدائمة للاعلام العربي — ١٩٧٠ — وضع هذه المذكرة لجنة من الخبراء مكونة من د. بطرس بطرس غالي ، د. عاطف عبيد ، د. نبيل شعث ، د. انيس صايغ ، والاستاذ تحسين بشير .

١٢ — محمد علي العويني — **السياسة الخارجية الاسرائيلية في افريقيا** — رسالة ماجستير — كلية الاقتصاد والعلوم السياسية — جامعة القاهرة — يوليو ١٩٧١ — ص ص ٢٥٤ — ٢٥٧ .

— تحسين بشير — **النشاط الاعلامي العربي في الولايات المتحدة** — مركز الابحاث — منظمة التحرير الفلسطينية — بيروت — ١٩٦٩ .

— منذر عنبتاوي — **اضواء على الاعلام الاسرائيلي** — مركز الابحاث — منظمة التحرير الفلسطينية — بيروت — ١٩٦٨ .

Kishtainy, Khalid : *Verdict in Absentia*, P.L.O. Research Center, Beirut, 1969.

١٣ — انظر مثلا :

— جامعة الدول العربية — الامانة العامة — جهاز الاعلام ، تقرير عن نشاط مكاتب الجامعة في الخارج للعرض على اللجنة الدائمة للاعلام العربي — ١٩٧٠ .

— جامعة الدول العربية — الامانة العامة — ادارة الاعلام — تقرير عن موقف الاعلام العربي عن النصف الاول من عام ١٩٧١ .

— مكتب جامعة الدول العربية في طوكيو — نشاط المكتب عن الفترة من منتصف نوفمبر حتى منتصف ديسمبر ١٩٧١ .

— مكتب جامعة الدول العربية في لندن — نشاط المكتب خلال شهر نوفمبر ١٩٧١ .

— مكتب جامعة الدول العربية في روما تقرير عن اهم نشاط المكتب خلال شهر ديسمبر ١٩٧١ .

— مكتب جامعة الدول العربية في البرازيل — تقرير عن نشاط المكتب خلال شهر نوفمبر ١٩٧١ .

— جامعة الدول العربية — الامانة العامة — مكتب بون — تقرير عن نشاط المكتب خلال شهر نوفمبر ١٩٧١ .

— جامعة الدول العربية — مكتب جنيف — التقرير الاعلامي لشهر نوفمبر ١٩٧١ .

جماعة السينما الفلسطينية
وجماعة السينما الفلسطينية في مركز الابحاث

مع بداية شهر شباط ١٩٧٣ كان الاتفاق قد تم نهائيا بين أغلبية أعضاء [جماعة السينما الفلسطينية]، بقبول المشروع الذي تقدم به مركز الابحاث بتبني الجماعة . وبعد هذا القبول ، أصبح اسم الجماعة كالآتي [جماعة السينما الفلسطينية في مركز الابحاث] . وقد ظلت أهداف الجماعة كما أعلنت عنها في بيانها الذي صدر في شهر حزيران ١٩٧٢ .

ما هي جماعة السينما الفلسطينية ؟ وما هي جماعة السينما الفلسطينية في مركز الابحاث ؟ كيف تكونت، وكيف تم هذا اللقاء بينها وبين الجماعة في مركز الابحاث وما هدفه .

تحدثت الجماعة في بيان لها عن اهمية السينما الفلسطينية وضرورة تطويرها « كي تستطيع الوقوف بجدارة الى جانب المقاتلين الشجعان ، وتعكس حقيقة القضية وتصور مراحل كفاح الشعب الفلسطيني لتحرير ارضه وتعكس الماضي والحاضر وتستشرف المستقبل . ومثل هذه السينما ينبغي ان تنمو وتتطور ضمن جهود منظمة مجتمعة .. » . من هذا المنطلق تكونت الجماعة من المهتمين بشؤون السينما والادب والفكر وقد أعلنت عن أهدافها كما جاء في البيان كالآتي :

« **ضمن الانتاج** : تحقيق أفلام ثورية تحشد الجماهير حول الثورة وتعرف بكفاح شعبنا وقضيته للعالم . **ضمن الوثيقة** : انشاء مكتبة سينمائية (أرشيف ، يضم الوثائق المصورة المتحركة والثابتة التي تحتوي على صور نضال شعبنا ومراحل تطور قضيته) . **ضمن التعاون** : توطيد العلاقة مع الجماعات السينمائية الثورية والتقدمية في العالم والمشاركة في مهرجانات السينما باسم فلسطين ، وتقديم التسهيلات السينمائية المتوفرة الى كل الجهات الصديقة التي تعمل ضمن أهداف الثورة الفلسطينية » .

وقد تكونت جماعة السينما الفلسطينية عبر نقاشات طويلة وبعد لقاءات عدة ابتدأت في بداية عام ١٩٧٢ . وقد ساهم في هذا النقاش اطراف رسمية مثل قسم الثقافة الفنية التابع لمنظمة التحرير الفلسطينية — في بداية النقاش الاولى ثم انسحب هذا القسم من المشاركة في النقاش فيما بعد . وقد كان مهرجان دمشق الدولي الاول لسينما الشباب الذي انعقد في نيسان ١٩٧٢ ، عاملا هاما في تنشيط النقاش والبحث عن صيغة تمكن هؤلاء « المهتمين بشؤون السينما والادب والفكر » ، استخدام هذه الوسيلة الجماهيرية الهامة — السينما .

اما حركة التحرير الوطني الفلسطيني ، فتح ، فقد أيدت الفكرة ووضعت كافة امكانيات قسم السينما التابع للاعلام المركزي من معدات وأرشيف بمتناول الجماعة . وفي نفس الوقت تم لقاء بين ممثلين عن (الجماعة) ومركز الابحاث ، وقد أعرب المركز عن اهتمامه بالموضوع ، وعرض على (الجماعة) مقرا لها في المركز كما ابدى اهتماما كبيرا بفكرة انشاء مكتبة سينمائية فلسطينية .

هذه العوامل فتحت أبوابا هامة أمام (الجماعة)، ومنحتها الدعم المعنوي . وقد أعلنت الجماعة بيانها وأقرت نظامها الداخلي بعد هذا التشجيع والدعم بوقت قصير . وزعت الجماعة بيانها بشكل واسع ، وأقامت صلات مع بعض السينمائيين التقدميين ، وخاصة اثناء المهرجان الدولي الرابع للايام السينمائية بقرطاج ، والذي أقيم في تونس في بداية اكتوبر ١٩٧٢ ، كما أجرت اتصالات مع مدير مؤسسة السينما السورية السيد عبدالحميد مرعي، ومدير مؤسسة السينما التونسية المعروفة (بالسانبك) السيد حمادي الصيد . وأجرت اتصالا مع مركز الفنون السمعية والبصرية الجزائرية ، وآخر مع السكرتارية العامة للمهرجان الدولي الاول لافلام وبرامج فلسطين والذي يعقد في بغداد في الفترة ما بين ١٩ و٢٢ آذار ١٩٧٣ . في وقت لاحق ، وفي حوالي منتصف كانون الاول ١٩٧٢ تقدم مركز الابحاث ، بعد ان حصل على موافقة من جامعة الدول العربية بدعم مشروع المكتبة السينمائية ، تقدم المركز بمشروع تبني جماعة السينما الفلسطينية وذكر في مقدمة المشروع المقترح ما يلي :

« يرى المركز أن مزيدا من الالتحام بينه وبين الجماعة سيؤدي الى خير السينما الفلسطينية : ذلك ان المركز يعلق اهمية كبيرة على وجود الطاقات الفنية الواعية التي تضمها الجماعة ،

الامر الذي يشجعه على تبني نشاطاتها وتوفير الدعم الادبي والمادي كي تحقق الجماعة أهدافها التي أعلنت عنها في بيان تأسيسها . وسوف يوظف المركز سمعته التي اكتسبها على كل صعيد كي يفتح أمام الجماعة مداخل واسعة تلج منها الى ميدان تحقيق طموحاتها وممارسة أعمالها على الوجه الاكمل » . وقد احتوى المشروع اقتراحا لتنظيم العلاقة بين المركز وجماعة السينما الفلسطينية شملت الصيغة العامة للعلاقة ، والنواحي الفنية ، والقضايا المالية وأمورا عامة. وفيما يلي أهم البنود التي وردت في مشروع مركز الابحاث :

« **الصيغة العامة للعلاقة :**

أ — اسم الجماعة : جماعة السينما الفلسطينية في مركز الابحاث .

ب — الجماعة تمثل المركز وتنطق باسمه في جميع الميادين السينمائية وهي تمارس عملها من ضمن هذه الصيغة ، وبذلك فان كل اتصال لها او نشاط معنوي أو مادي (مهرجانات انتاج ، انتاج مشترك، تمويل) ينحصر في هذه الصيغة .

. . .

د — تختار الجماعة احد اعضائها ليتفرغ للعمل السينمائي في المركز بشرط أن تتوفر فيه الشروط الفنية التي تؤهله لهذا العمل . »

وفي القضايا المالية :

« أ — ينشأ صندوق خاص باسم جماعة السينما الفلسطينية في مركز الابحاث ترصد فيه جميع الاموال التي ترد الى هذا المشروع . ويتم الصرف من هذا الصندوق على جميع الاحتياجات الفنية للجماعة . ومدخول هذا الصندوق يخصص فقط للمشاريع السينمائية ولا ينفق منه على اي من مشاريع المركز الاخرى .

. . .

د — يتم تدقيق الحسابات حسب الانظمة المتبعة في الصندوق القومي الفلسطيني . »

وتحت بند أمور عامة :

« أ — تضع الجماعة لنفسها نظاما داخليا يحدد سير عملها .

. . .

ج — يهيىء المركز جميع الظروف الممكنة التي تساعد الجماعة على تأدية مهماتها ، كما يوفر حاليا مكانا للجماعة ويوفر لها التسهيلات الادارية . »

وبعد مناقشة هذا المشروع ، رأت اغلبية أعضاء جماعة السينما الفلسطينية ، ان قبول هذا المشروع سيكون بمثابة بدء عملي في تحقيق الاهداف التي أعلنت عنها . فأقرت المشروع ، وبهذا أصبح الاسم الجديد (جماعة السينما الفلسطينية في مركز الابحاث) وقد بوشر بالعمل من بداية شباط ١٩٧٣ في مركز الابحاث ، من اجل تحقيق أهداف الجماعة المعلنة .

من بين أهداف الجماعة ، تبرز المكتبة والارشيف كهدف هام ، فالمكتبة التي ستشمل القطات السينمائية عن فلسطين والشعب الفلسطيني ، منذ مطلع هذا القرن ستكون مصدرا هاما للاعلام الفلسطيني والعربي . ان المطلع على القضية الفلسطينية ، يدرك ان جميع الوثائق التي تخص هذه القضية ، هي وثائق في صالح قضية الشعب الفلسطيني . والوثائق التي تخص وعد بلفور ، وكذلك الوثائق التي تخص الهجرة الصهيونية والاساليب التي طبق الصهاينة فيها خططهم لشراء الاراضي واقامة المستعمرات ، وكذلك الوثائق التي تخص النضال الفلسطيني منذ ١٩١٧ مرورا بعام ١٩١٩ ، ١٩٢٩ ، وثورة ١٩٣٦ — ١٩٣٩ ، وكذلك النضال الذي تلا ضد الانتداب الانجليزي والصهيونية مرورا بعام ١٩٤٨ ، وكذلك الوثائق التي تخص مأساة هذا الشعب في التشرد والضياع ... هذه الوثائق وغيرها الكثير ، تؤكد حق الشعب الفلسطيني بفلسطين ، وتكشف طبيعة العدوان الواقع على هذا الشعب — والوثيقة السينمائية من بين جميع الوثائق هي الاهم ، لانها تمتلك خاصية نقل الحدث الحي ، صوتا وحركة وصورة. ان مساعدة الاطراف المهتمة بالعمل في سبيل القضية الفلسطينية ، والعاملة في تحقيق آمال الشعب الفلسطيني والممثلة بثورته المسلحة ، مساعدة مادية ومعنوية ، ضرورية لانشاء هذه المكتبة السينمائية الفلسطينية ، وانشاء سينما فلسطينية قادرة على نقل تجربة الشعب الفلسطيني.

مصطفى ابو علي

شـــهريات

(١) المقاومة الفلسطينية

شهدت حركة المقاومة شهرا صاخبا مليئا بالحيوية والنشاط والمعارك السياسية والعسكرية التي شملت اكثر من بلد . وتميز هذا النشاط بتنوع انماطه وتعدد نتائجه ، وطرح اسئلة واحتمالات سياسية من نوع جديد . كما استطاع هذا النشاط ان يكون محورا لكثير من التحركات والمواقف العربية ، سواء على صعيد الانظمة او على صعيد الاحزاب والقوى الشعبية ، التي انشغلت كلها بما اثارته نشاطات حركة المقاومة طوال الفترة الممتدة من ١١ شباط الى ١٠ اذار ١٩٧٣ .

العدوان الاسرائيلي على مخيمات لبنان :

الموقف الاسرائيلي الدائم والمعلن ، ان اي نشاط فدائي ينطلق من البلاد العربية ، يكون الرد عليه في البلاد العربية نفسها ، وذلك تحقيقا لاهداف متعددة . في مقدمتها ضرب العمل الفدائي نفسه ، ودفع الحكومات العربية الى التضييق على حركة المقاومة تفاديا للخسائر التي تحدثها الاعتداءات واحداث انقسام بين الفدائيين والسكان المدنيين نتيجة الخسائر التي يتعرضون لها . وكذلك استخدام جو التوتر الناشىء لضرب الثورة العسكرية العربية . وسابقا كان التكتيك الاسرائيلي يحرص على توجيه الضربات العسكرية حين تكون هناك عمليات فدائية كبيرة ، او عمليات فدائية صغيرة يجري تضخيمها اعلاميا ، وذلك لايجاد مبررات تستخدم كغطاء في الاوساط الدولية .ولكن هذا الموقف تبدل بعد عملية ميونيخ الشهيرة . فعلى اثر هذه العملية اعلنت اسرائيل رسميا وبقرار من الكنيست ، انها ستضرب في كل مكان وبكل وسيلة ، وبدون انتظار للمبررات ، معتبرة ان هناك معركة مفتوحة بينها وبين الفدائيين ، وبينها وبين كل بلد يقدم مساعدات للفدائيين . واضافة الى ذلك طورت اسرائيل اساليبها ،فأخذت تمارس رسميا سياسة الارهاب والاغتيال ، كما اصبحت مستعدة لقصف وضرب تجمعات المدنيين على نطاق واسع . وقد كان نصيب لبنان ، ونصيب التجمعات الفلسطينية في لبنان ، كبيرا من هذه السياسة ، وادى مثلا الى اتفاق فدائي لبناني بتجميد العمل العسكري المنطلق من مناطق الجنوب منذ عدة أشهر ، رغم قناعة حركة المقاومة بأن اعتداءات اسرائيل ليست مرتبطة بنشاطات الفدائيين فقط .

وفي منتصف ليل ٢٠ شباط تأكدت قناعة حركة المقاومة ، وسقطت حجة الحكومة اللبنانية الداعية الى تجميد النشاط الفدائي ، وذلك حين اقدمت اسرائيل على شن هجوم عن طريق البحر على المدنيين الفلسطينيين في مخيمي نهر البارد والبداوي في المنطقة الشمالية من لبنان . وكان من الواضح ان هدف اسرائيل الاساسي ايقاع خسائر كبيرة بالمدنيين تحدث هزة معنوية في صفوفهم ، وضرب المكاتب الادارية للعمل الفدائي ، ليس لقيمتها العسكرية ، بل لما تمثله من رمز معنوي للفلسطينيين .

كان العدوان الاسرائيلي مفاجئا وسريعا واحدث خسائر كبيرة بالارواح . ولكنه بالرغم من ذلك ووجه بمقاومة باسلة من متطوعي الميليشيا في المخيمات ، لا تعني من القول بضرورة رفع كفاءتهم القتالية ودرجة تيقظهم ، وصياغة تواجدهم في المخيمات حسب خطط دفاعية تلائم كل مخيم على حدة . والجدير بالملاحظة هنا ان عبء المقاومة تحملته قوات الميليشيا في المخيمات دون اي تدخل من قبل الجيش اللبناني ، وان ردود الفعل على الحادث لم تكن فلسطينية فقط ، انما كانت هناك ردود فعل لبنانية على نطاق واسع . فحين شيعت طرابلس ١١ فدائيا من شهداء الاعتداء سار وراء جناز التشييع اكثر من ٣٥ الفا من سكان المدينة

كانوا يهتفون كلهم ضد الحكام الذين يلهثون وراء الحل السلمي ، ووزعت الاحزاب اللبنانية في الجناز بيانات تندد بموقف السلطة اللبنانية . وتكررت الظاهرة نفسها في تشييع مدينة صيدا بجناز ضخم لفدائيين من شهداء الحادث ، وفي جناز مماثل لفدائيين اخرين بمدينة بيروت ، واضرب الطلاب في بيروت وصيدا احتجاجا على عدم تدخل الجيش اللبناني في المعركة .

أما على الصعيد الرسمي فقد طرح موقف الحكومة للنقاش في مجلس النواب ، واثار نواب المعارضة حملة عنيفة ضد الحكومة بسبب موقفها ، وردت اوساط الرئيس صائب سلام تقول ان عدم قيام رد فعل لبناني على الهجوم الاسرائيلي يعود الى عنصر المفاجأة ، لان الحكومة كانت تتوقع الهجوم على جنوب لبنان وليس على منطقة الشمال . وحين سئل رئيس الوزراء عن السبب الذي لم يكتشف فيه الرادار تحرك طائرات الهليكوبتر التي نقلت الجنود الاسرائيليين اجاب بأن الرادار تنقصه بعض القطع الحساسة . واحيت هذه الردود من جديد منطق الحملة الاعلامية الرسمية التي حاولت تبرير هزيمة حزيران .

وفي جملة سعيه لتطويق نتائج الاعتداء الاسرائيلي قابل صائب سلام السيد ياسر عرفات وعرضا الوضع الناشىء عن الاعتداء . وفي نفس اليوم (٢٣ شباط) زار السيد عرفات موقع الاعتداء وخاطب جماهير المخيم قائلا « لتفهم كل القوى المستسلمة في الارض العربية ان المقاتل الفلسطيني لن يستسلم ، وسيظل يعلق بندقيته حتى يفرض الفلاح الفلسطيني والفدائي الفلسطيني ارادتهما ، كما فرضها الفلاح الفيتنامي بعد اكثر من ١٩ عاما من القتال » .

الاردن وقضية ابو داوود :

اثيرت قضية ابو داوود علنا صباح ١٥ شباط في جريدة النهار البيروتية ، بعد مضي خمسة ايام على اعتقاله مع ١٦ فدائيا اخرين توجهوا الى عمان من الحدود السورية والعراقية وعن طريق المطار . وكانت رواية النهار للقضية شبيهة بالروايات البوليسية ، وهي رواية تتلخص بأن ابو داوود توجه مع رفاقه لاحتلال عمان !! ومنذ البداية تبين ان هذا التضخيم للعملية يهدف الى استغلالها اعلاميا ضد حركة المقاومة ولصالح النظام الاردني، كما يمهد لاستصدار احكام قاسية ضد الفدائيين المعتقلين . وردا على هذا التضخيم سارعت حركة المقاومة الى توضيح حقيقة الحادث . فعقد السيد محمد النجار (ابو يوسف) رئيس الدائرة السياسية في اللجنة التنفيذية ، ورئيس اللجنة السياسية العليا لشؤون الفلسطينيين في لبنان اجتماعا مع السفراء العرب في بيروت عرض عليهم فيه انباء الاعتقالات في عمان ، وسلمهم مذكرة بتوقيع اللجنة المركزية لحركة فتح جاء فيها : ان الحركة قررت دفع قياداتها الى داخل فلسطين المحتلة ، وان قسما منهم دخل اليها فعلا ، ونتيجة للتنسيق بين المخابرات الاسرائيلية والاردنية تم اعتقال عدد من ثوارنا كانوا يستعدون لدخول الاراضي المحتلة ، وفي مقدمتهم ابو داوود ورفاقه. ومضت المذكرة تقول : لا نجد ضرورة للرد على الرواية الاردنية (رواية النهار) حول احتلال عمان، فاختلاق هذه الرواية هدفه ايجاد الذرائع لارتكاب مجزرة سيكون ابو داوود جبرا منها . وحملت المذكرة السلطات الاردنية مسؤولية حياة ابو داوود وسائر رفاقه ، وطالبت الدول العربية بتحمل مسؤولياتها ، لانها لا تستطيع ان تتقبل الصمت العربي على جرائم النظام الاردني .

ثم أعقب هذا اللقاء مؤتمر صحفي عقده السيد كمال عدوان احد قادة فتح ، عرض فيه اولا مجرى النقاش والقرارات في مجلس الدفاع العربي الذي عقد مؤخرا في القاهرة ، واتجاهها نحو المصالحة مع الاردن ونحو تطويع المقاومة لصالح النظام الاردني . ثم اوضح للصحفيين ان حركة فتح رات ان مواجهة حالة العجز العربي لا يمكن ان تتم الا بدفع قيادات من مراتب عليا الى داخل الارض المحتلة لقيادة النضال الفلسطيني في المرحلة المقبلة، وقد نفذت الحركة ذلك فعلا ، فدخل البعض ، واشتبك البعض الاخر مع العدو ، واعتقل البعض في عمان ومنهم ابو داوود . واضاف كمال عدوان يقول : ان الحركة اختارت عمان للعبور باعتبارها احدى نقاط التماس مع العدو ، واكثر الواجهات العربية هدوءا ، ولان اخر ما تتوقعه سلطات الاحتلال ، عبورا فدائيا من هذه الواجهة . ثم اوضح مؤكدا : ان المعتقلين من فتح ، وليس كما يقال تزويرا من ايلول الاسود . والتركيز على انهم من ايلول الاسود يهدف الى تبرير اجراءات منتظرة للتصفية ، وهي محاولة تريد ان تسبق قرارات مجلس الدفاع العربي بتشكيل لجنة عربية تذهب الى عمان لبحث امكان اعادة بناء الجبهة الشرقية

من جديد كجبهة مقاتلة اساسها المقاومة . واخيرا قال كمال عدوان : ان القيادات التي اندفعت للداخل لن نسمح ان تصفى في عمان . وان الانظمة العربية التي ظلت تتفرج منذ ايلول ١٩٧٠ لم يعد امامها اليوم اي مبرر للصمت ، وان الموقع القيادي تلاخ ابو داوود ورفاقه لا يسمح باي تلاعب بمصيره . وختم كمال عدوان كلامه مهددا : **ليتحمل الكل بعد هذا مسؤولية ردود الفعل اينما كانت وعلى اية ارض ، ولا يلومننا يومها احد .**

والقاسم المشترك بين مذكرة ابو يوسف ومؤتمر كمال عدوان الصحفي : الحرص على حياة ابو داوود ، والاصرار على انه كان مكلفا بمهمة في الارض المحتلة وليس في الاردن . ثم الانزعاج من الموقف الرسمي العربي والاستعداد الواضح للهجوم عليه .

يوم ١٩ شباط بث التلفزيون الاردني مقابلة مع ابو داوود جاء فيها : ان هدفه كان احتلال مقر رئاسة الحكومة الاردنية واحتجاز اعضائها من اجل اثبات وجود حركة فتح نافيا ان يكون قدم الى الاردن متوجها الى الارض المحتلة ، وقائلا ان الاعداد للعملية تم في بغداد بالاشتراك مع السيد صلاح خلف (ابو اياد) وان القصد منها اثبات الوجود ونسف التفاهم بين الاردن والدول العربية الذي برز في مجلس الدفاع . وفورا نفت حركة فتح ان يكون ما اذيع هو صوت ابو داوود ، وقالت انهما تسجيلات مزورة تثير الكثير من علامات الاستفهام حول مصيره ، واعلنت انها ستذيع اشرطة بصوته من ندواته الشعبية السابقة في عمان .

ويوم ٢٠ شباط قالت اذاعة عمان في تعليق لها ان ابو داوود سيتحدث في مؤتمر سيحضره كل من يريد ان يسمع الحقيقة . وفورا قال مصدر رسمي في حركة فتح اننا : نتحدى ان يقوم النظام الاردني بعقد مؤتمر صحفي للاخ ابو داوود على ان يكون هذا المؤتمر مفتوحا للجميع ويتم باشراف لجنتين ، الاولى من اتحاد الاطباء العرب ، والثانية من اتحاد المحامين العرب .

ويوم ٢٥ شباط بث التلفزيون الاردني مقابلة ثانية مع ابو داوود جاء فيها : دعوة المقاومة الفلسطينية الى تركيز عملياتها في الارض المحتلة ، واتهام لحركة فتح بانها مسؤولة عن حوادث ايلول ١٩٧٠، مع اشارة الى وجود خلافات داخل القيادة ، وان المقاومة هي الان تحت رحمة الحكومات العربية .

والجدير بالذكر ان هذه المقابلة اذيعت بعد أن كان النظام الاردني قد اعلن ان محاكمة ابو داوود ورفاقه قد بدأت يوم ١٩ شباط امام محكمة امن الدولة وبتهمة « دخول الاردن في محاولة للقيام باعمال تخل بالامن » . وقد بقي مكان المحاكمة ووقائعها وزمنها سرا لم يكشف عنه حتى الان . ولم يعرف ما اذا كانت المقابلة الثانية التي بثها التلفزيون الاردني قد جرت اثناء المحاكمة او بعد انتهائها . ولكن لوحظ انه مع انتهاء عملية السفارة السعودية في الخرطوم اذاع الاردن يوم ٤ اذار نبأ الحكم بالاعدام على ابو داوود وعدد من زملائه دون تحديد لهذا العدد !! وفي نفس اليوم أذاع الاردن ان الوزارة صادقت على الحكم ، وان الملك حسين صادق عليه بدوره . وكان واضحا من طريقة الاعلان عن النبأ سعيه لان يوحي بان الاعدام سينفذ بسرعة ، اما توقيت الاعلان فقد اراد الاستفادة بشكل واضح من اجواء عملية الخرطوم.

ردود الفعل :

اثار اعتقال ابو داوود ورفاقه ضجة سياسية واعلامية كبيرة عربيا وعالميا ، ونشاطا دؤوبا على الصعيدين الشعبي والرسمي ، كانت ابرز ملامحه: نشاط حركة المقاومة (اللجنة التنفيذية ــ المنظمات الفدائية) . الاحزاب والهيئات الشعبية العربية (الاحزاب اللبنانية ــ الجبهة العربية المشاركة). الاتحادات الشعبية الفلسطينية. الاتحادات العربية (نقابات المحامين ــ اتحاد الصحافيين ــ لجنة الدفاع عن الدستور والحريات في لبنان) . المنظمات الدولية (منظمة التضامن الاسيوي الافريقي) . رؤساء الدول العربية (بومدين ــ السادات ــ الاسد ــ الصباح ــ فيصل ــ بورقيبه) . الجامعة العربية . شخصيات سياسية عربية (جنبلاط ــ الحوشي ــ كميل شمعون ــ بيير الجميل) . شخصيات فلسطينية (الحاج امين الحسيني) . هيئة السوفيات الاعلى التي ناشدت الملك الغاء احكام الاعدام ، والتي اثار موقفها استغرابا واسع النطاق لانه يشكل بادرة هي الاولى من نوعها ، وتعتبر خرقا للاعراف الديبلوماسية ، لم تقدم عليها هيئة السوفيات الاعلى مثلا عند صدور احكام الاعدام على عبد الخالق محجوب ورفاقه في السودان . وعناوين هذه القائمة (التي لا تحصر كافة ردود الفعل) كافية لتبرز نوع الضجة العربية والعالمية التي اثارها اعتقال ابو

داوود ورفاقه . وهي ضجة بدأت فور الاعلان عن اعتقاله ، واستمرت الى ما بعد صدور احكام الاعدام ، وكان تصاعدها يتنامى يوما بعد يوم . والى جانب المعاني العميقة التي يبرزها هذا التحرك الواسع تأييدا لمظهر واحد من مظاهر نشاط حركة المقاومة ، والذي يكشف عن الاحترام والتقدير الواسع الذي تتمتع به ، فمن المهم ان نسجل الملاحظات التالية :

١ ـ بدأت الحملة الاعلامية على اساس الافراج عن ابو داوود ورفاقه المعتقلين ، في جو من الادانة للنظام الاردني ، ثم تحولت بعد صدور احكام الاعدام على اثر عملية الخرطوم الى طلب تخفيف الاحكام .

٢ ـ شاركت في الحملة الاعلامية بعد عملية الخرطوم شخصيات سياسية رجعية تميزت مواقفها بالمناشدة والاسترحام ، وبالثناء على شهامة الملك حسين ، وبالتركيز على الجانب الانساني من القضية ، دون اي اشارة من قبلهم للجوانب السياسية في القضية . وساعدت هذه البرقيات في ابراز الموقف الاردني بمظهر من يتوجه الجميع **لاسترضائه** .

٣ ـ حاول الملك حسين ان يستغل الحملة الداعية للافراج عن ابو داوود ورفاقه لاملاء شروط على الفلسطينيين وعلى الحكومات العربية ، فطلب في رده على رسالة الشيخ صباح السالم الصباح حاكم الكويت التي ارسلها بطائرة خاصة يوم ٥ اذار : وضع حد نهائي لما أسماه باعمال التآمر التي تقوم بها حركة المقاومة ، على ان يكون ذلك بضمانة الدول العربية . وانتقد بعض الحكومات العربية قائلا انها تعرف الحقيقة ولكنها تفرش الرياحين للذين يقومون باعمال التآمر ، ثم ألمح الى ضرورة دعم الصف العربي ، وتهيئة فرص الدعم والصمود له ، في اشارة الى اموال الدعم التي اوقفت الكويت صرفها للاردن بعد احداث ايلول ١٩٧٠ . وقد ردت المقاومة على هذا الموقف الاردني فوصفته بالابتزاز السياسي وقالت : ان القضية ليست قضية ابو داوود بقدر ما هي قضية استراتيجية ، وموقفنا من النظام الاردني حسم منذ زمن ، وحددت منظمة التحرير هذه العلاقة في برنامجها السياسي . وهذه اشارة ضمنية الى ان مهمة ابو داوود لها جانب يتعلق بالاردن شبيهة بالاشارة التي وردت في تعليق لاذاعة المقاومة في درعا يوم ٢٨ شباط وجاء فيها ان مهمة ابو داوود كانت القيام بعمليات ضد النظام الاردني .

٤ ـ حاولت بعض الدول العربية ان تستفيد من طلب المقاومة منها التدخل للافراج عن ابو داوود ورفاقه ، لاثارة قضية مبدأ العلاقات بين الاردن والمقاومة ، وضرورة احياء اللجنة التي قرر مجلس الدفاع العربي تشكيلها للبحث في اسس عودة المقاومة الى الاردن ، بما يضمن هيمنة النظام الاردني عليها . ولكن لم يظهر في الافق ما يشير الى ان هذه المحاولات قد اثمرت .

٥ ـ تميزت حملة المقاومة الاعلامية بهجوم على مواقف الانظمة العربية واتهام لها بالتباطؤ في التحرك .

عملية الخرطوم :

في الوقت الذي كانت فيه قضية ابو داوود تتفاعل عربيا وعالميا ، كان وفد من حركة فتح برئاسة ابو يوسف وعضوية ابو مازن وابو هشام وابو الفهد ، يقابل الملك فيصل في الرياض يوم ٢٣ شباط ، ويبحث معه امكانية تدخله للافراج عن ابو داوود ورفاقه . وواضح من طبيعة تشكيل الوفد ان فتح كانت تعطي اهتماما خاصا لهذه المقابلة وللنتائج التي يمكن ان تسفر عنها . ولكن ما ان مضت ستة ايام على هذه المقابلة حتى قام ثمانية من اعضاء منظمة ايلول الاسود مساء الاول من اذار باقتحام مبنى السفارة السعودية في الخرطوم واحتجاز خمسة ديبلوماسيين كانوا يحضرون حفل استقبال في السفارة هم : (السفير السعودي ـ القائم بالاعمال الاردني ـ السفير الامريكي ـ القائم بالاعمال الامريكي ـ القائم بالاعمال البلجيكي) . واذاع رجال ايلول الاسود ستة مطالب مقابل الافراج عن الرهائن ، مهددين باعدامهم اذا لم تلب مطالبهم . المطالب كانت : ١ ـ اطلاق ابو داوود ورفاقه الـ ١٦ خلال ٢٤ ساعة . ٢ ـ الافراج عن رافع الهنداوي وكل العسكريين الاردنيين المحتجزين بعد محاولة الانقلاب الفاشلة . ٣ ـ الافراج عن ٥٠ معتقلا في سجون الاردن من اعضاء المقاومة . ٤ ـ ان تفرج الولايات المتحدة عن سرحان سرحان . ٥ ـ ان تفرج دولة الاحتلال الصهيوني عن الاخوات المعتقلات في السجون الاسرائيلية . ٦ ـ ان تفرج حكومة المانيا الغربية عن جماعة بادر ـ ماينهوف .

في اليوم الثاني للعملية (٢ اذار) انتهت مدةالانذار دون ان يستجيب اي طرف من الاطراف المعنية للطلبات المقدمة ، فمدد الانذار لفترة اخرى بناء على طلب اللواء الباقر وزير داخلية السودان ، مع طلب بتجهيز طائرة تقل رجال ايلول الاسود مع الرهائن الى الولايات المتحدة ، على ان يرافقهم بالطائرة منصور خالد وزير الخارجية ، وعمرالحاج موسى وزير الاعلام . والا فان الاعدام سينفذ بالرهائن . لم تستجب حكومة السودان للطلب ، وانتهت مدة الانذار ، فاعدم ثلاثة من الرهائن هم (السفير الامريكي والقائم بالاعمال الامريكي والقائم بالاعمال البلجيكي) . وبعد ان تم الاعدام طلب الفدائيون مرة اخرى طائرة تقلهم مع السفير السعودي والقائم بالاعمال الاردني الى جهة رفضوا تحديدها ، وتلصوا مطالبهم الستة الى مطلب واحد هو الافراج عن ابو داوود ورفاقه المعتقلين في الاردن . وفي اليوم الثالث للعملية (٣ اذار) طلب السودان من الفدائيين تسليم انفسهم فرفضوا ، كما رفضوا تسليم جثث الرهائن الثلاثة ، وطلبوا من جديد طائرة تقلهم جميعا الى ليبيا . وفي اليوم الرابع استسلم رجال ايلول الاسود في الساعة السادسة صباحا بعد ٥٩ ساعة مضت على بدء العملية ، واثار استسلامهم دهشة واسعة في الخرطوم . وخلال هذه الساعات الطويلة كانت ابرز مواقف الاطراف المعنية كما يلي :

الاردن : كان اول من تحرك ضد العملية وقال على لسان وزير الخارجية صلاح ابو زيد هذه العملية « ليست في مصلحة الفدائيين وستزيد الامور تعقيدا » . وفي اليوم التالي رفض الاردن مطالب الفدائيين واعلن انه يرفض اجراء « اي تسوية او مساومة مع المجرمين » .

السعودية : تميز رد فعلها بالبرود الشديد ، وارسل الملك فيصل في اليوم الثاني للعملية برقية الى النميري قال فيها « اننا لواثقون من حكمة فخامتكم في تصريفكم للامور ووضع حد لمثل هذه التهديدات والاستفزازات التي تضر بقضايا العرب ووحدة الصف » . ثم نشرت انباء صحفية على لسان مسؤولين سعوديين تقول ان السعودية ستعيد النظر في علاقاتها مع حركة المقاومة وفي وجود كثير من الموظفين الفلسطينيين لديها . ولكن السعودية سارعت الى نفي النبأ الذي يتعلق بالفلسطينيين المقيمين في السعودية دون ان تنفي الشق الاول من الانباء .

الولايات المتحدة : اعلن الرئيس الامريكي نيكسون ان الولايات المتحدة لن ترضخ للتهديد ولن تستجيب للمطالب . وبعد ان تم اعدام الرهائن دعا الى محاكمة رجال ايلول الاسود . ثم وجه رسالة رسمية الى الحكومة السودانية طلبت بشكل غير مباشر عدم تمكين رجال ايلول الاسود من مغادرة الاراضي السودانية . اما بعد ان استسلموا للحكومة السودانية فقد اعلن روجرز ان رجال ايلول الاسود يستحقون عقوبة الاعدام .

اسرائيل : رفضت اسرائيل بدورها الاستجابة للطلبات المقدمة ، وركزت صحفها على الاختيار الصعب المطروح امام النميري بين تأييد الفدائيين وبين حاجته للمساعدات الامريكية . وحين اعلن حظره لكل نشاط يتعلق بحركة المقاومة في السودان، اثنت الصحف الاسرائيلية على هذا الموقف ودعت بقية الحكام العرب للنسج على منواله ، قائلة ان مثل هذه المواقف تفسح المجال امام انجاح التسويات السياسية .

السودان : في اليوم الاول للحادث اجتمعت الوزارة السودانية في جلسة طارئة ، قامت على اثرها قوات عسكرية بتطويق مبنى السفارة السعودية . وفي اليوم الثاني تم تدعيم القوات العسكرية حول المبنى . وقد اتخذت هذه الاجراءات دون الاعلان عن اي موقف سوداني رسمي . ولكن ما ان استسلم رجال ايلول الاسود حتى بدأت الحكومة السودانية حملة على كافة المستويات استهدفت حركة المقاومة بمجملها بالادانة والتجريح . فقالت مصادر مطلعة ان المعتقلين سيحاكمون بتهمة القتل وشنت الصحف السودانية (٥ اذار) حملة ضد حركة فتح واتهمتها بالاشتراك بالعملية . وفي اليوم التالي (٦ اذار) أعلن النميري في خطاب شعبي وضع حد لكل نشاطات المقاومة في السودان ، وأكد ان الفدائيين سيحاكمون « وسيكون عقابهم منصفا » ، واتهم مكتب حركة فتح بانه يقوم بنشاطات تخريبية في السودان ، ويتصل بعناصر هدامة في اثيوبيا (ثوار اريتريا) بواسطة عناصر سودانية ، وتحدى عرفات ان يندد علنا باحتلال السفارة ، واعتبر الحادث عدوانا على الشعب السوداني !! ثم بعث النميري برسائل الى الحكام العرب دعاهم فيها الى وضع قيود على حركة

الفدائيين مشيرا الى ان ليبيا تقف وراء الحادث . ثم اتسع نطاق الحملة السودانية ليشمل اعتقال ستة سودانيين واثنين من ثوار اريتريا وجهت لهم تهمة الاتصال بمنظمة ايلول الاسود . ثم اتسعت الحملة اكثر ، فاعتقل مدير مكتب منظمة التحرير بالخرطوم ، وطالبت السودان بتسليم مدير مكتب فتح الذي غادر الخرطوم قبل الحادث متوجها الى ليبيا لمحاكمته ، واشاعت السلطات السودانية ان المعتقلين كانوا ينوون اختطاف امبراطور الحبشة هيلاسيلاسي .

المقاومة : كان اول رد فعل لحركة المقاومة في اليوم الثاني للعملية بعد ورود الانباء الاولى عن اعتقال مدير مكتب منظمة التحرير الفلسطينية ، اذ بعث السيد ياسر عرفات ببرقية الى النميري استغرب فيها اعتقال مدير المكتب ، مبينا انه ليس لمنظمة التحرير علاقة بالحادث ، وناشدا النميري استخدام الحكمة حتى لا تتكرر مأساة حادث ميونيخ . وكان رد الفعل الثاني لحركة المقاومة في اليوم الثالث للعملية حين بدا من طبيعة الحشد العسكري حول السفارة ان هناك نية لاقتحامها فأرسل عرفات برقية اخرى الى النميري قال فيها ان قرار اقتحام السفارة سيؤدي الى اراقة الدماء ، وان مندوبا عن منظمة التحرير سيصل الى الخرطوم ليساعد على حل الازمة . ثم اعلنت حركة فتح في يومين متواليين ان لا علاقة لها بالحادث ، في اليوم الاول (٥ اذار) ردا على حملة الصحف السودانية ، وفي اليوم الثاني (٦ اذار) ردا على حملة النميري نفسه . وهنا اضافت انها تحقق في الانباء التي تحدثت عن اشتراكها في العملية ، وان النميري اخطأ حين وجه لها هذا الاتهام . وحين تصاعدت حدة الموقف السوداني برز موقف هجومي لحركة المقاومة ، عبر عن نفسه في الرسالة التي بعث بها عرفات الى الحكام العرب ، محتجا على موقف السودان من حركة المقاومة ، وقائلا ان هناك مؤامرة صهيونية امريكية تحاك ضدها (٨ اذار) . وفي نفس اليوم ردت حركة فتح على خطاب النميري وعلى رسائله « التي تمثل اتجاها جديدا لا يرضاه مخلص في السودان » ، وقالت ان هذا الموقف : يشكل محاولة لتحريض الانظمة العربية ، وانعكاسا للضغط الامريكي الاثيوبي ، وحكما مسبقا في قضية لم ينته التحقيق فيها بعد .

وبذلك تكون عملية الخرطوم قد كشفت عن الانسجام في الموقف من حركة المقاومة بين السودان والاردن ، واظهرت سرور اسرائيل لهذا التطور في الموقف السوداني ، واوضحت مدى التأثير الامريكي على السياسة السودانية ، واوجدت ازمة فدائية — عربية ، اخذت مداها في السودان ، ولم يعرف بعد كيف ستعبر عن نفسها في السعودية .

اوضاع المقاومة الداخلية :

تميزت اوضاع المقاومة الداخلية خلال هذه الفترة بنشاطات جماهيرية اثارت اهتماما واسعا في الاوساط السياسية . ففي ٢٥ شباط نظمت الجبهة الديمقراطية مهرجانا شعبيا في مخيم شاتيلا بمناسبة ذكرى تأسيسها الرابعة . وتميز المهرجان بحضور شعبي واسع ، وباسهام الاحزاب التقدمية اللبنانية فيه بوزن ملحوظ ، وبحملة من قبل هذه الاحزاب على موقف الحكومة اللبنانية اثناء الاعتداء الاسرائيلي على مخيمي البارد والبداوي . والقى نايف حواتمة الامين العام للجبهة الديمقراطية كلمة طويلة في المهرجان عرض فيها للملامح البارزة للسياسة العربية الراكضة وراء الحلول التصفوية ، مقارنا بينها وبين النضال الجماهيري الفلسطيني والعربي . وحين تطرق في حديثه الى تأثيرات المساعي باتجاه الحلول التصفوية على مستقبل حركة المقاومة نقل كلاما عن الرئيس صائب سلام قاله لوفد من حركة المقاومة جاء فيه : ان على المقاومة الفلسطينية ان تلملم بنادقها وترحل ، لان الحل السلمي آت . واثار هذا المقطع من الخطاب اهتمام الصحافة اللبنانية التي نقلته بشكل بارز . وفي اليوم التالي نفى صائب سلام ما ورد في خطاب حواتمه وقال : انا لا اعرف السيد حواتمه ، واربأ باي اخ فلسطيني ... ان يضع على لساني كلاما لم اقله بتاتا ، ورأيي بالحل السلمي معروف وهو ان ما اخذ بالقوة لا يسترد الا بالقوة ، وموقفي من المقاومة محبة وتفهم ومساندة . وعلى الفور ردت الجبهة الديمقراطية فقالت : نؤكد صحة ما ورد في حديث سلام بانه لم يلتق يوما بالرفيق حواتمه . ولكن الحديث صحيح وورد في لقاء مع وفد من حركة المقاومة يوم ٧٣/٢/٧ ، وعلى اثره صرح صائب سلام قائلا ان المقاومة هي الان على مفترق طرق ٧٣/٢/١٠ . واضافت الديمقراطية في ردها : ان المحبة والتفهم للشعب الفلسطيني تتم بالتضامن النضالي معه لا بالمواقف اللفظية . ولقد كانت تجربة العدوان على مخيمي البداوي ونهر

البارد مقياسا عمليا لمدى جدية هذين (الهبة والتفهم) » . واستمرت تفاعلات هذه القضية حتى يوم ٢ اذار حيث نسبت وكالة الانباء الوطنية للسيد ياسر عرفات بعد لقاء له مع صائب سلام انه نفى خلال الزيارة صحة ما اعلنه نايف حواتمه في خطابه .

واثار مهرجان جماهيري اخر نظمه طلاب الجامعة الاميركية في بيروت ضجة مماثلة اثر خطاب القاه السيد هاني الحسن (فتح) يوم ٩ اذار حين كانت ازمة المقاومة مع السودان في ذروتها ، وكذلك قضية ابو داوود بعد تصديق احكام الاعدام . تميز خطاب هاني الحسن بالوضوح والعنف فهاجم المسؤولين المصريين الذين كانت لهم تحفظات على الاتحاد السوفياتي ولكنهم تحولوا الى الارتماء في احضان امريكا ، وحيا الصداقة الفلسطينية السوفياتية ، وثمن العلاقات المبدأية بين المقاومة والصين الشعبية ، ثم وصف الاردن والسعودية والسودان بأنها قلاع للامبريالية الاميركية في المنطقة ، وقال ان الثورة الفلسطينية عقبة تقف في وجه المخططات الامبريالية ، وهي تقود شعبا سيطلق النار على قائد يعقد اتفاقات على حساب الشعب الفلسطيني وحقوقه . واعلن ان المقاومة الفلسطينية تدعم الثوار في ايران وتركيا واريتريا .

اما على صعيد التوتر في العلاقات الداخلية فلم يكن هناك سوى حادث واحد جرت مواجهته بسرعة وذلك حين اقدمت الصاعقة على تعليق عضويتها في اللجنة السياسية العليا لشؤون الفلسطينيين في لبنان ، وسحبت عناصرها من قيادة الكفاح المسلح، وذلك احتجاجا على اطلاق عناصر فدائية النار على المواطن اللبناني محمد راشد دوغان في منطقة صبرا . وقد تدخل السيد ابو يوسف فورا للتفاهم مع الصاعقة حول معالجة الموضوع ، وتدخلت الشخصيات البارزة في الحي لتطويق ذيوله وازالة حالة التوتر التي رافقته .

ومن القضايا التي أثارت نقاشا في اوساط المقاومة، قضية العميد عبدالرزاق اليحيى والشهادة التي أدلى بها أمام المحكمة الفدرالية العليا في الولايات المتحدة . وهي المحكمة التي تنظر في قضية الطائرات التي استولت عليها الجبهة الشعبية ونسفتها قبيل مجازر أيلول ١٩٧٠ في مطاري القاهرة والزرقاء بالاردن ، وذلك بعد ان رفعت شركتا البان اميركان والخطوط الجوية الاميركية عبر العالم دعوى أمام المحكمة المذكورة للحصول على ٣٤ مليون دولار من شركات التأمين . ومع ان القضية قضية قانونية بحتة ، الا أن مجرى النقاش فيها تطور الى منحى سياسي . فبحسب قانون شركات التأمين يجري دفع قيمة الطائرات المعطوبة ضمن ظروف متعددة منها حالة الحرب ، وحالة الحرب الاهلية . وانطلاقا من ذلك دار النقاش في المحكمة بين وجهتي نظر :

وجهة نظر شركات الطيران المعنية باثبات وجود حالة حرب بين الفلسطينيين واسرائيل والجهات التي تدعمها (الولايات المتحدة) ، وبوجود حالة حرب أهلية بين الفلسطينيين والنظام الاردني ، حين تم خطف الطائرات ونسفها . وتعتمد شركات الطيران في سعيها لاثبات وجهة نظرها على ادبيات الجبهة الشعبية التي شرحت فيها عملية الخطف ودوافعها واهدافها .

ووجهة نظر شركات التأمين التي ترفض الاعتراف بذلك وتقول انه لا وجود لشعب فلسطين منذ عام ١٩٤٨ ، وان الذين خطفوا الطائرات مجموعة من رجال العصابات المسلحين ، ليسوا في حالة حرب مع اسرائيل ، ولا في حالة حرب اهلية مع النظام الاردني ، وان النظام الاردني اضطر لضرب هذه العصابات في ايلول ١٩٧٠. وتعتمد شركات التأمين في دعم وجهة نظرها على مجموعة من الوثائق والمعلومات قدمتها شخصيات اسرائيلية .

وقد اهتمت المؤسسات العربية والفلسطينية في الولايات المتحدة (الجامعة العربية ومكتب منظمة التحرير) بمجرى النقاش السياسي الدائر في المحكمة . ورأت ان صدور حكم يستند الى وجود حالة حرب بين الفلسطينيين واسرائيل يقدم خدمة للقضية الفلسطينية ، اذ يعطي نوعا من الاعتراف بقانونية النضال الفلسطيني يمكن الاعتماد عليه في حملات الاعلام في الولايات المتحدة وعلى النطاق الدولي . وبناء على ذلك تجاوبت مع طلب المحامين المعنيين بالقضية . واقترحت عليهم مجموعة من الشهود من بينهم العميد عبد الرزاق اليحيى باعتبار انه كان قائدا لجيش التحرير الفلسطيني أثناء معارك ايلول .

وحين علم العميد اليحيى باختياره للشهادة ، بحث الموضوع مع الجهات المعنية في اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير ، وبناء على هذا البحث سافر الى الولايات المتحدة . وقد تلقى مركز الابحاث

الفلسطينية رسالة من شخصية فلسطينية مطلعة في الولايات المتحدة أشارت بالتقدير لمستوى ونوعية الشهادة التي أدلى بها العميد اليحيى واعتبرتها خدمة « ممتازة لصالح القضية الفلسطينية » .

والجدير بالذكر ان جولدا مئير كانت قد حذرت السفارات الاسرائيلية في الخارج من استعمال العبارة التي تقول « بوجود حالة حرب بين اسرائيل والمنظمات الفلسطينية » . وذلك حتى لا تستعمل التصريحات الاسرائيلية التي تستخدم هذه العبارة كدليل في المحكمة الفدرالية التي تنظر بقضية الطائرات (هآرتس — ك ١ — ١٩٧٢) .

محادثات بلغاريا والمانيا الديمقراطية :

قام وفد من المقاومة الفلسطينية برئاسة السيد ياسر عرفات ، يضم ممثلين عن كافة المنظمات الفدائية بزيارة الى دولتين من دول اوروبا الشرقية هما بلغاريا والمانيا الديمقراطية . واجريا في هاتين الدولتين محادثات هامة انتهت يوم ٢٢ شباط .

ولوحظ ان الوفد الفلسطيني اصطحب معه ممثلين عن الاتحادات والنقابات الفلسطينية ، واتاح ذلك فرصة اجراء اتصالات ومحادثات مع المؤسسات الشعبية في البلدين ، اضافة الى المحادثات السياسية التي اجراها وفد اللجنة التنفيذية . كذلك لوحظ بان الوفد الفلسطيني استقبل على مستوى رؤساء الدول ، وكشفت طبيعة الاستقبال عن مدى اهتمام البلدين بالزيارة وبالمحادثات التي اجريت خلالها . ومع انه لم يصدر رسميا ما يشير الى طبيعة المحادثات ، الا ان ما نشر عنها يكشف عن تأييد البلدين الحار لحركة المقاومة ونضالها ، واستعدادها لتقديم كل دعم تطلبه . ويأتي هذا الارتفاع في مستوى دعم دول المعسكر الشرقي لحركة المقاومة ، بعد المحادثات الهامة التي اجريت في الزيارة الاخيرة التي قام بها السيد ياسر عرفات الى موسكو .

بلال الحسن

صدر حديثا عن مركز الابحاث كتاب باللغة الانجليزية بعنوان

غســـان كنفـــاني

بقلم

آني كنفاني

أربعون صفحة مدعومة بالصور عن حياة الشهيد غسان كنفاني :
غسان المناضل ، غســـان الاب والزوج والكاتب والفنـــان .

اطلب الكتاب من : قسم التوزيع في مركز الابحاث الفلسطيني

ص.ب ١٦٩١ — بيروت

سعر النسخة ليرة لبنانية واحدة
تضاف اليها أجور البريد : ١٠٠ ق.ل. في العالم العربي ،
٢٥٠ ق.ل. في أوروبـــه ، ٥٠٠ ق.ل. في ســائـــر الدول

« المذيع : ما هو شعورك بعد انتقالك الى تل أبيب ؟

الجندي : ليس جيدا ولكن يجب ان نتغلب على ذلك ..

المذيع : لماذا ليس جيدا ؟

الجندي : لاننا نتعامل مع مواطنينا وهم ليسوا سكانا عربا وهذا أمر صعب . لقد تعلمنا اسلوب التعامل مع طبيعة العرب اما اسلوب التعامل مع مواطنينا فلم ندرسه بعد .

المذيع : ماذا تدرسون ؟

الجندي : ندرس كيفية التعامل مع مواطنينا وهو تعامل ليس مثل اسلوب التعامل مع العرب في غزة. المطلوب هنا أسلوب اكثر **نعومة** واكثر **اجتماعية** هنا السكان « ليسوا عربا بل يهود » .

المذيع : ماذا كان الهدف من وجودكم في غزة ؟

الجندي : كان الهدف في غزة **اثبات الوجود** حتى يشعر العرب ان هناك قوى عسكرية ... وشرطة تجوب الشوارع طول الوقت .

المذيع : الهدف الآن كما أفهم ان تشعر العصابات والغصوص في تل ابيب بمثل هذا الشعور .

الجندي : لن يكون شعوري بالمرتاح جدا عندما اصطدم بالسكان اليهود. لقد كان أسهل أن نصطدم بالسكان العرب وان نصيب المخربين رغم الخطر الذي نواجهه هناك . أما هنا في تل أبيب فهذا غير مفرح . سنحتاج للتعامل بليونة أكثر وان نتصرف **وفق القانون** ، متقيدين **بقوانين الشرطة** ، والا فاننا لن نستطيع اعتقال اشخاص واذا اعتقلناهم فسوف يطلقون سراحهم اذا لم نعتقلهم حسب نصوص القانون.

المذيع : أعتقد ان **الاعتقال في غزة** كان يتم حسب القانون ؟

الجندي : **في غزة** كان الموضوع بسيطا .. كنا مخولين باعتقال الشخص بمجرد قيامه بأي عمل.. او بمجرد الاشتباه به .. او في اي ظرف نشاء .. **وفي غزة** عندما كنا **نقتل** احد السكان العرب **كانت الفرحة تعم الجميع** (!!) وهنا يختلف الوضع نهائيا .. لا سمح الله اذا اضطررنا لاصابة أحد المواطنين ولو كان لصا فهو أولا وقبل كل شيء يهودي (!!) » .

كان هذا نص المقابلة الاذاعية التي أجراها راديو العدو الصهيوني باللغة العبرية مع احد جنود حرس الحدود الصهاينة ضمن أحد برامجه التي بثها يوم ١٩٧٢/٨/٢٥ .

كانت هذه المقابلة تتويجا لما اعلنه دايان قبل ذلك الوقت بقليل من ان المقاومة في غزة قد انتهت فضلا عن الاجراء العملي الذي اتخذته السلطات الصهيونية ايضا قبل ذلك الوقت ونقلت بموجبه مجموعات من حرس الحدود الذين استنزفت قواهم المقاومة طيلة أكثر من اربع سنوات فصلت ما بين الاحتلال الصهيوني لغزة عام ١٩٦٧ وحتى مجازر الاحراج تموز عام ١٩٧١ .

وقد اخترت هذه المقابلة بالذات لتكون مقدمة لهذا المقال لعدة اسباب **بدءا** من عنوان المقال « غزة مقاومة دائما » وهي قضية اساسية لا بد من تسليط الاضواء عليها **وانتهاء** بأن الارادة القتالية الفلسطينية قد تعمقت أكثر وازدادت اخصابا بعد ان صقلتها التجربة وأكسبتها المؤامرات مزيدا من الصلابة والاصرار على النضال .. وهي قضية اساسية كذلك. **ومرورا** بالطبيعة الفاشية العنصرية للصهيونية التي تكرست في أبشع الصور والاشكال ممارسة ضد شعبنا في فلسطين المحتلة .

وعلى أي حال فانني لن اخوض تفصيلا في استنباط الفاشية العنصرية التي تميز حتى ذهن الجندي الصهيوني البسيط فذلك أمر يستطيع كل من قرأ الحوار في مقدمة المقال ان يتبينه بيسر وخاصة حينما يصل الى العبارة التالية : عندما كنا نقتل **احد السكان العرب** كانت **الفرحة تعم الجميع** ... وهنا يختلف الوضع نهائيا (يعني في تل أبيب) لا سمح الله اذا اضطررنا لاصابة أحد المواطنين ولو كان **لصا** فهو أولا **وقبل كل شيء يهودي !!**

انه كلام واضح لا يحتاج الى كثير من فطنة ، انها العنصرية الفاشية يترجمها هذا الجندي الصهيوني بمنتهى البساطة وبدون اي تكلف .

تبقى اذن قضية غزة مقاومة دائمة في وجه الاحتلال، وتعمق الارادة القتالية الفلسطينية التي طرحت بشبهة خلال سؤال لماذا لا تقاتل الثورة الفلسطينية فوق

الارض المحتلة، هذا السؤال الذي يبدو ان طرحه قد أصبح لهجة من لهجات القوى المضادة للتشكيك بالثورة الفلسطينية والذي يبدو ايضا ان بعض المثقفين من قصار النفس ومن الذين لا يملكون غير الصالونات ينظرون للثورة من خلالها ضاربين صفحا عن كل ما يحيط بالثورة الفلسطينية من تآمر ومؤامرات متجاوزين الظروف الموضوعية القائمة ورياح السلم الامريكي الاسرائيلي التي تلطم وجه المنطقة والتي استطاعت عبر وقت قصير نسبيا ان تركع معظم انظمة هذه المنطقة ، ومتجاهلين كذلك ان رأس الثورة الفلسطينية قد أصبح مطلبا ليس امبرياليا صهيونيا فحسب وانما ايضا مطلب بعض الانظمة التي تداعبها احلام الانسحاب الاسرائيلي بدون أي ثمن سوى الركوع !!

وفي الواقع فانه برغم ان عنوان المقال « غزة مقاومة دائمة » فانه لا انفصال ... فغزة تقاتل حينما تدفع الثورة الفلسطينية لغزة بخيرة كوادرها يقودون القتال داخلها . وغزة تقاتل حينما يمتد القتال الى العمق من الارض المحتلة وفوق اي جزء من أجزائها .

ان الارتباط بين النضال الجماهيري في غزة وفي الضفة الغربية وفي الجليل وبين توغل الفدائيين عبر خطوط المواجهة وامعانهم في ضرب العدو في أعمق نقاطه داخل الارض المحتلة هو ارتباط جدلي مادي يرتفع كلما تصاعد مد الثورة وكلما مضت عبر شعاب الارض المحتلة توقع الخسائر بالعدو وينخفض كلما انكمشت العمليات وتضاءلت . ان النضال الجماهيري داخل قطاع غزة يسحب نفسه على كل شبر في القطاع عندما كانت الثورة الفلسطينية تملك ان تعبر من اي نقطة فوق النهر وعندما كانت العمليات الفدائية تشغل جزءا كبيرا من قوات العدو العسكرية فضلا عن جزء آخر من الاحتياطي ...

وعندما بدا ان الثورة الفلسطينية تذبح فوق الارض العربية وعندما توقف قتال الاستنزاف ، بدا واضحا ان النضال الجماهيري داخل قطاع غزة سوف يتأثر بل سوف يمنى بضربات قاسية وقاصمة . وعمليا فانه لم تمض شهور على مجازر الاحراج وعلى اغلاق الحدود أمام الثورة الفلسطينية ثم على وقوف القوات الملكية الاردنية حارسا أمينا على طول خط المجابهة مع العدو حتى انصرف العدو بمعظم قواه نحو الداخل يمعن فيه قمعا مكرسا كل ما يملك من قوة غاشمة لتصفية النضال الجماهيري في القطاع اولا وفي باقي المدن والقرى الفلسطينية الاخرى...

ولقد اتبع العدو بالنسبة لقطاع غزة كل الاساليب التي تتاح لعدو عنصري يملك الامن والطمأنينة على كل الجبهات ، كما يملك الادوات العصرية القادرة على القمع :

● وسع العدو شوارع المخيمات في القطاع بحيث تتيح لدورياته التحرك والتجول عبرها بحرية في محاولة لقمع المقاومة الفلسطينية: « ان معسكر اللاجئين في جباليا والذي كان منذ سنة مصدرا «للارهاب» قد يختفي من الخارطة خلال فترة قريبة . ان عملية شق طرق الامن وتخفيف كثافة مباني المعسكر التي جرت قبل سنة ادت الى خفض عدد سكان المعسكر من أربعين الفا الى ثلاثين الفا وسينقل حوالي نصف العائلات المخفضة الى مناطق جديدة » . (أمنون نداف مراسل اذاعة العدو في برنامج شخصيات واحداث في الاخبار باللغة العبرية). (« وفا » ١٩٧٢/١٠/١٩) .

● أمعن في زج شباب القطاع في السجون لمجرد الشبهة تارة وحتى بدونها تارة أخرى وقام بتفتيش المنازل والمحلات التجارية في عملية مسح استغرقت العدو طوال شهور في مدينة غزة والمخيمات .

« بلغ عدد المعتقلين في قطاع غزة من المواطنين العرب خلال عام ١٩٧٢ أكثر من الفي مواطن بعضهم بقي أشهر طويلة رهن الاعتقال ودون محاكمة وبعضهم مثل أمام محاكم العدو العسكرية وحكم عليه بالسجن والبعض الاخر افرج عنه » .

● نثر عملاءه وأعوانه في كل مكان من القطاع في محاولة لتطويق الفدائيين وكشف مواقعهم .

● وجه حربه النفسية الى كل المواطنين الفلسطينيين في كل الارض المحتلة وخاصة الى المواطنين في قطاع غزة . وجند العملاء الذين يحاورون الاردن « رشاد الشوا زار عمان اربع مرات قابل الملك خلالها للمساهمة في تسليم القطاع وتقسيمه بين الملك حسين واسرائيل » والعملاء الطامعين في حكم القطاع عن طريق المجالس المحلية « ذيب الهريبطي وغيره » كل ذلك من اجل الايحاء للمواطنين في القطاع بأن لا أمل سوى الاستكانة والخضوع والاستسلام . ولقد وجه حربه النفسية باتجاه القطاع والمواطنين الفلسطينيين في كل الارض المحتلة وخارجها عبر اذاعاته وصحفه

وشائعاته مستغلا في ذلك ، ذلك الشرخ العميق التي خلفتهمجازر الملك في عمان ، أيلول الاسود عام ١٩٧٠ وفي احراج جرش وعجلون ، تموز عام ١٩٧١ .

وأمام هذا كان لا بد ان ينكمش النضال القطاع بدرجة كبيرة حتى لقد بدا لكل من لم يمارس الثورة ولم يؤمن بنضال الجماهير ان هذا النضال قد وصل الى نقطة النهاية . وفي الحقيقة ، فان سببين أساسيين دفعا الى هذه الحالة الانكماشية النضالية : **الاول** ، ما ذكرناه من التوجه الملكي الاردني نحو ذبح الثورة الفلسطينية مضافا اليه توقف الرصاص العربي الرسمي فوق الارض العربية . **الثاني** ، هو ما اقتضته المرحلة الجديدة من ضرورة تغيير تكتيك النضال الجماهيري داخل الارض المحتلة .

« غزة في الليل للفدائيين » هكذا كان عنوان مقال افتتاحي للصنداي تايمز عام ١٩٦٩ .

« غزة يحكمها الفدائيون في الليل » بهذه العبارة اعترف دايان في يوم من ايام شهر سبتمبر/أيلول عام ١٩٦٩ ...

ثم وذات يوم من أيام شهر مايو/أيار ١٩٧٢ يعلن دايان ان المقاومة في غزة قد انتهت ، وانه قد تمت تصفية آخر جيوب « المخربين » . ثم يأمر دايان بسحب حرس الحدود من قطاع غزة ...

ثم تتوجه اجهزة الحرب النفسية بكل شراسة نحو القطاع تواكبها مخططات لضم القطاع نهائيا الى العدو وذلك عن طريق توليد ارادة محلية داخل القطاع هي ارادة كبار التجار الذين تمثلوا برشاد الشوا الذي بدا في تلك الفترة انه يلعب بالاضافة الى ضم القطاع الى اسرائيل لعبة الاداة التي يجري عبرها تكريس الصلح الواقعي بين المؤسسة العسكرية الصهيونية وبين نظام الملك حسين .

« قتل الجندي الاسرائيلي يتسحاق فيلدمان (١٩ سنة) من رمات جان وأصيب جندي آخر بجروح اليوم في انفجار قنبلة يدوية قذفت على شاحنة عسكرية في غزة . وقع الحادث في الساعة **العاشرة والنصف صباحا** عندما قذف أحد المخربين قنبلة يدوية الى داخل شاحنة عسكرية كانت تسير في شارع غزة الرئيسي وقد دخلت القنبلة قرب السائق وانفجرت وباشرت قوات الامن باجراء التحقيق » . (نشرة رصد اذاعة اسرائيل ، مركز الابحاث ، ١٩٧٣/٣/٨) .

« دارت صباح اليوم معركة مواجهة بين الثوار الفلسطينيين وقوات الاحتلال الصهيوني في غزة استمرت اكثر من ساعة وتكبد العدو خلالها عدة اصابات بين جنوده لم يفصح عنها حتى الان . وفي اعترافه بتطورات المعركة قال ناطق عسكري اسرائيلي ظهر اليوم ان المعركة بدأت في الساعات الاولى من صباح اليوم عندما فتح الفدائيون النار على قوات الاحتلال التي كانت تقوم بتمشيط منطقة حي الرمال بغزة ودارت الاشتباكات بين الجانبين ولم يعترف الناطق العسكري الصهيوني بخسائر قواته رغم اعترافه بأن الفدائيين هم الذين بادروا باطلاق النار .

وقال الناطق الصهيوني ان ثلاثة فدائيين بينهم قائد فدائي هو المناضل محمد محمود مسلم الاسود ويلقب تشي غيفارا قد استشهدوا . أما المناضلان الآخران فهما كمال عبدالعزيز حنون وعبدالهادي ابراهيم عبدالعزيز الحايك .

ومن ناحية أخرى أعلن الناطق العسكري الصهيوني ان الدكتور رشاد موسى مسمار قد اعتقل في حي الرمال بغزة وزعم انه عثر في منزله على مخابىء للاسلحة وكمية من المنشورات ورسائل تهديد الى العملاء والمتعاونين مع الاحتلال . ومما يذكر ان الدكتور مسمار كان قد حكم عليه بالسجن خمس سنوات لاشتراكه في عمليات فدائية ضد قوات الاحتلال . » (نشرة وكالة الانباء الفلسطينية «وفا» ١٩٧٣/٣/٩) .

« انفجرت قنبلتان يدويتان في حي الرمال بمدينة غزة . زعم ناطق عسكري صهيوني اليوم ان دورية عسكرية اكتشفت القنبلتين اليدويتين وان خبير متفجرات قام بتفجيرهما ». (« وفا » ١٩٧٣/٣/٩).

كان ينبغي أن نقفز هكذا حتى نصل الى آخر العمليات التي نفذها الثوار الفلسطينيون فوق الارض المحتلة في قطاع غزة .

ذلك ان دايان كان قد أعلن في الاسبوع الاول من شهر أيار/مايو انه قد تم القضاء على شبكات « المخربين » في القطاع ثم أتبع ذلك بخطوة عملية هي نقل بعض حرس الحدود من قطاع غزة الى الداخل كترجمة عملية لما يؤكد ويقول كما اشرنا في بداية المقال .

ولكن لم تمض فترة على تصريحات دايان حتى بدا ان ما يقوله لا يمثل الحقيقة والواقع على الاطلاق اذ بدأت قنابل غزة تتفجر واحدة بعد الاخرى وبدا ان الهدوء والامن الذي ظنوه لم يكن سوى عودة لترتيب الصفوف واعادة ترتيب التنظيم على صعيد المقاومة ثم انطلقت السواعد الثائرة في غزة تفجر من جديد أمن العدو معلنة ان غزة ثورة دائمة ضد الاحتلال .

ورغم انه وحتى في فترة الهدوء النسبي التي أرادها الثوار الفلسطينيون فانه كان هناك عمليات متفرقة بين حين وحين هي لتأكيد الوجود على المستوى العربي والعالمي اكثر منها لشن حملة جديدة من العمليات يوقنون لها ...

ولا نريد لهذا المقال ان يكون سردا لعمليات الثوار الفلسطينيين في قطاع غزة او غير قطاع غزة ... خلال سنة مضت مثلا ، لكنه لا بد من العودة الى سلسلة العمليات التي نفذها هؤلاء الثوار خلال فترة الربع الاخير من العام الماضي وحتى الربع الاول من هذا العام في قطاع غزة بالتحديد. وسنعرض لها باختصار شديد حتى تكون شاهدا على ان الثورة الفلسطينية ما زالت تتمترس في خنادقها متسلحة بشموخ ارادة القتال الصلبة فيها ... تقاتل ما وسعها القتال ولكن يبدو لاكثر من سبب هو في ضمير الاعلام العربي وفي وعي معظم الحكام العرب الذين يسيطرون عبر الرقيب على أجهزة اعلامهم يبدو ان التركيز والقاء الضوء على عمليات الثوار الفلسطينيين غير وارد ... ان ثمة حقيقة باتت معروفة وهي ان تعتيما متعمدا بدأ يلف الثورة الفلسطينية وعمليات ثوارها بل اننا نذهب في القول الى ما هو أبعد من ذلك وهو ان بعض الانظمة العربية ممن هللت للثورة الفلسطينية وتقصدت تضخيم عملياتها ذات يوم بات يقلقها ويؤرقها ويثير أعصابها كثيرا وكثيرا جدا ان يكون للثورة الفلسطينية عمل قتال متصاعد فوق الارض المحتلة.

على أي حال فان المرء يستطيع أن يعد سبعا وعشرين عملية في قطاع غزة في الفترة ما بين ٨/٢٥ و١١/١٦ نفذها الثوار الفلسطينيون. وهذه العمليات اعترف العدو بخمس عشرة عملية ولم يعترف بالباقي . واننا لنود ان نلفت النظر الى ان كثيرا من العمليات لم يعلن العدو عن وقوعها بينما وقعت فعلا ... ذلك ان العدو لا يعلن الا عندما تكون العملية مكشوفة لا يستطيع أن يضرب حولها نطاقا من السرية التي يضربها عادة من حول عملياته وخسائره ...

وعلى سبيل المثال لا الحصر فقد نفذت ٢٧ عملية عسكرية في قطاع غزة على الاقل في الفترة ما بين ١٩٧٢/٨/٢٥ و١٩٧٢/١١/١٦ . (يمكن الرجوع الى اعداد شؤون فلسطينية السابقة لهذا الغرض).

وأمام هذه الحقيقة التي انكر العدو جزءا منها — حينما استطاع اخفاء الكثير من عمليات الثوار الفلسطينيين التي تمت في مواجهة قواته العسكرية في قطاع غزة وكل الارض المحتلة — لم يستطع العدو الا ان يعترف وفي مناسبات متفرقة وعلى لسان كبار زعمائه وقادته تارة وفي صحفه تارة اخرى ، من ان القتال الفلسطيني ما يزال واقعا يفرض نفسه على امتداد الارض المحتلة ...

● يقول شلومو هليل في جزء من حديث له أمام المستوطنين وأذيع من راديو العدو باللغة العبرية يوم ١٩٧٢/١٠/٢ « علينا ان نعد انفسنا لمجابهة تجدد الارهاب على طول الحدود وداخل اسرائيل » (وفا) .

● وتدعو صحيفة عل همشمار يوم ١٩٧٢/١٠/١٢ الى الاستعداد جيدا لمواجهة الارهاب داخل دولة اسرائيل (رصد اذاعة اسرائيل — مركز الابحاث).

● وتقول صحيفة دافار شبه الرسمية «ان الخسائر التي ألحقت بالدولة نتيجة للحرائق بلغت ٢٠٩ أشخاص بينهم ٣١ قتلوا و٧٢ اصاباتهم خطيرة و١٠٦ اصابات غير خطيرة » (وفا ١٩٧٢/١١/١٧).

● وتقول صحيفة هاتسوفيه « ان الحرب ضد الارهاب والتخريب هي حرب طويلة الامد وعلى جهات الامن اظهار المبادرة والجرأة لقطع دابر المخربين » . (رصد اذاعة اسرائيل — مركز الابحاث ١٩٧٣/١/٢٣) .

● وتقول وكالة رويتر للانباء تعليقا على عمليات الثوار الفلسطينيين في القطاع والضفة الغربية والعمق من اسرائيل « ومما يذكر ان السلطات الاسرائيلية تحدثت قبل أسابيع عن ازدياد النشاط السياسي والتنظيمي للفدائيين في مناطق نابلس وجنين وقلقيلية في الضفة الغربية وقطاع غزة واعتقل ١٢ شخصا بعلاقاتهم بالمنظمات الفلسطينية» (رويتر ١٩٧٣/٢/٣) .

لقد وصل الامر بوكالة انباء رويتر الى أن تلاحظ

بأن عمليات الفدائيين الفلسطينيين والى أن نشاطهم التنظيمي والسياسي في تزايد ... وهذه شهادة انتزعتها الثورة الفلسطينية رغم ما تحاط به من تعتيم اعلامي متعمد وطوق حصار مادي على حركة ثوارها .

« ان الوضع اليوم هادىء تماما .. لقد انتهت مرحلة المظاهرات والاضطرابات وقضي على العمل التخريبي في هذه المرحلة بصورة نهائية » . (دايان في برنامج شخصيات وأحداث في الاخبار — رصد اذاعة اسرائيل ، ١٩٧٢/١٢/١٣) .

قال دايان ذلك ثم استسلم لابتسامة عريضة وعبر الى مواضيع أخرى في حديثه . ولم يكن دايان يدري ان ما يدبره الثوار الفلسطينيون عبر خلاياهم في الضفة الغربية والقطاع وفلسطين المحتلة منذ عام ٤٨ سوف يقلق دايان كثيرا وسوف يقتلع منه الابتسامة العريضة .

وبالفعل لم تمض ايام على مقولة دايان هذه حتى تفجر النضال في غزة من جديد وحتى تصاعد هذا التفجر الى درجة انه استهدف عملاء العدو في غزة والقطاع بالاضافة الى جنود العدو نفسه ودورياته ومنشآته العسكرية ...

فعدا عن نسف عدد من خطوط السكة الحديدية في القطاع وتفجير بعض مصانع العدو « اعترف العدو بذلك مؤخرا » (نشرة مركز الابحاث ، رصد اذاعة اسرائيل ، شهر ١٩٧٣/٣) وعدا عن الهجوم على دوريات العدو وآلياته وجنوده فقد قتل الثوار الفلسطينيون المدعو ذيب الهربيطي الذي كان رئيسا للجان المجالس المحلية التي كاد العدو بالتعاون مع العملاء ان يفرغ من تشكيلها كما أطلقت النار على رشاد الشوا وأصيب مرة أخرى .

ثم بعد ذلك كانت معركة الرمال الاخيرة ... معركة جيفارا غزة ورفيقيه التي جاءت بعد ساعات فقط من القاء قنبلة على شاحنة عسكرية صهيونية قتلت سائقا وجرحت اثنين — اعتراف العدو ضمن مبدأ عدم الاعلان عن كل خسائر — وبعد ساعات ايضا من جرح جنديين صهيونيين نتيجة انفجار لغم في سيارة عسكرية للعدو في القطاع .

وقد وصفت هآرتس (٧٣/٣/١١) المعركة التي تمكنت قوات الاحتلال الاسرائيلي فيها ، من اكتشاف مقر ثلاثة من قادة الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين في القطاع : محمد محمود الاسود (٣٠ سنة) عضو المكتب السياسي وقائد قوات الجبهة في القطاع، وكامل العصي (٢٥ سنة) ، وعبدالهادي حايك (٣٥ سنة) من قادة الجبهة في القطاع ، بقولها : « في الساعة الخامسة والنصف من فجر يوم الجمعة ، قامت قوات الجيش الاسرائيلي بتمشيط بيوت حي الرمال في غزة ، كعادتها كل يوم . وعندما دخلت القوة الى الفيلا التي ترتفع عليها لافتة : الدكتور راشد مسمار ، وجدت ابناء العائلة ، نساء واطفالا ، وعلى الطاولة فناجين قهوة ، تدل على ان ثلاثة رجال ، انتهوا قبل دقائق قليلة من شربها . وعندما بدأ جنود الجيش الاسرائيلي يفتشون الغرفة بدقة ، وجدوا مسدسا وأربع بلاطات ملونة تحت أحد الاسرة ، لم تكن موضوعة في مكانها كما يجب . قرع الجنود على البلاطات فسمع صدى غريب . واتضح ان في المكان نفقا . وجه الجنود نداء بالخروج بأيد مرفوعة ، فلم يستجب أحد . وضعت عبوة ناسفة لتفجير النفق ، وعند تفجير العبوة ، بدأ اطلاق النار من اسلحة اوتوماتيكية من داخل النفق ، باتجاه الجنود الاسرائيليين ، فردوا بأسلحة اوتوماتيكية وقنابل . واتضح بعد قليل ، ان هؤلاء كانوا المخربين الثلاثة المطلوبين ، في الدرجة الاولى ، في القطاع . قتل اثنان منهم في المكان ، واصيب الثالث بجروح بليغة ... وتوفي بعد نقله الى المستشفى » .

وقالت هآرتس ايضا ، انه « اتضح بصورة قاطعة انهم هم الذين قتلوا ذيب الهربيطي رئيس لجنة مخيم الشاطىء ، في ١١ شباط (فبراير) ، وقتلوا الكاهن يوحنا النمري . ووجدت في الفيلا وثائق كثيرة تدل على نشاطهم ، وأسلحة ... و٤٢ الف ليرة اسرائيلية مخصصة لتمويل عمليات التخريب في القطاع ...

« لقد اختبأ الثلاثة في النفق الذي كان يستعمل كاراجا داخل فيلا الدكتور مسمار . واستعمل النفق ايضا مقرا للقيادة ، وتشهد على ذلك المعدات الكثيرة التي وجدت فيه : آلة ستانسل ، طابع الجبهة ، جوازات سفر ... » .

وقالت هآرتس : « ان الجريح عبد الهادي ، الذي توفي بعد ذلك ، كشف انه هو شخصيا الذي القى القنبلة في مخيم الشاطىء يوم الاحد الماضي ، حيث اصيب ثلاثة جنود اسرائيليين . وان صديقه كامل هو الذي قتل ... الهربيطي والنمري ... » . واضافت هآرتس : « ان الدكتور مسمار الذي

اختبأ المخربون في بيته ، كان قد أطلق سراحه منذ وقت قصير من سجن غزة ، بعد أن حكم عليه بالسجن خمس سنوات لمساعدته المخربين ، أمضى منها ثلاث سنوات ... والآن يتضح انه عاد الى مساعدة المخربين » .

وقالت هآرتس : « ان جميع الدلائل تشير الى ان في القطاع مخربين آخرين ينتمون الى الجبهة » . وقالت هآرتس ، في مكان آخر من العدد نفسه ، ان ضابطا كبيرا من قادة الحكم العسكري في غزة أعلن « ان القضاء على قيادة منظمات الارهاب في القطاع هو ضربة مؤثرة ستؤدي الى فترة من الهدوء ، ولكن ينبغي عدم اعتبار ذلك نهاية لنشاط المخربين في القطاع » .

ووصف الضابط الاسرائيلي محمد محمود الاسود المعروف باسم غيفارا ، بأنه « كان معروفا كقائد مدرب وخبير . لقد اعتقل قبل بضع سنوات وقضى فترة في السجن في غزة . وبعد اطلاق سراحه ، سافر الى الصين حيث أمضى فترة من التخصص ، وعاد الى القطاع عن طريق لبنان . وحتى يوم الجمعة كانت قد فشلت جميع الجهود لالقاء القبض عليه » .

وكانت هآرتس (٧٣/٣/٢) قد تحدثت عن تجدد النشاط الفدائي في قطاع غزة ، فقالت : « عاد المخربون الى العمل خلال الاسبوعين الاخيرين ... وقتلوا هذه المرة وجهاء معروفين » . « وكما حدث في الماضي يحدث الان ، بدأت عمليات القتل بأحجام صغيرة ، ثم أخذت تتزايد . وقد توقفت بعد نشاط متواصل من قبل اجهزة الامن تحت قيادة العميد ارئيل شارون ، قائد المنطقة الجنوبية ، الذي اشترك اكثر من مرة شخصيا في مطاردة المخربين . وكانت عملية المطاردة تستمر ٢٤ ساعة في اليوم في جميع انحاء القطاع والمخيمات ... » .

واضافت هآرتس : « ان الغرض من انتخاب لجان محلية في احياء غزة ومخيمات اللاجئين ، هو اجراء انتخابات بلدية على غرار ما حدث في الضفة الغربية . وفي اليوم الذي قتل فيه رئيس لجنة مخيم الشاطىء الهربيطي كانت اللجان تنوي التداول في اختيار مرشح لرئاسة البلدية ، وكان القتيل الاكثر حظا في النجاح . ولم يكن مقتل الهربيطي في اليوم نفسه مصادفة » .

وقالت هآرتس : ان الفدائيين « نجحوا في تعطيل جميع اللجان في الاحياء والمخيمات. وفي هذا الوقت لن يتم انتخاب رئيس جديد لبلدية غزة . وسيضطر أوري تشيشك ، رئيس البلدية الاسرائيلي ، الى الاستمرار في منصبه » .

واشارت هآرتس الى معلومات تقول « ان على رأس المخربين في القطاع اليوم محمد الاسود الملقب بـ نشي غيفارا ...

« والاسود معروف كجندي مدرب جيدا ... وقد تلقى ، قبل ٤ سنوات ، تدريبا عسكريا في الصين ... وعندما شددت اجهزة الامن مطاردتها للمخربين نجح في الاختفاء ، وامتنع عن ممارسة اي نشاط تخريبي . ولكنه جدد الان نشاطه التخريبي . ويبدو انه يقوم بذلك بحذر شديد . ان التحدي الذي تقف أمامه اجهزة الامن الان في القطاع هو اعتقاله » .

ولقد أعلن العدو بعد معركة الرمال الاخيرة أنه باستشهاد غيفارا غزة « محمد احمد مسلم الاسود » ورفيقيه فانه « قد تم تصفية آخر حلقات التخريب — دايان نشرة رصد اسرائيل مركز الابحاث » وانه لم يعد هناك في قطاع غزة سوى الاستقرار والهدوء . واتهم الناطق العسكري الصهيوني غيفارا غزة ورفيقيه بالقاء قنبلة على الشاحنة العسكرية التي قتل فيها احد جنوده وجرح آخران كما اتهمتهما بقتل ذيب الهربيطي « وكالة وفا » .

على انه لم تمض اربع وعشرون ساعة على ذلك حتى أعلن العدو من جديد بأن « رجال الشرطة الاسرائيلية تمكنت من القاء القبض على شاب عربي وصفته بأنه هو الذي ألقى قنبلة الشاحنة ثم بعد ذلك بيومين اعلن ناطق عسكري آخر بأن عشرين من قطاع غزة قد اعتقلوا بتهمة انتمائهم الى شبكات التخريب » . («وفا» ١٩٧٣/٣/١٢) .

ويتضح من هذا جيدا ان العدو لم يستطع أن يحفظ على وسائل حربه النفسية خطا معينا حتى لاربع وعشرين ساعة اذ سرعان ما دحضت الوقائع زعمه بأن المقاومة قد انتهت باستشهاد المناضل البطل محمد مسلم الاسود ورفيقيه في قطاع غزة ... واكدت غزة كعهدها دائما انها المقاومة دائما وابدا في مواجهة الاحتلال .

ويقينا فان غزة التي هي المثل على المقاومة الجماهيرية الثورية داخل فلسطين المحتلة كلها قد سحبت نفسها على كل مدن وقرى فلسطين . وان

جماهير هذه القرى والمدن قد أفرزت طلائع تمكنت من خلال اتصالها بالثورة الفلسطينية المسلحة واتصال الثورة بها ان تقود سلسلة عمليات ناجحة وفعالة ومؤثرة في مناطق العمق من فلسطين المحتلة ...

وان ما حملته الايام التي مضت عبر الشهر الحالي لتعبر عن ارتفاع في الخط البياني لعمليات الثوار الفلسطينيين ليس داخل قطاع غزة فحسب وانما ايضا في تل ابيب والقدس ويافا ونابلس وغيرها من مدن فلسطين المحتلة .

ان وضعا جديدا قد بدأ ينشأ بعد ان تمكنت اطراف الحصار المادي والاعلامي والنفسي من أن تفعل فعلها في تقليص عمليات الثوار الفلسطينيين في الوطن المحتل فلسطين ... هذا الوضع تمثل في العودة الى القنص والاستفراد بالعسكريين الصهاينة فضلا عن الانتشار عبر اوسع رقعة من العمق لتفجير امن المستوطنين والحاق الخسائر النفسية والمادية بين صفوفهم .

ولعل من ابرز الامثلة على تلك الصورة حادثة طعن جندي صهيوني مسلح في اوائل هذا الشهر في مدينة القدس وانتزاع سلاحه منه على يد الثوار الفلسطينيين ... ثم حادثة قنص احد جنود العدو في هرتسليا في العمق والتي جاءت بعد ايام قليلة من الحادثة الاولى ... ثم عمليات يوم التاسع عشر من هذا الشهر الثلاث التي تمثلت في تدمير واجهة احد المطاعم في شارع الزهراء بمدينة القدس وتفجير سيارة أمام مركز البوليس في مدينة نابلس ثم اطلاق النار على احد رجال المخابرات في مدينة يافا المحتلة منذ عام ١٩٤٨ واصابته بجروح بليغة .

ان هذا كله يعني ان العمل الثوري المسلح داخل فلسطين المحتلة يمضي في تصاعده يوما بعد يوم وانه يسير في اتجاهه السليم والصحيح المرتكز على حرب العصابات وعلى استراتيجية حرب الشعب طويلة الامد في مواجهة العدو ...

وبالتأكيد فان تصاعد النضال داخل فلسطين المحتلة رغم التعتيم الاعلامي سوف يعكس نفسه وينسحب بعميق اثره على حركة الجماهير العربية وسوف تشهد الارض العربية — رغم تيار السلم الامريكي الاسرائيلي المندفع بشراسة نحو المنطقة مستندا الى بعض الانظمة العربية — تحولات كبيرة هي بالتأكيد لصلحة القتال ضمن استراتيجية حرب الشعب وضمن خندقة الارض العربية وبالتالي فهي لصلحة ارادة القتال الفلسطيني والقرار الفلسطيني باستمرار بقاء البندقية مشرعة في وجه العدو الصهيوني والامبريالي وفي وجوه العملاء في المنطقة العربية .

ان استشهاد المناضل البطل محمد الاسود ، غيفارا غزة ... قد دفع الى النضال الفلسطيني بشحنة جديدة من اليقين الجماهيري العربي بأن القرار الفلسطيني بمواصلة القتال هو القرار الحتمي المطلوب تعميمه لانتزاع النصر . وانه الطريق الوحيد لانقاذ الحضارة والوجود والمصير العربي ...

ان في غزة ألف غيفارا غزة وفي فلسطين المحتلة الالاف من غيفارا غزة الذين يعمقون بالدم رؤية الجماهير العربية لطريق النصر والتحرير ... ويوما ما ، وهو يوم قريب جدا بالتأكيد ، سوف تحقق غزة مثلما حققت دائما دحرا لاقاويل العدو ومزاعمه ... وسوف تمضي غزة ومعها كل جماهير الارض المحتلة والجماهير الفلسطينية في مخيمات البنادق الرائدة ... على الطريق الذي حفرته بدماء اعظم الرجال وأعز الرجال ... ولتكون غزة وكل فلسطين المحتلة ثورة دائمة في مواجهة الاحتلال .

زياد عبد الفتاح

جيفارا غزة : رمز عطاء القطاع المتدفق المتواصل

من بطن الارض العظيمة الحبلى بالرجال الابطال ومن جوف ليلها المخضب بدمـــاء المناضلين تدفق جيفارا غزة .

كان يخرج كل ليلة وكان يضرب بعزيمة فولاذية لا تلين ...

محمد محمود الاسود ، جيفارا غـــزة ، كانـــوا يعرفونه جيدا وكانوا يعلمون انه في شريط غزة الساحلي الضيق ، وظلوا لاربع سنوات يبحثون عنه ...

ولان جيفارا غزة ثائر ولانه عرف كيف يمارس الثورة وكيف يقترب من الجماهير يلامس اعماق معاناتها ويترجم منتهى طموحاتها وآمالها النضالية ، فان العدو لم يكتشف لشهور طويلة مكان جيفارا . لقد وضعته الجماهير في حدقات عيونها وأطبقت عليه حتى اذا ما انتهى التمشيط عاد جيفارا برفاقه ليضرب من جديد ليس في نقطة معينة وانما في نقاط متعددة .

محمد محمود الاسود ، جيفارا غزة ، جند كل طاقات العقل لخدمة الثورة ... وبينما كان العدو يضرب في شوارع غزة بحثا عن جيفارا وعن حملة البنادق رفاق جيفارا كان جيفارا بعيدا عن متناول العدو ... لم يكن يمكث في مكان ست ساعات متواصلة ... وعندما ضيق العدو الخناق كثيرا كان لجيفارا مكان يلجأ اليه لا يهتدي اليه العدو... من بطن الارض العظيمة الحبلى بالرجال الابطال... من قطاع غزة ... من مدينة حيفا مسقط الرأس في شمال فلسطين ... من معاناة قرية دير ياسين المذبحة ... من احزان القهر في قرية كفرقاسم... من محنة الاجتياح في قبية وقمة مأساة الانتهاك العربي الرسمي في قرية السموع ... من مذبحة الشعب الفلسطيني في أيلول عمان الاسود ... ومن قلب مخيم الوحدات يداس بالدبابات الملكيـــة الفاشمة ...

من هذا كله كان جيفارا غزة ... نبت وتشكـــل وتعمد عاشقا لرمال غزة وحيفا ... ولكل ارض فلسطين ...

وجيفارا مثله مثل كل ثوار القطاع الابطال وظف كل ما يملك لاستمرار القتال ليعطي النموذج والمثـــل على ان الصمت موت ... والاستكانة اذلال ... والتراجع جريمة والانتظار عار وفقدان كرامة ...

وحيث لم يكن يتوفر السلاح كان ثوار القطـــاع يصنعون السلاح ضمن ابسط الامكانيات المتاحة ..

وحيث لم تكـــن تتوفر الامكانيات كـــانت المدى هي السبيل لانتزاع السلاح من جندي افلت من رقابة الدورية في احد ازقة القطاع ...

وربما كان ثوار القطاع وبينهم جيفـــارا غزة ... اعظم الثوار على الاطلاق ومن استشهد منهم فهو بالتأكيد اعظم الشهداء ... ذلـــك لانه غير حب فلسطين ... غير حب الوطن ... كانت تحركهم ايضا ... ارادة ان يقولوا للامة العربية بالرصاص ودون ان يخرجوا عن صمتهم بكلمة واحدة ... ان الرصاصة المسيسة ... خـــير من اكداس مـــن الطائرات لا تعرف طريقها الى الهدف ... وانـــه بابسط الاسلحة واقل الامكانيات تقطع الجماهـــير المسلحة المدربة المعبأة المنظمة اوسع الخطـــوات على طريق الانتصار .

ثم ...

استشهد محمد محمود الاسود جيفارا غزة في حي الرمال لكن في غزة الف محمد محمود الاسود ، الف جيفارا غزة ، الف يمضون وعلى الدرب ألوف .. فأرض غزة وأرض حيفا وأرض كل فلسطين خصبة تنبت الرجال في كل حين ..

وهي ابدا حبلى بالابطال يتوالـــدون بالثورة ... ليرفدوا الثورة وليصفعوا بقبضات ايديهم العظيمة وجوه المستسلمين والمتخاذلين والراكعين ومن قلب المتوسط الهادر الامواج على شواطىء غزة ...

ومن بين أزقة معسكر جباليا ومعسكر الشـــاطىء ودير البلح في قطاع غزة ... من ازقة المعسكـــر والمدينة في خانيونس ونواصيها تنبت البنادق وينبت الرصاص .

وجيفارا غزة لم يكن يوما الابن الوحيد لرمال غزة جيفارا له اخوة وله رفاق ...

والارض الحبلى بالثورة ... سوف تظل تعطي وتلد وتزهر وتفجر الثورة ...

زياد عبد الفتاح

ان الاتجاه العام الذي يتحكم بالسياسة العربية الان يمكن ان يسمى اتجاه المصالحة . وهذه المصالحة مزدوجة . انها على الصعيد العربي تقارب وتفاهم بين انظمة مختلفة ومتناقضة ، ولكنها الان تسعى من اجل التقارب والتفاهم في سبيل انقاذ نفسها من مأزق العجز الذي تعيشه ، العجز عن القتال والعجز عن الاستسلام . وهي على الصعيد العالمي محاولة لايجاد المدخل الملائم الى قلب الولايات المتحدة ، فلعلها « وعساها » تحن وتشفق على الجميع بنظرة حنون .

وقد أخذت الوفود تتحرك عربيا ، واخذ الرؤساء يتحركون ، كما لم يحدث من قبل . لقد زار حسين الرياض ، ثم زار الامير سلطان الاردن ، وزار السادات ليبيا ، ثم اجتمع السادات والاسد والقذافي في القاهرة . وتحرك « مسؤول اردني كبير الى دمشق، ومسؤول كبير اخر زار القاهرة»، كما زار « مسؤول مصري كبير عمان » (النهار ١٩٧٣/١/١٤) .

وكانت هنالك تحركات واتصالات على الصعيد العالمي ، رافقت خطوات انهاء الحرب في فيافنام مستبشرة بها .

ولقد كان الاردن نشيطا في هذا المجال ، لانه يرمي منه الى ما يلي : اولا عزل المقاومة عربيا ، ثانيا تدعيم وضعه السياسي والاقتصادي ، ثالثا ضمان عدم وجود معارضة جادة عربية لاي تحرك ديبلوماسي يقوم به مستقبلا ، رابعا تحويل المقاومة الى « قوة » تابعة للانظمة محتواة عربيا ، وانهاء دورها السياسي والعسكري .

ويحاول النظام الاردني في سبيل ذلك ان يقنع الدول العربية بانه مستعد « للانفتاح من جديد على العالم العربي » ومستعد « للالتزام بكل ما تفرضه مقومات الوضع الراهن واحياء الجبهة الشرقية » . كما ان النظام الاردني يحاول ان يستر موقفه من المقاومة ، بانه ليس ضد العمل الفدائي « لكنه كان في الاصل ضد خروج المنظمات على الفداء ، اذ حولت عملها ، المفروض ان يكون ضد المحتل ، الى ثورة ضد النظام في الاردن والخروج على القوانين » . ولهذا فالاردن مستعد لان يقبل المقاومة ضمن خطة عربية موحدة تتحمل مسؤوليتها الدول العربية ، كما ان مشروع الملك حسين لن يطبق الا بعد انسحاب جيوش الاحتلال الصهيوني. (النهار ٧٣/١/١٤) .

ويشدد النظام الاردني خلال ذلك كله على ان مساندة الاردن سياسيا واقتصاديا ضرورية وهامة للمعركة لان الجبهة الاردنية جبهة اساسية ، تلعب دورا اساسيا في معركة التحرير .

ويجد هذا التحرك الاردني تجاوبا عربيا واسعا . وتلعب دول مثل المملكة العربية السعودية دورا بارزا فيه . ولذلك ظلت المملكة العربية السعودية حريصة ، ومنذ ايلول سنة ١٩٧٠ على بقاء النظام الاردني « وكان في نظرة المملكة ... انه يجب على الاردن ان يصمد مهما كلف الامر » . ولكن كيف يصمد ؟ هنا يأتي الجواب واضحا على لسان الناطقين باسم المملكة العربية السعودية في بيروت: « لكي يصمد فلا بد من استمرار دعمه ماديا ومعنويا ، كما ولا بد من مواصلة المساعي لايجاد اي مقدار من التفاهم ما بين النظام الاردني من جهة ومنظمات المقاومة من جهة ثانية ، حتى تتوفر مع الايام ظروف ملائمة لاعادة المياه ما بين الجانبين الى مجاريها الطبيعية ، في هذه الظروف غير الطبيعية والبالغة الخطورة » . ولهذا ظلت المملكة العربية السعودية تقدم المساعدات التي قررها مؤتمر الخرطوم للاردن ، مع ان ليبيا والكويت قد قطعتا هذه المساعدات ، وربما زادت السعودية هذه المساعدات احيانا لتعوض الاردن « عن المعونات التي قطعتها بعض الشقيقات العربيات منه » (الجديد ٣٢٠ ، ٧٣/١/٢٦) .

وتحاول المراجع السعودية ان تقنعنا الان بان التطورات التي تحدث تنسجم مع المخطط السعودي مؤكدة « صواب وجهة النظر السعودية التي وضعها العاهل السعودي ضمن اطار استراتيجية قومية بعيدة النظر » . ذلك ان النظام الاردني حسب ما تذيعه هذه المراجع قد اخذ « ... يتزحزح ، ربما ببطء شديد ، انما بثبات واستمرار عن مواقعه الاولى ... » . وتضيف هذه المراجع ان الملك الاردني قد خطا مجموعة من الخطوات الجذرية على الصعيدين الداخلي والعربي . فلقد اصدر في الداخل اكثر من عفو عن رجال المقاومة.

كما انه خطا عربيا عدة خطوات هامة باتجاه مصر وسورية (الجديد ، العدد ٣٢٠ ، ٧٣/١/٢٦) . وتضيف هذه المراجع ان تجاوب مصر وسورية تأكيد على صواب وجهة النظر السعودية .

واذا كانت المملكة العربية السعودية تنفذ خطا رسمته ، فان عددا من الانظمة العربية يجد مصلحة له في التجاوب معه . ذلك ان القتال ليس مطروحا على محمل الجد.وتردد الاوساط العربية الرسمية أن العرب غير مهيأين للقتال . وان التهيؤ للقتال يستلزم جهدا عربيا موحدا ، وهذا ما ليس حاصلا كما يقتضي امكانيات عسكرية غير متوافرة . وعليه فان « الامكانيات العسكرية لحسم ازمة الشرق الاوسط ، آخذة في التضاؤل ، وان الحديث عن حرب ثأرية ، مجرد الحديث ، أصبح غير مقبول » (الدستور ، ١٢٣ ، ٧٣/٢/١٩) .

ولقد قامت القاهرة باتصالات عربيـة واسعة من أجل تنسيق الجهد العربي . وكان من ثمرة ذلك ، عدا الاتصالات والوفود ، مؤتمر وزراء الخارجية والدفاع في الكويت ، ثم مؤتمر رؤساء الاركان في القاهرة ، ثم مؤتمـر وزراء الخارجية والدفاع أخيرا .

وكان واضحا ان هذه الاتصالات والوفود والمؤتمرات تريد شيئا أو أشياء ، ولكن هذا الشيء او هذه الاشياء ليست توحيـد الجهد العربي من اجـل القتال . ذلك ان الاتصالات والوفود والمؤتمرات لا توحد قوى متناقضة مستسلمة او مهادنة من اجل القتال . وليس طريق توحيد الجهد هو طريق الاتصالات والوفود والمؤتمرات فحسب . ان العمل من اجل القتال ، بدء القتال ، اتخاذ مواقف قتالية هو الذي يجعل للاتصالات والوفـود والمؤتمرات معنى قتاليا . ولذلك فان المطلوب ، في حالة كالتي نعيشها ، ان تتفق الدول العربية على أمرين : أولهما — وضع المقاومة الفلسطينية ضمن خطة الانظمة العربية وثانيهما — السير على طريق الحل السلمي بلا مزايدات ولا مهاترات .

ولهذا أصبحت المقاومة الان هي المشكلة . انها المشكلة لانها ترفض طريـق الاستسلام . وهي مشكلة لان عملياتها تقود الى صدامات مع دولة الاحتلال الصهيوني . وهي مشكلة لان الانظمـة العربية لن تستطيع التقـدم عـلى الطريق الذي اختارته ، اذا كان الشعب الفلسطيني مصمما على الاستمرار في القتال . ولهذا كله كانت المقاومة مشكلة مؤتمر الكويت ومشكلة مؤتمري القاهرة . وستبقى مشكلة الانظمة العربية جميعا ، ما دامت تقاتل وتصر على توحيد الجهد العربي ، من اجل القتال ، لا من اجل اي شيء آخر .

وليس غريبا بعد هذا كله ان تحاصر المقاومة ، وأن تبذل المساعي لعزلها وتطويقها وضربها . فالمقاومة التي تريدها الانظمة غير هذه الموجودة . ان الانظمة تريد مقاومة مرتبطة بها ، تتحدث عن القتال ، ولا تقاتل ، وترفض الاستسلام ، ولكنها تبحث عن طرق ووسائل للتكيف معه ، تنطق باسم الشعب الفلسطيني ، ولكن من أجـل فرض استراتيجية الانظمة العربية عليه . اما المقاومة الموجودة فهي مرفوضة . ولا بأس من ان يأخذ الرفض اشكالا عدة . فهي مرفوضة في جهة لانها لا تقاتل ! وهي مرفوضة في جهة اخرى لانهـا ماركسية ، وهي مرفوضة مرة ثالثة لانها غير موحدة الخ ... وهي مرفوضـة حتا لانها الطرف الوحيد المقاتل فعلا ، الواقف في طريق الاستسلام فعلا مهما كانت عيوبها واخطاؤها .

وما تريده الانظمة العربية منها هو أن تصبح غير ما هي عليه . ان تتوحد ، أي أن تتطهر من القوى المقاتلة ، المعادية للاستسلام ، وان تختار مواقعها السياسية والايديولوجية التي تؤهلها لدخول صالون الانظمة العربية . وهناك كثير من المحاولات لايضاح هذه الحقيقـة . (الجديـد ، ٣١٨ ، ٣١٩ ، ٧٣/١/١٢ و ٧٣/١/١٩) .

ولقد جاء انعقاد مؤتمر وزراء الخارجية والدفاع ما بين ١/٢٧ و١/٣٠ في هذا الجو . وكان انعقاده جزءا من التحرك العربي الشامل الذي يستهدف ما ذكرناه .

وكان واضحا ان المؤتمر يستهدف اعادة النظام العميل في الاردن الى الحظيرة العربية ، وعزل حركة المقاومة . وتمثل ذلك فيما يلي :

١ — حذف موضوع الخلاف بين المقاومة والنظام الاردني من جدول الاعمال ، مع ان الجدول مقر في مؤتمر الكويت . وتبين ان الامين العام للجامعة العربية هـو الذي طلب حذف هذا البند مـن الجدول .

٢ — لم يرد ذكر المقاومة اطلاقا ، الا على اساس أنها قوة ستشارك في الجبهة الشرقية .

٣ — قدم الفريق احمـد اسماعيل تقريرا الى

المؤتمر ، حدد فيه مهمات المقاومة بانها عمليات العمق وأية عمليات أخرى في العالم ، دون ان يكون لها مثل هذا الحق على الحدود وبالقرب منها.

٤ ــ طالبت الخطة الموحدة بتخصيص مبلغ ٩٠ مليون جنيه استرليني (الانوار ٧٣/١/٢٩) لدعم مصر وسوريه والاردن . وقد استثنيت المقاومة . وعندما طالب ممثلها بأن تكون لها حصة من المبلغ المخصص رفض اقتراحه . وحين تقدم رئيس الاركان الليبي باقتراح زيادة المبلغ وتخصيص قسم منه للمقاومة رفض اقتراحه ايضا .

٥ ــ تقدم وفد العراق بمشروع لبناء الجبهة الشرقية ، حدد فيه القوى التي ستشارك في الجبهة تخطيطا وتنفيذا ، بأنها دول الاتحاد الثلاثي والعراق والاردن والمقاومة . وأعلن العراق استعداده للمشاركة في الجبهة ، ولكنه اشترط مشاركته بتأميم النفط ، أو تخفيض الانتاج ، وبعدم بيع النفط للولايات المتحدة . ولقد رفض المشروع العراقي .

٦ ــ نوقشت طلبات المقاومة في الجلسة الختامية . وقد قدم اقتراح بتشكيل لجنة خاصة تقوم بزيارة الاردن والاجتماع بالملك حسين وبحث قضايا المقاومة معه ، بعد أن أعلن ممثل الاردن في المؤتمر بأنه لا يملك الصلاحيات للموافقة على مثل هذه المطالب. ولقد تشكلت اللجنة من : المغرب ، الجزائر ، مصر ، المملكة العربية السعودية ، الكويت ، سوريه ، والقائد العام للجبهات الثلاث الفريق أحمد اسماعيل والامين العام لجامعة الدول العربية . وما أن تمت الموافقة على تشكيل اللجنة حتى بدأ المؤتمر يناقش موضوع اصدار قراراته ومنها : بناء الجبهة الشرقية ورفع الحصار عن الاردن ، واعادة المساعدات المقطوعة . ولكن وفد المقاومة اعترض على ذلك ، وأيده الوفد الليبي، مما حدا بالمؤتمر ان يربط اتخاذ مثل هذه القرارات بنتائج زيارة اللجنة الى عمان .

ولقد سافر الملك الى واشنطن ، وانشغل بشهر العسل ، فلم تتمكن اللجنة من زيارته بعد . الا ان زيارة الملك للولايات المتحدة قد فتحت آفاقا جديدة . وجاء في الاخبار ان الملك مستبشر ، وبأنه سيخبر الدول العربية بما سمع ورأى من اهتمام الولايات المتحدة بأزمة الشرق الاوسط .

وتتردد في هذا الوقت أحاديث عن القتال في هذه العاصمة العربية أو تلك ، في الوقت الذي يجري فيه الحديث عن بادرة اميركية جديدة . ولكن الاميركيين لم يطرحوا شيئا حتى هذه اللحظة . لماذا ؟ لانهم يريدون موافقة عربية ، تكليفا عربيا ، قبل أن يتكلموا . انهم هذه المرة لن يبادروا كما فعلوا في المرة السابقة ، ليقال لهم نعم أو لا ، انهم يريدون أن يبادروا والموافقة المسبقة في أيديهم. وما يطرحه الاميركيون واضح ومحدد : انه حل جزئي ، وفتح قناة السويس بالذات .

وقد ترددت أنباء في الايام الاخيرة (النهار ٧٣/٢/١٧) عن تنسيق مصري روسي بريطاني لقبول البادرة الاميركية الجديدة على أن يسمى الحل الجزئي حلا مرحليا . وليس بمستبعد ان يكون اللجوء الى التسمية الجديدة مخرجا من المأزق . ان التسمية هامة جدا ، وما لا يمكن ان يقبل باسم الحل الجزئي ، يمكن ان يقبل ويبرر باسم الحل المرحلي. القضية الاساسية في هذا كله ان اي حل جزئي أو مرحلي لا يمكن ان يتحقق اذا ظلت المقاومة قوة معارضة . وعليه فلا بد من ان يكون ثمن الجدية الاميركية خطوة أخرى على طريق تصفية المقاومة . فهل ستستطيع الولايات المتحدة ان تنجز هذه الخطوة ؟

ان ذلك يعتمد على موقف المقاومة ونضالها وعلى موقف القوى الوطنية العربية . ومعركة الايام القادمة هي معركة المقاومة بالذات . معركة استقلالها أو احتوائها ، معركة بقائها او فنائها .

١ ــ **قضية أبو داوود** : دخل أبو داوود عمان في هذا المناخ . وكان دخول أبو داوود عمان يسير في الاتجاه المعاكس . ذلك ان الهدف كان من وجوده :

أ ــ هز ثقة النظام بنفسه ، وثقة سادته (الولايات المتحدة) به . فالنظام يناور دوليا من أجل أن يؤكد صفته ممثلا وحيدا للشعب الفلسطيني ، وحريصا على تصفية ارادة القتال وعلى السير نحو التصفية . ولا بد لافشال لعبته الدولية من مفاجأته بضربة صاعقة ، لا تسقطه ، ولكنها تهزه هزا عميقا ، وتحرمه بالتالي من أن يدعي ضمان الاستقرار واستتباب الامن في ربوعه .

ب ــ افساد مناورات النظام لخلق مناخ انفتاح عربي ، يخرج الاردن الرسمي من عزلته العربية ، ويفتح أمامه كل امكانيات التغطية المادية والمعنوية

لنشاطاته المشبوهة .

ج — رفع معنويات جماهيرنا في الارض المحتلة والاردن ، برد موجع على عمليات المطاردة والقمع والاذلال .

ولكن أبو داوود اكتشف يوم ٢/٨ . ولم يعلن النظام شيئا عن المحاولة الا يوم ٢/١٥ (النهار ٧٣/٢/١٦) ، دون ذكر ابو داوود ، بينما أعلنت فتح بيانها يوم ٢/١٦ (النهار ٧٣/٢/١٧) ، مع انها كانت تعلم بما حدث في حينه .

بدأت حملة المقاومة من اجل انقاذ ابو داوود ، بالالقاء مع السفراء العرب في بيروت يوم ٢/١٦ ، والمذكرات التي قدمتها فتح الى الحكومات العربية. ثم تحركت وفود من فتح الى بعض البلاد العربية ، وجرت اتصالات مع بلاد اخرى .

وكان رد الفعل على الصعيد الشعبي واسعا وعميقا، ذلك ان المنظمات الشعبية العربية أصدرت بيانات الاستنكار ، ضد النظام الاردني . كما أن اتحادات المحامين تحركت من اجل الدفاع عن المعتقلين ، ولكن السلطات الاردنية لم تتح لها فرصة الوصول الى عمان ، وردت الوفد العراقي برئاسة فيصل حبيب خيزران ، نقيب المحامين العراقيين ، من مطار عمان ، على الرغم من ان الوفد ابرق لنقابة المحامين في الاردن ولوزارة العدل فيه بموعد قدومه .

ولقد عبرت المنظمات الشعبية العربية عن موقفها من النظام الاردني ، كما عبرت عن تأييدها لمهاجمة النظام الاردني في مواقعه الحساسة . ولكن الموقف الرسمي ، لم يكن كالموقف الشعبي ، وان كانت هنالك بعض الخلافات .

كان أول رد فعل رسمي صادرا عن بومدين والقذافي ، ذلك انهما كانا مجتمعين ، وأرسلا برقية الى الجامعة العربية تطالبها بالتدخل في سبيل انقاذ حياة ابو داوود . ولم يكن ممكنا ان يبرق بومدين والقذافي للسلطات الاردنية مباشرة ، لان العلاقات بينهما وبينها مقطوعة .

أما فيما عدا ذلك ، فقد كانت النظرة الى قضية أبو داوود مرتبطة بموضوع العلاقة بين الثورة الفلسطينية والنظام في الاردن . وأراد البعض ان يستخدم رأس ابو داوود رهينة للتفاوض والضغط ، وان يغتنم هذه الفرصة ، لا للمحافظة على حياة أبو داوود ، بل لدفع المقاومة الى خط جديد في علاقاتها مع الاردن خاصة ، والانظمة عامة .

وكان يطرح على وفد فتح هذا السؤال : كيف تريدوننا ان نتوسط في موضوع ابو داوود ، دون ان نخوض في القضية كلها ؟

ولقد عبرت هذه الاوساط عن وجهة نظرها هذه ، من خلال صحفها . وكتبت احدى هذه الصحف تسمي الوساطة الوساطة الناقصة . لماذا ؟ لان انقاذ ابو داوود ممكن و« ... بسهولة ويسر ...» « متى استطاع الوسطاء أن يقيموا قاعدة سليمة للتعايش بين العرب ، جميع العرب ، بصرف النظر عن آرائهم وميولهم واتجاهاتهم ... » (الحياة ٧٣/٣/٧) . وعادت الصحيفة لتؤكد انه : « ... اذا كانت قد أطلت من خلال هذه الغيوم الكثيفة بارقة أمل واحدة فهي استجابة الملك حسين للنداء الذي وجه اليه لعدم تنفيذ حكم الاعدام بابو داوود ورفاقه من الفدائيين ... غير ان بارقة الامل هذه لن يكون لها مردودها المثمر على صعيد العلاقات العربية ، الا اذا تحولت الى بداية لجمع الكلمة ورص الصفوف ، وتناسي الاحقاد والعمل من جديد ، ضمن خطة موحدة ، وفي سبيل غاية واحدة ، وهدف مشترك ... » (الحياة ٧٣/٣/٨). « وتحل قضية العلاقات بين الثورة الفلسطينية والنظام في الاردن بسهولة ويسر . ذلك اننا في كفاحنا ضد اسرائيل لا غنى لنا عن الاردن الذي يرابط على أطول خط من خطوط مواجهتنا ضد العدو ، ولا غنى لنا عن العمل الفدائي الذي أصبح في آخر الشوط المخرز الوحيد الذي ينخز في جوانب أعدائنا ، فهل يجوز لاي عربي ان يسكت عن استمرار الصراع بين هاتين القوتين العربيتين ؟... » (الحياة ، ١٩٧٣/٣/٧) .

ويتضح ان هدف هذا المنطق هو أن نصل الى أن المصالحة يجب ان تتم . كيف ؟ وعلى أي الاسس ؟ على اساس تناسي الاحقاد وبدء صفحة جديدة من العلاقات !. ولكن هل يمكن أن تتم المصالحة وان يبقى من الثورة الفلسطينية غير أشلاء . هذا ما لا يجيبنا عليه الوسطاء علنا ، ولكن الخطط التي طرحت في الاشهر الماضية ، ومنذ محادثات جدة قالت كل شيء : ثورة فلسطينية ضمن استراتيجية عربية موحدة شاملة . وهذا يعني ان تخضع الثورة لاستراتيجية الانظمة خضوعا كاملا . وهذا يتطلب ان يحدث من التغييرات فيها ما يجعلها قادرة على أن تكون كذلك .

لقد تحدثنا في هذه الزاوية كثيرا عن هذه الناحية ، ولكن ما هو مطلوب يمكن تلخيصه بالآتي : توحيد الثورة الفلسطينية بتصفية الاتجاهات الثورية فيها، وبانهاء طابعها الشعبي ، وباخضاع كل قواتها العسكرية لبرنامج عسكري موحد ، واخضاع ديبلوماسيتها للديبلوماسية الرسمية .

وعاد الملك حسين من زيارته للولايات المتحدة فواجه الحملة بتصديق احكام الاعدام على أبو داوود ورفاقه . ويبدو انه كان يريد من ذلك : أ — تعليق السيف على رقبة الثورة الفلسطينية في محاولة لارهاب قياداتها وجماهيرها ووضعها امام خيارين : اما أن تقبل بالتفاوض حسب شروط النظام في عمان أو تعطي المبرر لمزيد من القمع والبطش والارهاب . ب — دفع الانظمة العربية لممارسة مزيد من الضغط على الثورة الفلسطينية من أجل محاصرتها بالخيارين السابقين المذكورين أعلاه . ج — استغلال وساطة الانظمة لاستئناف الحوار معها من اجل انهاء حالة الحصار التي يعيشها الاردن الرسمي ، والحصول على المساعدات « المقطوعة » .

وحين كتب أمير الكويت ، متمنيا على الملك الا ينفذ أحكام الاعدام أجابه الملك برسالة ، عممتها اجهزة الاعلام الاردنية وكان أهم ما جاء فيها: أ—«... ان الحكم الذي صدر بحق المجموعة التي تصدت لتنفيذ المؤامرة ، هو حكم قانوني وعادل صدر عن جهات قضائية ومسؤولة ... » . ب — ان نداء أمير الكويت كان له وقع ايجابي في نفس الملك ، وان الملك يسمع معه ايضا « ... نداء عميقا ينطلق من أعماق الضمير العربي كله ، داعيا الى بناء سد أبدي في وجه تيارات الفرقة والتصدع ، واعادة النظر في قواعد التعامل بين اعضاء الاسرة العربية كلها ، والوقوف بموضوعية وأمانة أمام أنفسنا نتحرى فيها أسباب الضعف والخطأ ، والعزم على مراجعة المواقف بما يوفر للقضية المزيد من أسباب القوة والاقتدار » .

وطالب الملك أن يكون في طليعة ذلك : أولا : وضع حد نهائي وفوري والى الابد لكل تآمر وعمل تخريبي مادي او اعلامي ضد هذا البلد العربي وشعبه الوفي وجيشه البطل ومؤسساته جميعا ، وأن تتعهد المنظمات بأن توجه جهودها وطاقاتها ، وما تضعه الامة بين أيديها من طاقات لخدمة القضية خدمة أمينة مخلصة ، وأن لا تتعرض لا للاردن ولا لغيره من البلدان الشقيقة بشيء قليل أو كثير ، بل ان يكون دورها أن تجمع ولا تفرق ، وأن تبني ولا تهدم ، وأن تكون سلاحا للقضية في وجه أعدائها لا سلاحا للاعداء في وجه القضية في كل عمل وقول، وفي الدنيا بأسرها . ثانيا : ان يواجه الاشقاء مسؤولياتهم تجاه موقفنا هذا بجرأة وصراحة ، وأن تكون مواقفهم من اي اخلال بهذا التعهد صارمة ومعلنة » (الانوار ٧٣/٣/٧) .

ومن الجدير بالذكر أن المصادقة على حكم الاعدام جاءت بعد تنفيذ مقاتلي أيلول الاسود حكم الاعدام بالديبلوماسيين الثلاثة في الخرطوم ، وبعد أن استشاطت الدوائر الحاكمة في الولايات المتحدة غضبا ، حتى أنها ما لبثت أن طالبت علنا باعدام منفذي عملية الخرطوم .

هل هذا يعني أن باب الوساطة ما زال مفتوحا... انه ما زال فعلا ، بسبب وجود تيار عربي رسمي يرى المصالحة ضرورية ، ويرى ان تحل قضية ابو داوود ورفاقه بالعمل الديبلوماسي ، لا بالحملات الاعلامية ، ولا بالعمليات الانتحارية . ولهذا التيار امتداداته الفلسطينية .

والملك حسين أيضا يريد هذه المصالحة ، لانها تصفي الثورة الفلسطينية من داخلها . وهذا ما يسهل على الملك خطواته ، ويريحه من مشاكله الحالية والمقبلة مع الثورة الفلسطينية والشعب الفلسطيني كما يتوهم . وهو اذا كان يريد تصفية ابو داوود ، فلا تهمه التصفية المادية بمقدار ما تهمه التصفية المعنوية . وهذا ما يحاوله النظام الان . انه يعمل جاهدا لاسقاط خط ابو داوود من خلال ابو داوود . كيف ؟ من خلال اظهار ابو داوود متراجعا عن خطه ومن خلال طرح المصالحة ثمنا لرأسه .

وبعد ، هل سيعدم ابو داوود ؟

ان الاجابة مرهونة بعدد من العوامل السياسية والمواقف السياسية ، كما انها تتعلق بالثورة الفلسطينية والنظام الاردني والانظمة العربية . وأن يعدم ابو داوود أو لا يعدم مرهون بعدد من هذه العوامل المتغيرة .

ولقد أعلن الملك حسين في ٣/١٤ ، في رسالة وجهها الى رئيس وزرائه بالوكالة تخفيف حكم الاعدام « لاعتبارات انسانية » واستجابة لنداءات عدد من القادة العرب . ويخطو الملك بذلك خطوة

أخرى على طريق المصالحة ، وعلى طريق تحريض الانظمة العربية ضد الثورة الفلسطينية ، اذا لم تستجب « لشروط » المصالحة (البيرق ٧٣/٣/١٦) .

٢ ــ قضية الطائرة الليبية : واسقطت الطائرات الاسرائيلية المقاتلة في هذا الجو الطائرة الليبية . كان حافظ اسماعيل ، مستشار الرئيس السادات لشؤون الامن القومي يريد التوجه الى الولايات المتحدة . وقد خشي البعض ان يمنع الحادث الزيارة . ولكن الزيارة تمت ، وهذا ما رجاه رسميو الولايات المتحدة .

هل كان الحادث يستهدف التأثير في رحلة حافظ اسماعيل ؟ ان الاجابة على هذا السؤال ليست سهلة . ذلك ان كل الدلائل تشير الى ان الولايات المتحدة الاميركية ودولة الاحتلال الصهيوني ليستا مختلفتين حول ما يسمى موضوع أزمة الشرق الاوسط . وما دامتا ليستا مختلفتين فما الحاجة الى عرقلة المساعي الحسنة التي تقوم بها الولايات المتحدة لمصلحة دولة الاحتلال الصهيوني ؟ اذا قلنا بأن دولة الاحتلال الصهيوني تريد عرقلة المساعي قادنا ذلك الى الاعتقاد بأن هناك خلافا بين الولايات المتحدة ودولة الاحتلال الصهيوني . وهذا ليس حاصلا الان . ذلك ان ما تطلبه الولايات المتحدة لا يتعدى ما تطلبه دولة الاحتلال : حل جزئي ، يكون مقدمة لحل شامل ، تحتفظ فيه دولة الاحتلال الصهيوني « بحدود آمنة » ، وتنال في المقابل مكاسب هامة لا حدود لها ، تبدأ من تصفية الثورة الفلسطينية ، وتنتهي بالاعتراف .

ما الدافع اذن الى مثل هذه الجريمة النكراء ؟

ربما استهدفت دولة الاحتلال من ذلك ما يلي :
أ ــ خلق اسباب لمزيد من الخلافات بين ليبيا ومصر . ذلك أن ليبيا تعلن مواقف مضادة للحلول الاستسلامية وتعلن على لسان رئيسها : « ان موضوع تحرير فلسطين واعادة شعبها أصبحت منتهية من أذهان الحكام العرب » وان السياسة العربية تجاه فلسطين مصابة بـ « الافلاس والعقم والشلل » (الحياة ٧٣/٣/٨) . بينما تتحدث مصر عن التعبئة والحرب وترسل الرسل الى واشنطن الخ . ان توسيع شقة الخلاف داخل اطار الاتحاد الثلاثي ، يربك مصر ، ويضعف امكانياتها القتالية والسياسية . ب ــ الانتقام من ليبيا بسبب تبني السلطة فيها عمليات « أيلول الاسود » ، وهو ما اعلنت عنه سلطات الاحتلال سلفا . ولقد استهدفت دولة الاحتلال الطائرة ، لانها تسعى الى زعزعة ثقة المواطن العادي بخط حكومته . وليس غريبا بعد هذا ان تتجه المظاهرات العفوية التي حدثت ضد العلاقات المصرية الليبية . ج ــ « كسر أنف القذافي » واشعاره ان دولة الاحتلال قادرة على الرد ، وانها « تمهل ولا تهمل » ؛ وان تحديها عبث ومكابرة .

وهنالك احتمال آخر ان تكون استهدفت من ذلك استدراج الطائرة الليبية الى الاراضي المحتلة من أجل اصطياد « رهائن » ليبية هامة ، كانت تعلم بوجودهم على الطائرة . او لانها تريد استغلال اصطياد طائرة ليبية في عملية حوار تكون ليبيا فيه مضطرة .

وسيان كان هذا كله او كان غيره ، فان العملية واحدة من آلاف العمليات التي قامت بها دولة الاحتلال الصهيوني ضد شعبنا الفلسطيني وجماهيرنا العربية . وهي عملية اثارت كثيرا من السخط العربي المؤقت ، مثل مثيلاتها ، الا انها سرعان ما أضيفت الى سجل الاعتداءات . وهي تؤكد اسلوب الحوار الدموي الذي انتهجته دولة الاحتلال منذ كانت ، او حتى قبل أن تكون .

ماذا ستفعل ليبيا ؟

يتوقع بعض منا ضربة مماثلة . ولكن جماهيرنا يجب ان تخرج من دائرة ردود الافعال . ان ما نطلبه ليس حادث طائرة مماثل . ان ما نطلبه يتلخص في التصميم على القتال فقط . ولان هذا التصميم العربي غير مكرس رسميا تقبل جماهيرنا اية ضربة ، ردا على الضربة المؤلمة .

٣ ــ عملية أيلول الاسود في الخرطوم : أثارت عملية الخرطوم ما لم تثره عملية اخرى من عمليات أيلول الاسود على الصعيد العربي . وكان واضحا أن هناك على الصعيد العربي الرسمي ، وشبه الرسمي ، وفي محافل رجعية كثيرة توجسا وخيفة واستنكارا وحيرة . لماذا حدث ذلك ؟

لقد قتل وصفي التل رئيس وزراء الاردن ، وفي القاهرة ، وخلال دورة اجتماعات في الجامعة العربية . ومع ذلك كان هنالك تجاوب شعبي كبير ، ولم تكن هناك مظاهر السلبية التي اتضحت اثر عملية الخرطوم .

وجدير بالذكر ان اوساطا مثل جريدة النهار ، تبنت الدعوة لمنهج « أيلول الاسود » ، وقفت هذه المرة

تقول : « ولكن ... ولكن ... هل يمكن ان يصبح « الارهاب الفدائي » ارقى مراتب النضال ، بل النضال الوحيد ومجال الثورة الابرز والافعل ؟ ذلك هو السؤال الذي تطرحه « قضية الخرطوم » خصوصا بعدما انتهت الى ما انتهت اليه ، ومرت بما مرت به » (النهار ٧٣/٣/٥) ودعا في النهار داعية آخر من دعاة ايلول الاسود المتحمسين ، الى الحوار مع قيادة الثورة من اجل « ... شق طريق اخرى غير هذه الطريق » (النهار ٣/٨) . واستنكرت صحيفة عربية اخرى الحادثة بقولها : « ان عملية أيلول الاسود في الخرطوم جاءت بمثابة نكسة مذهلة للعالم العربي ، مثلما كانت جريمة مروعة » (الحياة ٣/٦ نقلا عن الكويت تايمز) .

ان الذي قاد الى هذا كله كان ما يلي :

أولا : ان كثيرين من الذين شجعوا فكرة « أيلول الاسود » وعملياتها كانوا يفعلون ذلك من اجل انهاء وجود الثورة العلني والشرعي. كانوا يطرحون « أيلول الاسود » بديلا لما هو قائم . وكان هذا يقتضي ان تزول القنوات والمواقع والمعسكرات والمنظمات الجماهيرية مقابل عمل سري مجهول . ولكن هذا العمل السري أصبح واقعا الان واصبحت له مسؤولياته . ولذلك أسرع كثيرون ممن أيدوه وهو فكرة الى التنصل منه عندما اصبح واقعا .

ثانيا : كانت عملية الخرطوم عملية على أرض عربية تستهدف أكثر من جهة عربية ، وأكثر من جهة دولية . وكونها قامت على أرض عربية ، ومست اكثر من جهة عربية ، بينها المملكة العربية السعودية ، أمر له اهميته الكبرى . فالمملكة العربية السعودية تلعب دورا بارزا في احداث المنطقة الان . وهي حتى الان تحاول ان تظل مهيبة في علاقاتها العربية والدولية . لذلك فان احتلال سفارتها وارتهان سفيرها وضيوفه وقتل بعض منهم كان لا بد من ان يهز دوائر عربية معينة . كما ان قيام مثل هذه العملية على أراض عربية ، اخاف أنظمة وأوساطا عربية من أن تقوم عمليات مماثلة على أراضيها .

وزاد الامر تعقيدا بالنسبة لبعض الاوساط العربية ان ديبلوماسيين امريكيين قد قتلا . وهو ما لا يرضاه انصار التفاهم مع الولايات المتحدة .

اما موقف الخرطوم الرسمي فلم يكن متوقعا ان يكون غير ذلك . ذلك ان حكومة الرئيس النميري قد قررت منذ حركة هاشم العطا ان تسير في خط جديد ، دعائمه ثلاث : الولايات المتحدة ، المملكة العربية السعودية ، قادة جنوب السودان . وقد قادت هذه الدعائم الثلاث السودان الى السير في الخط الاميركي . وجاءت عملية الخرطوم لتكشف هذه الحقيقة كما لم تكشف من قبل .

ولذلك استغلت حكومة النميري هذه الحادثة لتتخذ موقفا معاديا من الثورة الفلسطينية كلها . ولقد بادر النميري فألقى خطابا اعلن فيه الحرب الشعواء . ولم يكتف بذلك بل أرسل رسالة الى الملوك والرؤساء العرب دعا فيها الى تحرير الناشئة الفلسطينية من سيطرة العقلية المتعطشة للدم ووضع ضوابط للعمل الفدائي . وكان هذا يعني وقوف السودان الى جانب الاردن في عملية سحق ارادة الشعب الفلسطيني .

ان ما حدث في السودان جدير بالاهتمام . ذلك ان هذا الموقف العلني الصريح من الثورة الفلسطينية وافتعال المظاهرات المطالبة باعدام الذين نفذوا عملية الخرطوم ، لا تعبر عن « مدى الضغوط التي يتعرض لها النميري الان من اميركا لاعدام الفدائيين في الخرطوم ... » فقط (لسان الحال ٧٣/٣/٨). هناك أكثر من ذلك هناك خط داخلي يتبلور في اتجاه الولايات المتحدة .

واليوم يعود الحوار مع الخرطوم من جديد . ويبدو ان الحوار تطع شوطا بعيدا على طريق انهاء الازمة .

ولا بأس من الاعتقاد ان هذه الازمة مع حكومة السودان ستسوى مؤقتا ، ولكن هذا لا يعني ابدا ان مواقف حكومة السودان كانت « نزقة » عابرة، وانها كانت بلا دلالات . ان دلالاتها كبيرة ، وهي تستحق ان نقف عندها باهتمام ، لانها مؤشر من المؤشرات الهامة على علاقة الثورة الفلسطينية بالانظمة العربية ، خلال مسيرتها المقبلة .

وبينما يجري هذا كله تظل الحياة السياسية العربية تتكشف كل يوم عن متناقضاتها ، وعن انحدارها على طريق الاستسلام . ففي لبنان قامت قوات الاحتلال الصهيوني بعدوانها على مخيمي البداوي ونهر البارد ، دون ان تواجه بطلقة من غير « حرس المخيمات » . وفي المغرب أعلن الملك الحسن الثاني (البيرق ٣/٥) عزمه على ارسال متطوعين الى سوريه في الوقت الذي كان زعماء

الحركة الوطنية في المغرب يعتقلون بتهمة القيام بأعمال مسلحة ، وفي الوقت الذي كان التحرك الشعبي يزداد عنفا وحركة القمع تزداد شراسة . وفي مصر استمر الحديث عن الحرب ، واستمر قرع الابواب من اجل السلام ، واستمرت حركة التطهير في أجهزة الاعلام . أما في سوريه فقد حاولت بعض الفئات تحريك فتنة دينية ، ولكنها ضربت بسرعة . وضاع الحديث في هذه الاجواء عن الجبهة الشرقية، وسط سرعة الاحداث وصخبها .

اما الجبهة العربية المشاركة فقد جاءت دورتها الاولى ما بين ٣ و٥ آذار ، الا انها جاءت دون اطراف اساسيين هم : سوريه ومصر وليبيا . ومع ذلك فقد كان اجتماع امانتها العامة مفيدا ، أصدرت على أثره عددا من البيانات وقررت دعوة مجلسها العام في حزيران (الانباء ٧٣/٣/٩) .

ان المرحلة القادمة مرحلة اكثر تعقيدا ، وستزداد الاتجاهات نحو الاستسلام افتضاحا ، وستزداد محاولات التصفية شراسة .

ناجي علوش

صدر حديثا عن مركز الابحاث كتاب بالانجليزية بعنوان

THE LEGAL STATUTS OF ISRAELI - ZIONIST FUNDRAISING IN THE U.S.A. : A LAWSUIT

بقلم

عابدين جبـــارة

والكتاب مرافعة قضائية أعدها الكاتب ضد سكرتارية وزارة المالية الاميركية وجهات حكومية اخرى لاعفائها الوكالة اليهودية من ضرائب الدخل وموضحـــا فيها الطبيعة الاستيطانية — الاستعمارية التي تنفذها اسرائيل والوكالة اليهودية من هذه الاموال المجباة .

اطلب نسختك من قسم التوزيع في مركز الابحاث ص.ب ١٦٩١ — بيروت

سعر النسخة ٢ ل.ل يضاف اليها اجور البريد : ٥٠ ق.ل. في العالم العربي ١٠٠ ق. ل. فـي اوروبـــا ، ٢٥٠ ق. ل. فـي ســـائر الـــدول .

(٣) القضية الفلسطينية دوليا

بعد توقيع اتفاق وقف اطلاق النار في فيتنام تبلورت معالم حملة ديبلوماسية عربية على الصعيد الدولي هدفها جذب اهتمام الدول الكبرى بشكل جدي الى النزاع العربي الاسرائيلي والى ضرورة احراز بعض التقدم المقبول باتجاه حله سلميا في أقرب وقت ممكن . وكانت المظاهر الاهم لهذه الحملة زيارة الملك حسين لواشنطن في كانون الثاني ١٩٧٣ ، وقيام حافظ اسماعيل — مستشار الرئيس السادات لشؤون الامن القومي — بزيارة كل من موسكو ولندن وواشنطن بالتتابع ، حيث اجرى مباحثات مع كبار المسؤولين في تلك العواصم حول ازمة الشرق الاوسط . وكجزء من هذه الحملة الدبلوماسية يقوم وزير خارجية مصر — الزيات — بزيارة كل من الهند والباكستان وايران وتايلاند ، كما يقوم الامين الاول للجنة المركزية للاتحاد الاشتراكي — سيد مرعي — بزيارة عدد من دول اوروبا الشرقية . من جهة أخرى استمرت السياسة الامريكية الموجهة نحو الحكومات العربية المعنية بالايحاء بأنها تنوي التحرك لاخراج أزمة الشرق الاوسط من المأزق الواقعة فيه (ولكن بدون أن تتحرك فعلا) ، وهي تقدم ايحاءات يلفها الغموض المتعمد بهدف خلق اجواء هي في الوقت نفسه مزيج من التفاؤل والامل من ناحية ، ومن الحذر والتحفظ من ناحية ثانية . على سبيل المثال « أوحت » الدبلوماسية الامريكية للملك حسين اثناء زيارته لواشنطن (وفقا لتصريحاته هناك) بأن التفاؤل بامكانية ايجاد حل مرض لطرفي النزاع في الشرق الاوسط ممكن لان امريكا تقوم بدور كبير في خلق جو يمكن ان يزدهر فيه السلام العالمي . كما « أوحت » له بأن دور منطقة الشرق الاوسط سيأتي في المرتبة الاولى على جدول اعمال الرئيس نيكسون لان حكومته مهتمة كثيرا بمصيرها مما يعني ان تحركا ما سيحدث قريبا تأخذ فيه امريكا زمام المبادرة . وقد بررت الدبلوماسية الامريكية ايحاءاتها هذه بقولها ان العالم يسير الان نحو حل المشاكل المستعصية وازالة اسباب التوتر المزمنة التي تهدد السلام العالمي ، لذلك لا بد لهذا الاتجاه من أن يشمل مشكلة الشرق الاوسط باعتبارها تشكل أهم مصدر للخطر على السلام العالمي . وعلى هذا الاساس اعلن الملك حسين اثناء زيارته الامريكية « انه سيبلغ المسؤولين في سوريا ومصر من خلال اتصالات خاصة ما لمسه من اهتمام حقيقي بقضية الشرق الاوسط في الولايات المتحدة ». اما بالنسبة لمصر فقد أطلقت الدبلوماسية الامريكية ايحاء من النوع نفسه اخذ صورة ابداء رغبة الحكومة الامريكية باستقبال شخصية مصرية مسؤولة على مستوى رفيع لاجراء محادثات على أعلى المستويات في واشنطن . ويبدو ان بريطانيا كانت الوسيط الذي نقل هذه الرغبة الامريكية الى المسؤولين في مصر ، كما ان وليم روجرز أعلن عنها في مؤتمر صحافي عقده في منتصف شباط ١٩٧٣ . وعلى اثر ذلك يبدو ان الرئيس السادات قرر ارسال مستشاره الخاص حافظ اسماعيل اولا الى الاتحاد السوفياتي للتشاور هناك بشأن التحرك الامريكي ومن ثم الى الولايات المتحدة ، مرورا بلندن ، لتبادل وجهات النظر مع المسؤولين الامريكيين بمن فيها الرئيس نيكسون . ويبدو من نتائج الزيارة المصرية لموسكو (راجع : القضية الفلسطينية دوليا ، « شؤون فلسطينية » ، عدد ١٩) ، ان الزعامة السوفياتية لم تعترض على مهمة حافظ اسماعيل في لندن وواشنطن .

في لندن قابل حافظ اسماعيل رئيس الوزراء ووزير الخارجية . وقد أوضحت مصادر وزارة الخارجية البريطانية ان المحادثات اقتصرت على تبادل وجهات النظر حول امكانات تحقيق التسوية السياسية في الشرق الاوسط ولكنها لم تتطرق الى أية اقتراحات محددة للوصول الى هذا الهدف . ويبدو ان السبب في ذلك الاعتقاد السائد حاليا لدى كافة الاطراف المعنية بأن مفتاح حل أزمة النزاع العربي الاسرائيلي هو في يد الولايات المتحدة. وقد أوضحت المصادر البريطانية انها « تؤيد التحرك الامريكي الجديد الرامي الى احياء الحوار غير المباشر بين الدول العربية واسرائيل » . كما ترددت انباء صحفية بأن المسؤولين البريطانيين قد أشاروا على حافظ اسماعيل بضرورة مسايرة مصر للتحرك الامريكي والقبول به « لان الظروف الدولية لا تسمح بأية حلول اخرى في الوقت الحاضر » .

اما في واشنطن فقد رحب الناطق باسم وزارة الخارجية بزيارة حافظ اسماعيل باعتبارها فرصة « للاطلاع على آراء الحكومة المصرية » حول ازمة الشرق الاوسط و« لعرض الرأي الامريكي على

مصر حول الموضوع ذاته » . كما ابدت الاوساط السياسية الامريكية ارتياحها لان حافظ اسماعيل قد جاء الى واشنطن بعد المشاورات التي كان قد أجراها في موسكو ، ولان زيارته تأتي بعد محادثات الرئيس نيكسون مع الملك حسين وقبل مقابلته لغولدا مائير . وقد قابل المبعوث المصري كلا من الرئيس نيكسون ووزير خارجيته وليم روجرز ومستشاره الخاص هنري كيسنجر . وفي استقبال المبعوث المصري عاد الرئيس نيكسون الى تكرار الايحاءات العامة والغامضة حول عزم حكومته على التحرك لاخراج أزمة الشرق الاوسط من مأزقها . فقد أكد رغبة بلاده الكبيرة في المساعدة على احلال السلام في منطقتنا ، ثم اضاف ان حكومته تدرك أيضا ان تحقيق السلام الفوري ليس الا حلما (وهذا يعني تحقيق السلام على مراحل : أي التسوية الجزئية ، محادثات الجوار، الخ...). كما أشار الى أن هدفه الحالي بالنسبة للشرق الاوسط هو « تحريك القضية من مكانها » . وقام حافظ اسماعيل بتسليم الرسالة التي بعث بها الرئيس السادات الى نيكسون. وعلى اثر الاجتماع مع نيكسون أعلن الناطق باسم البيت الابيض انه تم عقد الاجتماع في جو ودي ، واعرب عن الامل الامريكي بأن يكون بالامكان اجراء مفاوضات عربية — اسرائيلية . وقد رددت المصادر السياسية الامريكية ان الرئيس نيكسون ووزير خارجيته واثقان من ان محادثاتهما مع اسماعيل « قد تسفر عن سعي امريكي — مصري الى احلال السلام في الشرق الاوسط » . لذلك اعتبرت هذه الاوساط ان زيارة اسماعيل قد اسفرت عن نتيجة ايجابية مهمة . وعلى اثر اجتماع المبعوث المصري بوليم روجرز أعلن الطرف الامريكي ان « العلاقات بين مصر والولايات المتحدة قد أصبحت أكثر انفراجا » وان المحادثات مع وزير الخارجية « كانت مفيدة جدا وسجلت تقدما » .

على الرغم من كل هذه الايحاءات الامريكية فان التدقيق في هذا الموضوع يبين ان المحتوى الكامن خلف هذه الايحاءات ما زال هو هو ، اي الموقف الامريكي المعروف من النزاع العربي — الاسرائيلي. لذلك لا بد من الاستنتاج انه اذا كان صحيحا ان مهمة حافظ اسماعيل في واشنطن قد حققت نتيجة ايجابية مهمة بالنسبة « للسعي الامريكي — المصري لاحلال السلام في الشرق الاوسط » وان تقدما قد تحقق بهذا الاتجاه ، بالاضافة الى انفراج في العلاقات الامريكية المصرية ، فان المسؤول عن تحقيق هذه النتائج ليس بالتأكيد اي تغير او تساهل في الموقف الامريكي ، مما يتركنا أمام احتمال واحد هو ان الموقف العربي قد أصبح أكثر تساهلا في الفترة الاخيرة . ويمكننا استخلاص ثبات الموقف الامريكي حيال النزاع في منطقتنا واستمراريته من عدة تصريحات صدرت على أعلى المستويات . ففي منتصف شباط المنصرم عقد وليم روجرز مؤتمرا صحافيا حدد فيه موقف بلاده من مسألة تسوية النزاع العربي الاسرائيلي على النحو التالي :

(١) ضرورة البدء ، عما قريب ، بالمفاوضات بين الدول العربية المعنية واسرائيل . قال روجرز ان بلاده ستقوم بدور نشط جدا في الاسابيع المقبلة من اجل بدء هذه المفاوضات ، وستفعل كل ما تستطيعه لحمل الجانبين العربي والاسرائيلي على التفاوض .

(٢) التأكيد من جديد على اهمية « البدء بالمحادثات الخاصة بين جميع الفرقاء المعنيين » (اي محادثات الجوار باشراف امريكا) والاصرار على ان الطريق الى السلام يكمن في الاجراءات الجزئية (أي التسوية الجزئية واعادة فتح قناة السويس) التي تشكل خطوة أولى نحو التسوية النهائية للنزاع . قال روجرز ان حكومة بلاده ستسعى في نشاطها للحصول على مثل هذه الاجراءات الجزئية. وأعرب عن اعتقاده بأن تحقيق تسوية جزئية للنزاع بين مصر واسرائيل يبدو أسهل من تحقيقها بين اسرائيل والاردن خاصة وان فكرة التسوية الجزئية صدرت أصلا عن الرئيس السادات نفسه .

(٣) نفى روجرز ان يكون هناك ثمة شيء مثل البادرة الامريكية للسلام التي كثر الكلام عنها . قال بهذا الصدد ان بلاده لا تسعى الى عرض أي مشروع جديد لتسوية النزاع . والهدف من هذا النفي هو تأكيد الموقف القائل بأن الولايات المتحدة لن تفرض على المنطقة أي حل من الحلول مهما كان . وبعد تحديد الموقف الامريكي على النحو المذكور بين روجرز ان حكومة بلاده قد نقلت وجهات نظرها هذه حول التسوية الجزئية الى الاطراف المعنية بالنزاع بما فيها الاتحاد السوفياتي ، ثم اعلن ان السلطات الامريكية ترحب باستقبال شخصية مصرية بارزة ، وانها بالتأكيد سترد الزيارة اذا تمت .

وبعد انتهاء زيارة حافظ اسماعيل الى واشنطن عادت المصادر السياسية هناك الى تأكيد الموقف

الامريكي نفسه عن طريق الاشارة الى ان المسؤولين الامريكيين يأملون بأن يبين المبعوث المصري للرئيس السادات ان الولايات المتحدة « لا تريد سوى تحريك قضية الشرق الاوسط من جمودها » . وذكرت هذه المصادر ان هؤلاء المسؤولين قد امضوا ساعات طويلة يشرحون لحافظ اسماعيل كيف انه لا يمكن الوصول الى اية نتائج بالنسبة لازمة الشرق الاوسط الا بالعمل خطوة بعد خطوة ، وكيف ان اهم شيء الان هو البدء بعملية المفاوضات لان اول اجراء يبشر بنتائج ملموسة هو الاتفاق على اعادة فتح قناة السويس. كذلك اكدت هذه المصادر ان نيكسون وروجرز اوضحا للمبعوث المصري ان الولايات المتحدة « غير راغبة وغير قادرة على فرض صيغة للتسوية في الشرق الاوسط ، ولهذا فان تحقيق السلام يبقى مرهونا بالطرفين المتنازعين » . وفي مقابلة تلفزيونية اوضح جوزيف سيسكو — بعبارات دبلوماسية — ان الموقف الامريكي من الشرق الاوسط لم يتغير (بالرغم من الزيارات العربية) وان امريكا لا تنوي استخدام نفوذها لدى اسرائيل (باعتبارها تمد اسرائيل بالمال والسلاح) لجعل موقفها « اكثر ليونة » بالنسبة لمسألة الاراضي العربية المحتلة . كما عاد سيسكو الى التأكيد على ان حكومة بلاده ما زالت متمسكة بفكرة تنفيذ التسوية الجزئية والعمل على البدء بمفاوضات بين الطرفين من أجل تحقيق هذا الهدف. وكنوع من التطمين لمصر أقر سيسكو بأن الحكومة الامريكية تدرك ان هناك صلة بين التسوية الجزئية (الهدف الامريكي المباشر) وبين الجهود التي ينبغي بذلها فيما بعد من اجل تحقيق التسوية الشاملة عن طريق تطبيق قرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ على المدى الابعد (الهدف المصري الملح) . ورفض سيسكو الكلام الذي يقال عن وجود مبادرة امريكية جديدة لان ذلك « يوحي بوجود مشروع سلام شامل ستعمل امريكا على فرضه في المنطقة » وهذا مخالف تماما لموقف الحكومة الامريكية وسياستها .

وجدير بالاشارة هنا ان حافظ اسماعيل اجتمع بالامين العام لهيئة الامم (فالدهايم) قبل مغادرته الولايات المتحدة . وقد صرح المبعوث المصري قائلا ان مباحثاته مع فالدهايم « كانت مثمرة جدا وصريحة وشاملة » . أما الناطق باسم الامين العام لهيئة الامم فقد ذكر ان المحادثات تطرقت الى موضوع « محادثات الجوار » مع اسرائيل وامكانات تحقيقها .

تمت آخر حلقة في مسلسل الزيارات الرسمية الشرق أوسطية لواشنطن في أوائل آذار حيث قابلت غولدا مائير كبار المسؤولين الامريكيين بمن فيهم الرئيس نيكسون ، كما زارت لجنة العلاقات الخارجية التابعة للكونغرس الامريكي . وعلى اثر محادثاتها مع نيكسون ، التي حضرها كيسينجر ، أعلن الجانب الامريكي ان الاجتماع كان وديا وصريحا ومفيدا ، كما صرح ناطق باسم البيت الابيض بأن الرئيس نيكسون اكد لمائير استمرار الدعم العسكري والاقتصادي الامريكي لاسرائيل ، وذكر انه ينبغي الا يتوقع احد حلولا فورية لازمة الشرق الاوسط . ولكن مع ذلك فان الحكومة الامريكية ستواصل بذل كل ما في وسعها لايجاد حل سلمي للازمة في المنطقة . كذلك اعلن جوزيف سيسكو ان حكومة بلاده لن تمارس اي ضغط على مائير من اجل التوصل الى تسوية سلمية في الشرق الاوسط ، لكنها « ستستخدم ما لديها من نفوذ لدى اسرائيل في محاولة للتقريب بين مواقف الطرفين ». واثناء وجود مائير في واشنطن وافق الكونغرس الامريكي على التشريعات المتعلقة بالمساعدات الخارجية الامريكية التي تضمنت مخصصات لاسرائيل بلغت قيمتها ٣٠٠ مليون دولار لتمويل مشترياتها من المعدات الحربية و٥٠ مليون دولار لتمويل المشاريع الاقتصادية . وجدير بالاشارة هنا ان انباء ترددت حول اجتماع الملك حسين بمائير اثناء وجودهما معا في واشنطن ، مما دعا الناطق الرسمي باسم وزارة الخارجية الامريكية الى التصريح « بأن الملك حسين كان في واشنطن اثناء وجود مائير فيها الا انه لا علم لديه حول اي اجتماع تم بينهما » .

ويبدو ان نيكسون يعيد الان ترتيب الاجهزة الحكومية العليا المرتبطة به مباشرة والمشرفة على تنفيذ السياسة الخارجية الامريكية في المناطق الحساسة بحيث ينصب اهتمامها على اوروبا والشرق الاوسط، بعدما كان هذا الاهتمام موجها الى الحرب في فيتنام . وهذا يعني ان حكومة نيكسون مصممة على الدفع بخطها السياسي (الذي أوضحنا معالمه) بالنسبة للنزاع العربي الاسرائيلي والعمل على تنفيذه في المدى القريب . فقد أعلن البيت الابيض في الاسبوع الاول من شهر آذار ان مجلس الامن القومي الامريكي يمر بمرحلة تحول كاملة بهدف نقل سياسة الرئيس نيكسون الخارجية من عصر فيتنام الى عصر اوروبا والشرق الاوسط . ومعروف ان

المسؤول عن مجلس الامن القومي هو هنري كيسنجر الذي سيوجه اهتمامه الان بشكل متزايد الى منطقتنا . وهذا واضح من خروج بعض مساعدي كيسنجر المختصين بشؤون فيتنام من المجلس (مثل الجنرال اليكساندر هيغ) وتعيين اختصاصيين بمنطقة الشرق الاوسط مكانهم ، مثل الجنرال كروفت الذي حضر اجتماعات نيكسون الاخيرة مع الملك حسين وحافظ اسماعيل وغولدا مائير. وتعيين وليم كواندت كمساعد لكيسنجر وهو من الباحثين المنتمين الى مؤسسة راند المشهورة وواضع دراسة مفصلة عن حركة المقاومة نشرتها مؤسسة راند نفسها .

بالنسبة للاتحاد السوفياتي استمرت علاقاته بمصر في تأرجحها وترددها بين الفتور من ناحية وبين الميل الطفيف نحو التحسن من ناحية أخرى . فقد ظهرت مقالات في الصحف السوفياتية مؤخرا تنتقد الاوضاع الاجتماعية والسياسية في مصر بصورة عامة . ومن جهة اخرى قام وفد عسكري مصري برئاسة وزير الحربية ، الفريق أحمد اسماعيل ، بزيارة للاتحاد السوفياتي في أواخر شباط حيث قابل كبار القادة هناك . وقد اجتمع اسماعيل بليونيد بريجنيف لفترة طويلة بحضور وزير الدفاع السوفياتي الماريشال غريشكو ، ويبدو ان المقابلة جاءت استكمالا للمحادثات التي كان قد اجراها حافظ اسماعيل في وقت سابق مع الزعامة السوفياتية ، وذلك قبل سفره الى الولايات المتحدة وكجزء من الحملة الدبلوماسية المتشعبة بهدف تركيز اهتمامات الدول الكبرى على المأزق الذي وصل اليه النزاع العربي الاسرائيلي . وقد ترددت انباء مفادها ان من الاهداف الرئيسية لهذه الزيارة حصول مصر على أسلحة سوفياتية . كما ذكرت هذه الانباء ان الاتحاد السوفياتي سيستمر في تقديم الدعم العسكري والسياسي لمصر ، بدون اي تحديد حول ما اذا كان هذا الدعم يشمل تلبية طلبات مصر الحالية للحصول على المزيد من الاسلحة . وعلى صعيد آخر قامت هيئة رئاسة السوفيات الاعلى بمناشدة الملك حسين الغاء حكم الاعدام الصادر بحق ابو داوود ورفاقه لان مثل هذا « العمل الانساني يستجيب لمصالح تعزيز القوى الوطنية للشعوب العربية في نضالها ضد العدوان الاسرائيلي ، ولانه سيحظى بالاستحسان من قبل جميع أصدقاء العرب » . ويعتبر هذا النداء تصرفا استثنائيا من جانب السلطات السوفياتية مما يبين الاهمية التي ما زالت حركة المقاومة تتمتع بها في عرقلة التدهور المستمر للوضع السياسي العربي الرسمي العام في المنطقة .

بالاضافة الى ذلك قام الرئيس تيتو بنشاط ملحوظ في تدعيم الجهود الدبلوماسية المصرية ، اولا عن طريق التصريح بأن تسوية أزمة الشرق الاوسط مرتبطة ، في نهاية الامر ، باتفاق بين الدول الاربع الكبرى ، على ان تمر عملية الوصول الى هذه التسوية بمرحلة اعادة فتح قناة السويس بضمانة الدول الاربع الكبرى . كما ذكر تيتو ان مثل هذه التسوية يجب ان تنص على وضع الاماكن الحساسة في الشرق الاوسط تحت رقابة الامم المتحدة والدول الاربع الكبرى ، وان الرئيس السادات (الذي كان في زيارة تيتو قبل فترة وجيزة) ما زال مستعدا للموافقة على اعادة فتح قناة السويس كمرحلة اولى نحو تسوية شاملة ونهائية للنزاع في المنطقة . ثانيا ، قام الرئيس تيتو بتوجيه رسائل الى عدد من قادة الدول في العالم ناقش فيها ازمة الشرق الاوسط حيث طرح اقتراحاته وافكاره المذكورة ، وشدد على ضرورة تحقيق حل عادل وسريع للازمة مؤكدا المسؤولية التي تتحملها هيئة الامم في العمل على تنفيذ قرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ وكل القرارات الاخرى الصادرة عن المنظمة الدولية والتي ترفض اسرائيل تنفيذها .

أما بالنسبة لمواقف دول اوروبا الغربية ازاء النزاع العربي الاسرائيلي فلم تطرأ عليها اية تغيرات هامة باستثناء المزيد من الميل الواضح للانضباط ضمن اطار الخطوط العامة للموقف الامريكي وتكرار الحجج والاعتبارات التي يتستر بها ، مما يبين ان ما قيل في السابق عن الاستقلالية النسبية لموقف دول اوروبا الغربية الرئيسية ازاء النزاع في منطقتنا قد تبخر كليا (باستثناء فرنسا). وكان هذا الاتجاه واضحا في التصريحات التي أطلقها وزير الخارجية الايطالي بعد زيارته لكل من جدة والقاهرة وبيروت حيث اجرى محادثات مع كبار المسؤولين تتعلق بأزمة المنطقة وبالعلاقات الايطالية العربية . وجدير بالاشارة هنا ان الدبلوماسية الايطالية اخذت تنشط منذ فترة في العالم العربي على اساس الفكرة المطروحة عن ضرورة تحييد البحر الابيض المتوسط وسحب الاساطيل الغربية منه كجزء من التسوية المنتظرة في المنطقة ، مما سيتيح الفرصة امام الدول

الاوروبية الاكبر (ايطاليا وفرنسا بشكل خاص وبالاشتراك مع اسرائيل ، الدولة الاقوى في منطقتنا) للسيطرة على حوض البحر الابيض المتوسط كليا . أعلن وزير الخارجية الايطالي ان بلاده تعمل من اجل السلام في الشرق الاوسط ومن اجل تأمين الاتصالات السياسية الضرورية لتحقيق هذا الهدف . ومما يلفت الانتباه بهذا الصدد تشديد الوزير على اهمية بدء المفاوضات بين الطرف العربي والاسرائيلي من اجل الوصول الى السلام في المنطقة . اي يبدو ان جهوده خلال الزيارة « لتأمين الاتصالات السياسية الضرورية » تعني على الصعيد العملي السعي لخلق الاجواء المناسبة من اجل بدء المفاوضات ، بصورة من الصور ، مع اسرائيل . وذكر الوزير « ان من مصلحة الجميع ان تبدأ المفاوضات السياسية التي ستحل كلا من مشكلة الاراضي العربية المحتلة ومشكلة اللاجئين الفلسطينيين » . ثم اشاد بالدور الذي ستقوم به اسرائيل بقوله « ستستطيع اسرائيل القيام بدور سلمي وتساهم في التقدم الاقتصادي والاجتماعي في الشرق الاوسط » . كما عاد الوزير الى تكرار النغمة المطروحة من قبل امريكا وانصار التسوية السياسية القائلة ان اتفاق وقف اطلاق النار في فيتنام والانفراج المتوقع في اوروبا قد جعلا من النزاع العربي الاسرائيلي مصدر الخطر الوحيد المتبقي على السلام العالمي ، مما يستدعي القيام بعمل سريع ونشيط لبدء المفاوضات السياسية بين الاطراف المعنية بالنزاع ، الخ ، على حد قول الوزير الايطالي .

وفيما يتعلق باوروبا الغربية من الضروري الاشارة ايضا الى ان الحكومة البلجيكية تدرس حاليا مشروعا اسرائيليا تشارك فيه كل من بلجيكا والولايات المتحدة لانتاج طائرات وصواريخ اسرائيلية على الارض البلجيكية (طائرات عرفا وصواريخ غابريال) . ويبدو ان الدبلوماسية العربية تسعى لدى الحكومة البلجيكية لاقناعها بعدم الموافقة على تنفيذ المشروع . كذلك من المهم ملاحظة ان المصنع سيقام في منطقة متخلفة نسبيا في ميدان التصنيع بحيث يستفيد من مساعدات الحكومة البلجيكية عملا بسياستها في دعم المناطق المتخلفة من البلاد ، ومن تخفيضات ضريبية كبيرة بالاضافة الى غيرها من الضمانات والتسهيلات الحكومية . كما ستشتري الحكومة البلجيكية ما قيمته ١٠ ملايين دولار من منتجات المصنع في السنوات الثلاث الاولى من مباشرة العمل .

اما في فرنسا فقد اوضح جورج مارشيه ، الامين العام للحزب الشيوعي (الذي خاض الانتخابات النيابية متحالفا مع الحزب الاشتراكي) السياسة التي يسترشد بها تحالف اليسار ازاء اسرائيل والنزاع القائم في المنطقة . ولا يخرج الموقف الذي شرحه مارشيه عن حدود التفسير المصري — السوفياتي لمعنى قرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ ومعنى تطبيقه . كما انه لا يختلف كثيرا عن الموقف الفرنسي المعروف الذي اعلنه الجنرال ديغول ازاء النزاع العربي الاسرائيلي بعد ١٩٦٧ ، مع العلم ان هذا الموقف قد تعرض لكثير من التمييع العملي وعلى صعيد السياسات اليومية والتفصيلية بعد غياب الجنرال . على هذا الاساس شدد مارشيه على ضرورة موافقة اسرائيل على تطبيق قرارات الامم المتحدة واحترام الحقوق الوطنية لشعب فلسطين . كما ذكر ان تبني اسرائيل لمثل هذه السياسة سيؤدي الى زيادة تعاون فرنسا معها .

بالنسبة لبريطانيا قام اللورد كارادون واضع مشروع قرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ الشهير بزيارة لاسرائيل حيث اطلق تصريحات حول القرار تؤيد التفسير الاسرائيلي — الامريكي لنصوصه . ويكتسب هذا الموضوع بعض الاهمية للسبب التالي : من المتعارف عليه انه عندما يحدث خلاف جذري حول تفسير وثائق دولية من هذا النوع كثيرا ما ترجع الاطراف المعنية الى « النوايا » التي كان يريد واضعو الوثيقة التعبير عنها عند صياغتها من اجل اخذها بعين الاعتبار ، والاحتكام اليها في تسوية الخلاف . وقد اوضح اللورد كارادون في تصريحاته ان « النوايا » التي كان يراد التعبير عنها في قرار مجلس الامن كما صاغه هو وكما تمت الموافقة عليه من قبل كل الاطراف المعنية لم تكن تشمل تحديد خريطة السلام في الشرق الاوسط ، بل كان غرضها دعوة اسرائيل لسحب قواتها من الاراضي العربية المحتلة الى حدود آمنة ومعترف بها ، وهذا لا يعني طبعا الانسحاب الى حدود ٤ حزيران ١٩٦٧ . لذلك ذكر كارادون ان الحدود الآمنة والمعترف بها ، او حدود السلام النهائية في المنطقة على حد تعبيره ، متروكة للمفاوضات بحيث يتم رسمها بين الاطراف في النزاع مباشرة .

كان لاسقاط اسرائيل طائرة الركاب المدنية

الليبية التي ضلت طريقها فوق سيناء المحتلة ، ولاحتلال الفدائيين الفلسطينيين للسفارة السعودية في السودان (حيث اعدموا السفير الامريكي ومساعده وديبلوماسيا بلجيكيا) اصداء وتأثيرات دولية عامة لا بد من الاشارة اليها .

عندما سقطت كل امكانات المكابرة بالنسبة لجريمة اسرائيل في اسقاط طائرة الركاب الليبية (كون قائد الطائرة فرنسيا وتكذيب التسجيلات اللاسلكية بين الطائرة وبرج المراقبة في القاهرة كل الحجج والتبريرات التي قدمتها اسرائيل بسرعة لتغطية جريمتها) لم يعد باستطاعة اكثر دول العالم تأييدا لاسرائيل واكثر الصحف العالمية عطفا عليها الا استنكار هذا العمل البشع . ففي الامم المتحدة تبنت جمعية منظمة الطيران المدني الدولية قرارا باكثرية ساحقة نددت فيه بعمل اسرائيل وطلبت من رئاسة المنظمة اجراء تحقيق في الحادث . وبسبب بشاعة الحادث اضطرت الولايات المتحدة للتصويت الى جانب القرار بالرغم من فشل محاولاتها لتعديله بهدف تخفيف حدة عباراته المنددة بعمل اسرائيل . كذلك تبنت لجنة حقوق الانسان التابعة لهيئة الامم قرارا ادانت فيه « مذبحة الابرياء » التي اقترفتها اسرائيل باسقاطها طائرة الركاب الليبية ، كما قررت ، في اجراء غير مألوف ، ارسال برقية الى الحكومة الاسرائيلية للتنديد « بالعمل الوحشي الذي لم يكن له اي مبرر » وللتعبير عن استيائها الشديد من هذا العمل داعية اسرائيل «الى احترام قواعد السلوك المتمدن والانساني بين الشعوب والدول وتطبيقها » . كما ان الاتحاد الدولي لجمعيات الطيارين ندد بالعمل الاسرائيلي ودعا الى اجراء تحقيق محايد في الحادث . وانتقدت جمعية الطيارين البريطانيين العمل الاسرائيلي بشدة . وفي بروكسيل اصدر اتحاد العمال العالمي تنديدا شديد اللهجة بعمل اسرائيل ووصف سلوكها « بالعمل الذي لا يغتفر » لانه كان عملا متعمدا جاء نتيجة اوامر صريحة اعطيت باسقاط الطائرة المدنية .

أما بالنسبة لعملية احتلال السفارة السعودية في الخرطوم ونتائجها ، فقد اصدر الرئيس نيكسون بيانا دعا فيه الى « وقفة دولية حازمة ضد الارهاب» والى محاكمة الفدائيين المسؤولين عن العملية . كما ارسل مذكرة خاصة الى الرئيس النميري عبر فيها عن تقدير الولايات المتحدة للجهود التي بذلتها السلطات السودانية لانقاذ حياة الرهائن مع التأكيد على ضرورة اعتقال الفدائيين ومعاقبتهم . بالاضافة الى ذلك صرح وليم روجرز قائلا ان اية دولة تمنح حق اللجوء السياسي للفدائيين الفلسطينيين المسؤولين عن عملية الخرطوم ستعتبر « شريكة في جريمة القتل » ، كما دعا الى تنفيذ حكم الاعدام بهم واثنى على ما سماه « بموقف الحكومة السودانية الحازم » واعرب عن امله في ان تتصرف كل دول العالم بالحزم نفسه . كذلك ارسل الرئيس النميري رسالة خاصة الى نيكسون ندد فيها بمقتل الدبلوماسيين الامريكيين في الخرطوم على يد منظمة ايلول الاسود وارسل مبعوثا خاصا الى واشنطن — عبد الرحمن عبد الله ، وزير الخدمات العامة — الذي اجرى محادثات مع الرئيس نيكسون ووليم روجرز حول عملية الخرطوم وذيولها . وفي الاتحاد السوفياتي انتقدت صحيفة « البرافدا » بعبارات معتدلة نشاط منظمة ايلول الاسود ، وذكرت ان عملية الخرطوم وامثالها « تسيء الى المقاومة الفلسطينية والكفاح المشترك للدول العربية من اجل ازالة آثار العدوان الاسرائيلي » ، كما نشرت « البرافدا » بيانا لمنظمة التحرير تعلن فيه ان لا علاقة لها بحادث الخرطوم .

صادق جلال العظم

رسالة من مراسلنا في السويد

يناقش البرلمان السويدي خلال النصف الاخير من شهر فبراير ومطلع شهر مارس ، مشروع القانون المسمى « بقانون الارهابي » ، والذي قدمته لجنة خاصة تم تشكيلها بموجب قرار حكومي عقب حادثة اختطاف طائرة « الخطوط الجوية الاسكندنافية » SAS في شهر سبتمبر ١٩٧٢ . اما الجهة التي تحملت المسؤولية في عملية الاختطاف فقد كانت منظمة Ustaja الكرواتية (Croation) ، وهي نفس الجهة التي قامت باغتيال السفير اليوغسلافي في ستوكهولم عام ١٩٧١ ، ويعتقد بانها هي المسؤولة ايضا عن وضع قنبلة على متن طائرة تابعة للخطوط الجوية اليوغسلافية ، والتي انفجرت في الجو في طريقها من كوبنهاغن الى بلغراد عام ١٩٧٢ ، وقتل جميع من كان على متن تلك الطائرة .

تعرف اللجنة التي شكلت عقب حادثة الاختطاف ، تعرف مشروع القانون الجديد بما يلي :

« ... لمجابهة ازدياد الارهاب الدولي ، كما يظهر في خطف الطائرات والاغتيالات . (واذا ما صدق على مشروع القانون هذا) يصبح من الممكن بناء عليه طرد اي مهاجر يظن انه ينتمي الى منظمة تستخدم اعمال العنف التي قد يتأثر بها اناس ابرياء في السويد . اما اذا كان الشخص المعني لاجئا سياسيا ، فيمكن اخضاعه — بعد اتخاذ الحكومة قرارا بذلك — الى تفتيش شخصي وتفتيش بيته ومراقبة رسائله ومكالماته التليفونية ... ».

ان الدافع المباشر لتقديم مشروع القانون ، كما هو مذكور اعلاه ، هو عملية اختطاف الطائرة . الا ان هذا الدافع في حد ذاته ، مجرد ذريعة ، حيث ان المراقبين السياسيين ذكروا ان مشروع قرار كندا تم بالفعل بحثه ودراسته ومناقشته عقب عملية ميونيخ في مطلع شهر سبتمبر ١٩٧٣ ، وقد تم بالفعل استدعاء عدد من الفلسطينيين الى دوائر البوليس لاجراء تحقيقات معهم . وكان الشعور السائد في تلك الفترة ، هو شعور باليقظة من جهة السلطات تجاه الفلسطينيين ومناصريهم ، وكذلك انتظار اللحظة المواتية للمباشرة في عملهم ضد الجهات الفلسطينية .

اذن ، فان مشروع القرار في حد ذاته مشروع موجه بالدرجة الاولى ضد الفلسطينيين . هذا وقد ذكرت الصحف السويدية ان مشروع القرار موجه بالدرجة الاولى ضد منظمة Ustaja وكذلك ضد تنظيمات فلسطينية لها علاقة بمنظمة ايلول الاسود . ولكن الواقع ان الجهة الاولى — اي منظمة Ustaja — لن تتأثر بالقرار وذلك للاسباب التالية :

١ — ان العاملين داخل هذا التنظيم والمعروفين لدى جهات البوليس جميعهم يحملون الجنسية السويدية ، ولذلك فانهم لن يتأثروا بالقرار .

٢ — ان عددا كبيرا من المتعاطفين وكذلك العاملين داخل التنظيم المذكور تم احضارهم الى السويد عقب الحرب العالمية الثانية كلاجئين ولكونهم عنصرا مناهضا للشيوعية .

لقد ذكر عضو البرلمان وممثل الحزب الشيوعي السيد جورن سوينسن ان « الارهاب ضد الابرياء في السويد يمارس من جهة واحدة فقط وهي منظمة Ustaja . ولمحاربة هذه الجهة لا داعي قط الى « قانون ارهاب » سيؤثر على التنظيمات الديمقراطية والتقدمية » .

يظهر واضحا اذا ان الارهابي ، او من يسمى ارهابيا بالامكان او بالاحتمال ، هو من ينتمي بالفعل الى تنظيم تقدمي مناهض للامبريالية والفاشستية ، وبما ان منظمة Ustaja هي منظمة فاشستية معروفة بعلاقتها خلال الحرب العالمية الثانية بالنازية والفاشستية ، فان القانون بحد ذاته وبشكل غير مباشر يسقط هذا التنظيم الفاشستي من حسابه ، ويحارب التنظيمات المناهضة للفاشستية . ولذلك فقد دعا التقدميون القانون « بقانون الارهاب الفاشستي » . اذ ان اي شخص اجنبي يسكن في السويد يعتبر ارهابيا بالامكان يتم تطبيق بنود القانون عليه حتى وان لم يستطع البوليس اثبات التهمة الموجهة اليه . لقد تساءل احد المحامين السويديين قائلا : « هل ستقوم الحكومة السويدية بطرد جولدا مئير من السويد في حالة قيامها بزيارة لهذا البلد ، انطلاقا من ان مشروع القانون الجديد ينطبق عليها ، لكونها رئيسة لتنظيم حكومي ارهابي ، يمارس الارهاب ليس فقط في المنطقة العربية بل في اوروبا ايضا » .

ان مشروع القرار له نتائج خطيرة على الحركة التقدمية في السويد ، وبالدرجة الاولى على الحركة الفلسطينية وامكانية حظر ممارستها لاي عمل فلسطيني اعلامي مستقبلا . ان احد اهداف مشروع القانون الجديد هو ارهاب الاجانب العاملين اعلاميا لحركات التحرر العالمية ، واشعارهم بعدم الامان وبعزلهم عن المجتمع السويدي في حالة السماح لهم بالبقاء في البلد ، وفي حملهم على مغادرة البلد بسبب المضايقات التي سيسببها البوليس لهم . اذ ان مشروع القانون يعطي الصلاحية الكاملة للبوليس باصدار قرار الى اي شخص اجنبي يعمل في نشاط اعلامي سياسي او لا يعمل بنقله من المكان الذي يسكن فيه اما للعمل او للدراسة الى مكان اخر يقره البوليس السويدي ويطلب من ذلك الشخص اثبات وجوده في اوقات تحددها دوائر البوليس .

ان رئيس وزراء السويد الذي شبه قصف فيتنام الشمالية في شهر ديسمبر ١٩٧٢ باعمال النازيين ، يجب ألا يعطى صورة مضللة ، فهو نفسه الشخص المتعاطف مع اسرائيل والذي قام عقب عملية ميونيخ بمرافقة سفير اسرائيل في السويد باقامة صلاة تذكارية ، وكذلك بادانة وشجب الفلسطينيين . الا ان رئيس الوزراء هذا لم ينطق بكلمة واحدة ولم يدن ولم يشجب اسقاط الطائرة الليبية خلال شهر فبراير من هذا العام . ان رئيس الوزراء هو الذي اصدر قرارا بتشكيل لجنة عقب حادثة الاختطاف وهو يساند مشروع قانون الارهاب مساندة كاملة. ان النقاش الدائر في البرلمان هذه الايام نقاش لا يوصف بانه حاد ، اذ ان جميع الاحزاب السياسية الممثلة في البرلمان باستثناء الحزب الشيوعي تساند مشروع القانون ، علما بان هناك معارضة شديدة في الصحف ولدى عدد كبير من اساتذة الحقوق والمحامين والصحفيين ومنظمة العفو الدولي وتنظيم « شبيبة الاشتراكيين الديمقراطيين » وهي الشبيبة التالية للحزب الحاكم في السويد ، والتنظيمات التقدمية السويدية والاجنبية .

وقد كانت الحملة التي شنتها صحيفة Dagens Nyheter « اخباراليوم » وهي اكثر الصحف انتشارا ، كانت ولا تزال حملة مركزة ضد مشروع القانون الذي سمته « بانه انتهاك للحركات الديمقراطية » ومن المعروف ان الصحيفة المذكورة تساند اسرائيل ، الا انها قامت في الوقت ذاته بحملة شديدة ضد اسرائيل عقب اسقاطها للطائرة الليبية . واما صحيفة Afton Bladet المسائية فقد طالبت برفض مشروع القانون واسقاطه ووصفته بانه كارثة كبيرة .

وعلى الصعيد الشعبي قامت تظاهرات ضخمة في عدد من مدن السويد وكذلك ندوات اتخذت قرارات بمحاربة مشروع القانون .

ملاحظة : في حالة الموافقة على مشروع « قانون الارهابي » فان القانون سيكون ساري المفعول ابتداء من ١٥ ابريل ١٩٧٣ ولغاية ١٥ ابريل ١٩٧٤، ويتم تمديده لسنة ثانية في حالة موافقة البرلمان على تمديده .

(٤) المناطق المحتلة

اتسمت هذه الفترة باحتدام الجدل السياسي حول مصير المناطق المحتلة بين صفوف حزب العمل الحاكم لدرجة اندفع فيها رئيس الهستدروت بن اهارون الى الخروج على الخطوط المألوفة والمحجوجة للاجنحة المتصارعة داخل الحزب ، وبتصاعد النضال الوطني بين صفوف سكان الضفة السورية ، الذي عبر عن نفسه في اقامة خلايا للمقاومة المحلية استطاعت ان تعمل طيلة عامين الى ان اكتشفت مؤخرا ، وباحتدام معركة التحدي بين الثورة والكيت ، بين جماهير القطاع ممثلة في رجال المقاومة الفلسطينية وبين الكيان العنصري الاسرائيلي ممثلا في قوات الاحتلال .

احتدام الجدل السياسي : احتدم النقاش السياسي مؤخرا بين زعامة حزب العمل الحاكم ، ولم يكن النقاش بحد ذاته أمرا جديدا ، كما ان الاحتدام في الحوار والنقاشات لا يعتبر أمرا جديدا ، انما الجديد الذي افرزته المناقشات الاخيرة هو التصريح الذي ادلى به رئيس الهستدروت بن أهارون حول امكانية الانسحاب من مناطق محتلة معينة دون التوقيع على اتفاقية سلام .

ومن الجدير بالاشارة هنا قبل التطرق الى تصريح بن اهارون وردود الفعل التي عكسها ، الى ان زعامة حزب العمل تقسم الى فئتين رئيسيتين ، تتحكم فيهما شهوتان متناقضتان الفئة الاولى تضم التوسعيين الذين يعرفون « بالصقور » والفئة الثانية تضم دعاة التوسع الجزئي الذين يعرفون بالحمائم ، يقف على رأس الفئة الاولى وزير الدفاع موشيه ديان واعضاء رافي « سابقا » في حزب العمل وكذلك رئيسة الحكومة (مباي سابقا) ونائبها (أحدوت هعفوداه سابقا) يجال الون ، اما الفئة الثانية فيتزعمها وزير المالية بنحاس سبير المنافس القوي لديان والون على خلافة غولدا مئير ، ويقف الى جانبه أعضاء من حزب العمل مثل اريه اليعاف (مباي سابقا) وبن اهارون رئيس الهستدروت (أحدوت هعفوداه سابقا) . تتحكم في هاتين الفئتين شهوتان ، شهوة التوسع ، وشهوة نقاء المجتمع اليهودي وهاتان الشهوتان متناقضتان لان التوسع يجلب معه نقيض الشهوة الثانية ، فهو يجلب اعدادا كبيرة من السكان « الاغيار » بين صفوف « المجتمع المبني على طهارة اليهود » وهذا أمر لا يريده احد من المهيمنين على زعامة حزب العمل او حتى جميع الاحزاب الاسرائيلية التي تدين بالصهيونية ، وكان من نتيجة ذلك ان اخذت هاتان الشهوتان تستقطب كل واحدة منهما انصارا لها من بين صفوف حزب العمل، بيد ان هذا الاستقطاب ليس استقطابا جديا ، لانه ناجم عن عملية الاختيار بين شهوتين عزيزتين ، ولذا فاننا نرى دائما مسحة من الروح التوسعية تفوح بين فئة دعاة المحافظة على طهارة المجتمع اليهودي ، ومسحة مقابلة من المحافظة على صفاء المجتمع اليهودي ، تفوح بين فئة الداعين الى التوسع والضم . بين هاتين الشهوتين وجد حزب العمل نفسه منقسما على نفسه ، وما ينطبق على حزب العمل ينطبق ايضا على بقية الاحزاب العمالية والاشتراكية المؤمنة بالصهيونية في اسرائيل ، اما الاحزاب الدينية واليمينية فهي تجمع بين الشهوتين . وعملية الاستقطاب تجاه الشهوتين ليست واردة تقريبا لانها ترى ان عمليتي التوسع « والنقاء » يمكن لهما ان تتعايشا وتنسجما اذا ما ارتفت بعملية تهجير غير معلنة وذلك من خلال سياسة قمع السكان الاصليين ومصادرة اراضيهم .

لقد تغلبت شهوة « النقاء » عند رئيس الهستدروت على شهوة التوسع ، ولذا اخذ يبرز الخطورة الكامنة في العمل العربي في المرافق الاقتصادية الاسرائيلية ، ويضرب على وتر الاستغلال الذي يواجهه هؤلاء ، ليس لانه يعارض مبدئيا استغلال العامل العربي ، فلو كان الامر كذلك لاصدر تشريعات تنص على مساواة العامل العربي بالعامل اليهودي ، لكنه يستثمر هذا الاستغلال من اجل الحفاظ على « نقاء » المجتمع الاسرائيلي . ولكي نقف على التصريح الخطير الذي ادلى به بن اهارون لا بد من الرجوع قليلا حول نظرته للعمل العربي والامور المترتبة عليه ، ذلك انه يعتبره خطرا كبيرا يحيق بالمجتمع الاسرائيلي وحذر منه قائلا : « ان العمل العربي من المناطق هو بمثابة قنبلة زمنية سنحترق جميعا منها . هنالك استغلال واقع على العمال العرب الذين يتلقون ثمنا بخسا مقابل عملهم . لقد خلق نوع من طبقة افندية جديدة بالنسبة للعمال العرب .. ان استغلال موارد القوى البشرية في البلاد غير مستغل بما فيه

الكفاية ، كما وان العمال اليهود يهجرون العمل اليدوي ليحتله العرب ، ينبغي ان تشغل هذه المشكلة بال الهيئات الحكومية » (هآرتس ٧٢/٥/٢٣) .

ويبدو ان تخوف رئيس الهستدروت من « القنبلة الزمنية » قد اخذ يتصاعد الى درجة ادت به الى تفجير « قنبلة » على شكل تصريح خطير يعتبر الاول من نوعه ، حين دعا بشكل مبطن خلال بحث السياسة الاسرائيلية تجاه المناطق في سكرتارية حزب العمل الى الانسحاب من مناطق معينة قبل التوقيع على اتفاقية سلام : « انني لا اعرف اذا كان ما نحتفظ به بايدينا (المقصود المناطق المحتلة) هو بمثابة اوراق مساومة او بمثابة جمرات متقدة تحت اسسنا . انني لست متأكدا تماما ، وربما اشذ في ذلك قليلا ، بانه ينبغي علينا ان نرجىء اتخاذ قرارات حاسمة تجاه المناطق حتى التوقيع على السلام ، **انني لست متأكدا من اننا لن نصل في احد الايام الى استنتاج بانه من الافضل ان يكون هنالك قطاع معين من السكان ومنطقة معينة من البلاد ، خارج اطار سيطرتنا ومسؤوليتنا ، دون أن نحصل على توقيع الطرف الاخر** » . (دافار ٧٣/٢/٢) .

لقد اثار هذا التصريح ردود فعل عنيفة بين اوساط الصقور ، كما وجعل فئة « الحمائم » في موقف حرج ، فهي تقف معه فيما يتعلق بنقاء المجتمع اليهودي وخطورة العمل العربي على « النقاء » الا انها لا تستطيع أن تذهب اكثر من ذلك ، الى درجة المطالبة بشكل مبطن بالانسحاب من مناطق معينة دون التوقيع على اتفاقية سلام. أما فئة الصقور فقد تصدت له بعنف لخروجه عما يعرف بسياسة الاتفاق الشفهي ، ومن اجماع الحزب بأن « لا انسحاب قبل التوقيع على معاهدة سلام ». وكان اول من تصدى له اعضاء حزبه «احدوت هعفوداه» المنضمون الى حزب العمل حين قال موشيه طبنكين « بأن المناطق المحتلة ليست اوراق مساومة وليست جمرات ، بل هي حجر اساس في الطريق المؤدي الى السلام » كما ودعا عضو الكنيست بن فورات (من حزب العمل) رئيس الهستدروت الى تقديم استقالته بقوله « ينبغي على بن اهارون ان يستقيل ومن ثم يكون بوسعه التعبير عن رأيه الشخصي تجاه المناطق ... ينبغي ان نقبل التذرع القائل بأن ذلك كان بمثابة رأي شخصي ، ذلك ان عضو الكنيست او عضو اللجنة التنفيذية للهستدروت باستطاعته ان يعبر عن رأي، ولكن ليس الاشخاص المهيمنون على السلطة التنفيذية . انه من غير المسموح لبن اهارون ان يتفوه باقوال مناقضة لسياسة الحكومة الا في حالة استقالته من السلطة التنفيذية ، ينبغي ان يتحلى الانسان بالجرأة عندما يقرر التخلي عن التقيد للعمل من اجل فكرة معينة ، ولكن ليس عندما تكون مرتبطا بكرسي التنفيذ الذي تجلس عليه » (هآرتس ٧٢/٢/٩) .

ازاء حملة النقد التي تعرض لها اضطر بن اهارون للتراجع قليلا وانكار التفسيرات التي وردت في الصحف والقائلة بانه يدعو الى « انسحاب ... دون توقيع الطرف الاخر » وانه لم يكن يعني ذلك، بل انه اراد ايقاف المسؤولين على خطورة العمل العربي ، بيد ان جناح التوسعيين استغل حالة الضعف والبلبلة التي سادت الفئة الاخرى واخذ يدلي بتصريحات حول تصوره لمصير المناطق المحتلة، والحقيقة ان افكار هذه الفئة اقوى بكثير من افكار الفئة الثانية بحكم سيطرة اصحابها على معظم المؤسسات الفاعلة ، فقد اعرب ديان عن تصوره للسلام المنفرد مع الاردن قائلا : « ينبغي ان تنص اتفاقية سلام مع الاردن على **حقنا في السكن والاستيطان** في كل مكان من الضفة الغربية »واعرب عن اعتقاده بان من حق اليهود الاستيطان في جميع المناطق المحتلة بدون استثناء ووجه كلامه بشكل خفي الى رئيس الهستدروت قائلا « **انني لا اعتقد** ان هناك شخصا ما يحق له القول لليهود بانهم لا يملكون حق الاستيطان في ارض ابائهم » . كما وعرض خريطة « السلام » التي يؤمن بها بقوله : « لا نستطيع النزول من هضبة الجولان ، وينبغي على جيشنا ان يبقى مترابطا على ضفاف الاردن ، كما ينبغي ان يحظر على الجيوش الاخرى اجتياز النهر ، وينبغي علينا ايضا ان نحتفظ بشرم الشيخ الذي سيشكل بداية خط للحدود التي ستمر منه حتى مكان ما على البحر المتوسط . اما قضية اين سيمر هذا الخط ، فهي مطروحة للمفاوضات » (معاريف ٧٣/٢/٨) . يمكن تلخيص ما سبق بالقول ان الجدل الذي احتدم مؤخرا حول مصير المناطق المحتلة ليس جديدا ، وانما الجديد فيه ربط قضية الانسحاب من المناطق المحتلة دون التوقيع على اتفاقية سلام ، بالقضية الاساسية التي شغلت المجتمع اليهودي قبل وبعد قيام اسرائيل ، الا وهي سياسة « العمل العبري »

التي تعني حصر جميع الاعمال في المجتمع اليهودي بايد يهودية ، الا ان عملية الربط الخطيرة هذه لا تملك اسباب النجاح بسبب قوة جناح التوسعيين في حزب العمل ، ومن المحتمل ان تخرج صاحبها من رئاسة الهستدروت .

مقاومة سكان الهضبة للاحتلال : تمتاز هضبة الجولان عن سائر المناطق المحتلة بامرين اساسيين (١) صغر حجم المنطقة بالنسبة للمناطق المحتلة الاخرى (٢) ضآلة عدد سكانها ، ويعود ذلك الى الهجرة شبه الجماعية التي سببتها حرب حزيران، فقد بلغ تعداد سكانها عشية الحرب قرابة ٦٠ الف نسمة بقي منهم عقب الحرب ٦٣٠٠ نسمة وارتفع طيلة سني الاحتلال حتى غدا قرابة تسعة آلاف نسمة يعيشون في اربع قرى . وقد اغتنمت سلطات الاحتلال هاتين الميزتين فاخذت تشيد المستوطنات اليهودية هناك بغرض تهويد المنطقة ، وقطعت شوطا كبيرا في هذا المجال حيث غدا الطابع العام للهضبة يهوديا ، ذلك ان عدد المحتلين سواء كانوا على شكل مستوطنين او جنود يفوق بكثير عدد السكان الاصليين . اضف الى ذلك ان سلطات الاحتلال حاولت منذ ان وطأت اقدامها منطقةالهضبة العمل باتجاهين يخدمان اغراض ومخططات الاحتلال (١) خلق زعامة تقليدية في الهضبة (٢) اتباع سياسة اليد الناعمة تجاه سكانها العرب ،واعتبار ان هؤلاء السكان هم دروز في المقام الاول ، والعمل على تنمية روح « القومية الدرزية » بين صفوفهم، اسوة بالمحاولة المتعثرة بين صفوف العرب الدروز في فلسطين المحتلة ، بيد ان هذين الاتجاهين لقيا فشلا ذريعا بفضل الوعي الوطني لابناء الهضبة ، وخير دليل على ذلك شبكة المقاومة التي عملت طيلة عامين هناك قبل ان يعلن عن اكتشافها عند مطلع شهر فبراير من هذا العام ، ففي ذلك التاريخ اعلنت سلطات الاحتلال عن اكتشافها لخلية « تجسس وتخريب » بين صفوف سكان الهضبة وعن اعتقالها لستة افراد ، ثم اخذ عدد المعتقلين يزداد مع مرور الوقت مع اعلان سلطات الاحتلال عن اكتشاف افراد اخرين بين الفينة والاخرى الى ان استقر العدد النهائي على ٥٢ شخصا .

ومن الجدير بالذكر ان اعتقال المجموعة الاولى تم في شهر اوكتوبر من العام الماضي ، ولم تكشف سلطات الاحتلال عن ذلك الا عند مطلع شهر فبراير من هذا العام . وبعد اعلان الاكتشاف فقط ، اخذت سلطات الاحتلال تلقي القبض على اعداد من المواطنين على فترات متقطعة ، الامر الذي يدل على ان افراد المجموعة الاولى صمدوا امام وسائل القهر والتعذيب ولم يعترفوا عن زملائهم . لقد اعترفت المصادر الاسرائيلية بان هذه الخلية كانت من اخطر الخلايا التي عملت ضد اسرائيل واعتبرت المخابرات الاسرائيلية ان عملية اكتشافها « تنطوي على اهمية بالغة » .

ما هي التهم المنسوبة الى افراد التنظيم ؟ تقسم التهم الى قسمين (١) تهمة جمع المعلومات العسكرية الامنية ، خاصة وان افراد التنظيم سخروا سياسة اليد الناعمة التي تتبعها سلطات الاحتلال تجاه سكان الهضبة ، لصالحهم ، حيث كانوا مطلقي الحرية في التجول من ايلات وحتى المطلة وكذلك داخل سيناء ، (٢) القيام بنشاط فدائي ، مثل تخزين السلاح والاعتدة ، وارسال طرود بريدية ملغومة بواسطة البريد الاسرائيلي من كريات شمونه الى الرئيس الامريكي نيكسون ووزير خارجيته روجرز ووزير الدفاع ملفين ليرد ، خلال شهر اوكتوبر من العام الفائت وكذلك ارسال رسائل ملغومة بواسطة البريد الاسرائيلي الى شخصيات اسرائيلية في يناير ١٩٧٢ ، مما ادى الى جرح معلمة في كريات جات. وذكرت المصادر الاسرائيلية ان التنظيم عمل من خلال اربع خلايا بقيادة شكيب ابو جبل ، ولم يغفل التنظيم النشاط السياسي فقد قام بنشاط سياسي علني بين السكان كشف فيه مخططات الاحتلال وحقق نجاحين بارزين في هذا المجال (١) نجح في احباط مخطط سلطات الاحتلال بشأن تعيين لجان محلية لادارة اعمال القرى ، حيث وقف سكان الهضبة ضد هذا المخطط (٢) خلق معارضة بين صفوف السكان بشأن المخطط الاسرائيلي الرامي الى اقامة محكمة شرعية من ابناء الطائفة في الهضبة ، وبالاضافة الى ذلك اخذ افراد الشبكة ينشطون في دعوة السكان الى الامتناع عن دفع الضرائب لسلطات الاحتلال .

كان وقع اكتشاف الشبكة على وسائل الاعلام الاسرائيلية شديدا ، فقد اخذت وسائل الاعلام تبدي استغرابها وتعجبها من لجوء سكان الهضبة الى مقاومة الاحتلال ، وتبرز في الوقت نفسه مدى البحبوحة الاقتصادية التي « ينعم » بها سكان الهضبة ، وعلى سبيل المثال ذكرت بعض الصحف

ان سكان الهضبة كانوا يمتلكون عشية حرب حزيران ٤ وسائط خاصة بينما وصل عدد وسائط النقل الان الى حوالي ٣٠٠ ، وذكرت ايضا انهم كانوا يمتلكون ٤ جرارات ووصل عدد الجرارات الى ٨٠ جرارا لتستنتج ان « شبكة التجسس والتخريب» ناجمة عن شيء اسمه «بطر»! أما معظم الصحف فقد ابتعدت عن الاسباب الحقيقية الكامنة وراء تنظيم المقاومة لابناء الهضبة واوردت اسبابا بعيدة عن الواقع ويمكن ايجازها بالتالي (١) عامل القرابة ، حيث استغله المنظمون في تكوين خليتهم (٢) القرب الجغرافي من سوريا (٣) الضغط السوري على السكان بواسطة احتجاز اقارب سكان الهضبة الموجودين في سوريا كرهائن !! ومع ذلك فقد اعترفت بعض الصحف بجزء من الحقيقة حين قالت ان «معظم شباب الشبكة الذين تم القبض عليهم هم شباب ذوو ايديولوجية تعمل للقضية العربية ، كما هي مطروحة في برنامج حزب البعث السوري » وأعاد مراسل وكالة عتيم للاذهان « ان فرع حزب البعث قد لعب دورا نشيطا في الهضبة ابان الحكم السوري وان قسما من اعضاء الشبكة كان نشيطا في هذا الفرع » ، اما الحقيقة الكاملة التي تعامت عنها وسائل الاعلام الاسرائيلية هي ان الاحتلال يولد المقاومة ، حتى ولو كان عدد المستوطنين والجنود في المنطقة المحتلة يفوق بكثير عدد السكان الاصليين . وليست هذه هي المرة الاولى التي يتصدى فيها سكان الهضبة لسلطات الاحتلال ، فقد سبق وان صفع الشيخ كمال كنج الذي حاولت سلطات الاحتلال فرش البساط الحمراء امامه بغرض اقامة نواة لزعامة تقليدية ، سلطات الاحتلال عندما ظهر لها انه يعمل سرا لمصلحة وطنه سوريا (للاستزادة انظر شهريات المناطق المحتلة ش. ف. عدد ٤) كما وتمثل تصدي السكان للاحتلال من خلال التظاهرات الوطنية مثل، التظاهرة الكبيرة التي قام بها سكان الهضبة خلال مسيرة الحداد على الرئيس عبد الناصر والتي تحولت الى تظاهرة ضد الاحتلال ، وكذلك من خلال توزيع المنشورات المعادية لاسرائيل داخل مدارس الهضبة .

بعد اعلان السلطات الاسرائيلية اكتشاف تنظيم المقاومة في الجولان ، حركت سلطات الاحتلال الزعامة التقليدية للطائفة الدرزية في فلسطين المحتلة على امل التأثير على ابناء الهضبة لمصلحة سلطات الاحتلال ، فتحرك الزعيم الروحي للطائفة الشيخ طريف ، الا ان تحركه لم يجد نفعا لتلقيه رسالة من السكان هناك يطالبونها فيها « تركهم وشأنهم » ، غير ان ذلك لم يرض الشيخ جبر معدي نائب وزير المواصلات الذي اخذ يدلي بتصريحات عنترية مثل قوله : « انا اعدكم بانه اذا خولتني الحكومة العمل في الهضبة فانني خلال فترة قصيرة لن تزيد عن ستة اشهر سأتمكن من تحقيق قطع أية صلة للدروز في الجولان مع سوريا ، حتى يصبحوا جهة مخلصة وموالية لدولة اسرائيل » (رصد اذاعة اسرائيل ، مركز الابحاث) . وافصح الشيخ عن خطته فذكر انها تعتمد على تطبيق القانون الاسرائيلي في الهضبة والغاء الحكم العسكري واتخاذ اجراءات حاسمة ضد العناصر المحرضة ، والعمل على ضم الجولان .

التحدي الكبير : ان ما يجري في القطاع في الآونة الاخيرة هو بمثابة تلخيص امين لقصة القطاع الطويلة مع الاحتلال ، انه باختصار تحد كبير بين طرفين اثنين يسعى كل منهما لتصفية الطرف الاخر، صراع بين الثورة والبطش ، بين جماهير القطاع ممثلة في رجال المقاومة الفلسطينية وبين الكيان العنصري الاسرائيلي ممثلا في قوات الاحتلال .

ماذا حدث في القطاع ؟ ان ما حدث في الآونة الاخيرة في القطاع مرتبط ارتباطا وثيقا بالاحداث التي سبقته ونكتفي هنا بالاشارة اليها لكي نضع الاحداث الاخيرة في سياقها الطبيعي .

في اعقاب حملة التهجير والتشريد والهدم التي قامت بها سلطات الاحتلال في شهر اب من عام ١٩٧١ بغرض تحويل سيطرتها من «سيطرة رمزية» الى سيطرة فعلية ، عينت رشاد الشوا رئيسا لبلدية غزة آملة ان تخلق منه نواة لزعامة تقليدية اسوة بالزعامة التقليدية في الضفة الغربية ، بعد فشلها في خلق زعامة تقليدية ووجاهة محلية في القطاع لان الرئيس السابق للبلدية راغب العلمي ومخاتير القرى والمخيمات كانت خاضعة لرجال المقاومة «خشية من ساعد المقاومة الذي لا يرحم»، بيد ان محاولتها مع الشوا لم تجد نفعا ، فقد حاول ان يكوّن له نوعا من الاستقلالية كما وانه كان يميل الى النظام الملكي في الاردن ، ولم تجد فيه سلطات الاحتلال الزعيم المحلي الذي يمكنها من تمرير مخططاتها ، هذا علاوة على انه كان يخشى على حياته فيما لو وافق على مخططات سلطات الاحتلال . ومن هنا ارتأت سلطات الاحتلال ان

تقوم بنفسها بفرض تلك المخططات دون الاخذ بعين الاعتبار رأي الزعامة المحلية ، فأقدمت في شهر اب من العام الماضي على تنفيذ مخطط لتصفية قضية لاجئي قطاع غزة الذين يشكلون ثلثي السكان . هناك بواسطة اقامة ضواح جديدة بالقرب من مخيماتهم والحاق المخيمات والضواحي بالمجالس البلدية القريبة منها بغرض توطين اللاجئين في اماكنهم وتصفية قضيتهم ، وقد تمت التجربة الاولى في مخيم رفح ومن ثم امتدت الى سائر المخيمات حتى وصلت الى مخيم الشاطىء في غزة ، وعندما رفضت بلدية غزة الاجراء الاسرائيلي ، اصدر قائد المنطقة أمرا بتنحية الشوا من منصبه ، وبذلك اصبحت غزة مرة اخرى بدون مجلس بلدي محلي ، ونصبت سلطات الاحتلال الضابط اوري تشاشيك رئيسا لبلدية غزة بالوكالة (للتوسع حول مخطط تصفية المخيمات واقالة الشوا ، أنظر شهريات المناطق المحتلة ش. ف عدد ١٤ ، ١٦) وخلال ذلك كانت المقاومة الفلسطينية قد اعادت تنظيمها من جديد واخذت تقوم بنشاطات ضد العدو الاسرائيلي ، وقامت بمحاولة لتصفية رشاد الشوا. ويبدو ان هذه المحاولة كانت من بين الاسباب الرئيسية التي منعته من الموافقة على ضم مخيم الشاطىء لبلدية غزة . الا ان سلطات الاحتلال استمرت في تنفيذ مخطط التصفية وابتكرت طريقة جديدة لخدمة اغراضها فاعلنت عند منتصف شهر اوكتوبر من العام الماضي ضم مخيم الشاطىء الى مدينة غزة وارسلت دعوات الى ٢٥٠ شخصا من سكان المخيم لحضور اجتماع يعقد في مدرسة فلسطين في غزة دون ان يحاط المدعوون علما بماهية الاجتماع ، وقد فوجىء الكثيرون منهم عندما علموا بأن قائد قطاع غزة المقدم ي. عيني قد دعا لهذا الاجتماع بغرض انتخاب لجنة محلية «للمشاركة في تطوير المخيم » وقد بدأ قسم من المجتمعين يحتج على فكرة اجراء انتخابات ، بيد ان المقدم عيني أصر على موقفه ودعاهم لترشيح أسماء من بينهم، وتحت وطأة الضغط تم ترشيح ٢٠ شخصا ونودي على كل شخص مرشح الى المنصة لكي يقف امام المجتمعين بغرض التعرف عليه ! وانتهت مهزلة الانتخابات، التي وصفتها وسائل الاعلام الاسرائيلية بـ « السابقة الديمقراطية » داخل المخيمات ، بفوز سبعة اشخاص في اللجنة المحلية لادارة المخيم يقف على رأسهم ديب الهربيطي .

ومن الجدير بالذكر هنا ان شباب المخيم عبروا عن رفضهم جهارا لمخططات الاحتلال كما ذكر مراسل صحيفة هآرتس على لسان شباب المخيم « اذا كان الحكم العسكري يريد لنا ان نعيش كما يعيش الناس في اسرائيل فعليه ان يدعنا نعود الى منازلنا التي سلبتمونا اياها عام ١٩٤٧ . اننا نريد العودة الى اراضينا وبيوتنا التي سكناها قبل ٢٥ عاما . اننا لا نريد خدمات للمخيم ولا نريد طرقا ممهدة انما نريد فقط العودة الى بيتنا » (هآرتس ٧٢/١٠/٢٧) الا ان ديب الهربيطي اراد عكس ذلك فربط نفسه في خدمة سلطات الاحتلال . على ضوء « السابقة الديمقراطية » في مخيم الشاطىء ارتأت سلطات الاحتلال ان تعممها على مدينة غزة بواسطة تقسيمها الى ثماني حارات ، وتهدف من وراء ذلك تحقيق هدفين اساسيين خطيرين : (١) انتخاب مجلس بلدي في غزة بواسطة مندوبي لجان الحارات الذين سيشكلون فيما بينهم لجنة تنسيق ، حيث تقوم هذه اللجنة بانتخاب رئيس البلدية من بين صفوفها (٢) اشتراك مندوبين عن لجنة مخيم الشاطىء في لجنة التنسيق وهذا يعني موافقة على ضم المخيم الى البلدية . وبالفعل أقدمت سلطات الاحتلال في النصف الثاني من شهر يناير هذا العام بالبدء بعملية انتخاب لجان الحارات ، التي انتهت في ٧٣/١/٢٤ . كانت طريقة الانتخاب بسيطة وشبيهة الى حد كبير بعملية انتخاب لجنة الشاطىء ، حيث يرسل الحاكم العسكري دعوة لممثلي العائلات التي تدفع ضرائب في كل حارة لحضور اجتماع انتخابي يعقد في مدرسة اليرموك ، وقد خصص لكل حارة يوما معينا لانتخاب اعضائها ، وقد حرص المقدم عيني على حضور كل اجتماع والقاء كلمة فيه تدور حول « مدينة غزة التي تعتبر أكبر مدينة عربية في البلاد ، بيد أنها مفككة وفقيرة وتفتقر الى زعامة موحدة . ان الحكم العسكري سعى الى خلق زعامة من السكان بيد أنهم لم يعرفوا كيف يتنظموا ، ولذا فان جهاز الحكم العسكري يجيء لتشجيع السكان في هذا المجال ، ومن هنا جاءت مبادرة انتخاب لجان الحارات » (معاريف ٧٢/١/٢٦) . ويبدو ان بعض الوجهاء التقليديين قد سقطوا اسرى كلمة المقدم الاسرائيلي وتعاموا عن الطرف الاصيل في القطاع ، فقد اخذ البعض منهم يلقي كلمات يشيد فيها بالاجواء الديمقراطية «.. واخيرا وصلت الديمقراطية الى القطاع » الامر الذي دفع بعض المعلقين الاسرائيليين الى القول « ان الايام الثمانية

للانتخابات أثبتت مدى بعد الشوط الطويل الذي قطعه سكان غزة في العام الاخير من عالم الارهاب» (المصدر السابق) .

في اعقاب النتائج التي اسفرت عنها الانتخابات (للتوسع انظر مجلة الهدف عدد ١٩٣) اخذت الزعامة التقليدية تعقد الحفلات والاجتماعات لدخول المرحلة الاخطر : انتخاب مجلس بلدي ورئيس له، كما كانت تهدف سلطات الاحتلال ، واخذ الحديث يجري عن اعتزام عبد الرحمن الدربي احد اثرياء غزة ترشيح نفسه لرئاسة البلدية وتعيين ديب الهربيطي نائبا له ، وعن اعتزام الشوا العودة الى رئاسة البلدية . وقد عملت سلطات الاحتلال على اذكاء روح التنافس بين الاطراف المختلفة ، الامر الذي اعمى أبصار الزعامة التقليدية عن وجود الطرف الاصيل وتحذيراته المستمرة من المخطط الاسرائيلي ، وفي ٧٣/٢/١٠ تحرك افراد المقاومة الفلسطينية ووضعوا حدا لحياة رئيس لجنة الشاطىء ديب الهربيطي ، وفي اليوم الثاني تحركت المقاومة مرة اخرى حين اطلقت مجموعة فدائية النار على الشوا عندما كان متوجها الى معمل التوضيب ، فاصابت زجاج سيارته ، مما تسبب باصابته بجروح في وجهه ، ومن الجدير بالذكر هنا ان وسائل الاعلام الاسرائيلية اخذت تستبعد ان يكون الفدائيون وراء الحادث، واخذت تلمح الى أن الحادثتين نجمتا عن التنافس بين انصار الشوا والهربيطي ، كما ان الشوا تفاجأ ان يكون طرف واحد وراء الحادثتين عندما صرح للصحف الاسرائيلية « كيف يمكن ربط الحادثتين معا ؟ لقد اراد الهربيطي ضم مخيم الشاطىء لمدينة غزة ... بينما انا استقلت من رئاسة البلدية لانني رفضت ضم الشاطىء للمدينة . فقد عارضت محو هوية مخيم اللاجئين طالما ان قضية اللاجئين لم تحل » الا انه في مكان اخر اعترف بأن « المنظمات » تريد رأسه « ... ان التنظيمات تريد قتلي ، لا استطيع القول اي تنظيم او مجموعة منها . لقد استمرت محطات الاذاعة التابعة للتنظيمات في مصر وسوريا بمهاجمتي . انهم لا يريدون ان يكون هنالك رجل قوي في المناطق باستثنائهم . انهم يدركون بأن الرجل القوي سيتحدث وان حديثه سيجد من يستمع اليه . انهم يريدون ان يستمعوا لهم فقط » (معاريف ٧٣/٢/٣) . كما وحاولت سلطات الاحتلال الايحاء بأن الفدائيين ليسوا وراء الحادثتين ، واخذت تدلي بتصريحات بأن ذلك لن يؤثر على عملية الانتخابات ، بيد أن ذلك كان امرا بعيد المنال ، فبعد مرور اسبوع اصدرت الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين في القطاع بيانا تم توزيعه في مدن القطاع وقراها طالبت فيه لجان الحارات في المدينة « بالكف عن العمل في اللجان ، وعدم التعاون مع الحكم الاسرائيلي » وبالفعل استجاب معظم اللجان للطلب خشية من مساعد الثورة ، وتنافست فيما بينها باعلان استقالتها من اللجان في الصحف العربية التي تصدر في المناطق المحتلة ، الا ان شخصا استمر ، في غيه ، وانحرف عن وظيفته كرجل دين الى رجل احتلال الا وهو المطران يوحنا النمري ، الذي اخذ يعمل من اجل « الصداقة اليهودية العربية » ويروج لذلك بين صفوف من الشباب الخاضعين «للنفوذ» «فهؤلاء الشباب زاروا اسرائيل وعملوا من أجل الاخوة والصداقة بين اليهود والعرب ، نحو غد مشترك » الامر الذي دعا رجال المقاومة لوضع حد لحياة النمري كرجل احتلال في ٧٣/٢/٢٦ . ومن الجدير بالذكر ان وسائل الاعلام الاسرائيلية اعترفت في النهاية ان رجال المقاومة هم الذين يقفون وراء الاحداث بقولها « أصبح الان واضحا تماما سبب ذهول الـ ٥٦ شخصا الذين انتخبوا كممثلين في لجان الحارات والذين اخذوا يسرعون نحو الصحف العربية في اسرائيل للاعلان بأنهم اصبحوا بحكم المستقيلين من مناصبهم » (معاريف ٧٣/٢/٢٧) . أما رد الفعل لدى جهاز الحكم العسكري فقد اتسم بالعجز الكلي عن مواجهة الموقف حين أعلن انه لا يتدخل في موضوع استقالة اللجان، مع أنه بذل جهودا كبيرة من اجل الانتخابات . وبذلك كسبت المقاومة الفلسطينية في القطاع المعركة مع سلطات الاحتلال بافشال مخططها الرامي الى توطين اللاجئين من خلال اقامة زعامة تقليدية شبيهة بزعامة الضفة الغربية. ولم يبق امامها الا الاستمرار في توجيه الضربات ضد قوات الاحتلال ، وبالفعل اخذت المقاومة الفلسطينية تنشط عسكريا في معركة المواجهة مع العدو ، سقط خلالها شهداء من خيرة الرجال وعلى رأسهم عضو اللجنة المركزية للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين الملقب « تشي غيفارا » واثنين من رفاقه ، وبقي التحدي الكبير بين الثورة والقمع قائما في القطاع .

عبد الحفيظ محارب

(٥) القضيـــة الفلسطينية عسكريا

تقدم شؤون فلسطينية اعتبارا من هذا العدد بابا جديدا في شهريات القضية الفلسطينية يعنى بعرض وتحليل التطورات التي تطرأ على ميزان القوة العسكريـــة بين الدول العربية واسرائيل ، كما يعنى بعرض وتحليل النشاطات العسكرية التـــي تقوم أو تشترك بها المقاومة الفلسطينية أو الدول العربية أو اسرائيل .

اولا : عملية مخيم نهر البارد ومخيم البداوي :

تمثل عملية ٧٣/٢/٢١ البحـــرية ـــ الجوية ضد مخيمي البداوي ونهر البارد وقواعـــد المقاومـــة المجاورة لهما تنفيذا للسياسة الاسرائيلية الجديدة التي تحدث عنها قادة العدو بعد عملية ميونيـــخ ولا يزالون . وتتلخص هذه السياســة في التخلي عن مبدأ العين بالعين والسن بالسن . وعدم ربـــط العمليات الانتقامية بعمليات المقاومة ، وعدم الرد على الضربة بضربة ، بل وضع خطة كاملة لمجابهة المقاومة في كل مكان على الارض العربية ، وتسديد ضربات متعاقبة تكون في جوهرها **فعلا لا رد فعل** ، تستهدف دفع قوات المقاومة الى التخلي عن الهجوم والانتقال الى خندق الدفاع .

وكانت العملية تستهدف تحقيق الاغراض التالية :
١ ـــ ضرب قواعد التدريب التابعة للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين والقاعدة البحرية التابعة لفتح وعدد من المكاتب التابعة لحركة المقاومة .

٢ ـــ ردع حركة المقاومة عن طريق تهديدها بامكانية الوصول الى المخيمات وضربها وتهديد حياة المدنيين فيها : خاصة وان المخيمات هي اكبر هدف حساس تستطيع اسرائيل ضربه والحاق الخسائر به لردع حركة المقاومة بشكل غير مباشر ، بعد ان فشلت كل محاولات الردع عن طريق ضرب القواعد .

٣ ـــ فصل رجل المقاومة عن الانسان الفلسطيني، واقناع هذا الاخير بأن وجود رجل المقاومة الـــى جانبه يعرض حياته وامنه لخطر لا قبل له به .

ولقد تم تنفيذ الهجوم الاسرائيلي بقيادة الرائـــد ايتزاك في الساعة الاولى من الصباح بعمليتـــين استهدفت اولاهما عـــددا من مكاتب المقاومـــة وقواعدها في مخيم نهر البارد ، ومعسكرا للتدريب في مخيم البداوي . وكانـــت القوات المشتركة في المعركة الاولى عبارة عن مجموعات كوماندس بحرية تم نقلها بمراكب شيربور ثم جرى انزالها علـــى الشاطىء بواسطة مراكب مطاطية ليتم انسحابها بعد ذلك بطائرات الهليكوبتر ، على حين نفـــذت العمليات الثانية مجموعات من القوات المحمولـــة بالهليكوبتر .

ولعل اغرب ما يلاحظه دارسو هذه العملية المزدوجة هو انها حققت المفاجأة الاستراتيجية والمفاجـــأة التكتيكية . واذا كان من واجبنا ان نسجل لرجال المقاومة والميليشيا في المخيمين اندفاعهما البطولي لقتـــال عـــدو يتمتـــع بكـــل فوائد المفاجأة ، فان من واجبنا ايضا ان نسجل على المقاومة وقوعها في فخ المفاجأتين بشكل غير مبرر .

ولقد ظهر من سير العمليتين (عدم اطفاء الانـــوار خلال المعركة ـــوعدم وجود مراكز تجمع للمقاتلين ـــ عدم وجود خطة دفاعية متكاملة ـــ عدم وجود نقاط اسعاف ميدانية ـــ اعتقاد السكان بان صـــوت الرمايات تدريب ليلي ـــ عدم شن هجمات معاكسة منظمة ... الخ) . ان المخيمين الواقعين في شمال البلاد لم يكونا ينتظران ضربة بمثل هذا العمق ، وفي مثل تلك الفترة الهادئة على الحدود اللبنانية الاسرائيلية . اذا حقق العدو **مفاجأته الاستراتيجية في الزمان والمكان** . كمـــا ان المقاتلـــين ورجـــال الميليشيا الذين قاتلوا خلال الاشتباك ببسالة وقدموا عشرات الضحايا لم يكونوا ينتظرون ضربة من هذا النوع يستخدم العدو فيها هذا الاسلوب ، ولـــذا تحققت **المفاجأة التكتيكية بالزمان وأسلوب القتال** . ويكمن السبب الرئيسي لهـــذا الخطأ في ضعـــف مستوى الحذر الثوري وانخفاض مستوى الاستنفار النفسي والمادي بشكل دائم . وهما نابعان مـــن عاملين هما : ١ ـــ **عدم فهم السياسة الاسرائيلية الجديدة** وما تتضمنه من استمرارية احتمال الصدام طالما ان هناك شعبا فلسطينيا ثائرا يحمل السلاح ويرفض الحلول الاستسلامية . ٢ ـــ **جهل طبيعة الحرب** : لقد حملت المقاومة السلاح وأعلنت الكفاح المسلح حتى يتحقق النصر . وهذا يعني انها أعلنت استخدام العنف الثوري بكل اشكاله . وكان عليها

ان تعرف بأن العدو الراغب في الحفاظ على وجوده الاستعماري سيلجأ الى استخدام العنف القمعي المضاد حتى يلقي اخر مقاوم بندقيته . وما دامت حركة المقاومة صامدة تقاتل كل يوم ، وتخطط لتصعيد المعارك التحررية ، فان من طبيعة الامور ان يخطط العدو لتصعيد المعارك القمعية حتى في فترات الهدوء النسبي . ان الحرب بطبعها هي « العنف المدفوع الى حده الاقصى » . وما دام هناك طرفان متحاربان ، فان العنف هو الحكم الاخير بينهما ، وكل من ينسى ولو لحظة واحدة هذه الحقيقة عبارة عن شخص يجهل جوهر الحروب ومفهومها واسلوبها ، ويدفع من دمائه ثمن جهله .

٣ ــ **انعدام الحذر الثوري** : لقد كانت عملية مخيمي البداوي ونهر البارد من الجانب الاسرائيلي مغامرة محسوبة تعتمد على تحقيق التفوق على ارض المعركة والافادة من المفاجأة وضعف تدابير الامن والحذر عند الخصم . وكانت من الجانب العربي صمودا ومقاومة شرسة غير مرتبطة باستعداد محسوب مسبق . ولو ترافقت الجرأة والاستعداد للتضحية مع التخطيط الجيد والصد والانذار المتكاملين لانقلبت مغامرة العدو المحسوبة الى مصيدة باعظة التكاليف ، ولترك الغزاة على أرض المعركة عشرات القتلى والجرحى ، ولعلمتهم فداحة خسائرهم ان ضرب المخيمات لم يعد « نزهة عسكرية » سهلة .

ثانيا : زيارة الفريق اول احمد اسماعيل لموسكو وزيارة غولدا مائير لواشنطن :

في ١٩٧٣/٢/٢٦ زار وزير الحربية المصرية الفريق اول احمد اسماعيل موسكو برفقة وفد عسكري على مستوى عال ، لاجراء مباحثات تتعلق بتسليح الجيش المصري . وابدت الاوساط العالمية اهتماما بالغا بهذه الزيارة التي جاءت بعد سبعة اشهر من خروج الخبراء السوفييت من ج.ع.م. وتباينت التكهنات حول سبب هذه الزيارة ومراميها ، وطبيعة المحادثات والنتائج التي ستنجم عنها والتي ظهرت بوادرها الاولية في التأكيد على انتقال العلاقات المصرية ــ السوفييتية الى مرحلة جديدة ضمن اطار توثيق التعاون العسكري المصري ــ السوفييتي ، دون التفكير بعودة الخبراء السوفييت الذين خرجوا من مصر في شهر تموز من العام الماضي (L'Orient - Le Jour, 3/3/73) .

ولقد دفعتنا اهمية مسألة التسليح السوفييتي ومحوريتها بالنسبة للصراع العربي ــ الاسرائيلي الى افراد مقال خاص بها في هذا العدد (الصفحة ٣٣) يشرح جوانبها المتعددة التاريخية والتكنولوجية واحتمالات المستقبل وتأثيراتها المنتظرة .

وفي مطلع اذار كانت غولدا مائير رئيسة وزراء اسرائيل تزور الولايات المتحدة الامريكية بغية اجراء مباحثات سياسية ــ عسكرية تتعلق بوضع الاحتلال ، وامكانات انسحاب اسرائيل من بعض الاراضي المحتلة وشروط هذا الانسحاب . ولقد طلبت غولدا مائير من الرئيس الامريكي اعتمادات عسكرية بمبلغ ٣٠ مليون دولار لشراء ٦٠ طائرة (٣٠ فانتوم و ٣٠ سكايهوك) وقذائف تقاد باشعة ليزر وقذائف تقاد تلفزيونيا وطائرات هليكوبتر من طراز كوبرا وصواريخ بحر ــ بحر وعددا من الزوارق المحمولة بالطائرات العمودية (الهليكوبتر) . كما طلبت الحصول على اعتمادات غير عسكرية ومنح يبلغ مجموعها ٢١٥ مليون دولار (نشرة رصد اذاعة اسرائيل رقم ١٧٦ L'Orient - Le Jour 1/3/73).

وياتي هذا الطلب الاسرائيلي منسجما مع سياسة تل ابيب وادعاءاتها حول ضرورة الحصول على التفوق العسكري بغية تحقيق السلام . فلقد صرحت غولدا مائير في واشنطن (٧٣/٣/١) في نادي الصحافة الوطني « ان اسرائيل قوية هي افضل ضمانة لا للشعب الاسرائيلي فحسب ... بل انها تشكل افضل ضمانة للسلم العالمي » (هيرالد تريبون ٧٣/٣/٢) . ويشبه الطلب بجوهره طلبات عيزر وايزمان وموشي دايان وغيرهما من قادة العدو لتأمين التفوق العسكري الاسرائيلي بشكل يجعل اسرائيل قادرة على ردع العرب ومنعهم من شن الحرب ، والانتصار عليهم اذا ما انخفض مستوى الردع واندلع القتال .

ولقد حملت غولدا مائير طلباتها الى واشنطن لتساوم عليها ، وتعتبر الحصول عليها شرطا « للتعاون » مع المحاولات الدبلوماسية المبذولة لتسهيل الوصول الى حل سلمي لازمة الشرق الاوسط .

وبالرغم من الصعوبات المتزايدة التي تتعرض لها برامج المساعدة الامريكية واهمها ازمة الدولار ، فقد حصلت غولدا مائير من الكونغرس الامريكي على تأكيد كامل باعطاء الاعتمادات الاسرائيلية المطلوبة للتسليح افضلية على غيرها من الاعتمادات (أ. ب) . وفي مساء ١٩٧٣/٣/٢ اكد الرئيس

الامريكي نيكسون في خطاب القاه خلال مادبة العشاء التي دعا اليها البيت الابيض على شرف رئيسة الوزراء غولدا مائير ان الولايات المتحدة ستقف دائما الى جانب اسرائيل « من اجل قضية السلام » (الاوريان — لوجور ٧٣/٣/٣) ..

وتذكر المصادر الاسرائيلية ان محادثات غولدا مائير خلال زيارتها كانت « مفيدة جدا » بالاضافة الى انها « صريحة وواقعية » . ولكنها تتكتم حول نتيجة طلب الاسلحة الجديدة . ولقد دلت تصريحات وزير العمل الاسرائيلي يوسف الموجي في مطار اللد وتهربه من الاجابة عن اسئلة الصحفيين حول نوايا واشنطن بالنسبة لتزويد اسرائيل بالاسلحة على ان الاوساط الرسمية الاسرائيلية تلقت تعليمات صارمة مشددة بعدم اعطاء اية معلومات حول هذا الموضوع . بيد ان تلاقي السياسة الامريكية الراغبة في فرض سلام امريكي — اسرائيلي في المنطقة عن طريق اركاع العرب بعد تيئيسهم من امكانية تحقيق أي نصر عسكري ، والسياسة الاسرائيلية التي تربط دعوتها الى السلام بقوة عسكرية متفوقة ، وتريد من العرب ان يوقعوا شروط السلام الاستسلامي والمسدس مصوب الى صدغهم، ان تلاقي هاتين السياستين يؤكد ان اسرائيل ستحصل على مبتغاها من الاسلحة لتأمين التفوق العسكري المادي الذي يضمن الحفاظ على «الوضع القائم » تماما كما حصلت منذ حرب حزيران حتى الان على اسلحة امريكية وغير امريكية تضمن بقاء الاحتلال الى ان يقبل العرب حلا هو في جوهره تهدئة كاملة للمنطقة وتخل مطلق عن حقوق الشعب الفلسطيني .

وتشير الانباء الواردة من نيويورك في ٣/١٤ (و. ص. ف — ي. ب — رويتر) على أن من المحتمل ان تقدم الولايات المتحدة لاسرائيل ٢٤ طائرة فانتوم (ف — ٤) و٢٤ طائرة سكاي هوك (أ — ٤) خلال عامين على أن يبدأ التسليم بعد انتهاء تسليم صفقة عام ١٩٧١ التي نصت على تسليم الطيران الاسرائيلي ٢٤ طائرة فانتوم (ف — ٤) و ٨٠ طائرة سكاي هوك (أ — ٤) [انترناشونال هيرالد تريبيون ٧٣/٣/١٥] ويأتي الاختلاف بين عدد الطائرات التي طلبتها مائير (٦٠ طائرة) وعدد الطائرات المحتمل تقديمها الى اختلاف في طرق حسابات موازين القوى في الولايات المتحدة واسرائيل واذا كانت اسرائيل قد طلبت ستين طائرة لتحقيق التفوق الجوي وفق حساباتها والمعلومات المتوفرة لديها عن التسليح العربي ، فان موافقة واشنطن (في حالة تأكدها وانتقالها من حالة الاحتمال الى حالة الواقع) تعني ان الحسابات الامريكية ترى ان ٤٨ طائرة عدد كاف لتحقيق التفوق المنشود وتعويض الخسائر المحتملة الناتجة عن حوادث التدريب او خسائر المعارك المحدودة خلال العامين المقبلين اذ ما بقي الوضع العسكري في الشرق الاوسط على ما هو عليه .

والاسلحة التي تطلبها اسرائيل متعددة الاغراض متباينة الاهداف . واذا كان طلب طائرات فانتوم وطائرات سكايهوك يستهدف زيادة القوة الضاربة الاسرائيلية في مجابهة الجيوش العربية ، فان محاولة الحصول على القذائف المزودة بكاميرا تلفزيونية (سمارت بومب) التي جربت في فيتنام والقذائف المقادة باشعة ليزر عبارة عن محاولة لرفع المستوى التقني للسلاح الجوي الاسرائيلي، وزيادة القدرة على التسديد والاصابة . الامر الذي يؤدي الى زيادة القدرة النارية الحقيقية لسلاح الجو الاسرائيلي ورفع كفاءته في القتال الجوي وتصف الاهداف البرية وتدمير قواعد الصواريخ أرض — جو، وتخلخل بالتالي ميزان القوى لصالح اسرائيل حتى لو لم تزد عدد طائراتها . ومن المعروف أن قلب ميزان القوى الجوية لا يتم دائما بزيادة عدد الطائرات ، بل يمكن ان يتم عن طريق تحسين التدريب ، ورفع مستوى اجهزة التسديد والتوجيه والكشف والمراقبة ، وزيادة طاقة الخدمات الارضية لزيادة عدد الطلعات .

اما الزوارق الخفيفة السريعة (سرعة ٤٥ عقدة) المحمولة بطائرات الهليكوبتر والمسماة بـ « السمكة القناصة » فغايتها ولا شك تشكيل قوة بحرية — جوية متحركة قادرة على مجابهة قوارب المطاردة التي يمكن ان تهدد الملاحة المدنية الاسرائيلية ، ومجابهة التسلل البحري الذي تقوم به قوات المقاومة الفلسطينية لتسديد الضربات الى عمق اسرائيل او لتموين القواعد الداخلية العاملة في قلب خطوط العدو . لان مثل هذه القوة قادرة على نقل القوارب المسلحة الخفيفة بطائرات الهليكوبتر بسرعة ، وانزالها على مقربة من قوارب المقاومة او قوارب المطاردة بغية الاشتباك معها بمعركة مفاجئة غير متوقعة .

ويدل الاتجاه نحو الحصول على طائرات هليكوبتر

مقاتلة من طراز كوبـــرا (٣٠٩ ــ كينغ كوبرا) والمزودة بمدافع عيار ٢٠ ــ ٣٠ ملم و ٤ صواريخ هيوز tow و ١٩ قذيفة صاروخية عيار ٧٠ مم تحت كل جناح وتلفزيون يعمل بالاشعة تحـت الحمراء الى ان في اسرائيل اتجاها لتجاوز مرحلة استخدام الهليكوبتر لحمل القوات الى حقل المعركة ودعمها بشكل محدود ، والانتقال الى مرحلة خلق قوات محمولة بالهليكوبتر المقاتلة القادرة على نقل الجنود ودعمهم بشكل فعال خلال الاشتباك . الامر الذي سيخلق امام القوات العسكرية العـربية وقواعد حركة المقاومة مهمات جديدة ، ومعضلات متزايدة تتعلق بمجابهة القوات المحمولة بالهليكوبتر. وبالرغم من صناعة اسرائيل لصواريخ بحر ــ بحر من طراز غبرييل المستخدمة في المراكب الفرنسية شيربور والمراكب الاسرائيلية الجديدة المشابهة فان طلب صواريخ بحر ــ بحر امريكية يعني محاولة رفع مستوى كفاءة القوة البحرية الاسرائيلية لمجابهة القوة البحرية العربية في البحرين الابيض المتوسط والاحمر ، وخاصة في البحر الاحمر الـــذي تعتبر اسرائيل ان انقطاع مواصلاتها فيه امر حيوي يؤدي الى « الخنق الاستراتيجي » .

وفي معرض الحديث عن الاسلحة الاسرائيلية نذكر ان محاولات اسرائيل للحصول على اسلحة امريكية متطورة لا يوقفها عن متابعة تطوير صناعتها الحربية التي تستهدف صناعة اسلحـــة ومعدات محليـــة او تطوير الاسلحة القديمة المتوفرة التي تجاوزتها التطورات الحديثة بغية جعلها قادرة على مجابهة السلاح العربي واعادتها الى الخدمة في الصف الاول .

وتذكر صحيفة معاريـــف ٧٣/٢/١٣ ان الصناعة الحربية الاسرائيلية ادخلت على الدبابة الانكليزية سنتوريـــون ــ ٥ التي كانت دبابـــة الخمسينات تحسينات تكنولوجية جعلتها دبابة صالحة للاستخدام في السبعينات . وتتمثل هذه التحسينات في تركيب مدفع عيار ١٠٥ وزيادة عدد الذخيرة التي تحملها الدبابة (اي زيادة القوة النارية ومدى الرمي) . واستبدال المحرك البريطاني Matawar الذي توقف صنعه بمحرك امريكي Continental يعمل بالمازوت ، بشكل رفع قوة المحرك من ٦٥٠ حصانا الى ٧٥٠ حصانا ، وتحسين الغيارات (اي زيادة سهولة الاستعمال) ، وزيادة السرعة من ٣٥ كم/ساعة الى ٤٣ كم/ساعة (اي زيادة القدرة الحركية اللازمة للمناورة) . ويمكن تقييم اهمية هذا العمل اذا عرفنا انه يحقق الامور التالية :

ــ زيادة عدد الدبابات الاسرائيلية القادرة علـــى الاشتراك في القتال بدلا من تنسيق هذه الدبابات واخراجها من الخدمة .

ــ توفير ملايين الدولارات .

ــ الحصول على دبابات قادرة على مجابهة الدبابات العربية (السوفييتية الصنع) ت ــ ٥٤ و ت ــ ٥٥ . مع عدم القدرة طبعا على مجابهة الدبابات السوفييتية الحديثة ت ــ ٦٢ التي حصلت ج.م.ع على عدد منها .

المقدم الهيثم الايوبي

((تقرير))

صواريخ سام السوفياتية

اتضحت فعالية صواريخ سام السوفياتية الصنع* قبل انتهاء حرب الاستنزاف بقليل ، عندما تمكنت من اسقاط عدد من طائرات العدو يوم ٣٠ حزيران ١٩٧٠ ، وازداد الاهتمام بها في الاونة الاخيرة ، عندما اسقطت صواريـــخ سام ٢ المطورة ، وفي فترة قصيرة ، اكثر من ثلاثين قاذفة امريكية عملاقة من طراز ب ٥٢ . والحقيقة ان المعارف الغربية عن صواريخ سام كانت ، والى حد قريب ، محـــدودة جدا ، « وهي ما زالت كذلـــك بالنسبة لبعـــض انواعها مثل سام ٥ و ٦ » . الا ان استخدام هذه

* نظم هذا التقرير وفق المعلومات الفنية المأخوذة عن مجلة الطيران والبحرية الايطالية ، عـــدد تشرين الثاني ١٩٧٢ .

الصواريخ في صراعات دولية ، خاصة حرب فيتنام والحرب العربية ــ الاسرائيلية ، اوصل عدة وحدات منها الى ايدي المراقبين الغربيين ، بالاضافة الى المعلومات التي حصلوا عليها نتيجة مراقبتهم لطريقة عمل هذه الصواريخ خلال العمليات الحربية ايضا .

وتجدر الاشارة هنا الى ان حلف شمال الاطلسي (ناتو) يطلق اسماء خاصة على انواع الاسلحة الشرقية ، وهذا الاسم تطلقه لجنة خاصة مكونة من اعضاء من البلدان الانكلوسكسونية الحليفة للولايات المتحدة ، وتتميز هذه الاسماء بان الحرف الاول فيها يوضح نوعية السلاح ، فالحرف S يشير الى الصواريخ ارض ــ ارض (باستثناء الصواريخ التكتيكية من فئة الصاروخ الامريكي اونست جون "Honest John") ويدل حرف G على الصواريخ ارض ــ جو مثل سلسلة صواريخ سام ، وحرف K على القذائف جو ــ ارض ، وحرف A للصواريخ جو ــ جو . بالاضافة الى ذلك تستعمل وزارة الدفاع الامريكية رموزا من حروف وارقام ليس لها صلة برموز حلف الاطلسي.

واصول الصواريخ السوفياتية غير معروفة ، ولكن يعتقد بان السوفيات قد استولوا على اعداد كبيرة من الصواريخ الالمانية المضادة للطائرات طراز (F.V.P. C-2 WASSERFALL) وكانت هناك انباء عن استخدام السوفيات لاعداد قليلة من الصواريخ الالمانية المذكورة لحماية قواعدهم المهمة، حتى بدأت في اوائل الخمسينات الدراسات لتطوير صاروخ ارض ــ جو متوسط المدى للدفاع ضد قاذفات القنابل الاستراتيجية المعادية من صنف مشابه لصاروخ نايك ــ اجاكس "NIKE-AJAX" الامريكي .

وكانت المفاجأة في ٨ نوفمبر ١٩٥٧ في العرض العسكري السنوي بمناسبة ثورة اكتوبر الاشتراكية ، عندما ظهر نوع جديد من الاسلحة هو الصاروخ **سام ٢** او (V-75 SM) حسب التسمية الروسية انذاك مركب على جرار تجره شاحنة من طراز زيل ١٥٧ ، وقد سمي "M-2" من قبل وزارة الدفاع الامريكية ، واسماه حلف الاطلسي غايدلاين "GUIDELINE" ، وهو مكون من صاروخ دافع "booster" يعمل بالوقود الصلب مع اربع زعانف على شكل شبه منحرف ، كسطح للسيطرة على الصاروخ ، وطبقة اساسية ثانية مع محرك مسير "Sustainer" يعمل بالوقود السائل ، مدة الاحتراق فيه ٢٢ ثانية ، والرأس الحربي في النماذج رقم ٢ و ٣ من سام ٢ محشو بمتفجرات تقليدية، مع اصناف متعددة من الصواعق تنفجر بالصدمة ، او الاقتراب ، او باللاسلكي . وهناك نماذج متعددة من سام ٢ ، فالنموذج رقم ١ "M-2" وبعدها S2 واخيرا سام ٢ » يمكن تمييزه بوضوح بهوائياته القائمة الزاوية على شكل شفرات مثبتة حول الرأس الحربي ، ورادار توجيهه من طراز فان سونغ ــ ا "FAN SONG-A" (بقاموس حلف الاطلسي) يعمل على الموجة S ، وهو رادار غير دقيق ويمكن التأثير عليه بسهولة باجهزة الحرب الالكترونية المضادة (ECM) . اما نسبة اصابة الصاروخ فلم تكن تزيد عن ٤ ــ ٨ بالالف ، وقد وزع على دول حلف وارسو بالاضافة الى كوبا ، واندونيسيا ، والعراق وفيتنام الشمالية . تبعه بعدها النموذج رقم ٢ ، المميز بهوائياته المائلة بدلا من القائمة الزاوية ، وبتحسين نظام توجيهه برادار من طراز فان سونغ ــ ب ، والذي يحقق اصابات تزيد عن ٨ بالالف ، اذا اطلقه جنود مهرة ، ويتراوح مداه العامل ما بين ٥٠٠ متر كحد ادنى الى ١٨٬٣٠٠ متر . وفي يوليو ١٩٦٢ بدىء باستخدام نموذج جديد من سام ٢ هو "V-750 VK VII/62" مع تحسين كبير في نظام التوجيه ومدى العمل الذي يصل الى ١٩٠٠٠ متر ، وربطه برادار طراز فان سونغ ــ د، الذي زاد دقة الصاروخ الى ٤ ــ ٥ بالمئة ، مع تحسينات كبيرة فيما يتعلق بالنوعية ، ومن الخارج يمكن تمييز التعديلات التي ادخلت على هيكله ، بالاضافة الى توسيع سطح زعانف طبقته الثانية . وجميع نماذج سام ٢ المذكورة تطلق بزاوية مقدارها ٨٠ درجة ، « وتشبك » برادار التوجيه بعد ٦ ثواني من اطلاقها ، ويبقى بالامكان توجيهه لمدة ١٥ ثانية ، دون ان تتعرض لعدد زائد من التعديلات في اتجاهها .

وأحدث انواع سام ٢ هو النموذج رقم ٤ الموجه برادار فان سونغ ــ ي الذي ظهر في نوفمبر ١٩٦٧ ، وقد زود به حلفاء الاتحاد السوفيتي ، بالاضافة الى مصر وفيتنام الشمالية والهند ، ولهذا النموذج رأس اطول بـ ٤٠ سم من النماذج الاخرى، وبامكانه حمل رأس نووي ، وبفضل جهاز راداره الذي يعمل على الموجة C ، فان بامكانه العمل على ارتفاع اقل من ٥٠٠ متر ، ويتابع الهدف حتى

ارتفاع ٩٠ مترا شريطة ان تتم السيطرة عليه بالرادار من ارتفاع اعلى .

وهناك نموذج بحري من سام ٢ هو "SA-N-2" الذي يقتصر استخدامه على الطراد السوفياتي دزيرجنسكي .

وقبل سام ٢ طور الاتحاد السوفياتي صاروخا موازيا له في الصنف هو **سام ١** ، الذي ظهر لاول مرة في ٧ نوفمبر ١٩٦٠ ، وهو مشابه للطبقة الثانية من سام ٢ ، وقد اعتقد الخبراء الامريكيون في البداية انه صاروخ سابق لسام ٢ ولكن اتضح فيما بعد انهما سلاحان مختلفان . فمقاسات سام ١ اكبر وزعانفه مختلفة ، وقد احاطت الشكوك بنظام دفعه ، ففي البدء اعتقد البعض انه يدفع بصاروخ يعمل بالوقود السائل ، ولكن فيما بعد رجحت فرضية في انه يدفع بواسطة محرك يعمل بالوقود السائل ، اما مداه فيتراوح بين ٤٠ — ٤٨ كيلو مترا ويعمل على ارتفاعات من ٤٨٠ — ١٨،٥٠٠ متر ، وهو مستخدم على نطاق ضيق في الجيش السوفياتي .

اما **سام ٣** الذي اشتهر لاسقاطه عددا من طائرات الفانتوم فوق القناة ، فهو صاروخ بطبقتين ، صمم خصيصا ليكون سلاحا أساسيا لاستخدام القوات البحرية ، وتستخدم الوحدات البحرية السوفياتية الحديثة مثل « موسكفا » صواريخ من طراز "SA-N-3" وهو نوع محسن من سام ٣ صالح لجميع الاحوال الجوية والصاروخ الجديد "SA-N-4" والذي يعتقد بأنه من صنف مشابه لصاروخ « سي سبارو » "SEA SPARROW" الامريكي ، وهو موجه برادار من طراز "HEADLIGHT".

والصنف البري من سام ٣ محمول على شاحنة هي قاعدة اطلاقه من طراز زيل ١٥٧، والحقيقة ان للقواعد المتحركة اهمية كبرى خاصة في الاوضاع المشابهة لوضع مصر على قناة السويس ، حيث تستطيع المدافع الاسرائيلية الثقيلة ذاتية الحركة من عيار — ١٧٥ ملم قصف قواعد الصواريخ الثابتة التي تقع على مدى اكثر من ٣٠ كيلومترا بسهولة، بعد تحديد مواقعها ، ولكن الامر يختلف بالنسبةللصواريخ المحمولة علىقواعد متحركة التي تستطيع تغيير مواقعها بسهولة ، لتفادي قصف المدفعية ، او لنصب كمائن للطائرات المعادية . وكما سبق وقلنا فسام ٣ صاروخ بطبقتين ، الطبقة الاولى قصيرة وضخمة تطرها حوالي ٥٠ سم ، فيها ٤ زعانف قائمة الزاوية ، والطبقة الثانية بها زعانف على شكل شبه منحرف تنتهي بهوائيات شبيهة بتلك المثبتة على سام ١ ، وهو يعمل بالوقود الصلب مع مدى يتراوح بين ١٥ — ٢٠ كم ، وعلى ارتفاعات تتراوح ما بين ٣٠٠ — ١٢،٠٠٠ متر .

وتمتلك مصر صواريخ سام ٣ الخفيفة الحركة ، ويعتقد كذلك بأنها تمتلك الصاروخ **سام ٤** ، والذي صمم خصيصا لمواجهة المواقف التي تتطلب حركة سريعة ، وقد ظهر لاول مرة في عرض مايو ١٩٦٤، وهو يشبه صواريخ « المدرسة الانكليزية » يدفع بمحرك ثابت ، او بأربعة صواريخ دافعة ، تعمل بالوقود الصلب مركب على ناقلة مجنزرة هي قاعدة اطلاق ايضا لكل اثنين معا ، ومجنزرة اخرى تحمل رادار التوجيه طراز "PAT HAND" تشكل مع الناقلة الاولى وحدة متكاملة ، وتؤهله مواصفاته للعمل على ارتفاعات منخفضة ولمسافة تبلغ ٥٠ كيلو مترا .

واطلق اسم سام ٥ على صاروخ مستوحى بشكل عام من سام ٢ ، وقد عرض لاول مرة في ٧ نوفمبر ١٩٦٣ ، وهو صاروخ بطبقتين الى ثلاث طبقات ، مكون من صاروخ دافع يعمل بالوقود الصلب ، ومحرك مسير يعمل بالوقود السائل ، ورأس يمكن فصله مجهز بمحرك صاروخي يعمل بالوقود الصلب لتعديل سير الصاروخ في المرحلة الاخيرة ، وتؤكد التصريحات الرسمية من ان لدى سام ٥ القدرة لاستخدامه كمضاد للصواريخ ، ويعتقد انه دخل الخدمة عام ١٩٦٠ ، وان بامكانه العمل حتى ارتفاع ٢٧٠٠٠ متر ، ولمسافات تزيد عن ٥٠ كيلو مترا ، ومن المفروض ان يكون قادرا على اعتراض كل انواع الطائرات ، (يعتقد بان صاروخا مشابها هو الذي اسقط طائرة التجسس الامريكية يو — ٢ بقائدها باورز في مايو ١٩٦٠) بالاضافة الى الصواريخ جو — ارض والصواريخ التكتيكية .

اما احدث الصواريخ السوفياتية فهو **سام ٦** ، وهو صاروخ صغير يعمل بالوقود الصلب ، ويحمل على قاعدة مجنزرة كل ثلاثة معا . ظهر لاول مرة في ٧ نوفمبر ١٩٦٧ ، ودخل الخدمة في الاتحاد السوفياتي في النصف الثاني من عام ١٩٦٠ ، وقد وزع حديثا على فيتنام الشمالية ويعتقد مصر ايضا (نيويورك تايمز ١٩٧٢/١١/١٣) ، ولا يعرف نوع

رادار سام ٦ ، ولكن المؤكد انه رادار حديث يعمل على الموجة X او S ، ومن الصعب تحديد قدراته ، ولكن يمكن القول ان بامكانه العمل على ارتفاع يتراوح بين ٩ — ٩٠ مترا كحد ادنى والى ارتفاع ١٠،٠٠٠ متر .

وقد اختلف الخبراء الامريكيون على تحديد الصاروخ سام ٧ ، فقد اطلق هذا الاسم على صاروخ ضخم، اطلق عليه حلف الاطلسي ايضا اسم « غالوش » "GALOSH" ، واطلق كذلك على صاروخ فردي في مستوى صاروخ « رد اي » "REDEYE" الامريكي ، وسمي « جافير » "GAFFER" . وكان اطلق على غالوش اسم سام ٧ ، ولكن هذه التسمية اهتزت الان بعد ظهور الصاروخ الفردي المسمى « ستريلا » "STRELA" ، وفي قاموس حلف الاطلسي اطلق عليه اسم «غريل» "GRAIL" وهو صاروخ صغير مزود بنظام توجيه بسيط بواسطة الاشعة تحت الحمراء ، وصفين من الزعانف التي يمكن طيها . وفي الايام الاولى لاستعماله في فيتنام تمكن من اسقاط ٥ طائرات سكاي رايدر المروحية ، وطائرة هيلوكبتر « هوي » "HUEY" وطائرة مراقبة سيزنا ، ولم تتأكد مسؤوليته عن اسقاط هيلوكبتر اخرى و ٢ — ٤ مقاتلات نفاثة . وتمكنت طائرة مراقبة سيزنا من تفاديه ، وفي هذه العمليات كانت التقديرات الاولية لدقته في الاصابة ٤٠ بالمئة . وقد استولى الامريكيون على عدة قواذف ، وهي ترمى بعد الاستعمال ، وصواريخ من هذا الطراز ، وقال الخبراء الامريكيون ان فيه مفاجآت عديدة وهو صاروخ لا يزيد طوله عن ١،٢٠ متر وقد وصفه الطيارون الذين رأوه يعمل بانه سريع جدا .

وهكذا نرى ان قوات الدفاع الجوي العربي تملك صواريخ من طراز سام ٢ للاهداف المحلقة على ارتفاعات عالية ، والانواع الحديثة من هذه الصواريخ مزودة باجهزة مضادة للحرب الالكترونية المضادة (ECCM) . وصواريخ طراز سام ٣ وسام ٦ للارتفاعات المتوسطة والمنخفضة ، والمعارف المتوفرة عن هذه الصواريخ قليلة جدا . ومهما يكن من امر فالشبكة المصرية المكونة من هذه الصواريخ هي احدى افضل الشبكات ، وكان هذا رأي الخبراء العسكريين حتى قبل حديث المصادر الغربية عن استلام مصر لصواريخ سام ٦ .

ومن بين هذه الصواريخ يحظى باهمية خاصة الصاروخ الفردي سام ٧ (ستريلا) والذي يعتبر سلاحا رهيبا ضد الطائرات المحلقة بسرعة تقل عن سرعة الصوت ، سواء اكانت مروحية او هيلوكبتر ، بالاضافة الى امكانية استخدامه في وحدات المشاة الصغرى ، او في مغازر المغاوير او الفدائيين التي تستطيع ان تكمن به في اماكن مناسبة لاصطياد الطائرات المعادية ، ويستطيع هذا الصاروخ ان يقلب الموازين تماما اذا ما استخدم لمواجهة العمليات الخاصة التي تقوم بها قوات العدو المجوقلة (المحمولة جوا) .

النوع	تسمية الناتو	الطول	فتحة الزعانف	القطر	مجال العمل أدنى	مجال العمل أقصى	المدى
سام١	GUILD	١٢،— م	؟	؟	٤٨٠م	١٨،٥٠٠م	٤٠كم
سام٢	GUIDELINE MK2	١٠،٦ م	١،٧م	٠،٦٦م	٥٠٠م	١٨،٥٠٠م	٤٠كم
سام٣	GOA	٥،٩م	١،٢٢م	٠،٥٠م	٣٠٠م	١٢،٠٠٠م	٢٠كم
سام٤	GANEF	٩،١٥م	٢،٣٠م	٠،٨٠م	؟	٢٤،٤٠٠م	٤٨كم
سام٥	GRIFFON (?)	١٦،٥٠م	٤،٦٠م	١،٠٧م	؟	٢٧،٠٠٠م	٥٠كم
سام٦	GAINFUL	٦،— م	؟	؟	٩٠ م	١٠،٠٠٠م	؟
؟	GALOSH	٢٠،٤٠م	—	٢،٧٥م	؟	؟	؟
سام٧(؟)	GRAIL	١،٢٠ م	؟	؟	١٠٠م	١٤،٠٠٠ م	؟

هشام عبدالله

جدول بالعمليات العسكرية لقوات الثورة الفلسطينية ٢/١١ — ١٩٧٣/٣/١٢

الرقم	تاريخ العملية اليوم	الساعة	موقعها	نوع العملية	السلاح المستعمل	خسائر العدو البشرية قتيل جريح	خسائر العدو المادية	خسائر المقاومة شهيد	جريح	مفقود	المصدر	تاريخه
١ —	٢/ ٩	—	سويمة/غور الاردن	اشتباك	أسلحة رشاشة وقذائف صاروخية	غيرمحدد	غير محدد	—	—	٥	تصريح عسكري رقم٦٨٦	٢/١٣
٢ —	٢/١١	—	القدس(١)	حـرق	—	— —	حرق مطبعة .. أتت النار على قسم المطابع والارشيف	—	—	—	تصريح عسكري رقم٦٨٧	٢/١٣
٣ —	٢/١٦	٣٠—	بين عكا وصفد	تفجير	عبوات ناسفة	غيرمحدد	تدمير جسر وسيارة عسكرية	—	—	—	تصريح عسكري رقم٦٨٨	٢/١٦
٤ —	٢/١٦	—	قبع تايم	تفجير	عبوات ناسفة	غيرمحدد	اصابة مسكن مدير سجن الرملة الياس درنتس	—	—	—	تصريح عسكري رقم٦٨٩	٢/١٦
٥ —	٢/٢٠	٢٢٣٠	بين القنطرة وتل الصرمان/ الجولان	تفجير	عبوات ناسفة	— —	نسف ٢٠٠ متر من اسلاك شائكة وتفجير حقل الغام	—	—	—	تصريح عسكري رقم٦٩١	٢/٢١
٦ —	٢/٢٠	٢٢٠٠	تل الصرمان/الجولان	هجوم	قذائف صاروخية وأسلحة مختلفة	غيرمحدد	غير محدد	١	—	١	تصريح عسكري رقم٦٩٢	٢/٢١
٧ —	٢/٢١	١٠٠	نهر البارد والبداوي/ لبنان	اشتباك	أسلحة رشاشة وقنابل	غيرمحدد	غير محدد	١٥	—	—	تصريح عسكري رقم٦٩٠	٢/٢١
٨ —	٢/٢٢	٢٠٠	المطلة	هجوم	صواريخ	غيرمحدد	اشعال النيران	—	—	—	تصريح عسكري رقم٦٩٣	٢/٢٥
٩ —	٢/٢٣	٤٠٠	خلة غزال/الجليل الاعلى	هجوم واشتباك	قذائف صاروخية	غيرمحدد	غير محدد	—	١	—	تصريح عسكري رقم٦٩٣	٢/٢٥
١٠—	٢/٢٣	—	جبل الشيخ	هجوم	قذائف صاروخية وأسلحة رشاشة	غيرمحدد	تدمير آلية	—	—	—	تصريح عسكري رقم٦٩٣	٢/٢٥
١١—	٢/٢٣	—	ارامبا/الجليل	هجوم	أسلحة مختلفة	غيرمحدد	اصابة الموقع	—	—	—	تصريح عسكري رقم٦٩٣	٢/٢٥

١٢— ٢/٢٥	—	على طريق بيت لحم(١)	تفجير	عبوة ناسفة	غيرمحدد	—	—	—	اعطاب سيارة	تصريح عسكري رقم٦٩٣ ٢/٢٦
١٣— ٢/٢٥	—	القـدس(٣)	تفجير	عبوة ناسفة	غيرمحدد	—	—	—	اعطاب سيارة في الحي الالماني	تصريح عسكري رقم٦٩٤ ٢/٢٦
١٤— ٢/٢٥	—	صبحا/غور الاردن الجنوبي	تفجير	شبكة ألغام	غيرمحدد	—	—	—	تدمير آلية عسكرية	تصريح عسكري رقم٦٩٨ ٧ /٣
١٥— ٢/٢٧	٢٠٠٠	بين الشيخ زويد والعريش/سيناء	كمين	عبوات ناسفة وأسلحة رشاشة وقنابـل	غيرمحدد	—	—	—	تدمير آلية	تصريح عسكري رقم٦٩٥ ٢/٢٨
١٦— ٤ /٣	١٨٠٠	مخيم الشاطىء/غزة	كمين	أسلحة رشاشة وقنابل يدوية	غيرمحدد	—	—	—	اصابة افراد الدورية	تصريح عسكري رقم٦٩٦ ٥ /٣
١٧— ٦ /٣	—	تل ابيب	تفجير	عبوة ناسفة	غيرمحدد	—	—	—	تدمير جزء من مطعم	تصريح عسكري رقم٦٩٧ ٦ /٣
١٨— ٨ /٣	—	غربي قرية بتير	تفجير	عبوات ناسفة	—	—	—	—	تفجير خط سكة الحديد بين القدس وتل ابيب وتعطيله	تصريح عسكري رقم٦٩٩ ٨ /٣
١٩— ٨ /٣	١٠٠٠	غـزة	كمين	أسلحة رشاشة وقنابل يدوية	غيرمحدد	—	—	—	اصابة افراد الدورية	تصريح عسكري رقم٧٠٠ ٨ /٣
٢٠— ٨ /٣	٢٠٠٠	القـدس	كمين	سكين	١	—	—	—	تجريد الجندي سلاحه	تصريح عسكري رقم٧٠١ ٩ /٣
٢١(٤) ٨ /٣	—	نهـاريا	تفجير	قنبلة يدوية	غيرمحدد	—	—	—	حرق ملهى ليلي	تصريح عسكري رقم٧٠٢ ٩ /٣

جدول بالعمليات العسكرية التي اعترف بها العدو الصهيوني من ٢/١١ — ١٩٧٣/٣/١٢

الرقم	تاريخ العملية: اليوم	تاريخ العملية: الساعة	موقعها	نوع العملية	السلاح المستعمل	خسائر العدو البشرية: قتيل	خسائر العدو البشرية: جريح	خسائر العدو المادية	خسائر المقاومة: شهيد	خسائر المقاومة: جريح	خسائر المقاومة: مفقود	المصدر	تاريخه
١	٢/١٢	—	غور الاردن	اشتباك	غير محدد	غيرمحدد		—	١	—	٤	ن٠ عدد١٦٠ ص٢—٣	٢/١٣
٢	٢/١٤	—	معلوت/الجليل	تفجير	الغـــام	—	٢	اصابة شاحنة	—	—	—	ن٠ عدد١٦٢ ص٦	٢/١٥
٣	٢/١٦	—	جفعتايم	تفجير	عبوة ناسفة	غيرمحدد		اصابة منزل مدير سجن الرملة ابلياس ديرنتسير	—	—	—	ن٠ عدد ١٦٣ ص٨	٢/١٦
٤	٢/١٦	—	بين عكا وصفد	تفجير	عبوة ناسفة	—	—	اصابة سيارة	—	—	—	ن٠ عدد١٦٣ ص١٠	٢/١٦
٥	٢/٢١	١٠٠	نهر البارد والبداوي	اشتباك	أسلحة مختلفة	غيرمحدد		غير محدد	٤٠	٥٠	اصابة	ن٠ عدد١٦٧ ص١٠	٢/٢١
٦	٢/٢٠	٢٢٠٠	القنيطرة	اشتباك	أسلحة مختلفة	غيرمحدد		—	١	—	—	ن٠ عدد١٦٧ ص١١	٢/٢١
٧	٢/٢٧	—	سيناء	تفجير	الغـــام	—	٢	اعطاب سيارة	—	—	—	ن٠ عدد١٧٣ ص٤	٢/٢٨
٨	٣/ ٤	—	مخيم الشاطىء/غزة	تفجير	قنبلة يدوية	—	٢	—	—	—	—	ن٠ عدد١٧٧ ص٨	٣/ ٥
٩	٣/ ٦	—	تل ابيب	تفجير	عبوة ناسفة	—	—	تدمير جزء من مطعم	—	—	—	ن٠ عدد١٧٨ ص١٠	٣/ ٦
١٠	٣/ ٨	—	غـــزة	تفجير	قنبلة يدوية	١	١	اعطاب سيارة	—	—	—	ن٠ عدد١٨١ ص٤	٣/ ٩

١ — اعترف العدو بالعملية ، راجع نشرة رصد اذاعة اسرائيل رقم ١٦٠ بتاريخ ١٩٧٢/٢/١٣ ، صفحة ٢ .

٢ و٣ — اعترف العدو بهاتين العمليتين ، راجع نشرة رصد اذاعة اسرائيل رقم ١٧١ بتاريخ ١٩٧٣/٢/٢٦ ، ص ٦ .

٤ — كما قامت منظمة ايلول الاسود بعملية في السفارة السعودية في الخرطوم قتل على اثرها اثنان من السفارة الامريكية والقائم بالاعمال البلجيكي .

تعريف بالمصطلحات الوارد ذكرها

١ — تصدر التصاريح العسكرية عن الاعلام العسكري في القيادة العـــامة لقوات الثورة الفلسطينية .

٢ — ن٠ : نشرة رصد اذاعة اسرائيل اليومية التي تصدر عن مركز الابحاث في منظمة التحرير الفلسطينية .

غازي خورشيد

اسرائيليـــات

البداوي ونهر البارد : معركة في « حرب زمام المبادرة »

ثلاث قضايا ، على ثلاثة أصعدة مختلفة ، كانت هي الاهم بين أحداث شهر شباط (فبراير) الماضي الاسرائيلية :

١ ــ على صعيد المواجهة الفلسطينية ــ الاسرائيلية ، كان الحدث هو الغارة التي قامت بها قوات من جيش الاحتلال على مخيمي نهر البارد والبداوي في شمال لبنان .

٢ ــ على صعيد « أزمة الشرق الاوسط » ، كانت زيارة غولدا مئير الى الولايات المتحدة ، والتي قابلت خلالها الرئيس الاميركي نيكسون .

٣ ــ وعلى الصعيد الاسرائيلي الداخلي ، كان الجدل الذي ثار من جديد حول « المسكر والسياسة » في اسرائيل .

بعد أقل من أربع وعشرين ساعة على « أعمق غارة نفذها مقاتلون من الكوماندو البحري ومظليي جيش الدفاع الاسرائيلي ، الذين أنزلوا (الى الشاطىء اللبناني شمال مدينة طرابلس) من السفن ، وأعيدوا الى اسرائيل بطائرات الهيليكوبتر » (معاريف ٧٣/٢/٢١) ، أسقطت مقاتلات اسرائيلية طائرة ركاب مدنية ليبية فوق رمال سيناء المحتلة ، فغطت هذه الجريمة بردود فعلها العنيفة في كافة اقطار الارض ، على الغارة التي لم تحظ ، نتيجة ذلك ، من المعلقين الاسرائيليين (وغيرهم) بما تستأهله من اهتمام ، ولم تفرد لها من افتتاحيات الصحف الاسرائيلية ، غير افتتاحيتي جريدتي « معاريف » و « يديعوت احرونوت » المسائيتين يوم ٧٣/٢/٢١ ، واللتين صدرتا في الفترة التي فصلت بين الغارة واسقاط الطائرة الليبية .

من هنا ، فان محاولة التعرف على موقع هذه الغارة في خريطة المواجهة الفلسطينية ــ الاسرائيلية ، ومن وجهة النظر الاسرائيلية بشكل خاص ، تستلزمنا العودة الى بعض أهم ما قاله الاسرائيليون من رسميين وشبه رسميين ومعلقين ، حول موضوع المواجهة والاهداف التي تسعى اسرائيل الى تحقيقها على هذا الصعيد ، وفي هذه المرحلة ، وحول الوسائل والاساليب التي تستخدمها ، او تدعو ــ بلسان بعض معلقيها ــ الى استخدامها .

والسؤال الاول : ما هو الجديد في المواجهة الفلسطينية ــ الاسرائيلية ، وما هو التطور الابرز في سلم الاولويات للاهداف الاسرائيلية في هذه المرحلة الجديدة ؟

قبل كل شيء ، يجدر التذكير ، بأن ما تعتبره اسرائيل « المرحلة الجديدة » ، هو الفترة التي بدأت بعملية ميونيخ الفدائية في شهر أيلول (سبتمبر) الماضي ، وما زالت مستمرة . وفي هذه المرحلة يركز الاسرائيليون في تعداد أهدافهم على ثلاث نقاط :

١ ــ ابادة الفدائيين ، بكل معنى كلمة الابادة .

٢ ــ الغاء أي وزن أو تأثير للعمل الفدائي في أي تطور سياسي في الشرق الاوسط .

٣ ــ عزل الفدائيين عن التيارات العالمية المناصرة لحقوق الشعب الفلسطيني ، والعمل على كسب عناصر هذه التيارات الى جانب وجهات النظر الاسرائيلية .

وكان الجنرال دافيد العازار رئيس أركان جيش الاحتلال ، قد ردد في مقابلة طويلة اجرتها معه جريدة معاريف (٧٢/١١/٣) تعبير «ابادة الفدائيين» ثلاث مرات ، وتعبير « القضاء على الفدائيين » أكثر من ذلك ، وقال : « ان جيش الدفاع الاسرائيلي سيستمر في ضربه للمخربين ، حيث التوقيت ، والاساليب والوسائل والمكان ، تفحص جميعا بمقياس واحد هو : احراز أكبر نتائج تصفية الفدائيين ، ... وانني أعطي المعركة المباشرة

ضد المخربين ، ابادتهم ، وتشويش نمط حياتهم ، الافضلية في سلم الاولويات .. » .

وفي مناقشة أجرتها اذاعة العدو يوم ٧٢/١٠/٧ ، وشارك فيها اربعة من الاساتذة في مؤسسات التعليم العالي في اسرائيل ، تردد مثل هذا الكلام ، حيث قال البروفيسور يهوشواع اربنيلي « ان حربنا ضد الارهاب يجب ان تكون بتصفية الارهابيين وليس القيام بارهاب مضاد ... » ، وقال البروفيسور بنيامين اكتسين المشهور بعنصريته وكراهيته للعرب ، « من الواضح انه يجب اتخاذ وسائل جدية لهدم جهاز الارهاب ، بوسائل جدية وحتى شديدة » .

لكن أوري دان ، الصحافي الاسرائيلي الذي كتب مقالا في معاريف يوم ٧٣/٢/١٦ (أي قبل اربعة ايام فقط من العدوان الاسرائيلي على مخيمي نهر البارد والبداوي) ، كان أكثر تواضعا في تحديد الاهداف التي يجب ان تسعى اسرائيل الى تحقيقها ، حيث قال : « يبدو انه لا مفر — رغم ما في الامر من ازعاج — من اجراء فحص دقيق ومتزن لامكانية محاربة المنظمات بصورة مباشرة (أي ليس بتوجيه الضربات لدول عربية للتأثير عليها واضطرارها للضغط على الفدائيين لايقاف نشاطهم) ، وذلك بضربهم لاضعافهم الى درجة لا يعودون معها يشكلون مشكلة » ، وكان اوري دان في مقاله المذكور بعنوان « كيف نحارب الارهاب العربي بعيدا عن حدود اسرائيل » قد وصل الى هذه النتيجة بعد تأكيده « ان الخبراء في الشؤون الفلسطينية في اوروبا ، مستعدون الى الاعتراف حاليا بملء أفواههم ، بانهم أخطأوا عندما استهانوا بنوعية هذه الحركة (الفدائية) ، وذلك عندما التقوا بنشيطيها في فرانكفورت ، باريس ، روما وغيرها ، وان بياناتنا بعد «عمليات الارهاب» ضد الفلسطينيين والتي كانت ممتلئة بمشاعر « الانتصار النهائي » عليهم ، تثير حاليا السخرية، حيث انه لم يتم القضاء على المشكلة » .

وحول النقطة الثانية من سلم الاولويات الاسرائيلية في المواجهة الفلسطينية الاسرائيلية ، قال دافيد العازار في المقابلة المذكورة : « .. ويجب ان نحارب مستهدفين تقليص تأثير المخربين على جميع التطورات في الشرق الاوسط . وأنا أريد ان لا يكون المخربون عنصرا ذا وزن في اية خطوة سياسية في الشرق الاوسط ، وان لا يكونوا هم ممثلي الفلسطينيين ، وان لا يكون لهم تأثير حاسم على احتمالات السلام في المنطقة ، وعلى التسويات لتأمين قواعد حياة ، حتى وان كانت هذه القواعد غير واردة في اتفاقيات سلام كاملة وموقعة ، وعلى الاتصالات مع الدول العربية وعلى احتمالات استمرار وقف اطلاق النار » .

وحين كان الجدل في اسرائيل ، دائرا حول مسألة الرد على « الارهاب العربي » بارهاب مضاد ، كان الصوت الاقوى هو الذي طالب بأن يكون الرد محصورا في الجهات الرسمية المسؤولة خشية ان يؤدي الاخذ بوجهة النظر المعاكسة الى التأثير سلبيا على صورة اسرائيل لدى الاوساط المؤيدة لها في العالم ، واشترط بعض الاسرائيليين ان تقوم هذه الجهات بتنفيذ « الاعمال القذرة » على ان لا تعلن الحكومة مسؤوليتها عنها ، حيث انه « بشكل عام هناك قواعد ونظم دولية ، وهناك لعبة قذرة تمارسها جميع الدول ، وهناك معاهدات دولية بشأن الموضوع ، واللعبة تقتضي اولا : الصمت ، وثانيا : عدم اخذ اية حكومة مسؤولة العمل على عاتقها . ولكن تبقى فقط حقيقة ان العمل قد نفذ » (حديث مع العميد اول (احتياط) حاييم هرتسوغ — رصد اذاعة اسرائيل ١٩٧٢/١٠/٢).

واذا كان ذلك عن الاهداف الاسرائيلية على صعيد المواجهة حاليا ، فماذا عن الاساليب ؟

عن سؤال شبيه بهذا ، اجاب العازار — وهو المسؤول الاول عن هذا الموضوع في اسرائيل — في المقابلة المذكورة ، بتأكيده : « كما في كل حرب أخرى تنقسم هذه (الحرب ضد الفدائيين) الى اسلوبين معروفين : الدفاع والهجوم ، وانني لا استهين بأي من الوسائل المعدة للدفاع في مواجهة المخربين ... لكن ، ليكن واضحا دون ادنى شك : لا يمكن بوسائل الدفاع حسم اية معركة او اية حرب . وفي الدفاع لا يمكن الانتصار على المخربين وارهابهم . وهدفنا ليس ان ندافع ، بل ان ننتصر ... ولا يمكن القضاء على الارهاب العربي وابادة المخربين بوسائل دفاعية فحسب . وهكذا ، فاننا في هذه الحرب ، كما في كل من حروبنا ، ملزمون بالحفاظ على زمام المبادرة ، وذلك يعني : ان نفرض على الطرف الثاني الخطوط والقواعد (التي يتبناها) ، وان نبادر الى عمليات واعمال ، ان نهاجم — ونفحص النتائج فيما بعد » .

« ... وبالنسبة لنا ، وبرغم ان رغبتنا في الحفاظ

على وقف اطلاق النار كاملة ، فانها ليست اكبر من رغبتنا وصلابة قرارنا بمحاربة المخربين . ولهذا ، فان رغبتنا في الحفاظ على وقف اطلاق النار ، لا يمكن ان تمنعنا من القيام بعمليات ضد المخربين ، حتى وان كانت هذه العمليات تعرض وقف اطلاق النار للخطر ... ولقد قضينا على نشاط المخربين في منطقتنا ، وسوف نضربهم ايضا في أماكن أخرى ... »

وبكلمات مشابهة ردد حاييم هرتسوغ وجهة النظر ذاتها ، بقوله : « اعتقد ان مثل هذه العمليات (ضد قواعد الفدائيين داخل الدول العربية) جيدة ، بشرط أن تكون ضمن نطاق خطة شاملة ، وليست عمليات منفردة . وهذا يتطلب الا تكون مجرد رد على اية عملية للمخربين ، لاننا اذا ما انتظرنا قيامهم بالعمليات حتى نرد عليها ، فاننا نكون قد تركنا المبادرة في أيديهم ، وان ما يجب ان يحدث هو العكس . يجب ان نكون نحن المبادرين ، ويجب ان يكون هدفنا مطاردتهم في كل مكان . والقواعد في الدول العربية احد هذه الاهداف ... وان المخربين لا يقيمون في لبنان لاسباب صحية فقط او للتمتع بجمال الطبيعة ، بل انهم يستعدون للعمل ضدنا ، ... وحسب اعتقادي فان مجرد وجودهم هناك يبرر عملياتنا،... والاساس في هذه الحرب كما هو الحال بالنسبة لاية حرب ، هو اخذ زمام المبادرة ، لانه بدون المبادرة في الحرب ، لا يمكن تحقيق الانتصار » . (رصد اذاعة اسرائيل ٧٢/١٠/٢) .

و« انتقادا » للسياسة الاسرائيلية ، حتى الى ما قبل قيام قوات الاحتلال بالغارة على المخيمين في شمال لبنان بأربعة ايام ، قال أوري دان في معاريف (٧٣/٢/١٦) : « ... ولقد عملنا اقل مما ينبغي ، وتأخرنا اكثر مما ينبغي ، لقد جررنا ولم نبادر . وتمترسنا خلف ابواب مصنحة وسياجات ، ورجال أمن واجهزة تصوير تلفزيونية في دوائر مغلقة ، وكأنه بالامكان ان نجعل « خط بارليف » (خط الدفاع الذي أقامه جيش الاحتلال على جبهة السويس اثناء تولي بارليف لرئاسة أركانه) يحيط بكل الاهداف والممثلين الاسرائيليين في العالم » .

ومن هنا نصل الى السؤال الاهم ، وهو : ماذا حققت اسرائيل من أهدافها في هذه الغارة ؟

وكما ذكرنا ، فان عملية اسقاط الطائرة الليبية ، قد طغت على الغارة على المخيمين ، ولم تحظ هذه بأي تقييم من قبل المسؤولين الاسرائيليين ، او على الاقل ، فان صحف العدو ، واجهزة اعلامه الاخرى قد خلت تقريبا ، من اي تقييم لها .

لكن ما يبدو واضحا ، ان جميع الاهداف الاسرائيلية لم تتحقق ، بل ان بعضها غير قابل اصلا للتحقيق. ومن جميع التجارب التي سجلها التاريخ الحديث ، يظهر تماما ان محاولات الابادة التي قامت بها دول وجيوش تفوق اسرائيل وجيشها قوة ، قد فشلت ، وبشكل ذريع ، في احراز هدف الابادة الشوفيني والوحشي ، الذي هددت به شعوب وثورات اقل قوة من الشعب الفلسطيني وثورته .

ومحاولات اسرائيل المستمرة من اوائل الخمسينات وبعد حرب حزيران ١٩٦٧ ، لفرض « زعامة » فلسطينية متعاونة معها ، قد فشلت هي الاخرى حتى الان ، وليس هناك مما يشير الى احتمال النجاح في فرض مثل تلك الزعامة ، وهذا ما اكدته مؤخرا تطورات غزة حيث تفت الرصاصات التي أعدمت ذيب الهربيطي (رصد اذاعة اسرائيل ٧٣/٢/١٢) وتلك الرصاصات التي استهدفت رشاد الشوا ، رئيس بلدية غزة السابق ، على محاولات اسرائيل خلق زعامة عربية متعاونة ، واستقال اعضاء لجنة مخيم الشاطىء وجمد نشاط جميع لجان بقية الاحياء في غزة ، ثم استقالت ثلاث لجان اخرى ، ولحق ذلك استقالة جميع اعضاء اللجان . (رصد اذاعة اسرائيل ، ١٥ ، ١٧ ، ٢١ ، ٧٣/٢/٢٢) .

يبقى أن يقال بأن الغارة الاسرائيلية ، تنسجم تماما مع الخط واسلوب التفكير الاسرائيليين ، وهي ، وان تكون تصعيدا — نظرا « لعمقها » وطريقة تنفيذها — لم تكن ولم تشكل مفاجأة الا « لهواة التفاجؤ » على حد تعبير مراقب فلسطيني.

زيارة غولدا مئير الرابعة لواشنطن

لو ان اسرائيل ، رسميا ، هي الولاية الواحدة والخمسون في دولة الولايات المتحدة الاميركية ، لما حظي مسؤولوها بالكثافة ذاتها من الدعوات واللقاءات في واشنطن مع الرئيس الاميركي نيكسون.

ومنذ اعادة انتخاب نيكسون في نهاية العام الماضي ، لفترة رئاسته الثانية والاخيرة ، وحتى الان ، زار الولايات المتحدة من الوزراء الاسرائيليين كل من : موشي دايان ، يغآل آلون ، ابا ايبان ، بنحاس سابير ، وأخيرا رئيسة حكومة العدو غولدا مئير ، كما زارها ايضا رئيس دولة العدو زلمان شازار وغيره كثيرون من حملة الالقاب الاكثر تواضعا .

وما نحن بصدده الان ، هو آخر هذه الزيارات وأهمها ، التي بدأتها غولدا مئير في السابع والعشرين من شهر شباط (فبراير) الماضي ، واستمرت اسبوعين ، وقابلت نيكسون خلالها ، رغم انها « زيارة غير رسمية » كما ذكرت المصادر الاميركية والاسرائيلية .

ومع ان الزيارة بحد ذاتها هي حدث هام ، فان مجيئها بعد زيارة كل من الملك حسين ، والسيد حافظ اسماعيل مستشار الرئيس انور السادات الى واشنطن (انظر حول هاتين الزيارتين مقالا في مكان آخر من هذا العدد) قد زاد من اهميتها ، خاصة وان سفير اسرائيل السابق لدى واشنطن ، اسحق رابين (أنهى عمله يوم ٧٣/٣/٩) ، كان قد ذكر « ان الرئيس نيكسون كلف هيئة من الخبراء اعداد دراسة سرية شاملة حول امكانات التسوية (لازمة الشرق الاوسط) وان غولدا مئير معنية بمحاولة الاستباق في ممارسة وسائلها الاقناعية على الرئيس قبل ان يتخذ قراره » . (هآرتس ٧٣/١/٩) .

قبل بدء الزيارة كانت جميع الاوساط الاسرائيلية تقريبا متفائلة جدا من نتائجها ، الى درجة دعت المعلق الاسرائيلي المعروف دان مرغليت الى القول: « ان هذه الزيارة مرتكزة على تقدير سياسي لم تعرف اسرائيل مثيلا له من قبل ، ولم يكن جيدا الى هذا الحد في اي وقت مضى ، حتى انه لا مجال لتوقع حدوث تحسن (في العلاقات الاسرائيلية الاميركية) ، ومن كل زواية حكومية يسمع حاليا التقدير القائل بأن اسرائيل لم تأمل ابدا ان يكون وضع علاقاتها مع الولايات المتحدة افضل مما هو عليه ، والفروقات بين تعابير الوزراء هي فروقات صياغة اكثر منها فروقات في المحتوى » . (ملحق هآرتس ٧٣/٢/٢٣) ، ... « وفي حين انه في كل زيارات غولدا مئير السابقة الى الولايات المتحدة ، أرسلت كمهاجم وسط (في لعبة كرة القدم) يبذل جهدا لتسجيل هدف وتغيير النتيجة ، فانها هذه المرة قد أرسلت كحارس مرمى مهمته المحافظة على استمرار الوضع الحاضر » (المصدر السابق) . بهذا الجو من التفاؤل الاسرائيلي ، بدأت غولدا مئير زيارتها الرابعة — بصفتها رئيسة للحكومة — الى الولايات المتحدة ، وكانت زياراتها السابقة قد تمت على التوالي في السنوات ١٩٦٩ ، ١٩٧٠ ، ١٩٧١ .

وقبل اسبوع واحد من وصول مئير الى اميركا ، كان بنحاس سابير قد أعلن في واشنطن ، بعد اجتماعه مع وزير المالية الاميركي جورج شولتس ، انه أقر في الاجتماع تشكيل لجان مشتركة لدراسة الجوانب المختلفة، للمشاكل الاقتصادية الاسرائيلية. وبرغم رفض سابير الاعلان عن حجم الطلبات المالية الاسرائيلية من اميركا ، فان مراسل معاريف في واشنطن قد ذكر انه « علم من مصادر موثوقة للغاية ان المبلغ الذي طلبته اسرائيل من اميركا ومن البنوك الاميركية هو ٦٢٥ مليون دولار ، موزع على النحو التالي : ٣٠٠ مليون دولار اعتماد عسكري ، ٥٠ مليون دولار مساعدة ، ٥٠ مليون دولار لاستيعاب يهود الاتحاد السوفياتي (وذلك بموجب توصية من الكونغرس) ، ١٠٠ مليون دولار لمشاريع اسكانية ، ٦٥ مليون دولار فائض اغذية ، ٣٠ مليون دولار قرض جديد من بنك التصدير والاستيراد للتطوير الاقتصادي ، وحوالي ٣٠ مليون دولار كمنح لمؤسسات ثقافية وصحية في اسرائيل ، وعلم كذلك ان جهودا تبذل لانهاء عمل هذه اللجان قبل لقاء غولدا مئير ونيكسون » (معاريف ٧٣/٢/٢١) .

وفي الاول من آذار (مارس) ، قبيل اللقاء مئير بنيكسون ، قالت يديعوت احرونوت « ان اللقاء سيكون ذروة الزيارة ، لانه اذا كان نيكسون يرغب في التراجع عن موقفه المتعاطف معنا ، فقد اعطيت له الفرصة الان ، وسنعلم اليوم ما اذا كانت

ستتحقق تنبؤات اولئك الذين قالوا ان نيكسون سيتنكر لنا، او اذا ما صدقت رئيسة الحكومة عندما قالت عنه انه صديقنا الكبير في البيت الابيض » .

واجتمعت مئير مع نيكسون ، ثم خرجت بعد المقابلة التي استغرقت ساعة ونصف لتقول « انه لم يكن هناك اي جدل بينها وبين الرئيس ، ولفتت الانظار الى انها في مقابلتها السابقة للرئيس قالت انه يوجد لنا صديق في البيت الابيض ، وانه ليس هناك من داع لتغيير ما قالته » . (رصد اذاعة اسرائيل ٧٣/٣/٢) .

وذكر مراسل اذاعة العدو نقلا عن « مصادر عليمة » قولها « ان الولايات المتحدة تعلم بأن حل النزاع هو في نهاية المطاف امر يخص الاطراف نفسها وانها لا تعتزم فرض حل او الضغط على اسرائيل » واشارت المصادر ايضا ، الى ان الرئيس نيكسون « لم يطالب اسرائيل بابداء مرونة ، كما انه لم يتقدم منها بأية مطالب » . (المصدر السابق) .

ومن ناحية اخرى « تعهد الرئيس نيكسون لرئيسة الحكومة غولدا مئير ، باستمرار تقديم المساعدات الاميركية في المجال العسكري والاقتصادي ... وحذر الناطق الرسمي بلسان البيت الابيض من الامل بايجاد حل سريع ، ورفض الادلاء بتفاصيل عن المساعدات التي ستقدمها الولايات المتحدة ، وقال فقط ان الولايات المتحدة ستواصل تقديم المساعدات » (المصدر السابق) .

وفي جميع التصريحات التي نسبت الى مئير في واشنطن ، لم يلاحظ اي تغيير على سياسة اسرائيل ، بل ان العكس هو الصحيح ، حيث لوحظ تشدد وتشديد على المواقف الاسرائيلية المعلنة بشأن حل أزمة الشرق الاوسط باستثناء موقف واحد فسره بعض المراقبين المتفائلين ، على انه قد يكون اشارة الى استعداد اسرائيل « التنازل » عن أجزاء من الاراضي العربية المحتلة في حرب حزيران ، لم تكن في السابق تترك مناسبة الا وتؤكد فيها عزمها على « الاحتفاظ » بها ، وذلك في قول مئير اثناء مؤتمر صحافي عقدته في واشنطن يوم ٧٣/٣/١ : « ان اسرائيل لا تستطيع التنازل عن هضبة الجولان ، ولكن اسرائيل لا تعتبر قناة السويس ، الحدود النهائية بينها وبين مصر ، ... وكذلك لا يمكن اعادة شرم الشيخ الى مصر لان هذه النقطة هي خط حياة لاسرائيل » .

وكما كان متوقعا من قبل ، فان غولدا مئير قد قبلت بنصيحة رابين التي لخصها دان مرغليت في جريدة هآرتس (٧٣/٣/٨) والتي تقول « ان جميع الافكار الجديدة زائدة ، وفي اكثر الحالات مضرة » . وشدد رابين على ضرورة التركيز على التسوية الجزئية ، وقال : « لا أدري كيف يمكن التقدم نحو التسوية الشاملة » (داغار ٧٣/٢/٢) ، وكان يرد بذلك — كما يبدو — على قول وزير الخارجية الاميركي وليم روجرز في خطاب ألقاه يوم ٧٣/١/١٧، وطالب فيه « العمل لتحقيق تسوية جزئية ، يعاد بها فتح قناة السويس للملاحة الدولية ، على ان تكون هذه خطوة أولى على طريق التسوية الشاملة » .

وهكذا ، فانه على صعيد ازمة الشرق الاوسط ، لم تحدث زيارة مئير لواشنطن اي تطور كان ، الا اذا اعتبرنا ترسيخ التعاون بين اسرائيل والولايات المتحدة تطورا يذكر .

ويبقى بعد ذلك ملاحظتان :

الاولى : هي ان غولدا مئير التي كانت في كل مرة تسأل فيها عن احتمال استمرار توليها منصب رئاسة الحكومة بعد الانتخابات النيابية المقبلة في اسرائيل (في شهر تشرين الثاني — نوفمبر — المقبل) تؤكد اصرارها على رفض البقاء في منصبها ، ولكنها في مقابلة تلفزيونية اذيعت عبر احدى الشبكات الاميركية يوم ٧٣/٣/٤ ، ردت على سؤال حول هذا الموضوع بأسلوب مغاير ، حيث قالت : « ان استمراري في منصبي يرتبط بقرار الحزب » واضافت : « وجهوا هذا السؤال الى حزبي » . (رصد اذاعة اسرائيل ٧٣/٣/٥) .

وعندما بدا واضحا ان مقابلات مئير في واشنطن ، وخاصة مع نيكسون ، هي السبب الاهم وراء تراجع مئير عن موقفها المذكور ، سأل مراسل اذاعة العدو ، سكرتير حزب العمل اهرون يادلين : « لماذا — حسب اعتقادك — قالت السيدة مئير مثل هذه الامور في الولايات المتحدة بالذات ، وليس في اسرائيل ؟ » ، ورد يادلين : « لا اعرف . من الممكن ان تكون قد أرادت ان تسرع بزف البشرى لنا ، من انها استجابت للحاح الزملاء (ولم يقل أي زملاء) ، ولم تنتظر قدومها الى اسرائيل لاعلان هذا النبأ السار » .

وألح المراسل : « هل بالامكان القول ان هذا

القرار تبلور لديها اثناء جولتها في الولايات المتحدة» فقال يادلين : « من الممكن ان تكون جولتها في الولايات المتحدة قد اضافت اعتبارا آخر لمجمل الاعتبارات ، التي استمعت اليها في محادثاتها مع كثير من الزملاء » .

والثانية : هي حرص نيكسون اثناء لقائه مع مئير ، وهو اللقاء الذي حضره الدكتور هنري كيسنجر مستشار الرئيس نيكسون ، واسحق رابين وسمحا دينتس ، مدير مكتب مئير سابقا وسفير اسرائيل الجديد لدى واشنطن ، على تهنئة السفير رابين بعيد ميلاده الواحد والخمسين ، وقوله « اننا سنفتقد السفير رابين كثيرا ، فقد كان سفيرا كبيرا لدولته ، ونأمل ان تحسنوا استغلال مواهبه » وقد لوحظ في هذا الكلام اكثر من مجرد مجاملة ، ولم يستبعد ان يكون نيكسون قد قصد من وراء هذا « الاطراء » ايضاح « تبني » البيت الابيض لرابين ، مع كل ما هو معروف عن رابين وخلافاته المزمنة مع ابا ايبان وزير خارجية اسرائيل .

ورغم ان اي من المصادر الاسرائيلية — المتوفرة — لم تبرز اهمية ودلالة النقطتين المذكورتين ، فان فيهما ما يؤكد قدرة اميركا ليس على التأثير في سياسة اسرائيل الخارجية فحسب ، بل قدرتها على التدخل والتأثير في الشؤون الاسرائيلية الداخلية .

« عسكرة السياسة ، وتسييس الجيش »

في الثالث عشر من شهر شباط (فبراير) الماضي ، اجرى مراسل اذاعة العدو ، مقابلة مع دوف بن مئير ، سكرتير حزب العمل الاسرائيلي في لواء تل ابيب ، وذلك بمناسبة قرب صدور كتابه (يفترض ان يكون قد صدر في مطلع آذار (مارس) الماضي) الذي يناقش — بين ما يناقشه — ، مسألة دخول رجال الجيش ميدان الحياة السياسية في اسرائيل. (رصد اذاعة اسرائيل ٧٣/٢/١٤) .

وقبل هذا التاريخ بأربعة ايام فقط ، اجرى مراسل اذاعة العدو مقابلة مع الدكتور شيفاح فايس ، الباحث في العلوم السياسية ، حول الموضوع ذاته ، بمناسبة بحث اجراه فايس عن التوزيع الوظيفي لكبار ضباط الجيش في اسرائيل . (رصد اذاعة اسرائيل ٧٣/٢/٩) .

وبعد ثلاثة ايام فقط من اجراء المقابلة مع دوف بن مئير ، « انضم العميد اول (احتياط) شلومو لاهط رسميا الى حزب الاحرار ، واعلن رئيس الحزب اليعيلخ ريملط في جلسة الادارة ، انه سيقترح بأن يوضع لاهط في طليعة مرشحي حزب الاحرار لبلدية تل ابيب ، وعلى هذا ، يقترح ايضا ان يرئس قائمة غاحال (المكونة من الاحرار وحيروت) . وقال لاهط في الجلسة ، انه انضم الى حزب الاحرار اقتناعا منه بمبادئه على اثر المباحثات التي اجراها مع زعماء الحزب » (رصد اذاعة اسرائيل ١٧/ ٧٣/٢) .

وقبل جميع هؤلاء ، كان الصحافي الاسرائيلي المعروف امنون روبنشتاين قد كتب مقالا في غاية الاهمية في جريدة هآرتس (٧٣/١/١٩) ، عن علاقة الجيش بالسلطة المدنية في اسرائيل ، واكد فيه — استنادا الى وقائع واسباب اوردها — ان الحكومة الاسرائيلية لا تملك حق اقرار او حتى تقديم النصح بالنسبة الى تعيين رئيس اركان الجيش الاسرائيلي .

وهذه الفورة في نقاش مسألة « عسكرة السياسة وتسييس الجيش » في اسرائيل ، هي في الواقع حلقة جديدة من مسلسل متصل ، تكاد لا تنتهي احداها الا لتبدأ الاخرى ، وكانت الفورة السابقة قد بدأت لدى انعقاد المؤتمر العام الاخير — قبل بضعة أشهر — لحزب العمل الاسرائيلي الحاكم ، حيث عارض « شباب الحزب » استيلاء كبار ضباط الجيش (المتقاعدين) على المراكز الحساسة في الحزب ، وأطلق هؤلاء على الضباط في حزبهم وفي الاحزاب والمؤسسات الاخرى لقب « العمداء المظليون » ، اي اولئك الذين يهبطون بالمظلات مباشرة من الجيش الاسرائيلي الى مناصب كبرى في السياسة .

اما الحلقة السابقة لهذه ، فكانت قد بدأت في مطلع العام الماضي ، عندما عين الجنرال حاييم بارليف الرئيس السابق لاركان جيش الاحتلال ، وزيرا للتجارة والصناعة في الحكومة الاسرائيلية ، التي

كانت تضم حتى قبل دخوله عددا من كبار ضباط الجيش السابقين ، بينهم موشي دايان ، ويغال آلون ، ويسرائيل غاليلي وغيرهم .

وقد سأل مراسل في اذاعة العدو حاييم بارليف (رصد اذاعة اسرائيل ٧٣/٣/٩) : « لقد قمت بعمليات هبوط بالمظلات من الطائرات في الجيش ، فكيف تشعر بعد أن نزلت الى السياسة ؟ هنالك من يعتقد بأن الهبوط هنا اخطر بكثير حتى من عملية الهبوط الحرة ؟ »

ورد بارليف : « كلا ، لا اشارك في هذا الرأي ، ولا أرى هنا أي شيء خطر ، وأعلم ان حجم خيبة الامل هو من حجم الامل ، وانا لم اقدر ان الوضع بالنسبة لي سيتبدل بصورة اساسية ، فقد كانت لدي الفرصة كرئيس للاركان ، للاطلاع المباشر على اعمال الحكومة » .

وشبه دوف بن مئير النزاع الذي ادى — عشية حرب حزيران — الى تسليم موشي دايان وزارة دفاع العدو ، بذلك النزاع الذي سبقه بسنين ، وادى الى عزل بنحاس لافون من وزارة الدفاع ، وقال في المقابلة المذكورة : « ... وانا اقصد بهذا التأثير السياسي الذي كان لقضية لافون وللمواجهة بين القيادة الرسمية ، وبين القيادة التقليدية في السياسة الاسرائيلية ، وهي المواجهة التي وصلت اوجها خلال الصدام بين وزير الدفاع بنحاس لافون وبين جيش الدفاع الاسرائيلي . ولهذه المواجهة آثار وابعاد ، من بينها طرد وزير الدفاع انذاك ، او اجباره على تقديم استقالته . وهنا اعتقد ان الضغط الذي مورس لانتزاع وزارة الدفاع من ايدي ليفي اشكول في سنة ١٩٦٧ (وتسليمها للجنرال دايان) له نفس الطابع . وانا استغرب اذا كان بالامكان في الظروف الحالية وضع وزارة الدفاع في ايدي شخص مدني ، وما اذا كان بامكان شخصية مدنية ، خلال مواجهة جديدة (مع العرب) ، لا سمح الله ، ان تقود جيش الدفاع الاسرائيلي في المعارك . وهذه هي احدى المشاكل التي لها ابعاد بالطبع في موضوع عسكرة الدولة ودخول الجنود والضباط السابقين الى معترك الحياة السياسية » .

وعن النتيجة التي سيؤدي اليها هذا المسار ، قال بن مئير : « اننا في النهاية سنصل الى وضع متوازن ، تنجح فيه تلك الفئة الناجحة من الضباط ، واما غير الناجحين فلن يتم استيعابهم في السياسة » .

وعلى الذين يتوقعون استيلاء العسكريين — في النهاية — ، للسلطة ، واحتكارهم لها ، رد الدكتور شيفاح فايتس — عبر بحثه الذي اجراه على ٧٥ شخصا فقط من الضباط الذين انهوا الخدمة ، وليس بفعل السن ، وعبر المقابلة الاذاعية المذكورة — ان « المنتخبين في مراكز سياسية من هؤلاء الضباط الذين خلعوا البزة العسكرية يشكلون ١٣،٣٪ فقط من مجموع الضباط المتقاعدين بينما يعمل في وظائف ادارية داخل جهاز الامن وفي الادارة الجامعية ومديري الوزارات ٧٥٪ من مجموع الضباط » .

ورد فايس سبب وجود الانطباع باستيلاء العسكريين على الحياة السياسية الى « النقاش الشعبي الذي جرى حول ضباط مثل بارليف ورابين ودايان ، ومثل عيزر وايزمان اليوم » .

اما امنون روبنشتاين ، فقد تطرق الى الموضوع من زاوية اخرى ، واثبت « استقلالية » الجيش الاسرائيلي عن الحكومة ، واستدل على ذلك بابرازه بعض الاحداث التي وقعت مؤخرا ، على النحو التالي :

« ١ — قرر الجيش تخفيض مدة الخدمة العسكرية بالنسبة الى المهاجرين الجدد . وقد اتخذ الجيش هذا القرار ، دون عرضه على أية جهة اخرى لاقراره ، وحتى الكنيست لم يطلب الحصول على معلومات حول هذا الموضوع .

٢ — ان قرار عدم تخفيض الخدمة العسكرية لجنود الخدمة الاجبارية ، بحث وبت فيه على الصعيد العسكري فقط .

٣ — وقع العميد ، قائد المنطقة الشمالية (الجليل) امر اغلاق قريتي اقرت وكفر برعم قبل ان يلفت نظر الحكومة الى هذا الموضوع ، ودون عرضه على الكنيست مطلقا » .

ويتابع روبنشتاين : « ... وفي حين تقر الحكومة تعيين كل سفير وكل قنصل اسرائيلي في الخارج ، فانها لا تملك صلاحية اقرار ، او حتى تقديم النصح ، بالنسبة الى تعيين رئيس الاركان ، فهذه المسألة تعود بالكامل قانونيا ، الى وزير الدفاع الذي يحق له ان يفعل بالنسبة الى التعيينات داخل الجيش ما يشاء ... ويعرض التعيين على الحكومة بعد ذلك كحقيقة منتهية » .

ولاحظ روبنشتاين ان في اسرائيل وثيقة واحدة فقط تتعلق بتركيب الجيش وهي « امر جيش الدفاع

الاسرائيلي » ، الذي صدر خطأ عن رئيس الحكومة في ايار (مايو) ١٩٤٨ ، ولم يصدر كما يفترض بصورة تشريعية ، ويحظى بموافقة مجلس الشعب (الذي سبق انتخاب اول كنيست) » . « ... وكانت هذه الوثيقة مبهمة ومتسرعة ، ولكنها مع ذلك لم تغير حتى الان ، وبعد مرور ٢٥ سنة على اصدارها » . واخطر ما في هذه الوثيقة باعتقاد روبنشتاين هو خلوها من اية كلمة عن تعيين رئيس الاركان ، ومدة خدمته وخضوعه للحكومة ، وفي نص الامر المذكور انه « بموجبه ينشأ جيش الدفاع الاسرائيلي ، المكون من اسلحة البر والبحر والجو ... ويحظر تشكيل قوات مسلحة خارج نطاق الجيش الاسرائيلي » ... وينتهي الامر — غير الشرعي — بالقول : « ان وزير الدفاع مسؤول من تنفيذ هذا الامر » ، ولاحظ روبنشتاين ان هذه الكلمات القليلة ، منحت وزير الدفاع (وهو في حينه بن غوريون) صلاحيات غير محددة وغير مقيدة مكنته ان يفعل ما يريد داخل الجيش . دون الرجوع الى الحكومة او البرلمان .

وفي « امر جيش الدفاع الاسرائيلي » ليس هناك اي ذكر للمناصب الرئيسية في الجيش ، مثل مدير المخابرات ، ورئيس شعبة العمليات . بل ان تسميات المناصب لم تحدد ايضا ، ويذكر ايسر هرئيل « المشرف » الاسبق على المخابرات الاسرائيلية انه قد حصل على لقبه المذكور (اي « المشرف ») في حفل حضره مع بن غوريون ، فقدمه هذا الى ضيف اجنبي على انه « السيد هرئيل ، المشرف على المخابرات » ، واصبح لقب « المشرف » بذلك اسما ومنصبا رسميا . (كتاب « المشرف » تأليف بارزوهر) . عموما فان اول ما يلاحظه المراقب ، هو الازدياد المستمر في نسبة الضباط الاسرائيليين الذين يتحولون الى العمل السياسي ، ويتسلمون المناصب العالية في المجتمع الاسرائيلي ، من ادارة المطارات المدنية ، الى الموانىء الى الشركات الكبرى والمؤسسات العامة ، وبموجب اخر احصاء متوفر فان « ٤٥٪ من سياسي اسرائيل على الاقل ارتبطوا بالعمل العسكري بشكل او باخر » (كتاب « رجال السياسة الاسرائيليون» — سلسلة حقائق وارقام — رقم ٣٣ ، تحرير انيس صايغ واعداد غازي دانيال — مركز الابحاث الفلسطينية — بيروت — ١٩٧٠ ص ١٨ ، و« رجال السياسة » في هذا الكتاب هم اعضاء الكنيست الاسرائيليين) .

ولا يستبعد ان يثور الجدل والنقاش في اسرائيل مجددا ، ويصل الى ابعاد لم يصلها من قبل ، وذلك بعد عودة اسحق رابين في اذار (مارس الماضي) الى اسرائيل بعد انتهاء فترة عمله كسفير لدى الولايات المتحدة ، واحتمال تعيينه وزيرا في حكومة العدو ، ليصبح فيها اذاك ثلاثة رؤساء اركان سابقين .

عماد شقور

وثيقة خاصة :
افادات اعضاء الجبهة الحمراء

تنفرد « شؤون فلسطينية » فيما يلي بتقديم ترجمة عن الاصل العبري للبيانين اللذين أدلى بهما خلال محاكمتها كل من داوود تركي ، زعيم التنظيم العربي — اليهودي الذي درجت الصحافة العربية على تسميته باسم « الجبهة الحمراء » ، وأودي أديف ، احد الاعضاء الاربعة اليهود في التنظيم . ويظهر البيانان ، بما لا يدع مجالا للشك ، ان الحملة الاسرائيلية لتصوير التنظيم بانه شبكة تجسس للاستخبارات السورية لا أساس لها من الصحة وانها مجرد محـــاولة للتشهير به . والمجـــلة اذ تقدم ترجمة لهذين البيانين ، اللذين تمكنت من الحصول عليهما بوسائلها الخاصة ، تود ان توضح انها تتعامل معهما كوثيقتين توضحان الدوافع الايديولوجية والسياسية وراء التنظيم ، وانها لا تتبنى او ترفض كل ما جاء فيهما ، ولها تحفظات شديدة ازاء بعض النقاط الواردة . وننوه بأن محاكمة كل من داوود تركي واودي اديف ، مع اربعة آخرين من اعضاء التنظيم ، بدأت يوم ٢٥ شباط ١٩٧٣ ، وان الحكم بشأن الاشخاص الخمســـة الاساسيين من بين الذين تم تقديمهم للمحاكمة لم يصدر بعد . ويحمل بيان داوود تركي تاريخ ١٩٧٣/٣/٥ ، ولم نتمكن من قراءة التاريخ على بيان اديف .

(١) افادة داوود تركي

الملف رقم ٧٣/٢٩
١٩٧٣/٣/٥

القاضي : تركي ! جاء دورك الان ! وعليك ان تختار احد الاسلوبين التاليين :

بوسعك أن تدلي بشهادتك بعد حلف اليمين ، وفي هذه الحـــالة سيتولى ممثل النيابـــة استجوابك ، كما أن بوسعك ان تدلي ببيان من مكانك دون حلف اليمين ، وفي هذه الحالة لك ان تختار عدم الادلاء بشهادة .

داوود تركي : اختار الادلاء ببيان من مكاني !

هيئة المحكمة الموقرة ! اود تقديم نفسي ، وقد سجلت رؤوس اقلام عن القضية بأسرها من بدايتها الى نهايتها ! اسمي داوود سمعان تركي . ولدت لاب وأم من الفلاحين الفقراء في قرية المغار عام ١٩٢٧ ، وقد عشت في قريتنا هذه نحو خمسة أعوام . وكان والدي ووالدتي يعملان في صنع الفحم والكلس ، غير ان ما كانا يكسبانه من ذلك لم يكن يكفي لاعالة العائلة ، ولذلك اضطررنا الى النزوح الى حيفا في عام ١٩٣٢ حيث اشتغل والدي عاملا في بلديتها . وعند اعتقالي كنت اعمل في مكتبتي التي اسستها عام ١٩٦٢ ، وقبل ذلك مارست مهنا مختلفة لم تكن تشبع ميولي ولا توافق اهوائي . فقبل تأسيسي المكتبة اشتغلت مدة خمس سنوات كعامل طباعة في مطبعة « الف وواحد » في حيفا . وقبل ذلك

عملت في البناء والصيد وفي حانوت بقالة وفي صناعة البلوكات ، ورغم ان هذه جميعا هي مهن شاقة فانه لم يكن يتيسر لي العثور على عمل فيها بسهولة وذلك نتيجة الظروف التي كان يواجهها العامل العربي وبسبب ملاحقة الهستدروت للعمال غير المنظمين واقدامها على طرد العرب من هؤلاء من اعمالهم متغافلة عن واقع انها حينذاك لم تكن تسمح للعرب بالانضمام اليها وان عضوية الهستدروت كانت تقتصر على اليهود فقط . اما النقابات المهنية الخاصة بالعرب والتي كانت تعمل في اطار ما يدعى « بمؤتمر العمال العرب في اسرائيل » فقد كان قسم منها يؤمن العمل لبعض العمال العرب ولكنه كان عملا هامشيا ولا يستوعب سوى قطاعا ضئيلا من المجموع بينما لم يكن لدى القسم الاخر من هذه النقابات ما يقدمه ... وفي عام ١٩٤٦ اثناء فترة الانتداب البريطاني قدمت طلبات للعمل لجميع الدوائر الحكومية وتلقيت ردا ايجابيا من ثلاث منها — دائرة الجمارك في حيفا ، ودائرة البريد ومصلحة السكك الحديدية — وقد اخترت من بين الدوائر الثلاث هذه دائرة الجمارك التي شعرت ان العمل فيها يناسبني أكثر من غيرها . وظلات اعمل هناك من مطلع عام ١٩٤٦ حتى انتهاء فترة الانتداب . في تلك الفترة ، عندما تقدمت بطلبات العمل هذه ، لم اكن بحاجة الى « محسوبية » أو « واسطة » ، بل كانت مؤهلاتي هي التي حددت قبولي . اما بعد قيام دولة اسرائيل فقد اصبح الزاما على من يريد الحصول على عمل ان يستنجد « بالمحاسيب » ، خاصة اذا كان طالب العمل مثلي عربيا ويعتنق ايديولوجية يسارية — اشتراكية — شيوعية .

واثر سقوط حيفا انتقلت الى قريتي « المغار » للاقامة فيها وبقيت هناك حتى عام ١٩٤٩ . وخلال فترة اقامتي في المغار كان يتحتم علي من اجل العمل خارجها الحصول على تصريح للخروج . ولم يكن بالامكان الحصول على تصريح كهذا بسهولة ولا سيما لاولئك الاشخاص الذين يحملون اراء سياسية معارضة لسياسة وآراء النظام السياسية . وهذا الوضع ، بالاضافة الى امور اخرى مثل سلب الاراضي وعدم المساواة في الحقوق للاقلية العربية في البلاد وملاحقة العمال والاهالي العرب وهدم البيوت — كل ذلك اهاج في خاطري ذكرى ان ابي — رحمه الله — كان في ايامه يؤيد ويتعاطف مع الشيوعيين الذين كان يعرفهم باسم البلشفيين . وقد سنحت لي الفرصة في حياته — وكنت حينئذ صبيا يافعا — ان اتعرف شخصيا على سكرتير الحزب الشيوعي الفلسطيني ، وكان انذاك عربيا يدعى نجيب سبيريدون . وقد كان هذا الشخص بالنسبة لي مثالا للانسان الشيوعي في مسلكيته . فالتحقت بالحزب حينئذ ومن ثم التحقت بصفوف الحزب الشيوعي الاسرائيلي « ماكي » في عام ١٩٤٨ . وقد كان انتمائي هذا علاوة على كوني عربيا هو العلة في كل تلك الملاحقات التي تعرضت لها .

وقد آمنت بأنه ما من أحد يستطيع ان يفرض على اي انسان آراء ومواقف تخالف آراءه ومواقفه تجاه اي شيء او تجاه سياسات النظام القائم اذا كان هو مقتنع بما يحمله من آراء وافكار ازاء السياسة العامة للحكم القائم ...

لقد كنت مضطرا للعمل خارج قريتي لتأمين لقمة العيش لعائلتي المؤلفة من خمسة افراد (أنا وزوجتي وبناتي الثلاث) ، ولذلك كنت احتاج الى تصريح من الحاكم العسكري يسمح لي بالتنقل بين قريتي ومكان عملي ولم اكن احصل على هذا التصريح الا بشق الانفس . وقد كان الصراع من اجل الحصول على هذا التصريح يستغرق اسبوعا كاملا اذ كان يتعين علي ان انتظر قدوم الموظف المختص التابع للحاكم العسكري ، كما كنت اضطر الى خسارة يوم عمل كلما حان اجل تجديد التصريح . وكانت قضية الحصول على هذا التصريح مشكلة بالنسبة لي ولجميع العرب الذين كانوا يقطنون خارج المدن (أماكن عملهم) . واذكر انه في سنة ١٩٥٨ ، وبعد ان كنت قد خضت نضالا مريرا لنقل مكان اقامتي الى حيفا الى ان تم لي ذلك ، اذكر في ذلك الوقت انني رغبت في زيارة قريتي

المغار لمناسبة عيد الفصح لقضاء عطلة العيد مع اهلي واقاربي ، فحصلت من مركز الشرطة في حيفا على تصريح للسفر الى الناصرة حيث كان يتوجب علي الحصول من مركز الشرطة هناك على تصريح اخر للسفر الى قريتي المغار . وهناك في الناصرة ، عانيت الامرين اذ رفض الموظف المختص اعطائي التصريح . لقد حدث هذا في الوقت الذي علمت فيه ان بعض الاشخاص قد حصلوا في هذه المناسبة — مناسبة توافق حلول عيد الفصح وعيد المسلمين في الوقت ذاته — على تصريح لقضاء عطلة العيد مع اهلهم رغم انهم قدموا من خارج الحدود — من شرق الاردن — هذا ، بينما أنا الذي لم أغادر بلادي توضع العراقيل في طريق وصولي الى قريتي لقضاء عطلة العيد بين اهلي وذوي . واخيرا ، وبعد جهد جهيد وعناء ومساع شاقة لدى جهات عدة في الشرطة والحكم العسكري اعطوني تصريحا لمدة يومين فقط ، وعدت بعدهما الى حيفا ...

ان انواع المشاكل التي تواجه الانسان العربي في هذه البلاد ، واليساري منهم بشكل ، كثيرة جدا وتستحق الوقوف عندها طويلا ، بيد أن الوقت المتاح اضيق من ان يسمح لي بأن انقصاها جميعا . لقد كنت عضوا في الحزب الشيوعي الاسرائيلي « ماكي » وذلك من خلال الايمان بالاشتراكية وليس انطلاقا من الايمان بأفراد معينين . وفي سنة ١٩٦٠ ثار الخلاف والجدل بين الحزب الشيوعي السوفييتي والحزب الشيوعي الصيني . ولقد ساهمت بقسط فعال في هذا الجدل داخل صفوف الحزب مؤيدا موقف الحزب الشيوعي الصيني ، وعلى هذا الاساس فصلت ، او بالاحرى انفصلت ، عن صفوف الحزب . ان الحزب الشيوعي الاسرائيلي في حينه ، وقبل انقسامه ، لم يقدم الحل الصحيح في معالجته للنزاع الاسرائيلي — العربي ، بل كان يغير مواقفه وفق الظروف وبموجب الحقائق التي خلقت بعد ذلك . وبناء على ذلك ، ومن ناحية مبدأية ، لم اعتبر توجه الحزب هو الحل الصحيح ، مما أدى الى خروجي من صفوف الحزب نظرا لايماني باستحالة التعايش السلمي بين الشيوعية والاشتراكية من جهة وبين الرأسمالية والامبريالية من جهة اخرى . وانا اؤمن بأنه يتعذر الحاق الهزيمة بالاستعمار والامبريالية سوى بالقوة والنضال وباعداد الجماهير لهذا النضال من اجل قيام الثورة الاشتراكية التي توفر الحل للمشاكل القومية فيعيش تحت لوائها كل انسان بمساواة مع اخيه الانسان دون فرق في القومية او الدين او الجنس . ومنذ خروجي من الحزب « ماكي » كرست اهتماماتي للسياسة المحلية والعالمية ، واعتبر نفسي جزءا لا يتجزأ من الحركة الثورية العالمية . فكفاح وبطولة شعب فيتنام هو كفاحي ... وكفاحي من اجل التحرر الوطني والاجتماعي هو كفاح جميع المناضلين من اجل الحرية في امريكا اللاتينية، وهو كفاح جميع اولئك القابعين في السجون من اجل هذا الهدف .. ولقد اعطيت ، واعطي ، وسأستمر في بذل كل ما لدي وكل ما استطيع وحياتي من اجل هذا الهدف . لقد كانت اوضاع العرب الذين يعانون في هذا البلد من صنوف التمييز الذي يمارس ضدهم هي احد العوامل التي ساهمت في تشكيل آرائي ، فسلب الاراضي والحكم العسكري والطرد من العمل الخ ... كل هذا ترك اثرا بالغا في نفسي ، وشعرت بأنه يتحتم علي الكفاح من اجل تغيير هذه الاوضاع . وبعد حرب الايام الستة طرأ تغير على موقفي من دولة اسرائيل . قبل الحرب ربما كنت افكر هكذا : انني ضد الالام التي لحقت بالشعب اليهودي على ايدي النازيين والفاشست غير ان الحرب ضد مضطهدي الشعب اليهودي هي حرب جميع الشعوب وليست حرب الشعب اليهودي وحده . أنا أؤمن ان الشعب اليهودي كان جزءا لا يتجزأ من جميع المضطهدين في ذلك الزمن عندما كان يعاني من اضطهاد النازيين والفاشيست . وكان يتوجب على الشعب اليهودي ان يخوض نضاله ضد اي شكل من اشكال التمييز القومي أو الطائفي على الارض التي يتواجد فيها . ان احضار اليهود من جميع البلدان الى فلسطين التي انا جزء منها ومن شعبها ليس هو الحل الصحيح . ان الحل الصحيح هو في ان يكافح كل شعب وكل

أناس يعانون من الاضطهاد او الظلم ضد ما يعانون منه لايجاد حل للمشاكل في البلد الذي يوجدون فيه . ان الصهيونية التي حملت لواء فكرة جلب اليهود من جميع انحاء العالم الى فلسطين على اساس الصلة التاريخية بين اليهود وهذه البلاد قد اساءت استغلال هذه الصلة ولم تضع في حسابها وجود شعب فلسطيني في هذه البلاد له حياته وثقافته التي استمرت خلال الفين من السنين . وعندما فكرت في قيام دولة اسرائيل على اساس العطف على الشعب اليهودي والتضامن معه في كفاحه ضد مضطهديه اتضح لي في سنة ١٩٤٧ ان الشعب اليهودي يرغب حقا في ايجاد مكان له يجيء فيه بهدوء ويدبر فيه امور حياته القومية كما يرغب ، لكن الصهيونية لم تقدم له ذلك بل فعلت العكس . فقد اظهرت رغبتها في التوسع . ولم تكتف بالمليون انسان عربي الذين طردوا او هربوا من الحرب ، بل ان لديها رغبات في التوسع تتعدى الاماكن التي احتلتها بعد حرب عام ١٩٦٧ ، وتطمح في تحقيقها في مراحل قادمة لاكمال احتلال المناطق التي بقيت للتوصل الى حدود مملكة اسرائيل التاريخية .

ان جيش الدفاع الاسرائيلي عندما دخل الى الضفة الغربية وقطاع غزة وسيناء لم يستقبله السكان المحليون أصحاب الحق المبدئي والاساسي فيها بالترحاب والاكبار كما كان الحال ، ابان الحرب العالمية الثانية ، في فرنسا والاتحاد السوفييتي وجميع البلدان التي كانت تحت ظل الاحتلال . ان من حق السكان العرب الذين يرزحون تحت نير الاحتلال ، بل من واجبهم ان يحاربوا الاحتلال بجميع الوسائل التي يرونها صحيحة ويتسنى لهم استخدامها ، كما ان هذا ايضا هو واجب جميع محبي السلام والحرية في دولة اسرائيل سواء كانوا عربا او يهودا .

ان الاحزاب في دولة اسرائيل هي في غالبيتها احزاب صهيونية . ورغم ان هنالك احزابا لا تنتمي الى الفكر الصهيوني فان مجرد موافقتها او تسليمها بالحقائق التي تخلقها الصهيونية تجعلني اعتبرها مساعدة للصهيونية ومتقبلة لها . ولهذا لا اجد لي مكانا في اي حزب من هذه الاحزاب رغم ان البعض القليل منها لديه استعداد لقبول الاعضاء العرب في صفوفه . وبعد الحرب شعرت بالحاجة الى اقامة تنظيم جديد يسير على هدى الماركسية ــ اللينينية ، آخذا بعين الاعتبار تجارب وتعاليم الثوريين الاخرين في العالم مثل البطل الاممي تشي غيفارا وزعيم الحزب الشيوعي الصيني ماوتسي تونغ . وقد توخيت في التنظيم الذي فكرت في اقامته ان يضم ، قبل كل شيء ، جميع اولئك الاشخاص في اسرائيل ، من يهود وعرب ، ممن يتوفر لديهم استعداد للالتزام بالعقيدة والايديولوجية الاشتراكية ، والعمل من اجل هذا البرنامج والمشاركة في جميع نشاطاته الفكرية والتنظيمية . ان هدف هذا التنظيم هو اقامة نظام اشتراكي في اسرائيل والدول العربية. وللاسف الشديد لم تتم بعد صورة هذا التنظيم كما توخيت ، وقد راعيت في تحديد اطار العلاقات بين الاعضاء الانضباط بالديمقراطية المركزيةبحيث يختار الاعضاء ، بصورة سرية ، قيادة التنظيم التي تتولى ادارة وتوجيه نشاطات التنظيم بحيث لا يتصرف كل عضو كما يحلو له . أنا أؤمن بأن أعضاء التنظيم من اليهود لهم مكان فيه وهم يشاركونني في هذا الهدف لانني لا ارى أي تنظيم فلسطيني يأخذ في برنامجه الشعب اليهودي بالحسبان . وبغض النظر عن عدد اليهود الموجودين في البلاد فأنا لا أدعو ولن أدعو في أي وقت الى طرد اليهود او القائهم في البحر . بل على النقيض من ذلك ، انا أقف ضد هذا التوجه بكل قوة ، وأنا على استعداد لتقديم كل ما بوسعي تقديمه للحيلولة دون معاناة أي انسان بسبب أصله او دينه او قوميته . والاعضاء اليهود في التنظيم يشاركونني في هذا الهدف . ونحن يوجد لنا برنامج هدفه الاشتراكية . ان الاشتراكية هي الهدف المشترك لجميع الكادحين والفلاحين والمضطهدين في المجتمع الاسرائيلي . ويوجد لليهود قسط ، ويجب ان يكون لهم قسط ، لانهم اعضاء متساوون معي في التنظيم،

من أجل اقامة حكم جديد ونظام جديد يوفر للشعب اليهودي وللشعب العربي المشاركة بفعالية في نضال الشعب العربي من اجل التحرير .

ان الصهيونية في كل تاريخها في البلاد سواء قبل قيام الدولة او بعد قيامها وضعت الشعب اليهودي والسكان اليهود في صراع مع الشعب العربي الفلسطيني وباقي الشعوب العربية . وهي بدل ان تتخذ لها موقفا سياسيا ملائما ومحايدا أو مؤيدا للصراع العربي من اجل التحرير الوطني والاشتراكي تقف بجانب عدوه ، بجانب الامريكيين الذين يضهدون الشعب الفيتنامي . والى جانب الامبريالية الامريكية التي تستغل شعوب امريكا اللاتينية وشعوب اسيا وافريقيا ، وتضع الشعب اليهودي ضد الشعب العربي الى الابد ، واني اعتقد ان هذا الموقف هو موقف اجرامي بحق الشعب اليهودي والشعب العربي على حد سواء .

ليس هناك اي اساس للاعتقاد بأن منظمتنا مرتبطة بالاستخبارات السورية او بالاستخبارات المصرية او مع اية استخبارات اخرى . نحن نعتقد اننا هنا لسنا الوحيدين المشتركين بل لنا شركاء من دول عربية اخرى لا يؤمنون بالحدود الحالية القائمة ، واذا كان لنا اي ارتباط مع اية دولة اخرى فهو ارتباط على اساس المشاركة الايديولوجية والمشاركة في الهدف .

ان حبيب قهوجي متهم كعميل اجنبي وانا متهم بالارتباط او بالاتصال معه. لقد ولد حبيب في فلسطين ، وهو من مواليد قرية فسوطة الموجودة على حدود دولة اسرائيل . انه انسان ، اعرفه بصفته معلم وشاعر وكاتب وبصفته انسان وطني ومتطور بأفكاره . اني اعرفه منذ خمس وعشرين سنة ، وحبيب قهوجي عندما كان موجودا هنا في البلاد الى حين حرب الايام الستة كانت له اراء قومية متطرفة ، ولكنه بعد الحرب ابتدأ يفكر بشكل آخر ، ولقد ابتدأ يفكر بالمضمون الاجتماعي لحركة التحرير القومية العربية .

انا لا أقول ذلك للتمويه بل لانه سبق لي وتناقشت مع هذا الانسان ، وعندما ناقشته فيما يتعلق باشتراك اليهود في التنظيم وبمكانهم فيه ، وافق على هذا الاشتراك وقال انه عدل ولليهودي كل الحق ، ولقد اعترف بحق الشعب اليهودي بالعيش معنا في دولة واحدة ، تتصرف بمساواة تجاه جميع مواطنيها . وهو — كما اعتقد — وحتى الان ، لا أؤمن انه عميل اجنبي . وهو غير مرتبط مع اية استخبارات ، انه يقاتل من أجل الحرية، انه مضطهد وقد طرد من البلاد على ايدي السلطات الصهيونية ، واذا كان له اي اتصال مع عرب من خارج البلاد ، فهذا الاتصال هو مع اناس وليس مع سلطات او غيرها ، اتصال مع اشخاص يشاركونه كفاحه من اجل التحرير الوطني والاجتماعي سواء كانوا من منظمات فلسطينية او من احزاب قائمة في الدول العربية بما فيها سوريا . لقد ابتدأ اتصالي مع هذا الشخص بعد ان استلمت منه رسالة عن طريق جد امرأته ، يطلب مني فيها كتبا اختارها انا والتي أرى فيها انها تتوافق مع افكاره لانه يريد مطالعتها ،فارسلتها له بشكل منتظم بالسبل الاكثر قانونية وبواسطة البريد . ان الطرود التي ارسلتها لحبيب قهوجي كتبت عليها عنوانه الكامل وعنواني الكامل في اسرائيل . لقد كان لي اتصال مع حبيب قهوجي وتحدثت معه عدة مرات بالاضافة الى الاحاديث اليومية التي كنا نتبادلها عندما كان في البلاد حتى عام ١٩٦٨ . وقد قلت له في الخارج عندما تحدثت اليه اننا نعتقد اننا العرب واليهود يجب ان نمنع هذه الحرب الدموية الدائرة منذ ٢٥ سنة . وحسب ما نرى اليوم لا نهاية لهذه الحرب ، وان من واجب كل انسان وطني ، وكل انسان يفكر بمستقبل شعبه والشعوب الاخرى وشعوب العالم ، ان يجد طريقا لتنظيم يهودي — عربي يكافح ويحارب من اجل تغيير انظمة الحكم ، والسلطات الحاكمة في البلاد وفي الدول العربية .

وكان حبيب قهوجي مشاركا لرأيي وهو أيضا ضد مضطهدي الشعوب في البلاد وفي الدول العربية . وهو يرى ان هذا الاضطهاد يعمق الانقسام بين الشعب اليهودي والشعب العربي مع ان مستقبلهم واحدا اذ سيعيشون معا في وطن واحد وفي ظل دولة واحدة ، متحررة من أي تأثير اجنبي ومتحررة من كل استغلال اجتماعي .

عندما اعترفت امام المحققين قلت انني طلبت من حبيب قهوجي سلاحا ، وكان قصدي ان ذلك سيكون لامد بعيد ، اي من اجل الدفاع عن النفس ، اي في حالة تعرض تنظيمنا لهجوم من جانب « رابطة الدفاع اليهودية » التابعة للحاخام كاهانا . وقلت في اعترافي ان تنظيمي سيكون سريا ، ليس لانني اخاف التعبير عن افكاري ، وانما لان مجرد التعبير عن آرائي سيسبب لي الاضطهاد والمضايقة في سبل العيش . ولو عبرت عن آرائي فان مصادر رزقي ستضرب ، كما علمتني التجارب .

ان الديمقراطية في دولة اسرائيل هي ديمقراطية الطبقة الحاكمة . وهي ليست ديمقراطية كاملة . واذا حدث ان ادى استعمال هذه الديمقراطية الى تضارب مع مصالح الطبقة الصهيونية الحاكمة ، فعندئذ لا تبقى هناك ديمقراطية ، بل تنقلب للعكس تماما .

ومن تجربتي ، عندما كنت عضوا في الحزب الشيوعي خلال ١٦ سنة تعرضت لاضطهاد الدولة لانني عبرت في حرية عن آرائي وكان يجب ان احصل على حماية من هنا وهناك او ان ابيع آرائي ومعتقداتي واتنازل عن ابسط الحقوق الاولية لاي انسان ، وهو حقه في التفكير دون حدود ، ومع ان هذا التفكير وهذا الحق مؤمنان في الديمقراطية وجدت ان هذه لا تكون ديمقراطية كاملة اذا لم تؤمن العيش لانسان يفكر بعكس ما يفكر الحكم ، وعقليته تتعارض مع عقلية الحكم القائم . واليوم كل انسان يعتقد بأمور تناقض ما يعتقده الحكم ، او يتنفس هواء دون موافقة الطبقة الحاكمة في البلاد هو عميل ، وخائن . وقد تأثرت جدا البارحة من شهادة الخبير عندما وقف وقال بالاضافة الى كل ما قاله ... ان هذا الذي يأكل بيده اليسرى هو يساري رديء يكره اليهود ويريد ان يفني الشعب اليهودي .

لانه بمثل هذه العقلية وبمثل هذا التفكير يصعب على الصهيونية محاربة العرب الذين يناضلون من اجل الحرية ، والصهيونية تبحث لها دائما عن دواع ووسائل للدعاية امام الامم لتظهر المناضلين العرب بانهم ضد اليهود وانهم يكرهون اليهود ويبغون ابادة الشعب اليهودي . ان هذا الحكم وهذه العقلية لا تتحمل اشخاصا مثلنا ، يعملون معا يهودا وعربا ، لان هذا الوضع يخرب لهم كل برامجهم ، والطريق التي يسيرون عليها والتي ساروا عليها منذ تأسيس الحركة الصهيونية والهجرة الاولى الى هذا البلد ، والطريق التي ساروا عليها هي طريق التفرقة ، لقد كانوا ضد سكان البلد الاصليين ومع المهاجر الغريب . لقد قلت في سياق اعتراضي انني قابلت حبيب حسب طلبي ، وقد قابلني مع شخص شعرت من لهجته بانه فلسطيني مقيم في مصر . ان هذا الشخص ليس من الاستخبارات المصرية ، ولكنه ، حسب ما اعتقدت في ذلك الوقت ، وفي تلك الساعة ، انه رجل يستطيع ان يشاركني في قسم كبير من آرائي .

ان هدف تنظيمي لم يكن ليمس سيادة دولة اسرائيل ، ولكن ضمن هذه الحدود ، ومن خلال هذا النضال المشترك كنت انا — والذين سيجيئون من بعدي — وعندما يحين الوقت سنعمل ما اردنا الا وهو ثورة اجتماعية — وهذا كان سيأخذ منا وقتا كثيرا جدا حتى نصل اليه . وعندما اقول : « عندما يحين الوقت » لا أعني غدا او بعد غد . ان الشكل النهائي لتنظيمي لم يكتمل . قبل كل شيء نحن عشرون شخصا او مئة شخص لا نستطيع ان نجرب اسقاط حكم او قلب نظام حكم .

من قبل ، كان هذا الشيء أصعب بكثير من ان يجرؤ شخص في مثل ظروفنا ان يفكر به

كان هذا الشيء بعيدا جدا عن التفكير ، او حتى ان يسمح اي انسان لخياله ان يتصور انه يمكن ان يحصل غدا او بعد غد او بعد عشر سنين .

ان هذا الشيء وهو قلب الحكم واقامة حكم من طبقة العمال والفلاحين يستغرق وقتا كثيرا من التهيئة الفكرية ، والتنظيم ، ودرس المشاكل ، وكل هذه الاشياء . ورغم كل هذا فنحن نقول ونعترف اننا لا نستطيع اسقاط هذا الحكم الذي يمثل طبقة الحاكم — الطبقة البرجوازية — طبقة الذي يمثل الصهيونية ، نحن لا نستطيع ان نغير هذا الحكم او ان نسقطه الا بالقوة . انا اعترف بذلك ملء فمي . وعندما فكرت بالعمل ضمن حدود تنظيمي ، لم افكر بمساعدة العدو ، ولم افكر بمساعدة اي عدو كان ضد اسرائيل . وفي ارتباطي مع حبيب قهوجي ، أنا وهو بصفتنا اعضاء في هذا التنظيم الذي هو تنظيم اقليمي محض وبصفتنا شركاء في هذا التنظيم تبادلت معه الآراء ، واذا سلمته اي شيء فلم اسلمه سوى معلومات عن الاعضاء في التنظيم وعن التنظيم ذاته .

وانا لم اسلم له اية معلومات تمس أمن الدولة او تساعد اعداء الدولة او تساعد العدو . وخلال وجودي في سوريا ، زرت دمشق ، ولم يكن لي اي اتصال مع اي شخص ذي صفة رسمية .

ان أهم اتصال لي كان مع حبيب قهوجي ومع اشخاص اخرين غير مرتبطين بالسلطة حسب ما فهمت من آرائهم وانهم فلسطينيون حسب ما تأكد لي جيدا من لهجتهم العربية الفلسطينية .

انني استغرب اعتقال حبيب قهوجي عند اندلاع حرب الايام الستة ، لا اعرف التهمة الموجهة اليه ، بل التهمة المزعومة بان له ارتباطات مع الاستخبارات المصرية . انني استغرب ، كيف تطلق السلطات بعد عام سراحه مع انها تقول انها تملك مستمسكات ضده . بودي ان اذكر واشير هنا ان زيارتي له في ١٩٦٩ كانت على اساس انه لا يعتبر رجلا خطرا في نظر السلطات ، ذلك انه لم يقدم الى المحاكمة ، الامر الذي دفعني للاعتقاد بانه من الممكن والمسموح اجراء اتصال مع هذا الرجل ، والاستمرار بتنمية زمالتي وعلاقتي معه .

عند الساعة الحادية عشرة والنصف قدمت مجموعة من عناصر الاستخبارات « الشين بيت » برفقة شرطي واحد يدعى مئير ياشي ، واخذت تفتش منزلي ، وبعد ذلك بساعة واحدة اعتقلت حيث اعتليت سيارة برفقة الشرطي والسائق توجهت بي الى مكان ما لم اتمكن من معرفته الا بعد مضي وقت على اعتقالي . وصلت الى المعتقل بعد ٤٥ دقيقة وهناك ادخلوني غرفة معزولة ، استطعت ان أنام فيها ساعة واحدة ، وفي الساعة الثانية والنصف ليلا ايقظني المحققون فجأة . لقد كان النعاس يداهمني لانني لم اذق طعم النوم خلال ٤٨ ساعة بسبب كثرة المشاكل التي كنت اواجهها .

داهمني المحققون بهذا السؤال : اين ابنتك عايدة الان ؟ عايدة هي ابنتي البكر ، وهي غالية على نفسي ، ان ما افتقرت اليه في هذه الحياة اردت ان اصل واياه اليه . ان ابنتي عايدة الفتاة العربية الوحيدة والاولى التي قبلت في معهد الهندسة التطبيقية (التخنيون) في حيفا ، حيث درست ثلاثة اعوام موضوع الهندسة الكيمائية . والان يجيء المحققون ليسألونني عن اعز ما املك . اين ابنتك عايدة ؟ انني اعلم ان ابنتي تتلقى دراستها في جامعة استانبول في تركيا . ان واقع طرح السؤال بهذا الشكل اثار في نفسي الشكوك حول مصيرها . فلربما حدث لها مكروه على يد رجال الشين بيت . فسئلت : أين هي ؟ قلت لهم انها في تركيا ، بيد انهم قالوا لي لا . قلت لهم انها في تركيا ، وسألتهم اين هي ، هل هي موجودة هنا ؟ قالوا لي « احزر » . اذا اردت ان لا يمسها مكروه وان لا يتحدث معها احد لتستمر في دراستها في تركيا فما عليك الا ان تحدثنا حول

قضيتك بالتفصيل وحول ما جرى معك . في تلك اللحظات كنت اريد ان اكون مطمئنا عن وضع ابنتي عائدة ، هل هي بخير ام لا . قال المحققون : ان باستطاعتنا عمل كل شيء، لان ذلك امرا سهلا بالنسبة لنا ، فنحن مرتبطون مع السلطات التركية بعلاقات حسنة للغاية ، وباستطاعتنا الاتصال مع السلطات التركية لابلاغها باننا سحبنا الجنسية الاسرائيلية عن هذه الشابة ، لانها تقوم عندكم بنشاط سري ، فيقومون باعتقالها ، وانت تدرك سلوك السلطات التركية وتصرفاتها الوحشية . انهم يعرفون كم اعز ابنتي عايدة فهي بالنسبة لي عالمي الذي اريده . قالوا لي : اذا اردت ان لا يحدث لابنتك مكروه فما عليك الا ان تروي لنا ما جرى ، وبذلك نضمن لك سلامة ابنتك ومواصلة دراستها في تركيا . لم أكن انا الذي طلبت من المحققين اتفاقا كهذا . منذ اليوم الاول بل الدقيقة الاولى من التحقيق ، اثاروا موضوع ابنتي عايدة واستغلوها في جميع المناسبات في التحقيق ، استغلوها عندما وجدوا صعوبة في ارغامي على التفوه بامور ليست قائمة حول زملائي ورجال اخرين .

قال لي المحققون انك تراسل ابنتك عايدة ، لتقوم هي بدور تحريرها الى الاستخبارات السورية والمصرية . قلت : نعم انني اراسل ابنتي عايدة ، وليس الاستخبارات سواء منها المصرية او السورية . بل حبيب قهوجي الذي كنت اراسله واكتب اليه حول المشاكل التي اواجهها في التنظيم ، كما وكان يكتب الي حول مشاكله هو الاخر في التنظيم، ومشاكله مع اصدقائه الذين يعيشون معه في البلدان العربية .

اثناء اتصالاتي مع حبيب ، كنت اجهل ان يكون له ارتباط مع الاستخبارات السورية ، ولا زلت حتى الان متأكدا من انه لا ينتمي الى اية استخبارات ، ومن هنا فانني لم ارسل معلومات الى أية استخبارات . ليس هدفي ، او هدف تنظيمي ، المس في أمن الدولة .

خلال استجوابي وجدت نفسي مضطرا لاستخدام المصطلحات التي يستخدمها المحققون، لانهم ارادوا ان اقول : منظمة تخريب ومواد تخريب واستخبارات . واذا ورد على لساني اسم شخص مصري ، كانوا يهتمون باضافة صفة عليه دون علمي . لم يقرأوا الاستجواب الذي اخذوه مني ، كانوا يضيفون في افادتي مصطلحات وتعابير مثل : استخبارات سورية او استخبارات مصرية ، او مواد متفجرة ومنظمات تخريب .

كان التنظيم يسعى الى الثورة الاشتراكية واقامة النظام الاشتراكي ولم يدر بخلدي ولو للحظة واحدة انه يمكن الوصول الى هذا الهدف بواسطة قتل اناس او التعرض للمواطنين . بل اعتقد ان الطريق للوصول الى هذا الهدف يأتي فقط عن طريق تجريد العدو الطبقي من سلاحه وسلبه امكانية الاستمرار في حربه ، كما وانني لم افكر بانه ينبغي على ان اكون البادىء في حرب من اجل هذا الهدف ، انني لا اعتقد بانه من الممكن بهذا العدد البسيط البدء في ذلك . واذا كان لدينا عدد اكبر فاننا نبدأ فقط اذا اصبحنا في وضع لا نستطيع فيه تحمل اساليب القمع والاستغلال التي يتبعها النظام . هذا ما اعتقدته ولا زلت اعتقده حتى اليوم .

بالرغم من كوني مواطنا اسرائيليا فانني اعتبر نفسي عربيا فلسطينيا وجزءا لا يتجزأ من الشعب العربي الفلسطيني الذي يعتبر جزءا من هذه الامة الكبيرة ، الامة العربية ، ومع ذلك فان نظرتي هي نظرة أممية ولا أجد أية حواجز بيني وبين رفاقي اليهود ، انني اؤمن ان من واجبي كعربي ، واؤمن ايضا انه من واجب رفاقي اليهود كيهود ، من أجل مصلحة شعبهم ، ان نعمل جميعا جنبا الى جنب في الطريق الطويل . وان هنالك مكانا للشعب اليهودي ، بل ومن الضروري ان يساهم في هذا الهدف ، للحيلولة دون حروب أخرى وسفك مزيد من الدماء، ومنع العناصر الاجنبية من التدخل في سياستنا وشؤوننا. انني لا أكن الكراهية لاي شعب ، لا للشعب اليهودي ولا للافغاني ، ولا للفرنسي ، الا

اذا كان هذا الفرنسي ، بالرغم من انه يؤمن بنفس الديانة التي أؤمن بها ، يجيء الى هذه البلاد بنفس الشكل الذي سلكته الصهيونية ، فانني أعارضه .

ان تاريخ شعب هذه البلاد ، اثبت ان مقاومة الشعب العربي للمستوطنين الذين يأتون رغما عنه ، لم تكن من خلال نظرة عنصرية او شوفينية ، بل من خلال منطق مقاومة الاحتلال والسلطة الاجنبية .

(٢) افادة اودي اديف

انني اعتبر نفسي شيوعيا ، صاحب فلسفة حياة ماركسية لينينية ، وعندما أقول فلسفة حياة ، فانني أقصد النظرة الى التاريخ ، وبموجب هذه الفلسفة فان التاريخ ليس مجموعة عشوائية من الاحداث تتكرر دونما نظام أو أسلوب بل هو مسيرة ذات بداية واتجاه مسيرة مليئة بالتناقضات والمفارقات التي تخلق أحيانا انطباعا بأن لا قانون يحكمها وليس ثمة شيء ما يتخطاها بينما هي مسيرة تحكمها قوانين معينة تكتسب الاحداث ضمن اطارها معناها ووجهتها . وهذا التطور التاريخي (بموجب السطر الاول في البيان الشيوعي) ليس الا تاريخ حرب الطبقات ومنذ المرحلة التاريخية التي أصبح الانسان فيها قادرا على حيازة ممتلكات وبشكل خاص طعاما وجدت الفروقات بين الطبقات وعندما حوّل صاحب الاملاك ابن القبيلة الاخرى الذي اعتاد سابقا أن يقتله الى عبد لديه ، وفي هذه المرحلة تماما نجحت ضرورة قيام نظام حكم يحمي أصحاب الاملاك من عبيدهم الذين لا أملاك لهم (ويمكن الافتراض ان مثل هذا التطور قد حدث في تاريخنا عندما طلب ابناء اسرائيل من شموئيل أن يتوج ملكا عليهم) ومنذ ذلك الوقت وحتى الان تفسر كل الحروب وكل الثورات الكبرى ، جميعا على هذا الاساس ، صراع الطبقة المضطهدة ضد مضطهديها ، وفي مرحلتنا أصبحت الطبقة المتسلطة طبقة عالمية تتخطى اطار الدول مركزها في الولايات المتحدة الاميركية واسمها الاستعمار . ان الاستعمار من الناحية الاقتصادية نظام معقد لا مجال لشرحه هنا بل انني أيضا لا أدعي فهمه حتى النهاية ولكنه في الاساس نظام جمع رأسمالا كبيرا على مدى مئات السنين ويستعبد بواسطته جميع اجزاء العالم الاخرى .

ويقوم الاستعباد على مبدأ هدم الاقتصاد التقليدي المحلي وادخال البلد في اطار سوق منتوجاته ، وهي عملية تمت في القرن الماضي ومطلع القرن العشرين عن طريق الاحتلال العسكري واحياء الاستعمار الجديد بمساعدة حكومات الدمى (التي تضطر ، نتيجة لضغط الجماهير أن تتحول الى نظم ديكتاتورية أكثر فأكثر) . ان جوهر علاقات الولايات المتحدة واوروبا الغربية مع دول افريقيا وآسيا واميركا الجنوبية هو اخراج المواد الخام بسعر رخيص ثم بيعها كمنتجات صناعية جاهزة بسعر غال مع الحرص الدائم على ألا تنجح اية دولة في الوصول الى وضع تصبح فيه مؤهلة بمفردها لاستغلال كنوزها الطبيعية والافلات بذلك من اطار وصيغة استغلالها من قبل الاستعمار.

كل ذلك كان صحيحا حتى الثورة الروسية حين تحررت دولة او الاصح نصف قارة لاول مرة من علاقات الاضطهاد هذه . وأقصد بذلك ان طبقة العمال في روسيا استولت على السلطة وحاولت لاول مرة في التاريخ أن تقيم نظاما لا يكون كله اضطهاد للاغلبية العاملة من قبل الاقلية صاحبة الاملاك بل على العكس نظاما يدافع عن الاغلبية ، العمال والفلاحين ، ضد الزعماء الحاكمين في العالم بأسره والذين اتفقوا معا على العمل

لاسقاطه (وجدير بالذكر ان هذا ليس الا تفسيرا شعبيا بعيدا عن الادعاء بأنه تحليل علمي دقيق للثورة الروسية) .

لكن الناحية الاقتصادية ، تقدم تفسيرا فقط وتصف الاساس أي اطار النظام الذي هو في النهاية نظام انساني . ولكي نفهم ونستوعب المعنى الكامل للاستعمار ، يجب ان نلقي نظرة على قيمة الانسان في هذا النظام ولا أعتقد بأنه سيصعب عليّ تصوير ذلك . ها انا أرى الحقائق الواضحة التالية ماثلة أمام عيني : الظلم ، المقاساة من التمييز العنصري، ملايين الناس المقتولين من ابناء البشرية من جانب ومن الجانب الاخر أقلية صغيرة صاحبة امتيازات هي المسؤولة عن الوضعية التي يقاسي منها اولئك الملايين . ولا بد من ان أضيف هنا المقولة التي تظل صحيحة على المستوى العالمي وان كانت ليست بذات المقدار من الوضوح في اوروبا حيث يتم توزيع بشكل اكثر تساويا ولكن هذا لا يغير الصورة العامة لوضعية الانسان داخل هذا النظام ، هذه هي الخلفية العامة للموضوع المسمى الصهيونية — دولة اسرائيل — الثورة الاشتراكية .

ان الحركة الصهيونية منذ بداية نشوئها وأعني بها الصهيونية السياسية التي أسسها هرتسل والتي رأت في الامبريالية التي كانت أوروبه آنذاك حاميتها وراعيتها ، ليست حركة تحرير قومية للشعب اليهودي كما يحاولون تصويرها وانما هي ترتيب مع المضطهد (بكسر الهاء) يصبح الشعب اليهودي بموجبه محاربا مرتزقا وشرطيا لحساب راعيه في كل انحاء العالم الثالث . وكما قال هرتسل ، كان الهدف اقامة مستعمرة اوروبية في آسيا ، مستعمرة تحمي مصالح اوروبه . ومن الواضح ان تاريخ الحركة الصهيونية يعزز وجهة النظر هذه . في البداية كانت تركيا والمانيا هي الراعية للصهيونية ومن ثم حلت محلها انكلترا . وبالطبع لم تكن الامور بهذه البساطة. اقصد بذلك انه من الصعب القول ان الصهيونية كانت وما تزال مجرد أداة في أيدي القوى الكبرى الامبريالية حيث انه كان وما زالت لها مصالحها الخاصة . وكانت خدمة مصلحة الاستعمار في المنطقة وراء الرغبة في قيامها . ومن المهم ان نشدد هنا على الفرق الكبير القائم بين الصهيونية السياسية الهرتسلية ، ومتمميها ، وايزمن ، بن غوريون وبين كل حركات حب صهيون وعلى سبيل المثال حركة « احاد هعام » ، وهي التي رضعت من مصادر اخرى تماما . ان فكرة احـــاد هعام عن صهيون كمركز روحي كمكان لهجرة* ثقافية من الشـــعب اليهودي ، كطريق لاعادة ايمانه بنفسه ولتجديد حياته ليس فيها ما هو مرفوض ، وكل علاقة بينها وبين الصهيونية السياسية هي محض صدفة ، وهكذا كانت العلاقات فعلا كما هو معروف بين احاد هعام وهرتسل .

ولاثبات الموضوعة المذكورة اعلاه ، الارتباط بين الصهيونية والاستعمار ، قد يكون من الضروري أن نورد هنا تاريخ الحركة الصهيونية في فلسطين في الـــ ٧٠ سنة الاخيرة . ولكن لا أنوي القيام بذلك حاليا وانما سأكتفي هنا بذكر عدد من المؤشرات الهامة :

أولا : وعد بلفور ، تصريح من الدولة الاستعمارية الاولى في العالم يتضمن حقيقة التبني. تعترف بريطانيا انها تنظر بعين الرضى الى الحركة الصهيونية وتنوي دعمها .

ثانيا : الارهاب العربي في فترة ١٩٣٦ — ١٩٣٩ المسمـــى في قاموس المصطلحـــات الصهيونية « أحداث الـــ ٣٦ » . تمرد جزء كبير من السكان العرب في فلسطين ضد الاستعمار البريطاني ولكي يقمعه البريطانيون حشدوا عددا من الفرق العسكرية وهي قوة كبيرة بالمقاييس التي كان متعارفا عليها ، وما كان معروفا باسم السكان اليهود تم تجنيده لقمع هذا التمرد (أنظر كتاب « شبيتاي طيبت » ، موشي دايان) .

ثالثا : حرب ١٩٤٨ ، مؤامرة بريطانية صهيونية اشترك فيها الملك عبدالله لتقسيم الدولة

* الكلمة العبرية التي تعني « هجرة » هي ذاتها التي تعني « حج » وقد يكون المقصود المعنى الثاني للكلمة.

الفلسطينية التي كان من المفروض قيامها مع خـــروج البريطانيين في ١٥ أيار (مايو) ١٩٤٨ .

وجدير بالملاحظة ان تسلم حزب العمال للسلطة بعد الحرب العالمية الثانية للمرة الاولى أدى الى جعل الزعامة الصهيونية على مدى فترة قصيرة جدا تتخذ خطا معاديا لبريطانيا ولكن هذا الوضع كان استثنائيا ومخالفا لطابع العلاقات الذي ساد دوما بين الزعامة الصهيونية وبين بريطانيا — وحتى هذا الخلاف سوي بعد وقت قصير . ولاعطاء فكرة عن تناقض وجهات النظر بين الصهيونية وبريطانيا فانه شبيه الى حد بعيد مع ما هو قائم (أو كان قائما) بين المستوطنين الفرنسيين في الجزائر وبين باريس ، وحيث كانت الصهيونية ، كما هو الوضع حاليا مع الولايات المتحدة تحاول أن تقنع بريطانيا بما هو أفضل بالنسبة لها (بريطانيا) .

رابعا : عملية سيناء ، ربما كانت هي التعبير الاوضح ، والاقل اثارة للاختلاف من كل الاحداث التي أشرت اليها عن التماثل بين الزعامة الصهيونية والاستعمار وتضامنها معـــه .

خامسا : حرب الايام الستة والفترة التي تلتها حددتا نهائيا موقع دولة اسرائيل كقلعة للاستعمار في هذه المنطقة .

ان جميع هذه المؤشرات تشرح السياسة فقط اي الارتباطات والاطـــار الذي عملت الحركة الصهيونية ضمنه ولا تزال . لكن الذنب الاساسي الذي ارتكبته هو عملية سلب الشعب العربي الفلسطيني الذي سكن هذه الارض . وما أقصده هنا ليس كل تلك الحكايات عن شراء وبيع الاراضي حتى سنة ١٩٤٨ رغم أن جرائم ليست قليلة نفذت في هذا المجال أيضا . انني أقصد عملية السلب الكبرى العظيمة في حرب ١٩٤٨ والتي تمثلت في سلب مئات الالاف من البشر ( ) أيا كانت ضحية السلب ( ) مدنا كاملة ، مئات القرى ، ملايين الدونمات الزراعية ، كلها أفرغت من سكانها ببساطة وسهولة. هذا هو بخطوط عامة ، تاريخ دولة اسرائيل ولقد رافقت هذه الاعمال نقاشات حادة بين الاطراف المختلفة في الصهيونية ، التي تستطيع ان تثبت نوايا اخرى (نوايا) أفضل ، مثلا عند « هشومير هتسعير » (الحارس الشاب) . لكن كل هذه (النوايا) ظلت مجرد نوايا حسنة . وكما هو معروف فان الطريق الى جهنم مغروس بالنوايا الحسنة .

وربما كان بالامكان تبرير الصهيونية لو انها على الاقل مثلت حلا للشعب اليهودي . وبالنسبة لي كيهودي ، يكفي هذا التفسير لمعارضة هـــذه الحركة أو تأييدها لكـــن الصهيونية كأيديولوجية ، ليس فقط لا تحل مشكلة اليهود بل انها تجعلها أكثر خطورة . وسيكون من غير الضروري ان نستعرض الحيثيات المضادة للصهيونية سواء جاءت من اليمين او من اليسار ، من المتدينين او غير المتدينين . وربما اود ان اذكر حيثية واحدة متجسدة في أناس من أمثال مئير كهانا* الذين يدعون ان ينتظر يهود اميركا — الولايات المتحدة — كارثة على غرار الكارثة النازية ولذلك فان عليهم أن يتركوا « أن يهربوا » الى الدولة الملجأ — دولة اسرائيل . ولو كانت وجهة النظر هذه خاصة فقط بكهانا ، كان يمكن ان نفهم ، ولكن ان يتقبل جمهور كبير مثل المؤتمر اليهودي ويدعم الموضوعة التي تقول بأن الولايات المتحدة سترغب في ابادة يهودها وتدعم دولة الملجأ التي سيهربون اليها في الوقت ذاته ، مثل هؤلاء ، في الحركة الصهيونيـــة أناس ساذجون الى حـــد اعتقادهم بأن دولة اسرائيل تستطيع الصمود ليوم واحد دون دعم الولايات المتحدة . ان هذه سخافة مفضوحة . لكن الاساس ليس الايديولوجية التي لم تكن في يوم من الايام مقنعة وهي اليوم أقل اقناعا ، وانما المهم العمل الصهيوني . واذا كان الوضع غير

* رئيس رابطة الدفاع اليهودية ، يميني عنصري معروف .

واضح ابدا لليهود المقيمين في اسرائيل قبل حرب الايـــام الستة ، فانه أصبح بعدهـــا واضحا تماما . فقد حولت الصهيونية ، او ، لزيادة الدقة ، الزعامة الصهيونية ، اليهود في دولة اسرائيل الكبرى الى شعب من الاسياد وفق النمط الكلاسيكي ، ومع كل العلامات الفارقة للاستعمار الاستيطاني والاضطهاد الاوروبي ضد شعوب العالـــم الثالث . كل ذلك بدعم رأس المال الاميركي والسلاح الاميركي .

لقد قدمت المناطق المحتلة حديثا والممتدة على مساحة تزيد كذا ضعف عن المســـاحة السابقة ، والتي يستوطنها ما يزيد عن المليون عربي ، للاقتصاد الاسرائيلي أيد عاملة عربية من ناحية ، وقدمت من الناحية الثانية سوقا كبيرة للمنتجات . ويتم كل ذلك في ظل حكم عسكري يمنع عن هؤلاء المواطنين كل امكانية لمقاومة هذا الوضع او رفضه . ولكن الحقائق الجافة ، كالعادة ، لا تكفي للوصول الى فهم دقيق للوضـــع بل يمكن التوصل لمثل هذا الفهم من خلال نظرتنا الى قضية اللاجئين في غزة . في سنة ١٩٤٨ ــ ١٩٥٠ ، طردتهم الصهيونية من المجدل على سبيل المثال ، وحولتهم الى معدمين يسكنون في أكواخ لا تليق حتى بالحيوانات . واليوم ، وبعد عشرين سنة ، جاءت (الصهيونية) لاتمام المهمة ، لاستخدامهم كعبيد لاقتصادها . وعندمـــا يتجاسرون لرفع رؤوسهـــم للمعارضة ، يدخلون لهم حرس الحدود والجرافات وينكلون بهم . ان حكومة اسرائيل تعرض اليهود أمام أعين العرب في المناطق القديمة (المحتلة سابقا) والجديدة ، وفي الشرق العربي بكامله ، على انهم محتلون « أصحاب عمل »* ومضطهدون (بكسر الهاء). ان هذا الوضع يخلق هوة من الكراهية تتعمق وتتسع مع كل يوم يمر ، اذ انه مـــن الواضح تماما ماذا سيكون عليه رد أولئك العرب ــ اللاجئـــين في غزة على كل ما يعاملون به : قتل اليهود . وهذا هو بالضبط ما يحاولون القيام به . وحكومة اسرائيل ترد عليهم باللغة الوحيدة التي لديها « قوة جيش الدفاع الاسرائيلي الرادعة » ، وهي طبعا التي تجعل مقاومة الجانب العربي أكثر حدة ، وهكذا الى ما لا نهاية .

ان الدرس الذي تعلمته من تاريخ صراع المضطهدين (بفتح الهاء) من أجل التحرير ، هو انه ليس هناك اي نظام حكم أو دولة صمدت زمنا طويلا في هـــذا الوضع . كل الامبراطوريات الكبيرة ، التي كان يبدو انها ستصمد بقوة حرابها الى الابد قد اختفت ، نزلت من على مسرح التاريخ . وأنا كشيوعي مقتنع بذلك دون ادنى شك . ان صراع المضطهدين (بفتح الهاء) عادل وسينتصر في نهاية المطاف . وفي ذلك اليوم ، وربما قبل ذلك بكثير ، اذا لم يتغير شيء في الوسط اليهودي في اسرائيل ، فسيكون مصير اليهود هنا سيئا ومريرا . انهم سيضطرون الى دفع ثمن غال جدا لاعمالهم ، بل حتى لسكوتهم في حال كونهم غير مشاركين عمليا في كل أعمال الصهيونية . ان وعي هذا الواقع الاعوج يجعل من الصعب التسليم به (أو الجلوس بهدوء) .

ومن المهم التأكيد انه ليس صدفة ان كل نشاطي السياسي ، وليس نشاطي أنا فقط ، قد أصبح مكثفا الى درجة كبيرة بعد حرب الايام الستة ، حيث نشأ وضع دولة محتلة ، وضع يضيف مع كل يوم يمر حقائق لا نهاية لها تعزز آرائي . وكما ذكرت ان نظرتي (فلسفتي) الى الصهيونية ، هي جزء من نظرتي الى العالم بشكل عام ، وحرب الايام الستة لم تغير ولم تحدد شيئا بشكل أساسي .

ما العمل ؟ كرد على هذا السؤال وضع لينين كتابا كاملا تقريبا ، أمـــا أنا فسأحاول الاكتفاء بأقل من ذلك . الشيء الاول : ماذا تقترح الاحزاب أن يعمل ، وماذا تقترح المنظمات الشيوعية في اسرائيل ، راكاح ــ الحزب الشيوعي المؤيد للاتحاد السوفياتي ، وهو وفي للخط الروسي في التعايش السلمي ، ويسلم ، بل حتى يؤيد دولة اسرائيل الـــ ٤

* ربما كان المقصود « مستعبدون » (بكسر الباء) .

حزيران (يونيو) . انها تتجاهل تماما المشكلة الفلسطينية ــ الصهيونية التي هي في اساس كل الصراع الشرق أوسطي ، أي انها ترى مشكلة الشعب العربي الفلسطيني كمشكلة أقلية مضطهدة في دولة اسرائيل ، ومهمتها هي تبني نضاله العادل للمساواة في الحقوق . ان هذه (النظرة) لا تحل المشكلة ، انما هي تحاول جعلها اكثر صعوبة للهضم ، ونوع دعايتها أيضا هو انه سيكون من الافضل لاسرائيل أن تقبل قرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ ، وان تكون حيادية في الصراع بين الكتل ، وما شابه ذلك ، الامر الذي يدل على عدم فهم مطلق ، أو تجاهل واع لطبيعة الحـــركة الصهيونية وكان بامكـــان الصهيونية ودولة اسرائيل ان تختارا لنفسيهما طريقا آخر ، معادية للاستعمار . وبشكل عام يمكن القول عن نظرة راكاح انها ، كما ذكرنا ، انعكاس لنظرة البيروقراطية الحاكمة في الاتحاد السوفياتي ، التي يئست من قدرة الجماهير المضطهدة في بقية العالم على القيام بما قام به عمالهم وجنودهم قبل ٥٦ سنة ، اي القيام بثورة اشتراكية ، وهذه نظرة لا شيوعية ولا ماركسية ، لا أقبلها بالطبع . ماتسبين ، المنظمة الاشتراكية الاسرائيلية ، بكل تياراتها ، هي صاحبة نظرية ، ايديولوجية صحيحة ، لكنها تفتقر تماما الى فصل « ما العمل » للوصول الى ذلك الشرق اوسط المتعدد القوميات ، الاشتراكي ، الذي نتحدث عنه ، وجميعهم في نشاطهم السياسي يقصرون كلامهم على دولة اسرائيل اليهودية وحدها . أي انهم يشغلون أنفسهم باقناع اليهود ، ويتجاهلون تماما النضال العربي ، وخصوصا ، النضال العربي الفلسطيني ضد الصهيونية ودولة اسرائيل . ان دلالة هذا التجاهل كبيرة ، اذ ينتج عنه نوعان من النضال ضد السلطة : أولهما : « ليس عن طريق القوة » كما يقول زعماء ماتسبن ، وهذا لا يؤدي الا الى كلام فقط . وثانيهما ، وهو الخاص بالعرب ، عمل غير نظيف وعنيف ودموي ، ولا أثر فيه للكلمة او الايديولوجية . ان هذا الوضع ، أبقى المشكلة ، من جديد ، بدون حل ، أي انه لم يقلص حتى الهوة القائمة بين اليهود والعرب في هذه البلاد، ولقد بقيت كل مسببات انعدام الثقة والشكوك والكراهية من جانب العرب ، قائمة حتى بالنسبة الى اليسار اليهودي .

ان هذا الوضع الاعوج يجب تغييره ، وهذا ما حاولت ان أفعله ، بالتهيئة للنضال ضد دولة اسرائيل وهو ذلك الذي كان حتى الان بمثابة حرب من جانب العرب ضد اليهود ، ونضال للمضطهدين ضد مضطهديهم ، في الوقت الذي يقف فيه كل من العرب واليهود على جانبي المتراس ، وتحويله من نضال قومي الى نضال طبقي ، وهذا يمكن عمله فقط بأن يقوم يهود ويثبتون للعرب الذين يحاربون الصهيونية منذ عشرات السنين ، بأنهم (أي اليهود) يقفون الى جانبهم ، ومستعدون أن يضحوا بكل ما لديهم ، وان يتعرضوا « للمعاملة » ذاتها وأن يقتسموا واياهم كل الامور ، دون اي تمييز أو أفضلية لكونهم يهودا . وبدون ذلك لن يثق اي عربي بصدق ثورية أكثر ثوري يهودي استقامة . وان أية ايديولوجية ، ولو كانت الاكثر مساواة وتقدمية ، لن تستطيع أن تقنع العرب ما لم يرافقها عمل من قبل اولئك الذين يحملونها . ان التنظيم الذي كنت عضوا فيه أصدر عددا من النشرات شرحت أهدافه وبرنامجه . وبما ان حلفاءنا في صراعنا هم المنظمات الماركسية اللينينية في المنطقة ، فقد حاولت وسأحاول طالما استطعت ذلك أن أتصل بهم من أجل خلق جبهة عمل مشتركة . ان موقفي من الكفاح المسلح هو موقف ايجابي ، طالما كان يعمل على دفع الثورة ، أي عملية تحرير الجماهير الى الامام، وبشكل ملموس، فان المقصود هو تنظيم يضم بعض مئات من الاشخاص ، ويعمل بشكل شرعي ، اي عن طريق الصحف والمنشورات والدعاية ، وبشكل غير شرعي ، اي عن طريق الجناح العسكري للتنظيم ، الذي يعمل من أجل تحقيق كل ما ذكر أعلاه .

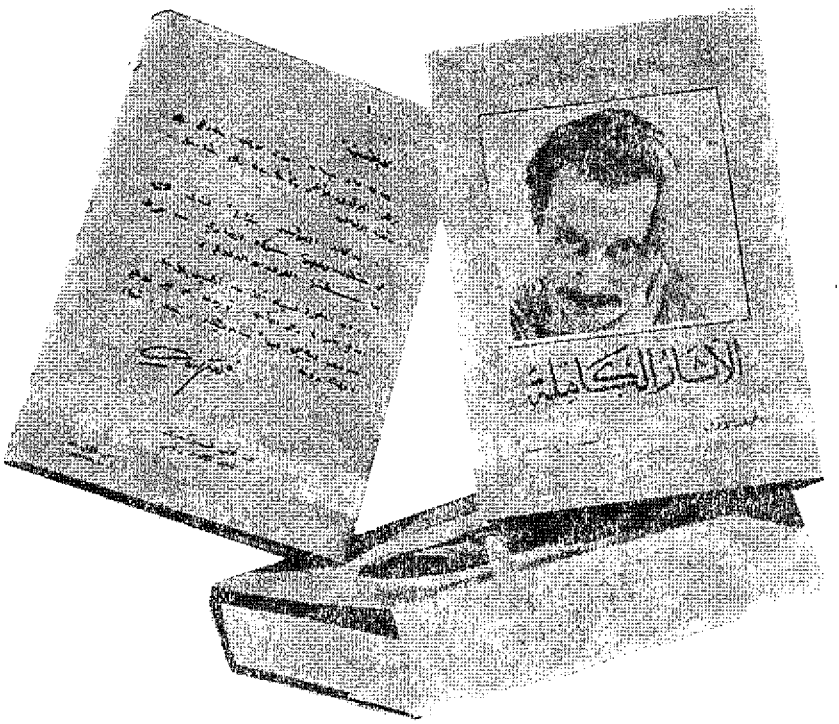

حاليًا
في المكتبات

الخطوط الجوية الكويتية

شبكة خطوط عالمية تغطي مختلف بقاع العالم العربي وأوروبا والشرق الأوسط بطائرات بوينج ٧٠٧ النفاثة

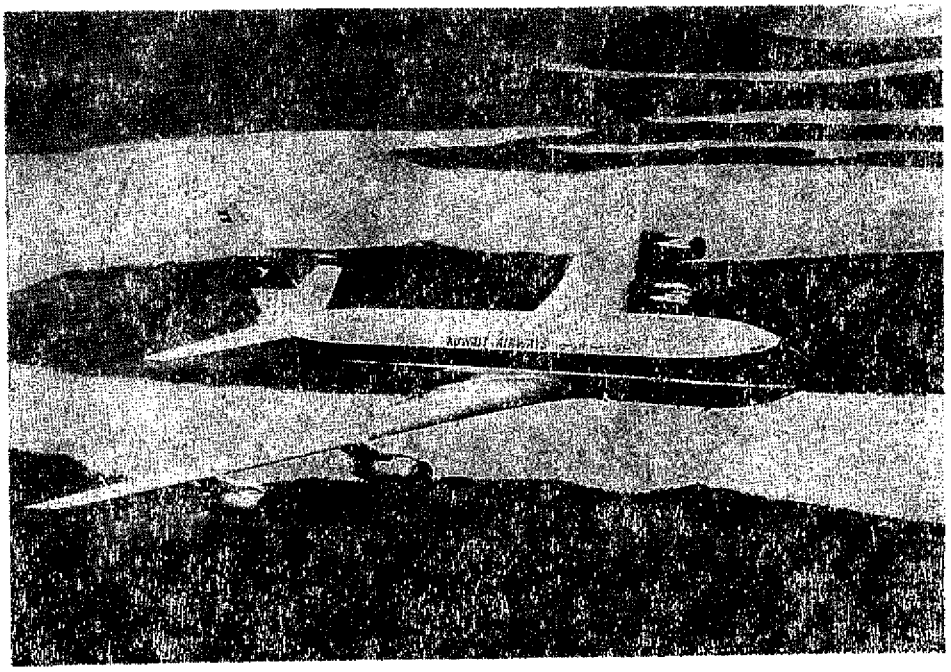

مكاتب رئيسية في كل من :

الكويت ـ البحرين ـ الدوحة ـ دبي ـ الظهران ـ عدن ـ عمان ـ دمشق ـ بيروت ـ القاهرة
طهران ـ عبدان ـ أثينا ـ جنيف ـ فرانكفورت ـ باريس ـ روما ـ لندن ـ نيويورك ـ هيوستون
شيكاغو ـ ديترويت ـ تورونتو .

صدر المجلد السنوي السابع من

السياسة الدولية

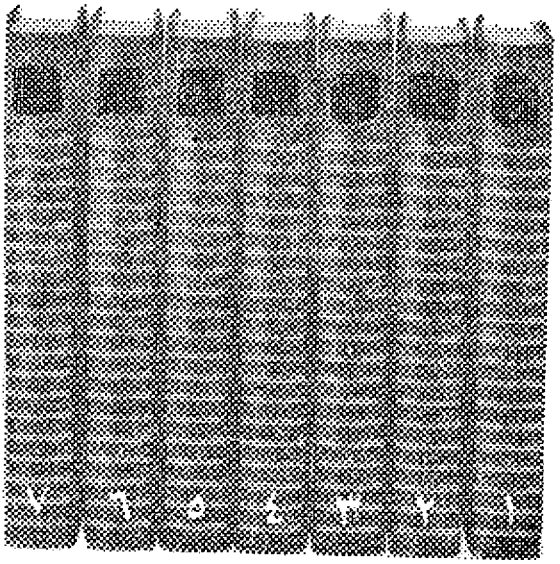

- مرجع علمي للعاملين في الحقل السياسي والدبلوماسي والإعلامي .
- المجلد مزود بفهرس تحليلي وفهرس للمعاهدات والاتفاقات الدولية .
- ١٠٠٠ صفحة ... الثمن ١٠٠ قرش
- يطلب من قسم الاشتراكات بمؤسسة الأهرام ومكتبة الأهرام بشارع محمد فريد والمكتبات الكبرى في الوطن العربي
- يضم الأعداد ٢٣ و٢٤ و٢٥ و٢٦ الصادرة خلال عام ١٩٧١

رئيس التحرير
د. بطرس بطرس غالي

مدير التحرير
د. عبد الملك عودة